

إِنْسَانِيَّةُ الْمَرْأَةِ بَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْأَدْيَانِ الْآخَرَى

تأليف: علاء أبو بكر

الطبعة الأولى

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

obeikandi.com

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله ، وخاتم الأنبياء والمرسلين ، سيدنا وسيد البشرية محمد بن عبد الله النبي الأمي الأمين ، وعلى آله وصحابه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين . . . أما بعد . . . عزيزي القارئ . . . النصراني واليهودي

إن كنت تؤمن أن ما عرفته هو الحق ، ولا حق غيره ، ولا تريد أن تعرف حقائق عن كتابك المقدس ، ولا تريد أن تعرف حقائق عن الإسلام ، فهذا الكتاب ليس لك . اتركه مكانه . أما إن كنت من الباحثين عن الحقيقة أينما كانت ، فهو لك ، فلا تتردد في اقتنائه ، ولا تضيعه من يدك .

أختي وابنتي المسلمة . .

هل تريدن تاجاً أو كنزاً أغلى من كل ماسات العالم؟ هل عندك الصبر لإقتناء هذا الكنز؟ هل تعلمين أن هذا الكنز بين يديك ولا تقتنيه؟ إنه الإسلام . . فهل تعلمين ما قدمه الإسلام لكى؟ فقارنى بين ما قدمته المسيحية أو اليهودية للمرأة وبين ماتنعمين أنتى به منذ فى الإسلام منذ أكثر من ١٤٠٠ عام .

إن من أعظم الفتن التي تعاني منها المجتمعات المسلمة والأوربية في عصرنا الحاضر فتنة غياب الحق ولبسه بالباطل ، وقلب الحقائق والتأويلات الخاضعة للأهواء والتي غلبت عليها أفكار حاكمة ، وتأويلات غلبت عليها شبهات واهية مما يجعلها سبباً رئيساً في تعرض صورة الإسلام وجوهره في العالم أجمع إلى التشويه . ولقد ذم الله سبحانه وتعالى أهل الكتاب في أعمالهم تلك ومخادعة الناس وشعوبهم فقال عنهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْسُونُ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْفُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧١) آل

عمران: ٧١

ففى الوقت الذى جعل الإسلام المرأة هى الكلية العامة ، بل الجامعة الإنسانية التى يجب أن يلجأ إليها أى مجتمع إنسانى ، ليتعلم كيف رفع الإسلام من قدرها ، وكيف ساوى إنسانيتها بإنسانية الرجل ، وكيف وضعها الإسلام فى مرتبة المساواة مع الرجل فى تحمل التكليف ، وفى إقامة هذا الدين ، وفى نشره ، وفى الدفاع عنه ، وفى بناء دولته سياسياً واقتصادياً وإجتماعياً وتعليمياً .

وفى الوقت الذى جعلها الإسلام المطلع الذى يشرق منه شمس الرحمة الإلهية على هذا الكون ، فأنارت ظلماءه ، وكشفت غمائه .

وفى الوقت الذى رفع فيه الإسلام المرأة ليس فقط فى مجتمعها المسلم، بل وبين رجال المسلمين، بل ورفعتها فوق نساء العالمين ، فقد عدَل الإسلام فى كل قضاياها الخاصة بالمرأة كرضيعة، وكطفلة، وكخطيبة، وكزوجة، وكمطلقة، وكأرملة، بل وكإنسانة .
وفى الوقت الذى فعل فيه الإسلام كل هذا وأكثر . كما سترى . للمرأة المسلمة ، كانت المرأة الغربية فى نفس هذا الوقت تزرف فيه من التحقير والعبودية والإستعباد ، والتنكيل ، ما لم تشهد الحيوانات أو الإماء .

وفى الوقت الذى حُرِّمَ على المرأة قراءة كتابها المقدس ، كانت المرأة المسلمة تمنح الإجازات العلمية للرجال ، ليتمكنوا من تدريس هذا الدين . بل كانت السيدة حفصة تؤتمن على كتاب الله وتحفظه عندها .

وفى الوقت الذى كانت المرأة لا يُسَمَح لها فيه بالكلام داخل الكنيسة ، كانت المسلمة تحتاج خليفة المسلمين ، وتقول له اتق الله ! كيف تُحدث فى الدين ما ليس فيه ؟
وفى الوقت الذى كانت الأديان الأخرى تعتبر المرأة حيواناً نجساً ، كان الإسلام يعتبرها خليفة الله على الأرض ، معمرة لها ، مقيمة شعائر الله فيها تماماً مثل الرجل .
وفى الوقت الذى كانت فيه المرأة اليهودية والمسيحية فى كل بلاد العالم غير المسلمة تُحَارَب لأنها طالبة علم ، كانت المرأة المسلمة قبله بأكثر من اثنى عشر قرناً تذهب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطالبه بحلقات علم خاصة بها مثل الرجال .

وفى الوقت الذى يعتبر رجال الدين المسيحي واليهودى المرأة مخلوقاً نجساً ، وأنها شرّاً لا بد منه ، وأنها أجبولة الشيطان ، وشريكة الشيطان فى الخطيئة الأزلية ضد الرجل ، كانت المرأة المسلمة هى نقيضة النساء والرجال ، وكانت طبيبة الرجال والنساء ، وكانت قاضية فى أمور الرجال والنساء الإقتصادية ، وكانت مستشارة نبي الإسلام ، والخلفاء الراشدين من بعده .

لقد حنا الإسلام على المرأة ورحمها ، لا رحمة السيد بالعبد ، بل رحمة لصديق بالصديق ، فحافظ على عفتها وطهارتها ، لقد أخرجها الإسلام من كونها فقط مربية أو خادمة وممرضة ، يتخذها الرجل ملهة لنفسه ، ونديمة لسمره ، ومؤنساً لوحشته ، ومن كونها أداة لهوى ولعبه ، وجعلها شريكة له فى الحياة ، وفى تعمير الأرض ، وفى مسئوليتها عن الدين والدعوة إليه ، وفى الحفاظ على الدولة وشريعته ، وفى بناء الرجال وتربيتهم ، أى اعترف بإنسانيتها ، وبإمكاناتها العقلية ، وأوجب على الرجل احترامها لذاتها .

الفصل الأول

الحق يحرركم من ربة الشيطان وعبوديته :

إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيلِ قِصَّةٍ فِي الْأُمُورِ الْمُتَيَقِّنَةِ عِنْدَنَا ، وَاذَّعُوا عَلَى الْإِسْلَامِ مَا لَيْسَ فِيهِ ، وَافْتَرَوْا عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَهِيَ أَعَزُّ وَأَكْرَمُ مِمَّا قَالُوهُ عَنْهَا ، وَهُمْ يَعْْمُونَ أَبْصَارَهُمْ عَنْ حَضَارَتِهِمْ ، وَعَنْ كِتَابِهِمْ ، أَوْ يَتَكَلَّمُونَ بِمَا يَجْهَلُونَ ، أَوْ يَرْمُونَا بِدَائِهِمْ ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ ذَلِكَ تَجْمِيلًا لِحَضَارَتِهِمْ ، وَتَحْسِينًا لَوْضَعِ الْمَرْأَةِ عِنْدَهُمْ ، أَوْ صَرَفًا لِلنَّاسِ عَنِ الْإِسْلَامِ ، رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَبَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ قَدَرَ الْإِمْكَانَ لِأَنِّي بَشَرٌ ، وَبَنَى آدَمَ خَطَاءً ، أَنُّ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ الْقَارِئُ ، لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلَامِ الَّذِي عُلِّمْتُ بِهِ ، وَتَقِفَ عَلَى الْحَقَائِقِ عَارِيَةً ، مُجَرَّدَةً مِنَ التَّعَصُّبِ وَالْهَوَى ، وَلِتَحْكُمَ : أَيْ الْحَضَارَاتِ وَأَيُّ الْأَذْيَانِ أَنْصَفَ الْمَرْأَةَ وَجَعَلَهَا تَاجًا مِنْ أَعْلَى وَأَنْقَى الْمُجَوَهَّرَاتِ عَلَى رَأْسِ الرَّجُلِ وَالْمُجْتَمَعِ ، وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ جَمِيعًا .

فاستقيموا كما كان معلِّمكم : (يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ بِالْإِسْتِقَامَةِ تَتَكَلَّمُ وَتُعَلِّمُ وَلَا تَقْبَلُ الْوُجُوهَ بَلْ بِالْحَقِّ تُعَلِّمُ طَرِيقَ اللَّهِ .) لوقا ٢٠ : ٢١

وكونوا من الصادقين كما كان معلمكم : (يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ وَتُعَلِّمُ طَرِيقَ اللَّهِ بِالْحَقِّ وَلَا تُبَالِي بِأَحَدٍ لِأَنَّكَ لَا تَنْظُرُ إِلَى وُجُوهِ النَّاسِ .) متى ٢٢ : ١٦

وكونوا قضاة الحق كما أمركم معلمكم : (وَلِمَاذَا لَا تَحْكُمُونَ بِالْحَقِّ مِنْ قَبْلِ نَفُوسِكُمْ؟) لوقا ١٢ : ٥٧

وكونوا أحرارًا بالحق كما أمركم معلمكم : (٣٢) وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ .) يوحنا ٨ : ٣٢ ، (فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا .) يوحنا ٨ : ٣٦

وإلا (فَوَيْلٌ لَكُمْ [أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ الضَّالُّونَ] لِأَنَّكُمْ تَبْجَاوِرُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللَّهِ . وَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلَا تَتْرَكُوا تِلْكَ!) لوقا ١١ : ٤٢

ولا تكونوا من زُمرَةِ الشياطين: (٤٢) فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: لَوْ كَانَ اللَّهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي لِأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ وَآتَيْتُ. لِأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي بَلْ ذَلِكَ أُرْسَلَنِي. ٤٣ لِمَاذَا لَا تَفْهَمُونَ كَلَامِي؟ لِأَنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي. ٤٤ أَنْتُمْ مِنْ أَبِ هُوَ إِبْلِيسُ وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَلِكَ كَانَ قِتَالًا لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمْتُ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّ ١٧٧ لَهُ لِأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ. ٤٥ وَأَمَّا أَنَا فَلَأَنِّي أَقُولُ الْحَقَّ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي. ٤٦ مَنْ مِنْكُمْ يُبْكِنُنِي عَلَى خَطِيئَةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ فَلِمَاذَا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟ ٤٧ الَّذِي مِنَ اللَّهِ يَسْمَعُ كَلَامَ اللَّهِ. لِذَلِكَ أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَسْمَعُونَ لِأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ اللَّهِ.) يوحنا ٨ : ٤٢-٤٧

ولا تكونوا من الكذابين مثل بولس الذي كذب وخادع من أجل أن يكون شريكًا في الإنجيل: (٧) فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ اللَّهِ قَدْ ارْتَدَادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ فَلِمَاذَا أَذَانُ أَنَا بَعْدُ كَخَاطِي؟) رومية ٣ : ٧

ولا تكونوا من المحتالين مثل بولس الذي كان للكافر ككافر ليكسبه لعقيدته وللمؤمن كمؤمن ليكسب المؤمنين: (١٦) فَلْيَكُنْ. أَنَا لَمْ أَثْقُلْ عَلَيْكُمْ. لَكِنْ إِذْ كُنْتُ مُحْتَالًا أَخَذْتُكُمْ بِمَكْرٍ!) كورنثوس الثانية ١٢ : ١٦

(١٩) فَإِنِّي إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِنَ الْجَمِيعِ اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لِأَرْبَحَ الْأَكْثَرِينَ. ٢٠ فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيْهُودِيٍّ لِأَرْبَحَ الْيَهُودَ وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لِأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ ٢١ وَلِلَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلَا نَامُوسٍ - مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلَا نَامُوسٍ لِلَّهِ بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ - لِأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ. ٢٢ صِرْتُ لِلضَّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لِأَرْبَحَ الضَّعَفَاءَ. صِرْتُ لِلْكُلِّ كُلِّ شَيْءٍ لِأَخْلَصَ عَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْمًا. ٢٣ وَهَذَا أَنَا أَفْعَلُهُ لِأَجْلِ الْإِنْجِيلِ لِأَكُونَ شَرِيكًا فِيهِ.) كورنثوس الأولى ٩ : ١٩-٢٣

فهل كان هذا هو نفس طريق عيسى عليه السلام أو طريق تلاميذه؟

لا . فعيسى لم يهادن اليهود ، ولم ينافقهم كما فعل بولس :

فقد قام بشتم معلموا الشريعة قائلاً لهم : (يا أولاد الأفاعي) متى ٣ : ٧

وشتمهم في موضع آخر قائلاً لهم : (أيها الجاهل العميان) متى ٢٣ : ١٧

بل شتم تلاميذه ، إذ قال لبطرس كبير الحواريين : (يا شيطان) متى ١٦ : ٢٣

وشتم آخرين منهم بقوله : (أيها الغبيان والبطيخا القلوب في الإيمان!)

لوقا ٢٤ : ٢٥

بل إن المسيح شتم أحد الذي استضافه ليتغدى عنده في بيته : (٣٧) وفيما هو يتكلم سأله تلميذه أن يتغدى عنده فدخل واتكأ . ٣٨ وأما التلميذ فليما رأى ذلك تعجب أنه لم يغتسل أولاً قبل الغداء . ٣٩ فقال له الرب : «أنتم الآن أيها التلاميذ تفتنون خارج الكأس والقصة وأما باطنكم فمملوءة اختطافاً وخبثاً . ٤٠ يا أغبياء أليس الذي صنع الخارج صنع الداخل أيضاً ؟ ٤١ بل أعطوا ما عندكم صدقة فهوذا كل شيء يكون نقياً لكم . ٤٢ ولكن ويل لكم أيها التلاميذ لأنكم تعشرون النعنع والسذاب وكل بقل وتجاوزون عن الحق ومحبة الله . كان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك ! ٤٣ ويل لكم أيها التلاميذ لأنكم تحبون المجلس الأول في المجمع والتحيات في الأسواق . ٤٤ ويل لكم أيها الكتبة والتلاميذ المراءون لأنكم مثل القبور المحتفية والذين يمشون عليها لا يعلمون ! » (إنجيل لوقا ١١ : ٣٧-٤٣)

وقال لهيرونودس : (قولوا لهذا الثعلب) لوقا ١٣ : ٣٢

بل أمر بإحضار مخالفه وذبحهم أمامه : (٢٧) أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملاك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامي . (لوقا ١٩ : ٢٧)

لذلك كونوا مع الصادقين ، كونوا من المؤمنين ، الذين دعاهم الله جل وعلا إلى الحق وتحري الصدق مع الله ومع الناس ومع أنفسهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿١١٩﴾ التوبة ١١٩

والذين قال في شأنهم: ﴿لَيْسَ إِلَهِنَّ أَن تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ إِلَهِنَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْتُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ ﴿١٧٧﴾ البقرة ١٧٧

وقال فيهم أيضا: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١١٩﴾ المائدة ١١٩

يا أهل الكتاب! اتقوا الله ، ولا تخشوا إلا إياه! يا أهل الكتاب ، لا تكذبوا على الله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ الزمر ٣٢

يا أهل الكتاب! فهذه دعوة للصدق واتباعه. ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ ﴿٣﴾ العنكبوت ٣

واتقوا يوما قال عنه الرحمن: ﴿لَيَسْئَلَنَّ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ ﴿٨﴾ الأحزاب ٨

انظروا ماذا قال الله في عباده لصادقين: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ ﴿٣٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ ﴿٢٤﴾ الأحزاب ٢٣-٢٤

وانظروا ماذا أعد الله لهم في الآخرة: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا

مُتَشَدِّهَا مَثَانِي نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ أَفَمَنْ يَبْقَى بِوَجْهِهِ سَوَاءُ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٧﴾ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَاَنْلَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣٨﴾ فَادْأَقَهُمُ اللَّهُ لِلْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِلْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٠﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٤١﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٤٦﴾ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٧﴾ لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٤٨﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٤٩﴾ الرَّزْمَر ٣٦-٣٢

الفصل الثاني

سبب تسمية الكتاب بهذا الاسم :

لقد استعرت اسم هذا الكتاب من الكاتبة K. Armstrong (كارين أرمسترونج) مؤلفة كتاب The Gospel according to woman وقد جاء كتابها دراسة وثائقية مدعمة بالأسانيد والشواهد والنصوص عن هذا الموضوع الحيوى الخطير ، وقد كانت الكاتبة إحدى الراهبات عدة سنوات ، ثم التحقت بالدراسات العليا بجامعة أوكسفورد .

ولقد أوردت سبب تسميتها للكتاب بهذا الاسم ، كما يقول الكاتب الفذ . جعله الله فى ميزان حسناته . اللواء المهندس أحمد عبد الوهاب : (لقد أُسميت هذا الكتاب (إنجيل المرأة) لأنه يحكى قصة الحياة التى عاشتها النساء من خلال إنجيل يسوع المسيح . إن كلمة (إنجيل) تعنى - طبعاً - أخباراً سارة ،

ولكن على الرغم من أن المسيحية في فجر تاريخها قد قدمت للمرأة رسالة إيجابية ، إلا أنه يجب القول أنه منذ القرن الثاني ، لم تكن المسيحية أخبارًا سارة للنساء على الإطلاق. فقد كانت مدمرة لهن إلى أقصى حد ، على الرغم من وجود عناصر في أنماط التفكير والمشاعر المسيحية التي كان يمكن استخدامها بأفضل مما كان.) انتهى قول الكاتبة .

الفصل الثالث

المرأة عند الشعوب البدائية :

كانت الفتاة في الشعوب البدائية حين تبلغ طور المراهقة ، تُعزَل فلا تكلم أحدًا غير أمها ، ولا تكلمها إلا بصوت خفيض ، كما أن الولد إذا وصل إلى مرحلة البلوغ يأخذونه ليغتسل في بعض العيون المقدسة ، وذلك لكي يخلص من روائح الأنوثة التي علقت به من مصاحبته لأمه .

الفصل الرابع

المرأة عند الهنود القدماء :

كانت المرأة عند الهنود القدماء تعتبر مخلوقًا نجسًا ، ولم يكن للمرأة في شريعة مانو حق في الاستقلال عن أبيها أو زوجها أو ولدها ، فإذا مات هؤلاء جميعًا وجب أن تنتمي إلى رجل من أقارب زوجها ، وهي بذلك قاصرة طيلة حياتها ، ولم يكن لها حق في الحياة بعد وفاة زوجها ، وكانت إذا مات عنها زوجها تُحرق مع جثته بالنار المقدسة ، بل إن بعض القبائل الهندية القديمة كانت لا تراها أهلاً لتُحرق مع جثة زوجها باعتبارها المخلوق النجس ، ولذلك كانوا يرون دفنها حية أو حرقها بعد موت زوجها . فإذا كان للرجل أكثر من زوجة دُفِنَ جميعًا أو حُرِقَ جميعًا .

وفي حياة الزوج كان له أن يُطلِّق الزوجة متى شاء وكيف شاء ، أما هي فليس لها الحق في أن تطلب الطلاق من زوجها مهما يكن من أمر الزوج ، حتى

لو أُصِيبَ بأمراض تمنع من أهْلِيَّتِهِ للحياة الزوجية .

وقد لقيت الحكومات الهندية أشد الفتن من مجتمعاتها ، خاصة من رجال الدين الهنود ، حين حاولت القضاء على مثل هذه العادات المسترذلة والتي استمرت تهضم حقوق المرأة وكيانها حتى القرن السابع عشر .

وفى شرائع الهندوس أنه : (ليس الصبر المقدر ، والريح ، والموت ، والجحيم ، والسم ، والأفاعي ، والنار ، أسوأ من المرأة)

ويذكر جوستاف لوبون أن المرأة فى الهند (نَعُدُّ بعلمها ممثلاً للآلهة فى الأرض ، وتُعَدُّ المرأة العزب ، والمرأة الأيم ، على الخصوص من المنبوذين من المجتمع الهندوسى ، والمنبوذ عندهم فى رتبة الحيوان ، والمرأة الهندوسية إذا فقدت زوجها ظلت فى الحداد بقية حياتها ، وعادت لا تُعامل كإنسان ، وعُدَّ نظرها مصدرًا لكل شؤم على ما تنظر إليه ، وعُدَّت مدنسة لكل شىء تلمسه ، وأفضل شىء لها أن تقذف نفسها فى النار التى يحرق بها جثمان زوجها ، وإلا لقيت الهوان الذى يفوق عذاب النار .)

الفصل الخامس

المرأة فى الصين :

كانت المرأة فى الصين لا تقل مهانة أو مأساة عن بقية المجتمعات ، فكانت النظرة إليها واحدة ، ويظهر مدى امتهان المرأة فى المثل الصينى الذى يقول : إن المرأة كالكرة ، كلما ركلتها برجلك ارتفعت إلى أعلى .

وشبهت المرأة عندهم بالمياه المؤلمة التى تغسل السعادة والمال ، وللصينى الحق فى أن يبيع زوجته كالجارية ، وإذا ترملت المرأة الصينية أصبح لأهل الزوج الحق فيها كإرث ، وللصينى الحق فى أن يدفن زوجته حية .

الفصل السادس

المرأة عند المصريين القدماء وأصحاب الأديان غير الكتابية:

إن البلاد الوحيدة التي نالت فيها المرأة بعض الحقوق قديمًا هي مصر الفرعونية ، إذ كان لها أن تملك ، وأن ترث ، وأن تقوم على شئون الأسرة في غيبة الزوج ، ولكن مع ذلك فقد كان الرجل سيدًا على المرأة خاصة زوجته ، ولكن ليس بالفهم الذي رأيناه أنه يملكها وله الحق في بيعها أو قتلها ، ولكن بمعنى أنه قيّم عليها وعلى بيته .

في البوذية:

قال المؤرخ المعروف وستر مارك Wester Mark : (في نظر البوذيين أن جميع النساء كالمصيدة ، وُضِعْنَ لإغواء الرجل وفتنته ، وأن هذه القوة تجسدت بأخطر الأشكال في أصل المرأة بحيث تغوى الرجال . وهذا الإغواء هو الذى يعمى أفكار العالم).

وفي الهندوسية:

إن العادات المتبعة في الزواج بين الهندو القدامى لا تأخذ إلا صورة بيع الرجل لابنته ، فهي إذن لا ترث زوجها لأنها بضاعته . ولا ولدًا ، لأنها مُسْتَوْلَدَةٌ أبيه . ولا أبًا ، لأنها قطعة من مملوكاته معروضة للبيع تحت اسم التزويج .

ولا تزال البنت حتى عصرنا هذا . في بعض الولايات الهندية . تعتبر وقفًا للآلهة . فهن تحت اختيار الآلهة في المعبد ، وإن شئت قلت : تحت اختيار أمناء المعابد وفي خدمتهم .

وفي عقيدة نيوج Niyog:

(يمكن للمرأة أن تضطجع مع رجل أجنبي من أجل إنجاب الأولاد إذا لم يكن عندها ولد).

وفى عقيدة بها كوداكينا :

يقول السير بندراكار Pandrakar (يرون المرأة ما هى إلا تجسيد للأرواح الخبيثة المجرمة التى ولدت على هيئة امرأة).

وفى عقيدة مها بهارتا :

وتقول السيدة البروفيسورة أنديرا Andira فى كتابها (وضع المرأة فى مها بهارتا): (تُشبَّه المرأة بالسيف الحاد. إنها تُولَّد النيران .. ومن أجل هذه الخصائص ، على الرجل ألا يحبها ولا يعشقها أبدًا).

وفى عقيدة سانتى :

(يجب على كل زوجة يموت زوجها أن يُحرق جسدها على مقربة من جسد زوجها المحروق). ومن لم تفعل أذلها الشعب إذلاً لا يجعل الموت أهون لها من الحياة وأكثر راحة.

الفصل السابع

المرأة الكلدانية :

كانت المرأة الكلدانية خاضعة خضوعاً تاماً لرب الأسرة ، وكان للوالد الحق فى أن يبذل زوجته أو ابنته لسداد دينه ، وكانت المرأة تحتل وحدها الأعباء المنزلية ، فتذهب كل يوم لجلب الماء من النهر أو البئر ، وتقوم وحدها بطحن الحبوب بالرحى وإعداد الخبز ، كما تقوم بغزل ونسج وحيكة الملابس . وهذا كان حالها فى الطبقات الفقيرة .

أما فى الطبقات الموسرة فكانت المرأة لا تخرج من منزلها ، بل يقوم عنى خدمتها فى المنزل خدم وحشم . وأما نساء الملوك الكلدانيين فكان لا يُسمح لأحد برؤيتهم ولا التحدث إليهن أو حتى التحدث عنهن .

وكان من حق الرجل طلاق زوجته متى أراد أما المرأة فإذا أبدت رغبة فى الطلاق من زوجها طُرحت فى النهر لتغرق ، أو طردت فى الشوارع نصف عارية لتعرض للمهانة والفجور .

وقد روى هيرودوت المؤرخ اليونانى القديم أن كل امرأة كلدانية كان عليها فى مدينة بابل أن تذهب إلى الزهرة الإلهة (مليتا) ليواقعها أجنبى حتى ترضى عنها الإلهة. ولم يكن من حقها أن ترد من يطلبها كائنًا من كان ، ما دام أول رجل يرمى إليها بالجعالة [المال المبدول والذي كان يُعتبر حينئذ مالا مقدسًا] ثم ترجع بعد ذلك إلى منزلها لتتظر الزوج .

وكانت إذا تزوجت ولم تحمل لفترة طويلة اعتبرت أنها أصابها لعنة الآلهة أو أصابها مس من الشيطان فتصبح فى حاجة إلى الرقى والطلاسم ، فإذا ضلت عاقرًا بعد ذلك فلا بد من موتها للتخلص منها .

وهذا أقرب ما يكون لنقانون اليهودى عند إصابة أحد بالمس فإنه يُقتل رجلًا كان أم امرأة: (٢٧ وَإِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ أَوْ امْرَأَةٍ جَانٌّ أَوْ تَابِعَةٌ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ بِالْحِجَارَةِ يَرْجُمُونَهُ. دَمُهُ عَلَيْهِ؛ .) لاويين ٢٠ : ٢٧

وكان معبد الإلهة (عشروت) فى بابل القديمة يمتلىء من العاهرات، اللاتى يتقدمن إلى زائرى المعبد. كما كان على كل امرأة أن تتقدم مرة على الأقل إلى معبد فينوس ليواقعها أى زائر فى المعبد. وكانت الفتيات من الصين واليابان وغيرهما من بلاد العالم يتقدمن إلى الكهنة فى المعابد ، وكان من الشرف الكبير أن يواقعها الكاهن الذى هو ممثل الإلهة على الأرض. وكان هذا النوع من البغاء يُعرف بالبغاء الدينى .

وهو قريب من قول نيكولاوس فون كليمانجيس Nikolaus von Clemanges أحد علماء اللاهوت وعميد جامعة باريس سابقا: (أن ترهبين المرأة اليوم فمعنى هذا أنها أسلمت نفسها للعاهرة).

وقد سبقه فى مثل هذا القول دومبريديجر جايلر فون قيصربرج Domprediger Geiler von Kayserberg (إن المرأة فى الدير ليست إلا عاهرة)

وقد شاع المثل الشعبي فى العصور الوسطى القائل: (من لفت رأسها ، عرت بطنها ، وهذه عادة كل الراهبات)

وقد اقترح أوجستين عام ٣٨٨ قانون يمنع أن يدخل شاب على الراهبات أما العجائز المُسنَّات فيسمح لهن بالدخول حتى البهو الأمامى فقط من الدير، ولأن الراهبات كُنَّ فى حاجة إلى قسيس للصلاة بهن ، فقد سمح القيصر جوستنيان فقط للرجال الطاعنين فى السن أو المخصيين بالدخول إليهن والصلاة بهن . حتى الطبيب لم يُسمَح له بالدخول إلى الراهبات وعلاجهن إلا إذا كان طاعناً فى السن أو من المَخْصِيَّين . وحتى المخصيين فقدوا الثقة فيهم ، لذلك قالت القديسة باولا: على الراهبات الهرب ليس فقط من الرجال ، ولكن من المخصيين أيضاً . (ص ١٣٦ لديشنر)

وكان من يقتل بنتاً يُقرَض عليه أن يقدم ابنته لأهل القتيلة يقتلونها أو يملكونها . وإذا لم يُثمر الزواج مولوداً خلال عشر سنين يُعتبر العقد فيه مفسوخاً . وكان للرجل حق قتل أولاده وبيعهم . ولم يحرم ذلك إلا فى القرن الخامس قبل الميلاد . ولم تكن المرأة لتُترث ، فإذا لم يكن هناك ذكور من أسرة الموروث ورثوا الذكور من أسرة زوجته ولكن زوجته لا تُترث .

الفصل الثامن

المرأة عند اليونان:

كانت اليونان فى قديم الزمان أكثر الأمم حضارة ومدنية . وكانت أثينا مدينة الحكمة والفلسفة والطب والعلم ، ومع هذا كانت المرأة عندهم مُحترقة مهينة ، مثل أى سلعة تباع وتُشتري ، مسلوبة الحقوق ، محرومة من حق الميراث وحق التصرف فى المال ، بل أكثر فقد سموها رجساً من عمل الشيطان ، ولم يسمحوا لها إلا بتدبير شئون البيت وتربية الأطفال . وكان الرجل فى أثينا يُسمَح له أن يتزوج أى عدد يريد من النساء ، بلا قيد ولا شرط .

ومما يُذكر عن فيلسوفهم سقراط قوله: (إن وجود المرأة هو أكبر منشأ ومصدر للأزمة والانهييار في العالم ، إن المرأة تشبه شجرة مسمومة ، حيث يكون ظاهرها جميلاً ، ولكن عندما تأكل منها العصافير تموت من فورها .)

كما كان لزوجها الحق في بيعها وأن تظل عند المشتري فترة تحت التجربة ، كما كان لزوجها الحق في قتلها إذا اتهمت ولو بمجرد النظر إلى شخص غريب ولا مسؤولية عليه في ذلك . ومع هذا فإن له الحق في أن يزنّي في منزل الزوجية ، وليس لزوجته حق الاعتراض ، كما أن حق الطلاق مكفول له متى شاء وكيف شاء . ومع ذلك فإنها تظل بعد طلاقها منه مقيدة برأيه في زواجها لمن يريد . ويوصى عند موته بزواجها ممن يرتضيه هو وليس لها أو لأحد من أهلها حق الاعتراض .

وتذكر الأساطير اليونانية أن المرأة هي سبب الأوجاع والآلام للعالم كله ، وذلك لأن الناس في اعتقادهم كانوا يعيشون في أفراح ولا يعرفون معنى الألم ولا الحزن ، ولكن حدث أن الآلهة أودعت أحد الناس صندوقاً وأمرته ألا يفتحه ، وكان له زوجة تُسمى (باندورا) مازالت تغريه بفتحه حتى فتحه فانطلقت منه الحشرات . ومنذ تلك اللحظة أُصيب الناس بالآلام والأحزان . فلهذا كانت المرأة سبباً في الكوارث التي حَلَّتْ بالبشرية كلها نتيجة لفضول المرأة وإغراء زوجها بالعصيان .

ولعلنا نلاحظ شيئاً في هذه الرواية بما تحدث عنه سفر التكوين من إغواء حواء لآدم بالأكل من الشجرة المحرمة بعد أن أغوتها الحية: (٦) قَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلْأَكْلِ وَأَنَّهَا بَهْجَةٌ لِلْعُيُونِ وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ . فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ ١٢ فَقَالَ آدَمُ: الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِيَ هِيَ أَعْطَتْني مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ .)

تكوين ٣ : ٦-١٢

وكان أرسطو يعيب على أهل إسبرطة التهاون مع النساء ومنحهن بعض

الحقوق ، بل إن سقراط كان يعزو سقوط إسبرطة إلى منحها الحرية للنساء .
على الرغم من أن هذه الحرية لم تنلها النساء إلا لانشغال الرجال الدائم في الحروب .

أما المرأة في إسبرطة فكانت تستمتع بحرية لا يُسَمَّح بها للرجل ، ولكن حرية هي إلى الدعارة أقرب ، فكان لها أن تتزوج أكثر من رجل واحد في القوت الذي كان يُحرَّم فيه على الرجل أن يتزوج من امرأة واحدة إلا في الحالات الضرورية جدًا .

ومن الغريب أن يرى الفيلسوف اليوناني أفلاطون شيوعية النساء ، وإلغاء نظام الأسرة على أن تتكفل الدولة بتربية الأبناء .

(ويحدثنا التاريخ عن اليونان في إدبار دولتهم كيف فشفت فيهم الفواحش والفجور ، وعُدَّ من الحرية أن تكون المرأة عاهراً ، وأن يكون لها عُشَّاق ، ونصبوا التماثيل للغواني والفاجرات ، وقد أفرغوا على الفاحشة ألوان القداسة بإدخالها المعابد ، حيث اتخذ البغاء صفة التقرب إلى آلهتهم ، ومن ذلك أنهم اتخذوا إلهًا أسموه (كيوبيد) أي (ابن الحب) ، واعتقدوا أن هذا الإله المزعوم ثمره خيانة إحدى آلهتهم (أفروديت) لزوجها مع رجل من البشر)

ولم يكن يُسَمَّح بتعليم المرأة اليونانية الحرة ، إنما كان التعليم قاصراً على البغايا . حتى كان الرجل الذي يكره الجهل في المرأة يلجأ إلى البغى .

الفصل التاسع

المرأة عند البابليين :

كانت المرأة تُحسَب في قانون حمورابي من عِداد الماشية المملوكة ، وكان تشريع بابل يعطى رب الأسرة حق بيع أسرته أو هبتهم إلى غيره مدة من الزمن ، وإذا طلق الزوج زوجته تُلقَى في النهر ، فإذا أراد عدم قتلها نزع عنها ثيابها وطردها من منزله عارية ، إعلاناً منه بأنها أصبحت شيئاً مُباحاً

لكل إنسان. وقضت المادة ١٤٣ من قانون حامورابى أنها إذا أهملت زوجها أو تسببت فى خراب بيتها تُلقَى فى الماء. ومن قتل بنتاً لرجل كان عليه أن يُسلم ابنته ليقتلها أو يملكها أو يبيعها إن شاء.

وقد أعطى تشريع حمورابى للمرأة بعض الحقوق ، وإن كان هذا التشريع لم يمنع اتخاذ الخليلات إلى جانب الزوجات فى الوقت الذى يقرر فيه إفرادية الزوجة. وقد ظل هذا القانون يمنح الرجل السيادة المطلقة على المرأة ، وإن كان قد منح الزوجة حق الطلاق إذا ثبت إلحاق الضرر بها. أما إذا طلبت الطلاق ، ولم يثبت الضرر فتطرح فى النهر ، أو يُقضى عليها بالحرق. كما أنها إذا نشزت عن زوجها بدون إشارة منه تُغرق ، والمرأة المسرفة تُطلق أو يستعبد لها زوجها.

الفصل العاشر

المرأة عند الفرس :

وكانت المرأة عند الفرس قبل الإسلام يُنظر إليها نظرة كلها احتقار. وقد استمرت مهضومة الحق ، مجهولة القدر ، مظلومة فى المعاملة ، حتى نقدها الإسلام.

وقد ذكر هيرودوت المؤرخ اليونانى القديم أنه كان من آلهة الفرس القديمة إلهة تُسمى (عشتار) ، وهى عندهم بمثابة إلهة الحب والجمال والشهوة والأنسال ، وكانت تُسمى نفسها إلهة العهر أو العاهر الرحيمة. وكان القربان الذى يُقدَّم لها هو الفتيات الأبكاء ، فكنَّ يذهبن إلى معبد الإلهة ، وكان كل رجل تعجبه فتاة يلقي فى حجرها قطعة من فضة ، ثم يقوم بفض بكارتها.

وقد أبيع للرجل الفارسى (الزواج بالأمهات والأخوات والعَمَّات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت ، وكانت الأنثى تُنفى فى فترة

الطمث إلى مكان بعيد خارج المدينة ، ولا يجوز لأحد مخالطتها إلا الخدام الذين يقدمون لها الطعام ، وفضلاً عن هذا كله فقد كانت المرأة الفارسية تحت سيطرة الرجل المطلقة ، يحق له أن يحكم عليها بالموت ، أو يُنعم عليها بالحياة .

فقد تزوج يزدجرد الثانى ، الذى حكم أواسط القرن الخامس الميلادى ، ابنته ثم قتلها .

وقد تزوج بهرام جوبين ، الذى تملك فى القرن السادس ، بأخته . وقد برر هؤلاء تلك الأعمال المشينة بأنها قربة إلى الله تعالى ، وأن الآلهة أباحت لهم الزواج بغير استثناء .

الفصل الحادى عشر

المرأة عند الرومان :

أما المرأة الرومانية فقد كانت تقاسى انتشار تعدد الزوجات عند الرومان فى العرف لا فى القانون ، ولكن (فالتيان الثانى) العاهل الرومانى قد أصدر أمراً رسمياً أجاز فيه لكل رومانى أن يتزوج أكثر من امرأة إذا شاء . الأمر الذى لم يستنكره رؤساء الدين من الأساقفة ، وقد حذا حذو (فالتيان الثانى) كل من أتى بعده .

واستمر تعدد الزوجات منتشرًا بين الرومانيين حتى أتى (جوستنيان) ، فسنّ قوانين تمنع تعدد الزوجات . إلا أن الرجال من الرومانيين استمروا على عاداتهم فى الزواج بأكثر من امرأة ، واستمر الرؤساء والحكام يرضون شهواتهم بالإكثار من الزوجات .

وتساهل رجال الدين ، وسمحوا للراغبين فى الزواج بأكثر من واحدة بتحقيق رغباتهم ومطالبهم . فكان الرئيس الدينى يعطى ترخيصاً بذلك لمن يريد . واستمر تعدد الزوجات عندهم أسوة بأنبيائهم وكتابتهم المقدس

(العهد القديم) ، واستمر رجال الكنيسة يُجيزون تعدد الزوجات حتى منتصف القرن الثامن عشر ، ولم يمنعوا التعدد إلا بعد هذا القرن .

وكانت المرأة عندهم تُباع وتُشترى كأى سلعة من السلع ، كما أن زواجها كان يتم أيضًا عن طريق بيعها لزوجها . وكان لهذا الزوج بعد ذلك السيادة المطلقة عليها . ولم يكن يُنظر إلى المرأة كأنها ذو روح بل كانت تُعتبر مخلوقًا بغير روح ، ولهذا كان يُحرم عليها الضحك والكلام إلا بإذن . كما كان بعضهم يُغالى أحيانًا فيضع في فمها قفلًا من حديد ، كانوا يسمونه الموسيلير Moselier ، وكانوا يحرمون عليها أكل اللحوم كما كانت تتعرض لأشد العقوبات البدنية باعتبارها أداة للغواية وأحبولة من حبال الشيطان . وكان للرجل أن يتزوج من النساء ما يشاء ويتخذ من الخليلات ما يريد .

وكانت الزوجة تكلف بأعمال قاسية وكان من حق الزوج بيعها أو التنازل عنها للغير أو تأجيرها ، ولما اعتنق الرومان المسيحية أصبح للزوجة الأولى بعض الميراث . أما بقية الزوجات فكنَّ يُعتبرن رفيقات . والأبناء منهن يُعاملن معاملة أبناء الزنا اللقطاء ، ولذلك لا يرثون ويُعتبرون منبوذين في المجتمع .

ومن عجيب ما ذكرته بعض المصادر أن ما لاقته المرأة في العصور الرومانية تحت شعارهم المعروف " ليس للمرأة روح " تعذيبها بسكب الزيت الحار على بدننها ، وربطها بالأعمدة ، بل كانوا يربطون البريئات بذبول الخيول ، ويسرعون بهن إلى أقصى سرعة حتى تموت ، ثم يربطون الشقيات بالأعمدة ويصبون النار على أبدانهن .

وليس هذا منحصراً في القرون الأولى للمسيحية ، فقد امتد إلى أواخر القرن السابع عشر الميلادي . عندما أصدر رجال العلم والمعرفة في رومانيا فتوى تنص على أنه (ليس للمرأة روح) .

وقد روى الدكتور اسبرينج Dr. Aspring أنه (فى سنة ١٥٠٠ ميلادية تشكل مجلس اجتماعى فى بريطانيا خصيصاً لتعذيب النساء. وابتدع هذا المجلس وسائل جديدة لتعذيبهن ، وعلى هذا الأساس أحرق المسيحيون النساء وهن أحياء).

الفصل الثانى عشر

المرأة العربية فى الجاهلية قبل الإسلام:

كانت المرأة عند بعض العرب فى الجاهلية تعدُّ جزءاً من ثروة أبيها أو زوجها. وكانوا فى الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وإن كان ذكراً ، وكان ابن الرجل يرث أرملة أبيه بعد وفاتها. وكان العرب قبل الإسلام يورثون النساء كرهاً ، بأن يأتى الوارث ويلقى ثوبه على زوجة أبيه ، ثم يقول: ورثتها كما ورثت مال أبى ، إلا إذا سبقت ابنها أو ابن زوجها بالهرب إلى بيت أبيها ، فليس له أن يرثها. فإذا أراد أن يتزوجها تزوجها بدون مهر ، أو زوجها لأحد عنده وتسلم مهرها ممن تزوجها ، أو حرّم عليها أن تتزوج كى يرثها بعد موتها.

فمنعت الشريعة الإسلامية هذا الظلم / وهذا الإرث ، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ النساء ١٩

فهذه الآية نهت عن عادة الجاهلية من إرث الرجل نساء أقبائه.

وكان العرب فى الجاهلية يمنعون النساء من الزواج ، فالابن الوارث كان يمنع زوجة أبيه من الزواج ، كى تعطيه ما أخذته من ميراث أبيه ، والأب يمنع ابنته من الزواج حتى تترك له ما تملكه ، والرجل الذى يُطلق زوجته يمنع مطلقته من الزواج حتى يأخذ منها ما يشاء ، والزوج المبغض لزوجته يسىء عشرتها ولا يطلقها حتى ترد إليه مهرها. فحرم الإسلام هذه الأمور كلها بقوله جل شأنه: ﴿وَلَا تَعْصُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْنَهُنَّ﴾ النساء ١٩

وكانوا لا يعدلون بين النساء فى النفقة ولا المعاشرة ، فأوجب الإسلام العداة بينهما : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ النساء ١٩

ومنع تعدد الزوجات إذا لم يتأكد الرجل من إقامة العدل بينهما ، فقال تعالى : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ النساء ٣

وكان الرجل قبل الإسلام إذا تزوج بأخرى ، رمى زوجته الأولى فى عرضها ، وأنفق ما أخذه منها على زوجته الثانية ، أو المرأة الأخرى التى يريد أن يتزوجها ، فحرم الإسلام على الرجل الظلم والبغى فى قوله عز وجل : ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْسَبِدَالَ ذَوْجٍ مَكَانَ ذَوْجٍ وَأَنْتُمْ مُحْسِنُونَ﴾ النساء ٢٠

وكانت المرأة قبل الإسلام تُعد متعة من الأمتعة ، يتصرف فيها الزوج كما يشاء ، فيتنازل الزوج عن زوجته لغيره إذا أراد ، بمقابل أو بغير مقابل ، سواء أقبلت أم لم تقبل . كما كانوا يتشاءمون من ولادة الأنثى ، وكانوا يدفنونهن عند ولادتهن أحياء ، خوفاً من العار أو الفقر ، فقال الرحمن الرحيم : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨) يَنْوَرُ مِنْ الْقَوْمِ مَنْ سَوَّاهُ مَا يُبَشِّرُ بِهِ أَيْمُسِكُمْ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّ فِي الْتَرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٥٩) النحل ٥٨ - ٥٩

وكان أحدهم إذا أراد نجابة الولد حمل امرأته . بعد طهرها من الحيض . إلى الرجل النجيب كالشاعر والفارس ، وتركها عنده حتى يستبين حملها منه ، ثم عاد بها إلى بيته ، وقد حملت بنجيب !

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : (كما كانوا يُكرهون إماءهم على الزنا ، ويأخذون أجورهم .)

وكان من المأكولات ما هو خالص للذكور ومحرم على الإناث .

الفصل الثالث عشر

عيسى عليه السلام والناموس (الشريعة):

كان عيسى يعمل بناموس موسى عليهما السلام ، وكان اليهود يستفتونه ويختبرونه فى الناموس ، بل كان يُعَلِّمُ أتباع موسى عليه السلام الناموس داخل معبدهم ، فقد كان هو الذى يقوم بتدريس التوراة لليهود كافة من رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين إلى عامة الشعب . فمن المستحيل أن يأتى بدين جديد ، ثم يذهب إلى أماكن العبادة الخاصة بأتباع دين آخر لينشر دعوته هناك .

* ألم يأمر من سألته عما يفعل ليرث الخلود فى الجنة بالالتزام بالناموس قائلاً :

(٣٤) أَمَّا الْفَرِيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا أَنَّهُ أَبْكَمَ الصَّدُوقِيِّينَ اجْتَمَعُوا مَعًا ٣٥ وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَهُوَ نَامُوسِيٌّ لِيَجَرِّبَهُ : ٣٦ يَا مُعَلِّمُ آيَةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ ؟ ٣٧ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ : تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ . ٣٨ هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعُظْمَى . ٣٩ وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا : تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ . ٤٠ بِهِاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ .)
متى ٢٢ : ٣٤ - ٤٠

* وما هو هنا يشتم الكتبة والفريسيين ويتهمهم بالنفاق والرياء دفاعاً عن الناموس :

(٢٣) وَيَلْ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ الْمَرَاؤُونَ لَأَنْكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالشُّبَّ وَالْكُمُونَ وَتَرْكُتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ : الْحَقَّ وَالرَّحْمَةَ وَالْإِيمَانَ . كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلَا تَتْرَكُوا تِلْكَ .) متى ٢٣ : ٢٣

* وكان يُعَلِّمُ جميع الشعب اليهودى الشريعة والناموس ، إذ لا يُعقل أن يأتى صاحب ديانة أخرى ويدرسها فى مكان العبادة الخاصة بطائفة أخرى غير طائفته :

* وأكد صراحة أنه لم يأت إلا متبعًا للناموس :

(١٧) لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لِأَكْمَلَ. ١٨ فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. ١٩ فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغَرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ فَهَذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. متى ٥ : ١٧-١٩

يقول كتاب التفسير الحديث للكتاب المقدس (إنجيل متى) بقلم ر. ت. فرانس (صفحة ١١٧): إن معنى كلمة plerosia (يكمل) الناموس أى (أنجز أو حقق أو أطاع أو أظهر المعنى الكامل للناموس. ومعنى ذلك أن عيسى عليه السلام لم يأت بتشريع جديد ، وأنه جاء مفسرًا للناموس ، شارحًا له ، متبعًا تعاليمه ، مطيعًا لها .

* وقال يعقوب رئيس الحواريين من بعده :

(١٠) لِأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ ، وَإِنَّمَا عَثَرَ فِي وَاحِدَةٍ ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ. ١١ لِأَنَّ الَّذِي قَالَ: «لَا تَزْنِ» قَالَ أَيْضًا: «لَا تَقْتُلْ». فَإِنْ لَمْ تَزْنِ وَلَكِنْ قَتَلْتَ ، فَقَدْ صِرْتَ مُتَعَدِّيًا النَّامُوسَ. يعقوب ٢ : ١٠-١١

* كذلك لفظ معلم الذى كان ينادى به ، وطالب أتباعه أن ينادوه به فهو نفس اللفظ الذى اتخذه أبناء هارون بنى لاوى ، الذين كانوا مخصصين لتدريس الدين ولشرح العقيدة فى المعبد. فهو إذن كان ملتزم بالناموس والشريعة لأنه كان شارحًا لها :

(٨) وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَا تُدْعَوْنَ سَيِّدِي لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدَ الْمَسِيحِ وَأَنْتُمْ جَمِيعًا إِخْوَةٌ. ٩ وَلَا تُدْعَوْنَ لَكُمْ آبَا عَلَى الْأَرْضِ لِأَنَّ آبَاكُمْ وَاحِدَ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. ١٠ وَلَا تُدْعَوْنَ مُعَلِّمِينَ لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدَ الْمَسِيحِ. متى ٢٣ :

* كذلك قميصه غير المخاط المذكور عند يوحنا لم يكن يلبسه إلا الكهنة اللاويون الذين كانوا يدرسون الشريعة والناموس في المعبد:

(٢٣) ثُمَّ إِنَّ الْعَسْكَرَ لَمَّا كَانُوا قَدْ صَلَّبُوا يَسُوعَ أَخَذُوا ثِيَابَهُ وَجَعَلُوها أَرْبَعَةً أَقْسَامَ لِكُلِّ عَسْكَرِيٍّ قِسْمًا . وَأَخَذُوا الْقَمِيصَ يُضًا . وَكَانَ الْقَمِيصُ بِغَيْرِ خِيَاطَةٍ مَنسُوجًا كُلُّهُ مِنْ فَوْقُ .) يوحنا ١٩ : ٢٣

* وكذلك مناداة مريم له بكلمة (ربوني) ، فلم يأخذ هذا الاسم إلا اللاويون:

(١٦) قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرِيْمُ!» فَالْتَفَتَتْ إِلَيْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي» الَّذِي تَفْسِيرُهُ يَا مُعَلِّمُ .) يوحنا ٢٠ : ١٦

* بل لعن من لا يفهم الناموس:

(٤٩) وَلَكِنْ هَذَا الشَّعْبُ الَّذِي لَا يَفْهَمُ النَّامُوسَ هُوَ مَلْعُونٌ .) يوحنا ٧ : ٤٩

* ألم يسأله أحد الناس أن يُقسّم الميراث بينه وبين أخيه (تبعًا للشريعة الموسوية)؟

* ألم يطالبه اليهود برفع المرأة (تبعًا للشريعة الموسوية) التي ادعوا عليها الزنى؟

* ألم يحتفل عيسى عليه السلام بعيد الفصح (تبعًا للشريعة الموسوية)؟

الفصل الرابع عشر

المرأة في اليهودية:

أولاً فهي منبوذة مثل الشيطان ، لأنها المتسببة في غواية آدم وسبب إخراجه وذريته من الجنة ، وقد كانت أشد من لشيطان على البشرية ، فلم يقدر الشيطان على آدم ، ولكن تمكنت حواء حليفة الشيطان من غواية آدم ، وعلى ذلك فالرجل لا يخطيء ، وإثمه على المرأة: (١١) فَقَالَ: «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ عُرْيَانٌ؟

هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا؟» ١٢ فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِيَ هِيَ أَعْطَتْني مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». ١٣ فَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُ الْمَرْأَةِ: «مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ». تكوين ٣: ١١-١٣

وما هي هذه الشجرة التي أكل منها آدم وحواء؟ إنها شجرة معرفة الخير من الشر: ١٦ وَأَوْصَى الرَّبُّ إِلَهُ آدَمَ قَائِلًا: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا ١٧ وَأَمَّا شَجَرُهُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا لِأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلْ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ». تكوين ٢: ١٦-١٧

وهل صدق الرب؟ لا. بل كان الشيطان أصدق منه: (١) وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَخِيلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ إِلَهُ فَقَالَتِ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللَّهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» ٢ فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ ٣ وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللَّهُ: لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمْسَاهُ لِئَلَّا تَمُوتَا». ٤ فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! ٥ بَلِ اللَّهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللَّهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ». تكوين ٣: ١-٥

وهذا ما اعترف به الرب فيما بعد، مما اضطره لفرض حراسة على شرقي جنة عدن لحراسة طريق شجرة الحياة، فقال: (٢٢) وَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُ: «هُوَذَا الْإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالْآنَ لَعَلَّهُ يَمْدُ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أَيْضًا وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إِلَى الْأَبَدِ». ٢٣ فَأَخْرَجَهُ الرَّبُّ إِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ عَدْنِ لِيَعْمَلَ الْأَرْضَ الَّتِي أَخَذَ مِنْهَا. ٢٤ فَطَرَدَ الْإِنْسَانَ وَأَقَامَ شَرْقِيَّ جَنَّةِ عَدْنِ الْكَرْوِيمِ وَلَهَيْبَ سَيْفٍ مُتَقَلِّبٍ لِحِرَاسَةِ طَرِيقِ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ. تكوين ٣: ٢٢-٢٤

وفي الحقيقة يتساءل المرء ذو العقل الطبيعي هنا: ما حكمة الرب في الإبقاء على آدم وحواء في سواد الجهل، لا يعلمان الخير من الشر؟ ولو لم يكن آدم قد عرف قبل الأكل من الشجرة الخير من الشر فكيف يحاسبه على خطئه وأكله من الشجرة؟ وهل بعد أن أصبح عارفا للخير من الشر ينتقم منه الرب

ويطيح به خارج الجنة؟ وهل كان ينتظر هذا الإله تعمير الأرض بأناس لا تعرف الخير من الشر؟ وما هي المبادئ التي كان يتوقع الرب أن يعلمها آدم ذريته لو لم يعلم الخير من الشر؟

ويقول فولتير تعليقاً على الفقرة التوراتية السابقة: (إننا نعتقد أنه كان ينبغي على السيد الرب أن يأمر الإنسان، مخلوقه، بأن يأكل من شجرة معرفة الخير من الشر، قدر ما يستطيع؛ لأنه بما أن الله منحه رأساً تفكر، فقد كان من الضروري تعليمه، وكان أكثر ضرورة إرغامه على إدراك الخير والشر، كي يستطيع القيام بالتزاماته على الوجه الأكمل. لذلك كان ذلك التحريم غيباً وقاسياً! لقد كان أسوأ بألف مرة من منح الإنسان معدة لا تهضم الطعام) نقلاً عن (محمد ﷺ) في الترجوم والتلمود والتوراة ص ١٦٩، المأخوذة بدورها من (ليوتاكسل) التوراة كتاب مقدس أم جمع من الأساطير ص (٢١)

ووقف الرب إلى جانب الرجل، ولم يحقق في الأمر، فصدق كلام آدم، وكان عنده من الأبرياء: (١٤) وَأَدَمُ لَمْ يُغَوَّ لَكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَصْتُ فِي التَّعَدِّي (تيموثاوس الأولى ٢: ١٤)

(كما خدعت الحيَّة حواء بمكرها) كورنثوس الثانية ١١: ٣

وإذا كان آدم لم يغو، فيكون حكم الرب على آدم بالطرده من الجنة ظلماً، ولم يكن هذا إلا بسبب حواء، ويكون انتقامه من المرأة بطردها من الجنة وموقفه هذا منها تشجيعاً للمؤمنين، المحيين لله، على اضطهادها، وضربها، وحرقتها، وقتلها.

كما أنها نجسة في أيام حيضها، وفي أيام طمسها، أو إذا جاءها نزيف مهما كان سببه، لا يقربها إنسان أو حيوان وإلا لكان نجساً هو الآخر إلى المساء وعليه أن يستحم ليطهر: (١٩) «وَإِذَا كَانَتْ امْرَأَةٌ لَهَا سَيْلٌ وَكَانَ سَيْلُهَا ذِمًّا فِي لَحْمِهَا فَسَبْعَةَ أَيَّامٍ تَكُونُ فِي طَمْسِهَا. وَكُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ.

٢٠ وَكُلُّ مَا تَضَطَّحُ عَلَيْهِ فِي طَمَئِهَا يَكُونُ نَجِسًا وَكُلُّ مَا تَجْلِسُ عَلَيْهِ يَكُونُ نَجِسًا. ٢١ وَكُلُّ مَنْ مَسَّ فِرَاشَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٢٢ وَكُلُّ مَنْ مَسَّ مَتَاعًا تَجْلِسُ عَلَيْهِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٢٣ وَإِنْ كَانَ عَلَى الْفِرَاشِ أَوْ عَلَى الْمَتَاعِ الَّذِي هِيَ جَالِسَةٌ عَلَيْهِ عِنْدَمَا يَمْسُهُ يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. (لا وين ١٥ : ١٩-٢٣)

فقد كانوا يعتبرون المرأة لعنة ، لأنها أغوت آدم ، وعندما يصيبها الحيض لا يُجالسونها ولا يؤاكلونها ولا تلمس وعاء حتى لا يتنجس . وكان بعضهم ينصب للحائض خيمة في زاوية نائية من فناء المنزل ، ويضع أمامها خبزاً وماءً ، ويجعلها في هذه الخيمة حتى تطهر . أى كانت كالمنبوذة ، أو كالمصابة بالجرب أو الجزام . وهى فى هذا الوضع لا تصلح أن تعيش فى المجتمع ، ولا يجوز لها أن تعمل ، لأنها بهذا التفكير إما ستقاعد عن العمل وقت حيضها ، وبذلك تعلن على العالم أجمع أنها حائض ، وإما ستخالط المجتمع وتسبب نجاسة كل من تتعامل معه سواء فى مجال العمل أو المواصلات .

(وكانت بعض الطوائف اليهودية تعتبر البنت فى مرتبة الأمة ، وكان لأبيها الحق فى أن يبيعها قاصرة ، وما كانت ترث مع وجود أخ لها ، أو ما كان يتبرع لها به أبوها فى حياته ، فقد كان الميراث للذكر فقط ، وحين تُحرّم البنت من الميراث لوجود أخ لها ذكر ، يُثبت لها على أخيها النفقة والمهر عند الزواج ، وإذا كان الأب قد ترك عقاراً فيعطىها من العقار . أما إذا ترك مالاً منقولاً فلا شئ لها من النفقة والمهر ، ولو ترك القناطير المقنطرة .)

وإذا آل الميراث إلى البنت لعدم وجود أخ لها ، لم يجز لها أن تتزوج من سبط آخر ، ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها . أى تكون راعية له فقط (هذا إن جاز لنا استخدام هذا اللفظ) ، وليست مالكة له .

وإذا اتُهمت بالزنا تتحقق براءتها بطريقة غريبة فيها من المهانة والذل ما لم تبحه شريعة ما ، فعليها أن تشرب ماء ممزوجاً بالتراب ، وتثبت عليها التهمة إذا

تورمت بطنها ويذوي فخذها: (١٧) وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مَاءً مُقَدَّسًا فِي إِنَاءٍ خَزَفٍ وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنَ الْعُبَارِ الَّذِي فِي أَرْضِ الْمَسْكَنِ وَيَجْعَلُ فِي الْمَاءِ ١٨ وَيُوقِفُ الْكَاهِنَ الْمَرْأَةَ أَمَامَ الرَّبِّ وَيَكْشِفُ رَأْسَ الْمَرْأَةِ وَيَجْعَلُ فِي يَدَيْهَا تَقْدِمةَ التَّذْكَارِ الَّتِي هِيَ تَقْدِمةُ الْغَيْرَةِ وَفِي يَدِ الْكَاهِنِ يَكُونُ مَاءُ اللَّعْنَةِ الْمُرَّةِ . . . ٢٤ وَيَسْقِي الْمَرْأَةَ مَاءَ اللَّعْنَةِ الْمُرَّةِ فَيَدْخُلُ فِيهَا مَاءُ اللَّعْنَةِ لِمَرَارَةٍ . ٢٥ وَيَأْخُذُ الْكَاهِنُ مِنْ يَدِ الْمَرْأَةِ تَقْدِمةَ الْغَيْرَةِ وَيُرَدِّدُ التَّقْدِمةَ أَمَامَ الرَّبِّ وَيَقْدُمُهَا إِلَى الْمَذْبَحِ . ٢٦ وَيَقْبِضُ الْكَاهِنُ مِنَ التَّقْدِمةِ يَذْكَارُهَا وَيُوقِدُهُ عَلَى الْمَذْبَحِ وَبَعْدَ ذَلِكَ يَسْقِي الْمَرْأَةَ الْمَاءَ . ٢٧ وَمَتَى سَفَاها الْمَاءُ فَإِنْ كَانَتْ قَدْ تَنَجَّسَتْ وَخَانَتْ رَجُلَهَا يَدْخُلُ فِيهَا مَاءُ اللَّعْنَةِ لِلْمَرَارَةِ فَيَرْمُ بطنُهَا وَتَسْقُطُ فَخُذُهَا فَتَصِيرُ الْمَرْأَةُ لَعْنَةً فِي وَسْطِ شَعْبِهَا .) عدد ٥ : ١٧-٢٧

ففى كلا الحالتين ستورم بطنها ، إن لم يصبها مرض يقضى عليها . وبذلك تكون فى كلا الحالتين زانية وتثبت عليها تهمة الزنا!! وفى كلا الحالتين لن يسقط فخذها ، فلن تجنى إذن من جراء هذا العمل إلا المرض أو الموت وإثبات تهمة الزنا عليها ظلما وزورا . وقد يكون هذا التحليل هو الذى أوصل بعض علمائهم لاعتبار المرأة عاهرة بغض النظر عن أخلاقها أو دينها أو حسبها أو نسبها : لقد كتب جيروم يقول :

(فقد كتب أسقف فرنسى عاش فى القرن الثانى عشر: أن كل النساء بلا استثناء مومسات ، وهن مثل حواء سبب كل الشرور فى العالم)

وقال الراهب الانجليزى اسكندر نكهيم: (أنه نظراً لأن المرأة لا تشبع جنسياً ، فإنها غالباً ما تصطاد بائساً حقيراً لينام معها فى فراشها ليشبع نهمها إذا كان زوجها غير موجود فى لحظة شبقها . ونتيجة لذلك كان على الأزواج أن يربوا أطفالاً ليسوا أولادهم.)

وقانون اختبار عفة المرأة هذا قريب مما جاء فى قانون (حامورابى) مادة ١٢٩ ، إذ كانت المرأة تُختَبَرُ فى سلوكها بأن تُلقَى فى النهر ، فإن عامت على

وجه الماء تكون بريئة ، وإن غطست تكون آثمة!!

قارن هذا بالملاعنة المذكورة فى القرآن فى سورة النور: إذ تحلف المرأة وكذلك الرجل خمس مرات على صدقهما من تهمة الخيانة الزوجية. وإن أصرت المرأة على براءتها لم يمسهما سوء ، يتم فقط التفريق بينهما.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد فنجاسة المرأة التى ضربت عليها جعلت البرلمان الإنجليزى يصدر قراراً فى عصر الملك هنرى الثامن يحظر على المرأة أن تقرأ العهد الجديد. قارن هذا بإئتمان المسلمين السيدة حفصة على كتاب الله القرآن الكريم!!!

بل إنه لما استخدم التخدير فى حالات الوضع عام ١٨٤٧م عارضته الكنيسة ؛ لأن الله فى الكتاب المقدس . حسب زعمهم . قال لحواء بعد سقوطهما فى الخطيئة وأكلهما من الشجرة المحرمة عليهما: (تَكْثِيرًا أَكْثَرُ أَتْعَابَ حَبْلِكَ . بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا) تكوين ٣ : ١٣ ، فكأن لسان حالهم يقول: كيف نرحم النساء من الألم ، طالما أن الرب قد قرر تألمها أثناء الولادة؟ فعلينا إذن أن نساعد الرب فى انتقامه من النساء!!

الفصل الخامس عشر

المرأة فى عيون عيسى عليه السلام:

يقول ديشنر فى كتابه ص ٦١ : (كان يسوع يتعامل مع المرأة بحرية تامة ، ولم ينظر إليها نظرة دونية ، ولم يعتبرها صاحبة الخطيئة الأزلية ، ولم يحتقر امرأة قط ، الأمر الذى ينفى تماماً أسطورة الخطيئة الأزلية ، بل كانت ضمن تلاميذه ، كما كانت فيما بعد بين صحابته وتابعيه ، وربما كن أكثر عدداً من الرجال ، الأمر الذى جعل اليهود يتهمون يسوع (تبعاً لأحد النسخ القديمة للوقا) بأنه يُفسد النساء والأطفال.) أ. هـ

يَتَعَجَّبُونَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَ امْرَأَةٍ. وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ: مَاذَا تَطْلُبُ أَوْ لِمَاذَا تَتَكَلَّمُ مَعَهَا. (يوحنا ٤ : ٢٧)

وفضلاً عن ذلك كله فقد ظهر يسوع أول ما ظهر لمريم المجدلية (أى لإمرأة) التى كان قد أخرج منها بإصبع الله وقوته سبعة شياطين. ولم يستطع أن يتركها تبكيه ، فظهر لها وناداهما ليدخل عليها السرور: (١١) أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجًا تَبْكِي. وَفِيمَا هِيَ تَبْكِي انْحَنَتْ إِلَى الْقَبْرِ ١٢ فَظَرَتْ مَلَائِكَيْنِ بِيَّابٍ بِيضٍ جَالِسَيْنِ وَاحِدًا عِنْدَ الرَّأْسِ وَالْآخَرَ عِنْدَ الرَّجْلَيْنِ حَيْثُ كَانَ جَسَدُ يَسُوعَ مَوْضُوعًا. ١٣ فَقَالَا لَهَا: «يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ؟» قَالَتْ لَهُمَا: «إِنَّهُمْ أَخَذُوا سَيِّدِي وَلَسْتُ أَعْلَمُ أَيْنَ وَضَعُوهُ». ١٤ وَلَمَّا قَالَتْ هَذَا انْفَتَحَتْ إِلَى الْوَرَاءِ فَظَرَتْ يَسُوعَ وَاقِفًا وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ يَسُوعُ. ١٥ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا امْرَأَةُ لِمَاذَا تَبْكِينَ؟ مَنْ تَطْلُبِينَ؟» فَظَنَتْ بَلْكَ أَنَّهُ الْبُسْتَانِيُّ فَقَالَتْ لَهُ: «يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتَ أَنْتَ قَدْ حَمَلْتَهُ فَقُلْ لِي أَيْنَ وَضَعْتَهُ وَأَنَا أَخْذُهُ». ١٦ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «يَا مَرْيَمُ!» فَانْفَتَحَتْ بَلْكَ وَقَالَتْ لَهُ: «رَبُّونِي» الَّذِي تَفْسِيرُهُ يَا مُعَلِّمُ. (يوحنا ٢٠ : ١١-١٦)

وكذلك لم يهين المرأة التى أتى بها اليهود (الكتبه والفريسيون) ، وشهدوا عليها بالزنا ، بل صدقها فى أقوالها وكذب شهادة الرجال عليها لعلمه بكذبهم: (١١) أَمَّا يَسُوعُ فَمَضَى إِلَى جَبَلِ الزَيْتُونِ. ٢ ثُمَّ حَضَرَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصُّبْحِ وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ. ٣ وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنَا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسْطِ ٤ قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ ٥ وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنْ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمَ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟» ٦ قَالُوا هَذَا لِيُجَرَّبُوهُ لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإَصْبَعِهِ عَلَى الْأَرْضِ. ٧ وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيئَةٍ فَلْيَرْمِمْهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!» ٨ ثُمَّ انْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الْأَرْضِ. ٩ وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ خَرَجُوا وَاحِدًا وَاحِدًا مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّبُوحِ إِلَى

الْآخَرِينَ . وَبَقِيَ يَسُوعُ وَخَدَهُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةً فِي الْوَسْطِ . ١٠ فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ قَالَ لَهَا : « يَا امْرَأَةُ أَتَيْنَ هُمْ أَوْلَيْكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ؟ أَمَّا دَانَكَ أَحَدٌ؟ » ١١ فَقَالَتْ : « لَا أَحَدًا يَا سَيِّدُ » . فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : « وَلَا أَنَا أَدِينُكَ . اذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا » . (يوحنا ٨ : ١-١١)

وكم كان يهتم بالمرأة وصحتها! ركم من السيدات قام بإشفائهن! بل إن عدد النساء التي قام بإشفائهن ليفوق عدد الرجال! (٢) وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شُفِينَ مِنْ أَرْوَاحِ شَرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ : مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينٍ وَتُونَا امْرَأَةُ خُوزِي وَكَيْلِ هِيرُودُسَ وَسُوسَنَةَ وَأُخْرُ كَثِيرَاتُ كُنَّ يَخْدُمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ) لوقا ٨ : ٢

كما قبل دعوة امرأة في بيتها ، بل واصطحب تلاميذه ليعلمهم كيفية معاملة المرأة! (٣٨) وَفِيمَا هُمْ سَائِرُونَ دَخَلَ قَرْيَةً فَقِيلَتْهُ امْرَأَةٌ اسْمُهَا مَرْثَا فِي بَيْتِهَا . ٣٩ وَكَانَتْ لِهَذِهِ أُخْتُ تُدْعَى مَرْيَمَ الَّتِي جَلَسَتْ عِنْدَ قَدَمَيْ يَسُوعَ وَكَانَتْ تَسْمَعُ كَلَامَهُ . ٤٠ وَأَمَّا مَرْثَا فَكَانَتْ مُرْتَبِكَةً فِي خِدْمَةِ كَثِيرَةٍ فَوَقَفَتْ وَقَالَتْ : « يَا رَبُّ أَمَّا تُبَالِي بِأَنْ أُخْتِي قَدْ تَرَكَتْنِي أَخْدِمُ وَخَدِي؟ فَقُلْ لَهَا أَنْ تُعِينَنِي! » ٤١ فَأَجَابَ يَسُوعُ : « مَرْثَا مَرْثَا أَنْتِ تَهْتَمِينَ وَتَضْطَرِّبِينَ لِأَجْلِ «مُورٍ كَثِيرَةٍ» ٤٢ وَلَكِنَّ الْحَاجَةَ إِلَى وَاحِدٍ . فَاخْتَارَتْ مَرْيَمَ النَّصِيبَ الصَّالِحَ الَّذِي لَنْ يُنْزَعَ مِنْهَا » . (لوقا ١٠ : ٣٨)

يواصل ديشنر فيقول: (فقد كان يسوع يتحدث مع النساء ، الأمر الذي كان يُعدُّ من الأمور غير اللائقة ، مما دفع تلاميذه لأن يتعجبون [٢٧] وَعِنْدَ ذَلِكَ جَاءَ تَلَامِيذُهُ وَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَ امْرَأَةٍ . وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : مَاذَا تَطْلُبُ أَوْ لِمَاذَا تَتَكَلَّمُ مَعَهَا . يوحنا ٤ : ٢٧)

كما كسر حفظه لتقديس يوم السبت من أجل امرأة ، وقام بإشفاء سيدات كثيرات ، وقد شكرنه على صنيعه هذا معهن ، وساعدنه) انتهى كلامه ، ثم ذكر الإشارات المرجعية لكلامه : (١٠) وَكَانَ يُعَلِّمُ فِي أَحَدِ الْمَجَامِعِ فِي السَّبْتِ

١١ وَإِذَا امْرَأَةٌ كَانَ بِهَا رُوحٌ ضَعْفٍ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً وَكَانَتْ مُنْحِنِيَةً وَلَمْ تَقْدِرْ أَنْ تَنْتَصِبَ الْبَتَّةَ. ١٢ فَلَمَّا رَأَاهَا يَسُوعُ دَعَاهَا وَقَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ إِنَّكَ مَحْلُولَةٌ مِنْ ضَعْفِكَ». ١٣ وَوَضَعَ عَلَيْهَا يَدَيْهِ فَفِي الْحَالِ اسْتَقَامَتْ وَمَجَّدَتِ اللَّهَ. ١٤ فَرَأَيْتُ الْمَجْمَعَ وَهُوَ مُعْتَاطٌ لِأَنَّ يَسُوعَ أَتَرَأَ فِي السَّبْتِ قَالَ لِلْجَمْعِ: «هِيَ سِتَّةُ أَيَّامٍ يَنْبَغِي فِيهَا الْعَمَلُ فَفِي هَذِهِ اتُّوا وَاسْتَشْفُوا وَلَيْسَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ» ١٥ فَأَجَابَهُ الرَّبُّ: «يَا مُرَائِي أَلَا يَحُلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ثَوْرَهُ أَوْ حِمَارَهُ مِنْ الْمَذُودِ وَيَمْضِي بِهِ وَيَسْقِيهِ؟ ١٦ وَهَذِهِ وَهِيَ ابْنَةُ إِبْرَاهِيمَ قَدْ رَبَطَهَا الشَّيْطَانُ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُحَلَّ مِنْ هَذَا الرِّبَاطِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟» ١٧ وَإِذْ قَالَ هَذَا أُحْجِلَ جَمِيعَ الَّذِينَ كَانُوا يُعَانِدُونَهُ وَفَرِحَ كُلُّ الْجَمْعِ بِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ الْمَجِيدَةِ الَّتِي كَانَتْ مِنْهُ. (لوقا ١٣ : ١٠-١٧)

وهذا كان من المواقف الإنسانية الجديدة التي خالف بها عيسى عليه السلام التراث الثقافي الموروث في عصره أنه يُعالج المرأة التي ظلت تنزف اثنتي عشرة سنة ، وكانت في نظر اليهود نجسة لا يجوز أن يلمسها أحد ، تمامًا كالمرأة الحائض التي لا يجوز مصافحتها ، ولم يصبح عيسى عليه السلام نجسًا للمساء لملامستها ثوبه ، واستمر في التعليم في المعبد ، ولم يؤثر عنه أنه أصبح نجسًا وعلم اليهود على نجاسة .

بل ترك المرأة الخاطئة (الزانية) تبلل قدميه بدموعها وتمسحهما بشعر رأسها ، وتقبلهما ، وتدهنهما بالطيب ، بل إنه اعتبرها بتوبتها هذه أكثر إيمانًا من الفريسي الذي أدخله بيته : (٣٦ وَسَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْفَرِيسِيِّينَ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُ فَدَخَلَ بَيْتَ الْفَرِيسِيِّ وَاتَّكَأَ. ٣٧ وَإِذَا امْرَأَةٌ فِي الْمَدِينَةِ كَانَتْ خَاطِئَةً إِذْ عَلِمَتْ أَنَّهُ مُتَكَيٌّ فِي بَيْتِ الْفَرِيسِيِّ جَاءَتْ بِقَارُورَةٍ طِيبٍ ٣٨ وَوَقَفَتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ مِنْ وَرَائِهِ بَاكِئَةً وَابْتَدَأَتْ تَبْلُّ قَدَمَيْهِ بِالدُّمُوعِ وَكَانَتْ تَمْسَحُهُمَا بِشَعْرِ رَأْسِهَا وَتُقَبِّلُ قَدَمَيْهِ وَتَدَهْنُهُمَا بِالطِّيبِ. ٣٩ فَلَمَّا رَأَى الْفَرِيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا لَعَلِمَ مَنْ هَذِهِ الْمَرْأَةُ الَّتِي تَلْمِسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ». . . .)

... ٥٠ فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «إِيمَانُكَ قَدْ خَلَصَكَ! إِذْهَبِي بِسَلَامٍ».

لوقا ٧: ٣٦-٥٠

ولم يفرّق في المعاملة بين المرأة الناضجة والمرأة العجوز والصبية:
(٢٩) وَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْمَجْمَعِ جَاءُوا لِلْوَقْتِ إِلَى بَيْتِ سِمْعَانَ وَأَنْدَرَاوُسَ مَعَ يَهُشُوبَ وَيُوحَنَّا ٣٠ وَكَانَتْ حَمَاءُ سِمْعَانَ مُضْطَجِعَةً مَحْمُومَةً فَلِلْوَقْتِ أَخْبَرُوهُ عَنْهَا. ٣١ فَتَقَدَّمَ وَأَقَامَهَا مَاسِكًا يَدَهَا نَتَرَكْتُهَا الْحُمَى حَالًا وَصَارَتْ تَخْدِمُهُمْ.)
مرقس ١: ٢٩-٣١

(٢١) وَلَمَّا اجْتَمَعَ يَسُوعُ فِي السَّفِينَةِ أَيْضًا إِلَى الْعَبْرِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَكَانَ عِنْدَ الْبَحْرِ. ٢٢ وَإِذَا وَاحِدٌ مِنْ رُؤَسَاءِ الْمَجْمَعِ اسْمُهُ يَايِرُسُ جَاءَ. وَلَمَّا رَأَهُ خَرَّ عِنْدَ قَدَمَيْهِ ٢٣ وَطَلَبَ إِلَيْهِ كَثِيرًا قَائِلًا: «ابْنَتِي الصَّغِيرَةُ عَلَى آخِرِ نَسَمَةٍ. لَيْتَكَ تَأْتِي وَتَضَعُ يَدَكَ عَلَيْهَا لِتَشْفَى فَتَحْيَا». ٢٤ فَمَضَى مَعَهُ وَتَبِعَهُ جَمْعٌ كَثِيرٌ وَكَانُوا يَزْحَمُونَهُ.)
مرقس ٥: ٢١-٢٤

(٢) وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قَدْ شَفِينَ مِنْ أَرْوَاحِ شَرِّيرَةٍ وَأَمْرَاضٍ: مَرْيَمُ الَّتِي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا سَبْعَةُ شَيَاطِينٍ وَيُونَا امْرَأَةُ خُوزِي وَكَيْلِ هِيرُودَسَ وَسُوسَنَةَ وَآخَرَ كَثِيرَاتٍ كُنَّ يَخْدِمُنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ.)
لوقا ٨: ٢

بل عالج ابنة المرأة الأممية عندما أقرت أنها من الكلاب (الخضاة). وأنه وزمرته من أولاد الله (أى المؤمنين)، فكانت شهادتها توحى باعترافها بخطئها، وإقرارها بصواب عقيدته هو وأتباعه. كما لو قالت: (إن بر أولاد الله وإيمانهم قد يكون سبباً فى جذب العصاة (مُشَبَّهة هنا بالكلاب) وتآلفهم معهم، واجتماعهم على طعام واحد (هنا خبز النين أى شريعتهم): (٢٤) ثُمَّ قَامَ مِنْ هُنَاكَ وَمَضَى إِلَى تُخُومِ صُورَ وَصِيدَاءَ وَدَخَلَ بَيْتًا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ لَا يَعْلَمَ أَحَدٌ فَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَخْتْفِيَ ٢٥ لِأَنَّ امْرَأَةً كَانَتْ بَابْنَتِهَا رُوحٌ نَجِسٌ سَمِعَتْ بِهِ فَأَتَتْ وَخَرَّتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ. ٢٦ وَكَانَتْ الْمَرْأَةُ أُمَمِيَّةً وَفِي جَنْسِهَا فِينِيقِيَّةٌ سُورِيَّةٌ - فَسَأَلَتْهُ أَنْ يُخْرِجَ الشَّيْطَانَ مِنْ ابْنَتِهَا. ٢٧ وَأَمَّا يَسُوعُ فَقَالَ لَهَا: «دَعِي ابْنَتِي أَوَّلًا يَسْبَعُونَ لِأَنَّهُ لَيْسَ

حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْرُ الْبَيْنِ وَيُطْرَحَ لِلْكَلاَبِ». ٢٨ فَأَجَابَتْ: «نَعَمْ يَا سَيِّدُ! وَالْكَلاَبُ أَيْضًا تَحْتَ الْمَائِدَةِ تَأْكُلُ مِنْ فِتَاتِ الْبَيْنِ». ٢٩ فَقَالَ لَهَا: «لَأَجْلِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَذْهَبِي. قَدْ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ ابْنَتِكَ». ٣٠ فَذَهَبَتْ إِلَى بَيْتِهَا وَوَجَدَتْ الشَّيْطَانَ قَدْ خَرَجَ وَالْإِبْنَةُ مَطْرُوحَةً عَلَى الْفِرَاشِ. (مرقس ٧: ٢٤-٣٠)

وباستثناء يوسف الذى من الرامة ظلت النساء تحت الصليب ، فى الوقت الذى هرب فيه تلاميذه (الرجال) وقت القبض عليه: (٥٠ فتركه الجميع وهربوا. ٥١ وَتَبِعَهُ شَابٌّ لَابِسًا إِزَارًا عَلَى عُرْيِهِ فَأَمْسَكَهُ الشَّابُّ ٥٢ فَتَرَكَ الْإِزَارَ وَهَرَبَ مِنْهُمْ عُرْيَانًا.) مرقس ١٤: ٥٠-٥٢

(٣٩ وَلَمَّا رَأَى قَائِدُ الْمِئَةِ الْوَاقِفَ مُقَابِلَهُ أَنَّهُ صَرَخَ هَكَذَا وَأَسْلَمَ الرُّوحَ قَالَ: «حَقًّا كَانَ هَذَا الْإِنْسَانُ ابْنًا لِلَّهِ!» ٤٠ وَكَانَتْ أَيْضًا نِسَاءٌ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ بَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ الصَّغِيرِ وَيُوسَى وَسَالُومَةُ ٤١ اللَّوَاتِي أَيْضًا تَبِعْنَهُ وَخَدَمْنَهُ حِينَ كَانَ فِي الْجَلِيلِ. وَأَخْرُ كَثِيرَاتُ اللَّوَاتِي صَعِدْنَ مَعَهُ إِلَى أُورُشَلِيمَ.) مرقس ١٥: ٣٩-٤١

(٥٥ وَكَانَتْ هُنَاكَ نِسَاءٌ كَثِيرَاتُ يَنْظُرْنَ مِنْ بَعِيدٍ وَهُنَّ كُنَّ قَدْ تَبِعْنَ يَسُوعَ مِنَ الْجَلِيلِ يَخْدُمْنَهُ ٥٦ وَبَيْنَهُنَّ مَرْيَمُ الْمَجْدَلِيَّةُ وَمَرْيَمُ أُمُّ يَعْقُوبَ وَيُوسَى وَأُمُّ ابْنَيْ زَبْدِي.) متى ٢٧: ٥٥-٥٦

من هنا نرى أن عيسى عليه السلام لم يُحَقِّرِ المرأة ، ولم يسب امرأة قط ، ولم يعتبرها إنسانة نجسة يجب الابتعاد عنها ، ولم يأمر أن يبيع الرجل ابنته ، على النقيض من الرجال الذين سبهم واتهمهم بالنفاق والرياء ، فقد كان يتعامل معهم معاملته كريمة ، حتى ظنَّ بعض اللاهوتيون أنه كان متزوجاً ، الأمر الذى يخالف تعاليم الكتاب المقدس بالنسبة له ، لأنه كان ربِّى (أى منذور لدراسة وتعليم الكتاب المقدس).

لقد كان موقفه من المرأة أنضج بكثير من موقف كل الكنائس المسيحية كلها

بعد ذلك ، ولقرون طويلة . فقد طالعتنا النصوص المذكورة بمجموعة كبيرة من المواقف الجيدة ، التي لا يشعر فيها القارئ بأية نظرة دونية للمرأة . صلى الله عليك يا رسول الله .

الفصل السادس عشر

المرأة في المسيحية :

منبوذة وصاحبة الخطيئة الأولى وليس الرجل :

(١١) فَقَالَ : «مَنْ أَعْلَمَكَ أَنَّكَ غُرِيَانٌ؟ هَلْ أَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتَكَ أَنْ لَا تَأْكُلَ مِنْهَا؟» ١٢ فَقَالَ آدَمُ : «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِيَ هِيَ أَعْطَتْني مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ» . ١٣ فَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُ الْمَرْأَةِ : «مَا هَذَا الَّذِي فَعَلْتَ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ : «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ» . ١٤ فَقَالَ الرَّبُّ إِلَهُ الْحَيَّةِ : «لَأَنَّكَ فَعَلْتَ هَذَا مَلْعُونَةٌ أَنْتَ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وَحُوشِ الْبَرِّيَّةِ . عَلَى بَطْنِكَ تَسْعِينَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ . ١٥ وَأَضَعُ عِدَاوَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ وَبَيْنَ نَسْلِكَ وَنَسْلِهَا . هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكَ وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ» . ١٦ وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ : «كَثِيرًا أَكْثُرَ اتَّعَابَ حَبْلِكَ . بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا . وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيقَاكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ» . ١٧ وَقَالَ لِآدَمَ : «لَأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتَكَ قَائِلًا : لَا تَأْكُلُ مِنْهَا مَلْعُونَةُ الْأَرْضِ بِسَبَبِكَ . بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ . ١٨ وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُثْبِتُ لَكَ وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ . ١٩ يَبْعَرِقُ وَجْهَكَ تَأْكُلُ خُبْرًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا . لَأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» . (تكوين ٣ : ١١-١٩)

وعلى الرغم من أن آدم تبعاً للتورة قد تبرأ من ذنبه وأعازه إلى ((المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت)) ، إلا أن الرب قد أعلن في أول حكم له «أَلَا نَزَرُ وَرَزَرُ وَرَزَرُ أُخْرَى» ، لقد أعلن الرب أن الثلاثة مخطئون ، وعاقب كل منهم ، إلا أن رجال الدين أبوا على أنفسهم أن يكون الرجل مخطئاً ، ونسبوا كل الذنب إلى حواء ونسلها من النساء من بعدها ! حتى

الشیطان لم يُعَذَّب مقدار العذاب التي لاقته المرأة على مر العصور ، ولم يُحارب كما حورِبَت المرأة طوال تاريخ اليهودية والمسيحية!

فالمراة هى إذن التى تحالفت مع الشيطان وليس الرجل ، وبسبب هذا التحالف أصبحت أحبولة الشيطان ، وعميلته الأولى ، والشريكة الكبرى فى تحدى الشيطان للرب وانتصاره عليه ، وهى التى أثبتت عملياً صدق الشيطان وكذب الرب ، وفضحت كذبه هذا أمام مخلوقاته ، وهى سبب شقاء بنى آدم وإخراجهم من الجنة والنعيم . لذلك وجب على المؤمنين من اليهود والنصارى محاربة حواء ونسلها من بعدها . أما آدم فقد عاقبه الرب لأنه سمع لقول امرأته .

وعجبت لرجال الدين عندهم كيف لم يفهموا أن الرب عاقب آدم لأنه قد شارك فى الذنب بسماعه إياه ، وعدم نهى زوجته عن اقترافه ، ثم المشاركة فى فعله . فالرب لم يقر أو يقل إن الخطأ هو خطأ حواء بمفردها ، وإلا لكان عقابه لآدم والحية فى غاية الظلم ، وحاشاه سبحانه وتعالى!

فلنم تُخدع إلا حواء ، أما الرجل فهو معصوم أو هو ضحية للمرأة: (كما خدعت الحية حواء بمكرها) كورنثوس الثانية ١١ : ٣ ، وإلا فلماذا لم ينسب الخديعة للاثنتين؟

(وآدم لم يُغْوَ لكنَّ المرأة أُغْوِيَتْ فحصلت فى التعدى) تيموثاوس الأولى ٢ : ١٤

(بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ .) رومية ٥ : ١٢

(لأنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيئَةٍ وَاحِدٍ مَاتَ الْكَثِيرُونَ . . .) رومية ٥ : ١٥

(١٧) لأنَّهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيئَةِ الْوَاحِدِ قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ بِالْوَاحِدِ . . .) رومية

(١٨) فَإِذَا كَمَا بِخَطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ

رومية ٥ : ١٨

كذلك لم يغفل كاتبوا العهد القديم أن جعلوا الشعبان (حيّة) أيضًا مؤنثة ، لذلك كانت عندهم المرأة هي أس المشاكل في الحياة . ومن الغريب أن يعاقب الرب القناع الذي كان يرتديه الشيطان وهو الحية ، ولم يعاقب الشيطان نفسه !

وظلت المرأة هكذا منبوذة ، حتى تعجب تلاميذ يسوع أنفسهم أنه يتكلم مع امرأة : (٢٧) وَعِنْدَ ذَلِكَ جَاءَ تَلَامِيذُهُ وَكَانُوا يَتَعَجَّبُونَ أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ مَعَ امْرَأَةٍ . وَلَكِنْ لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : مَاذَا تَطْلُبُ أَوْ لِمَاذَا تَتَكَلَّمُ مَعَهَا . (يوحنا ٤ : ٢٧

وأبوا عليه أن يتكلم مع أمه بالاحترام الواجب من مُعَلِّم أمته 'الأخلاق ، (فما بالك لو كان هو الإله) ، فنسبوا له أنه أهان أمه وتكلم معها بطريقة غير لائقة ، لم يتكلم بها مع امرأة أخرى ، فقال لها : (٤) قَالَ لَهَا يَسُوعُ : «مَا لِي وَلَكَ يَا امْرَأَةُ ! لَمْ تَأْتِ سَاعَتِي بَعْدُ» . (يوحنا ٢ : ٤

وكذلك أبوا عليه أن يحترم أمه أمام الجمع ، فلم يعرها أدنى اهتمام : (٤٦) وَفِيمَا هُوَ يُكَلِّمُ الْجُمُوعَ إِذَا أُمُّهُ وَإِخْوَتُهُ قَدْ وَقَفُوا خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوهُ . ٤٧ فَقَالَ لَهُ وَاحِدٌ : «هُوَذَا أُمُّكَ وَإِخْوَتُكَ وَاقِفُونَ خَارِجًا طَالِبِينَ أَنْ يُكَلِّمُوكَ» . ٤٨ فَأَجَابَهُ : «مَنْ هِيَ أُمِّي وَمَنْ هُمْ إِخْوَتِي ؟» ٤٩ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ نَحْوَ تَلَامِيذِهِ وَقَالَ : «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي . ٥٠ لِأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي» . (متى ١٢ : ٤٦-٤٩

فهل هم جعلوه بهذه الطريقة يكرم أمه . ألم يقل الناموس : (١٢) أَكْرِمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ لِتَطُولَ أَيَّامُكَ عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ . (خروج ٢٠ : ١٢

ألم يُهاجم هو نفسه من أبطل هذه الوصية ؟ (٤) فَإِنَّ اللَّهَ أَوْصَى قَائِلًا : أَكْرِمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَمَنْ يَشْتِمِ أَبَا أَوْ أُمَّ فَلْيَمُتْ مَوْتًا . ٥ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَقُولُونَ : مَنْ قَالَ

لَأَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ: قُرْبَانٌ هُوَ الَّذِي تَنْتَفِعُ بِهِ مِنِّي. فَلَا يُكْرِمُ أَبَاهُ أَوْ أُمَّهُ. ٦ فَقَدْ
أَبْطَلْتُمْ وَصِيَّةَ اللَّهِ بِسَبَبِ تَقْلِيدِكُمْ! ٧ يَا مُرَاوُونَ! حَسَنًا تَبْنَا عَنْكُمْ إِشْعِيَاءَ قَائِلًا:
٨ يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِقِيَمِهِ وَيُكْرِمُنِي بِشَفَقَتِهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا.
٩ وَبَاطِلًا يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِي وَصَايَا النَّاسِ. (متى ١٥ : ٤-٩)

ويعلق ويلز (نقلا عن تعدد نساء الأنبياء) على نصوص الأناجيل بشأن
الأسرة قائلاً: (على الرغم من المألوف لدى علماء الأخلاق اليوم من أن تعاليمه
(المسيح) قد عززت الحياة السعيدة للأسرة، فإنه يصعب التوفيق بين وجهة
النظر هذه والنصوص التي تشجع الناس على تحطيم أسرهم لأسباب دينية:
(٢٥) وَكَانَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ سَائِرِينَ مَعَهُ فَالْتَفَتَ وَقَالَ لَهُمْ: ٢٦ «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي
إِلَيَّ وَلَا يَبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا
فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلَمِيذًا.» (لوقا ١٤ : ٢٥-٢٦)

ويواصل ويلز: (ويصدمنا بنفس القدر انتقاص الإنجيل من شأن الحياة
الزوجية: (١٠) قَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ: «إِنْ كَانَ هَكَذَا أَمْرُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ فَلَا يُوَافِقُ
أَنْ يَتَزَوَّجَ!» ١١ فَقَالَ لَهُمْ: «لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هَذَا الْكَلَامَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ
١٢ لِأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمّهَاتِهِمْ وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ
خَصَاهُمُ النَّاسُ وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.
مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ» (متى ١٩ : ١٠-١٢)

ويقول تروتولين المقدس للنساء: (هل تعلمن أن كل واحدة منكن حواء
بالذات . . . يستمر إلى اليوم توبيخ الله لكن ولجنسكن عامة. وعلى هذا يجب
أن يبقى في نسلكن الشر والحقد، أنتن أيتها النساء مدخل للشيطان. أنتن
اللاتى قطفتن من ثمار تلك الشجرة الممنوعة. أنتن اللاتى حطمتن القانون
الربانى. أنتن اللاتى خدعتن آدم، وذلك قبل أن يبدأ الشيطان حملاته.
أنتن اللاتى أضعتن سماء الله بسهولة كاملة من طبيعة البشر. إن شقاء
الموت يرجع لعملكن القبيح، وحتى موت ابن الله يرجع لعملكن الشنيع).

ويقول الأب جريجورى توماركوس: (لقد بحثت عن العفة بينهن ، ولكن لم أعثر على أى عفة. يمكن أن نعثر على رجل . من بين الألف رجل . ذى عفة وحياء . ولكن لن نتمكن من أن نعثر على امرأة واحدة لها عفاف وخجل).

ويقول أيضًا: (إن الوحشية والإفتراس خاص للكواسر. والغضب المملوء بالموت خاصة للشعابين ، ولكن المرأة علاوة على امتلاكها لهاتين الصفتين تتصف بالحقد والحسد أيضًا.)

وكان مؤسسو الكنيسة وآباؤها المقدسون يحترزون عن المرأة احترازًا كاملاً ويسمونها عضوًا من أعضاء الشيطان ، وأساس الأسلحة الشيطانية.

ويقولون: إن المرأة مدخل للشيطان ، وطريق للعذاب كلدغة عقرباء. والبنيت تعنى الكذب وجندية الجحيم ، وعدوة الصلح ، وأخطر الحيوانات المفترسة.

ويقولون: إن صوت المرأة كصوت الحية ، وإنها كالعقرباء التى تكون دائمًا مستعدة للدغ.

ويقولون: لقد تحمل المرأة بيدها سنان الجن والشيطان ، إن الشيطان يتسلط على الأرواح بواسطة هذه الأسنان.

وقال ست جون كريستم: (إن المرأة شر ضرورى ولازم. ومصيبة مطلوبة. وسحر قتال. ومرض يمتلىء بالزينة والجمال).

وقال ست كلمين وهو من أهالى الأسكندرية: (العقل أمانة عند الرجل ، لا يلحقه أى خطأ أو عيب. ولكن التفكير بطبيعة المرأة مخجل ومخز حقًا).

وجاء فى كتاب وستر مارك (ص ٦٦٣): (لقد صرح أحد القساوسة الكبار ذات مرة فى مجلس ماسكونى: بأن المرأة لا تتعلق ولا ترتبط بالنوع البشرى.

وتزعم الكنيسة الأرثوذكسية اليونانية بأن المرأة جسد بلا روح . (نقلا عن المرأة فى التصور الإسلامى ص ١٥٦-١٦١ بتصرف بسيط)

الفصل السابع عشر

الرب لا يُذَلُّ ولا يُحْزَنُ إلا المرأة:

عجبا أن (الرب لا يُذَلُّ ولا يُحْزَنُ بنى الإنسان) إرمياء ٣ : ٣٣ ، فلماذا أذلَّ المرأة فى كتابه وفى تشريعہ؟ أليست نجاسة المرأة الحائض ونبذها من الحياة إلى الممات إذلال لها؟ ألم يعتبر الرب زواج المرأة وإنجابها إذلالا لها على أكلها من الشجرة؟ ولم يذل الرجل :

فهل أذلَّ الرب يعقوب عندما ضربه وقهره بهذه الكيفية (تكوين ٣٢ : ٢٢-٣٠)؟

فهل أذلَّ الرب يعقوب عندما سرق النبوة من أخيه عيسو (تكوين الفصل ٢٧)؟

فهل أذلَّ الرب لوط عندما سكر وزنا بابنتيه (تكوين ١٩ : ٣٠-٣٨)؟

فهل أذلَّ الرب إبراهيم عندما ضحى بشرفه وأسلم زوجته لفرعون ليتقاضى أجرا على ذلك (تكوين ١٢ : ١١-١٦)؟

هل أذلَّ الرب رأوبين عندما زنى بزوجة أبيه (تكوين ٣٥ : ٢٢ ؛ ٤٩ : ٣-٤)؟

هل أذلَّ الرب هارون عندما عبد العجل كما يقول سفر (خروج ٣٢ : ١-٦)؟

ماذا فعل الرب الله داود عليه السلام عندما زنى بجارته امرأة أوريا وخان جيشه وتخلص من بعض جنوده ليخفى معالم جريمته مع امرأة جاره؟ (صموئيل الثانى الفصل ١١)

لقد انتقم من داود بأن أسلم نساءه للزنا! (صموئيل الثانى ١٢ : ١١-١٢)

وماذا فعل الرب لبنات صهيون عندما عصينه؟

أصلعهنَّ وعرّى عورتهنَّ (إشعيا ٣ : ١٧)

وهل أذلَّ الرب داود عندما قتل أولاده من زوجته ميكال (صموئيل الثاني ٢١ : ٨-٩)؟

هل أذلَّ الرب داود عندما أشرك وسمَّى ابنه (بعليا داع أى بعل يعرف) تيمنا ببعل (أخبار الأيام الأول ١٤ : ٧

هل أذلَّ الرب سليمان عندما عبد الأوثان كما يقول سفر (ملوك الأول ١١ : ٤)؟

هل أذلَّ الرب يونانان عندما أشرك وسمَّى ابنه (مرى بعل) تيمنا ببعل (أخبار الأيام الأول ٨ : ٣٤ و ٩ : ٤٠)؟

هل أذلَّ الرب جدعون عندما بنى مذبحًا لغير الله (قضاة ٨ : ٢٤-٢٧)؟
هل أذلَّ الرب آحاز عندما عبد الأوثان (ملوك الثاني ١٦ : ٢-٤ ، وأيضًا أخبار الأيام الثاني ٢٨ : ٢-٤)؟

هل أذلَّ الرب يربعام عندما عبد الأوثان (ملوك الأول ١٤ : ٩)؟
هل أذلَّ الرب بعشا بن يربعام عندما عبد الأوثان (ملوك الأول ١٥ : ٣٣-٣٤)؟

هل أذلَّ الرب يفتاح الجلعاوى عندما قدم أضحية للأوثان (قضاة ١١ : ٣٠-٣١)؟

هل أذلَّ الرب أخاب بن عُمرى عندما عبد البعل ويسجد له (ملوك الأول ١٦ : ٣١-٣٣)؟

هل أذلَّ الرب يهورام عندما عبد العجل (ملوك الثاني ٣ : ١-٢٥)؟
هل أذلَّ الرب أمصيا عندما عبد الأوثان (أخبار الأيام الثاني ٢٥ : ١٤)؟

لا . لم يحزنهم الرب ، ولم ينتقم منهم ، ولم يذلهم ، ولم يُحمّل باقى البشر خطيئتهم ، لأنه (لا يُذَلُّ ولا يُحْزَنُ بنى الإنسان) وهم من البشر ، هم بنى الإنسان . أما المرأة ، فلا .

أن تأكل امرأة من الشجرة ويأكل زوجها معها ، فهى المخطئة ، وهو برىء ، لذلك انتقم الرب الغفور الرحيم ، الذى يحب الإنسان ولا يذله ولا يحزنه ، إله المحبة من المرأة ، التى أعدها الرب بعمله هذا من فئة غير فئات البشر! فبنى الإنسان هو إذن الرجل الذى لم يذله الرب ولم يحزنه وليست المرأة التى أذلها الرب وممثلوه على الأرض .

وهذا هو الذى فهمه رجال الدين وصرّحوا به فى أقوالهم وفى تعريفهم ووصفهم للمرأة:

لذلك: أعلن البابا (اينوسنسيوس الثامن) فى براءة (١٤٨٤) أن الكائن البشرى والمرأة يبدوان نقيضين عنيدتين .

ولذلك قال أسقف فرنسى عاش فى القرن الثانى عشر: (إن كل النساء بلا استثناء مومسات ، وهن مثل حواء سبب كل الشرور فى العالم)

ولذلك قال أرسطو: (الذكر هو الأنموذج أو المعيار ، وكل امرأة إنما هى رجل معيب)

وقال الراهب البندىكتى برناردى موريكس دون مواردبة فى أشعاره: إنه لا توجد امرأة طيبة على وجه الأرض)

وفى القرن الخامس الميلادى اجتمع مجمع باكون وكانوا يتباحثون: (هل المرأة جثمان بحت أم هى جسد ذو روح يُنَاطُ به الخلاص والهلاك؟) وقرر أن المرأة خالية من الروح الناجية ، التى تنجىها من جهنم ، وليس هناك استثناء بين جميع بنات حواء من هذه الوصمة إلا مريم عليها السلام .

كما قرر مجمع آخر، أن المرأة حيوان نجس ، يجب الابتعاد عنه ، وأنه لا روح لها ولا خلود ، ولا تُلقن مبادئ الدين لأنها لا تقبل عبادتها ، ولا تدخل الجنة ، والملوكوت ، ولكن يجب عليها الخدمة والعبادة ، وأن يكتم فمها كالبعير ، أو كالكلب العقور ، لمنعها من الضحك ومن الكلام لأنها أحبولة الشيطان " .

والعجيب أن اضطهاد المرأة وقهرها ليس فقط لأنها أنثى ، ولكنه امتد إلى حملها وولادتها وآلامها عقابا على خطيئة أم البشر حواء ، بل يمتد هذا الاضطهاد في حالة ما إذا أنجبت أنثى أو أتاها الطمث الذي يأتى النساء بطبيعة تكوينهن كأنثى !

الفصل الثامن عشر

رأى الإسلام فى الأنثى وولادتها :

لم يكرم دين أو كتاب سماوى أو قانون وضعى المرأة كما كرمها الإسلام فمن وقت أن أعلن الرب لملائكته أنه سيخلق فى الأرض بشرا ، جعلها خليفة لله ممثلة له على الأرض وشريكة للرجل فى استخلافها . لذلك رفع عنها الأغلال التى وضعتها الكتب الأخرى فى عنقها ، وكرمها إذ سفهها الناس وأصحاب الأديان الأخرى ، ورفعها إذ وضعها الناس والفلاسفة النصارى واليهود ، فكرمها بنتا وأما وزوجة وأختا . ولك أن تتخيل أن الله جعل هدف كل العباد والنسك والزهاد تحت أقدام امرأة : فقد ربط الجنة بأسفل أقدام الأم ، امرأة .

وزاد فى تكريمها فجعل الدنيا مؤنثة ، والرجال يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، ويعملون من أجلها ، والأرض مؤنثة ، ومنها خلق آدم ، وخلقت البرية ، وفيها كثرت الذرية ، وأمروا بتعميرها ، والحفاظ عليها ، والقتال من أجل خلود شريعة الله عليها ، كما أمروا بالسجود لله عليها ، والسماء مؤنثة ، وقد زينت بالكواكب ، وحُلِّيت بالنجوم ، التى تهدى الرجال فى طريقهم إلى بر الأمان ، والنفس مؤنثة ، وهى قوام الأبدان ، وملاك الحيوان ، والحياة مؤنثة ،

ولولاها لم تتصرف الأجسام ، ولا عرف الأنام ، والجنة مؤنثة ، وبها وعد المتقون ، وفيها ينعم المرسلون والشهداء والصالحون .

انظروا إلى تكريم الله للأب الذى أنجب بنتاً :

عن عبد الله يعني ابن مسعود قال سمعت النبي ﷺ يقول : (من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها وعلمها وأحسن تعليمها وأوسع عليها من نعم الله التي أوسع عليه كانت له منعة وسترا من النار) رواه الطبراني

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : (من كن له ثلاث بنات فعالهن وآواهن وكفهن وجبت له الجنة قلنا وبنتين قال وبنتين قلنا وواحدة قال وواحدة) رواه الطبراني في الأوسط (مجمع الزوائد ج : ٨ ص : ١٥٨)

ولم تشمل هذه الرعاية والعناية بنات الرجل فقط ، بل أكثر من ذلك فقد قرر الله أن الجنة مصير من أدب جاريته وأحسن إليها : (عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : من كانت له جارية فعالها فأحسن إليها ثم أعتقها وتزوجها كان له أجران) صحيح البخاري ج : ٢ ص : ٨٩٩

فهذا شرف لم يعطه الله للأب الذى أنجب ولذا!! لقد أدخله الله مسابقة الفوز بالجنة! فقط لأنه أب لابنة! فليفرح وليتفاخر الأب ذو البنات على الأب ذو البنين!

تقول زيجريد هونكه : (إن الحلى التى يقدمها الأوروبي لحبيبتة أو لزوجته صديقه أو رئيسه ، سواء أكانت ماساً أصلياً أو زجاجاً مصقولاً ، هى عادة استوردت من الشرق ، ويمارسها الناس كل يوم ، ولا يعرفون لها مصدراً .)

فى الحقيقة لا يعرف الإسلام التفرقة بين الرجل والمرأة على أساس أفضلية أحدهم على الآخر ، ولكن تبعاً لطبيعة كل منهما أو الواجبات المناطة بهما . فقد ساوى الإسلام بينهما فى الإنسانية ، وفى الواجبات ، وفى الحقوق ، بل أولى المرأة اهتماماً ورعاية لم يشملها الكتاب المقدس ولا تاريخ الشعوب اليهودية

أو النصرانية أو حتى الوثنية. ولا أى قانون وضعى أنصف المرأة ورفعها ، بل جعلها تاجاً على رؤوس الرجال والمجتمع ، كما فعل الإسلام .

فقد جاءت رحمة الله المهداة إلى البشرية جمعاء ، بصفات غيرت وجه التاريخ القبيح ، لتخلق حياة لم تعهدها البشرية في حضاراتها أبداً . . . وبذلك حرر الإسلام المرأة بكل ما تعنيه الكلمة من معنى : فقد حررها فى كل الجوانب النفسية والجسدية والعقلية والأمنية والعلمية .

فجاء الإسلام ليقول : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة ٢٢٨

وجاء ليقول : ﴿وَعَاشِرُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ النساء ١٩

وجاء ليقول : ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ البقرة ٢٣٢

وجاء ليقول : ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمَقْتَرِ قَدَرُهُ﴾ البقرة ٢٣٦

وجاء ليقول : ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ الطلاق ٦

وجاء ليقول : ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَيِّقِهِنَّ﴾ الطلاق ٦

وجاء ليقول : ﴿فَكَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ النساء ٢٤

وجاء ليقول : ﴿وَاللِّسَاءُ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ النساء ٧

وجاء ليقول : ﴿وَاللِّسَاءُ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ النساء ٣٢

وجاء ليقول : ﴿وَأَتَوْهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ النور ٣٣

وجاء ليقول : ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ البقرة ١٨٧

وجاء ليقول : ﴿هَتُولَاءَ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ هود ٧٨

وجاء ليقول : ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً﴾ النساء ٣٤

وجاء ليقول: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ النساء ١٩

وجاء ليقول: ﴿وَلَا تَقْضُوا مِنْ أَمْوَالِكُمْ لِمَا نَزَلَتْ بِهِ آيَاتُ اللَّهِ وَلِأَنْتُمْ تُهْتَمُونَ﴾ النساء ١٩

وجاء ليقول: ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيعُ بِإِحْسَنِ﴾ البقرة ٢٢٩

وجاء الرسول الكريم ليبين لنا مكانة المرأة فسئل ﷺ من أحب الناس إليك؟ قال: "عائشة" .. وكان يؤتى ﷺ بالهدية، فيقول: "اذهبوا بها على فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة".

وهو القائل: «استوصوا بالنساء خيراً»

وهو القائل: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر».

وهو القائل: «إنما النساء شقائق الرجال».

وهو القائل: «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي».

وهو القائل: «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

وهو القائل: «أعظمها أجرا الدينار الذي تنفقه على أهلِكَ».

وهو القائل: «من سعادة بن آدم المرأة الصالحة».

ومن هديه: «عن عائشة قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد».

وهو القائل: «وإنك مهما أنفقت من نفقة فإنها صدقة حتى اللقمة التي ترفعها إلى في امرأتك».

ومن مشكاته: «أن امرأة قالت: يا رسول الله صل على زوجي فقال ﷺ صلى الله عليك وعلى زوجك».

وهناك الكثير والكثير من الأدلة والبراهين ، على أن الإسلام هو المحرر الحقيقي للمرأة من العبودية ، بل جعل حقوقها جزءاً من كيان الدين نفسه وشرطاً من الحقوق العامة للإنسان قبل أن يشرعها الإعلان العالمي لهذه الحقوق بأكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان . حيث شرعها الإسلام في القرن السادس الميلادي بينما كان الإعلان العالمي في عام ١٩٤٨ (أى في القرن العشرين).

ولأن حقوق المرأة في الإسلام . كما أشرت جزء من الحقوق العامة للإنسان فقد كفل الإسلام للمرأة من الحقوق ما أعطاها الحياة نفسها بكل شرف وعزة وإباء ، وجعلها شريكة له في كل أمور الحياة السياسية والاجتماعية ، وراعى الناحية النفسية والأثوية والجنسية لها . وحتى يُعلم هذا الأمر بصورة أوضح ، سأيين حفظ حقوق المرأة في لإسلام وهي جنين في بطن أمها إى أن تقابل ربها :

١- حفظ الإسلام حق المرأة قبل أن تولد، فجعلها الله خليفة في الأرض ، وأشركها في التكليف مع آدم، فقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة ٣٠

٢- حفظ الإسلام إنسانيتها وساواها بالرجل في الأصل والنشأة: فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (١٣) الحجرات ١٣

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ النساء ١

وقال ﷺ: «إنما النساء شقائق الرجال» .

٣- حفظها الإسلام بأن جعلها آية من آياته، تطالب الرجل والمرأة على السواء شكر الله عليها ، فقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) الروم ٢١

٤- حفظها الإسلام بأن جعلها هبة الله للبشرية ، فقال تعالى : ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ الشورى ٤٩

٥- حفظ الإسلام كيانها في المجتمع بأن اعتبرها مسئولة عن قيام الفضيلة والقضاء على الرذيلة في الأرض ، عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مثلها مثل الرجل . وبذلك حملها مسؤولية الدين والدعوة إليه ، وجعله أمانة في عنقها وعنق الرجل : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُفِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٧١) التوبة ٧١

٦- حفظ الإسلام الأنثى وجعل الإعتداء عليها من السفه بل اعتبره من الآثام وجعل البيت المسلم يتهج لمقدمها : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ (٥٨) يَنُورِي مِنَ الْغُورِ مِنْ سُوءٍ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ (٥٩) النحل ٥٨-٥٩

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (١٥) الأنعام ١٤٠

٧- حفظ الإسلام المرأة بأن جعل قتلها قتل للبشر جميعاً ، وهي تساوى في هذا مع الرجل ، فقد قال تعالى : ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا يَغْتَرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ المائدة ٣٢

٨- حفظ الإسلام حق المرأة وهي في بطن أمها ، فإن طُلقت أمها وهي حامل بها ، أوجب الإسلام على الأب أن ينفق على الأم فترة الحمل بها الطلاق ٦ ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾

٩- حفظ الإسلام حق المرأة بحيث لا يُقام على أمها الحد ، حتى لا تتأثر وهي في بطن أمها (ولما جاءت الغامدية وقالت يا رسول الله طهرني فقال لها : حتى تضعي ما في بطنك)

١٠- حفظ الإسلام حق المرأة راضعة؛ فلما وضعت الغامدية ولدها، وطلبت إقامة الحد قال ﷺ (اذمبي فأرضعيه حتى تطفميه)

١١- حفظ الإسلام حق المرأة مربية، فجعل لها أجراً، وهو حق مشترك بين الراضعة والمرضعة الطلاق ٦ ﴿فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَارْزُقْنَهُنَّ أَجْرَهُنَّ﴾

١٢- حفظ الإسلام حق المرأة مولودة من حيث النفقة والكسوة ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾

١٣- حفظ الإسلام حق المرأة طفلة بأن جعل الأب يعق عنها مثل الذكر: وقد اختلف الفقهاء في قدرها، فذهب جماعة إلى أنها شاتان عن الذكر، وشاة عن الأنثى.

ورأى آخرون - ومنهم الإمام مالك - أنها شاة عن الذكر والأنثى، مستدلاً بحديث رواه ابن عباس: أن رسول الله ﷺ عَقَّ عن الحسن والحسين كبشاً كبشاً.

١٤- حفظ الإسلام حق المرأة في فترة الحضانة التي تمتد إلى بضع سنين، وأوجب على الزوج النفقة عليها في هذه الفترة لعموم أدلة النفقة على لأبناء

١٥- حفظ الإسلام حق المرأة في الميراث عموماً، صغيرة كانت أو كبيرة قال الله تعالى ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ﴾

١٦- حفظها الإسلام نفسياً ومعنوياً وإجتماعياً بأن ساوى بينها وبين الرجل في أغلب التكاليف:

﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾

النساء ٣٦

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ العنكبوت ٧-٩

﴿٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩١﴾ النحل ٩٠-٩١

﴿٩٠﴾ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٩١﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٩٢﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٩٣﴾ رَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٩٤﴾ وَعَاتِبْ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٩٦﴾ وَإِمَّا تَعْرِضْ عَنْهُمْ أَتَبِعَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا ﴿٩٧﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٩٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُمْ كَانُوا بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٩﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَتَنُحْنُ تَرْزُقُهُمْ وَإِنَّا كُنَّا لَهُمْ قَاتِلِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّزْقَ إِنَّمَا كَانَ قَدْ حِشَّةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿١٠١﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿١٠٢﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَاتِبٌ مَسْئُولًا ﴿١٠٣﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿١٠٦﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُمْ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ بِمَا أَوْحَىٰ

إِنَّكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٢٩﴾
 أَفَأَصْفَكَ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ لَعُقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٣٠﴾
 الإسراء ٢٢-٤٠

١٧- حفظ لإسلام للمرأة بأن دافع عنها الله بنفسه وتوعد الذين يؤذونهن ، وهى تشترك فى ذلك مع الرجل : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ الأحزاب ٥٨
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ فْتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿٦٠﴾﴾ البروج ١٠

١٨- حفظ الإسلام حق المرأة بأن طلب إلى المؤمنين أدباً سامياً فى دخول البيوت للحفاظ على أعراض النساء وسمعتهن ، وبعداً بها عن مواطن الزلل والفتنة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَسُئِلُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ازْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ النور ٢٧-٢٨

١٩- حفظ الإسلام المرأة بأن أمر رسوله أن يستغفر الله لها : ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾ محمد ١٩

٢٠- حفظ الإسلام أيضاً المشركات بأن منع قتلهن فى الحروب :
 عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : (وَجَدْتُ امْرَأَةً مَقْتُولَةً فِي بَعْضِ مَغَازِي النَّبِيِّ ﷺ (فَنَهَى عَنْ قَتْلِ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ) [الشيخان وغيرهما]

٢١- حفظ الإسلام المرأة وحرّم وأدّها صغيرة ، وفرض حسن تربيتها وتعليمها : قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾﴾
 وقال ﷺ : «من كانت له أنثى . فلم يئدها ، ولم يهنها ، ولم يؤثر ولده

عليها ، أدخله الله الجنة»

٢٢- حفظ الإسلام المرأة بأن اعتبرها من المكونات الأساسية لخيرات الدنيا والآخرة: قال ﷺ: «أربع من أعطيهن فقد أعطى خير الدنيا والآخرة: (قلبا شاكرا ، ولسانا ذاكرا ، وبدنا على البلاء صابرا ، وزوجة لا تبغيه خوفا في نفسها ولا ماله)

٢٣- حفظ الإسلام المرأة بأن جعلها خير ما في الدنيا كلها: قال ﷺ: «الدنيا متاع ، وخير متاعها المرأة الصالحة».

٢٤- حفظ الإسلام المرأة بأن جعل الجنة غاية حياة كل مؤمن تحت أقدامها ، فأى شرف هذا الذى نالته المرأة فى الإسلام؟ وقال ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات»

فقد روى أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ فسأله النبي: «هل لك من أم؟» قال: نعم. فقال ﷺ: «الزمها ، فإن الجنة تحت رجلها».

٢٥- حفظ الإسلام المرأة بأن نزع عنها لعنة الخطيئة الأبدية التى وصمتها بها الأديان السابقة ، واعتبرها وزوجها قد أذنباً ثم منحهما التوبة والغفران ، فقال تعالى:

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ البقرة ٣٦ ، وقال: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ الأعراف ٢٠

وعندما أذنب شخصاً بمفرده ، أذنب آدم فقط ، فقال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّبَعُكَ هَلْ أَتَاكَ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمَلِكٍ لَا يَبْلَى﴾ طه ١٢٠

٢٦- حفظ الإسلام المرأة بأن جعل لها نصيباً فى الميراث ، بعد أن كانت جزءاً منه فقال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ النساء ٧

فقرر نصيباً لها فى الميراث باعتبارها زوجة ، وباعتبارها بنتاً ، وباعتبارها أما ، وباعتبارها أختاً .

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثُهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ وَأَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ تَوْصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوْ امْرَأَةً وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتُ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِ يَوْصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ النساء ١١-١٢

٢٧- حفظ الإسلام المرأة بأن وهبها جميع حقوقها المدنية: فلها الحق فى عقد العقود من بيع وشراء وإجازة وشركة وقرض ورهن وهبة وأن تتوكل غيرها ، وأن تتوكل عن غيرها فيما يملك .

٢٨- حفظ الإسلام المرأة بأن أزال عنها القصر الدائم ، فأقر أهليتها الكاملة ، مانحاً إياها حق الولاية على مالها وشئونها .

٢٩- حفظ الإسلام المرأة بأن ذكرها الله تعالى فقط عندما تكلم عن العمل الصالح فقال تعالى بالعموم: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ غافر ٤٠ ، أما فى الخير فقد جاء بالذكر والأنثى ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ غافر ٤٠

٣٠- حفظ الإسلام حق المرأة في اختيار الزوج المناسب ، ولها أحقية القبول أو الرد إذا كانت ثيبًا لقوله ﷺ : « لا تنكح الأيم حتى تستأمر » وقوله : « ليس للولي مع الثيب أمر ».

وفي الصحيحين : أن الخنساء بنت حزام قد زوّجها أبوها وهي كارهة ، وكانت ثيبًا ! فأتت الرسول ﷺ ، فردّ نكاحها .

٣١- حفظ الإسلام حق المرأة إذا كانت بكرًا فلا تزوج إلا بإذنها لقوله عليه الصلاة والسلام «ولا تنكح البكر حتى تستأذن»

وجاء في السنن من حديث ابن عباس : أن جارية بكرًا أتت النبي ﷺ ، فذكرت أن أباه زوجها وهي كارهة . فخيرها النبي ﷺ .

وجاءت فتاة إلى النبي ﷺ فقالت : إن أبي زوجني ابن أخى ليرفع بى خسيسته . قال الراوى : فجعل أمرها إليها .

فقالت : قد أجزت ما صنع أبى ! ولكن أردت أن أعلم النساء : أن ليس للآباء من الأمر شيء .

٣٢- حفظ الإسلام حق المرأة في صداقها ، وأوجب لها المهر ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ البقرة ٢٤١

٣٣- حفظ الإسلام حق المرأة مختلعة ، إذا بدّ لها عدم الرغبة في زوجها أن تخالع مقابل الفداء لقوله عليه الصلاة والسلام (أقبل الحديقة وطلقها)

٣٤- حفظ الإسلام حق المرأة مطلقة : ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتَّعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ البقرة ٢٤١

٣٥- حفظ الإسلام حق المرأة أرملة ، وجعل لها حقًا في تركة

زوجها: قال الله تعالى ﴿وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ﴾ النساء ١٢

٣٦- حفظ الإسلام حق المرأة في الطلاق قبل الدخول ، وذلك في عدم العدة ، قال الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَةٍ تَعُدُّوهنَّ﴾ الأحزاب ٤٩

٣٧- حفظ الإسلام حق المرأة يتيمة ، وجعل لها من المغانم نصيباً ، قال الله تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ﴾ الأنفال ٤١

وجعل لها من بيت المال نصيباً قال الله تعالى ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ الحشر ٧

وجعل لها في القسمة نصيباً ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾ النساء ٨

وجعل لها في النفقة نصيباً ﴿قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّذِينَ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾ البقرة ٢١٥

٣٨- حفظ الإسلام حق المرأة في حياتها الاجتماعية ، وحافظ على سلامة صدرها ، ووحدة صفها مع أقاربها ، فحرم الجمع بينها وبين أختها ، وعمتها ، وخالتها ، كما في الآية ، والحديث المتواتر .

٣٩- حفظ الإسلام حق المرأة في صيانة عرضها ، فحرم النظر إليها ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾ النور ٣٠

٤٠- حفظ الإسلام حق المرأة في معاقبة من رماها بالفاحشة ، من غير بينة بالجلد ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِرَبْعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُنَّ ثَمَنَيْنِ جَلْدَةً﴾ النور ٤

٤١- حفظ الإسلام حق المرأة إذا كانت أمًا ، أوجب لها الإحسان ، والبر ، وحذر من كلمة أف في حقها ، بل جعل دخول الجنة متوقفاً على رضاها .

٤٢- حفظ الإسلام حق المرأة في السكنى : ﴿أَنْكِحُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ الطلاق ٦

٤٣- حفظ الإسلام حق المرأة في صحتها فأسقط عنها الصيام إذا كانت مرضع أو حبلً .

٤٤- حفظ الإسلام حق المرأة في الوصية ، فلها أن توصي لما بعد موتها قال الله تعالى النساء ١٢ ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ يُوصِيَتْ بِهَا أَوْ ذَيْنَ﴾

٤٥- حفظ الإسلام حق المرأة في الإجارة: فقد أجازت أم هانئ رجلاً من المشركين في بيتها ، أراد على أن يقتله بناءً على أوامر رسول الله ﷺ ، ولم تكن تعرف أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد أباح دمه . فذهبت واشتكت ذلك للرسول ﷺ ، فقال لها : (قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ) .

٤٦- حفظ الإسلام حق المرأة في الإستقلال السياسى بشخصيتها ، وتلمح هذا في الزعامة النسائية التي قادتها هند بنت عتبة عندما رأت وفد النساء لمبايعة الرسول ﷺ .

وإذا علمت أن التي روت هذا الحديث هي أميمة بنت رقية ؛ لا يبعد أن تلمح على وجهها هي الأخرى دلائل : (سكربتيرة الحركة النسائية)

فقال ﷺ : «أبايعكن على أن لا تُشركن بالله شيئاً»

فقلت هند: وكيف نطمع أن يقبل منا ما لم يقبله في الرجال؟

فقال ﷺ : «ولا تسرقن»

فقلت هند: إن أبا سفيان رجل شحيح! إنى أصبت من ماله هناة ؛ فما أدري: أتحل لى أم لا؟ فقال أبو سفيان . وكان حاضراً .: ما أصبت من شيء .

فيما مضى . فهو لك حلال . فضحك رسول الله ﷺ . وعرفها . فقال لها : « وإنك لهند بنت عتبة ! »

قالت هند : نعم ! فاعف عما سلف . يا نبي الله . عفا الله عنك .

فقال ﷺ : « ولا تزنين ! »

فقالت : أو تزني الحرة ؟

فقال : « ولا تقتلن أولادكن »

فقالت : رييئاهم صغاراً ، وقتلتهم كباراً . فأنت وهم أعلم ! « تشير إلى مقتل ابنها حنظلة وقد قتل يوم بدر » فضحك عمر . وكان حاضراً . حتى استلقى على ظهره ! وتبسم رسول الله ﷺ .

فقال : « ولا تأتين ببهتان ! »

فقالت : إن البهتان لأمر قبيح ! وما تأمرنا إلا بالرشد ومكارم الأخلاق !

فقال : « ولا تعصينني في معروف »

فقالت : والله وما جلسنا مجلسنا هذا ، وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء .

فانظر إلى هذه الظاهرة العظيمة : ظاهرة حرية المرأة في نقاشها ، وحوارها للنبي ﷺ ! حرية لا يحلم بها الرجال عند أعظم ملوك الأرض ديمقراطية !!

ولعلك فهمت من مبايعة النبي ﷺ للنساء مبايعة مستقلة عن الرجل ، أن الإسلام يعتبرهن مسئولات عن أنفسهن مسئولية خاصة مستقلة عن مسئولية الرجل !

فقبل أن يعرف العالم كله ما يسمى بالحقوق السياسية سواء كانت للرجال أم للنساء كانت المرأة المسلمة تتمتع بهذا الحق وفي أعلى مستوياته . أعنى حقها في مبايعة رئيس الدولة كما كان الرجال يبايعون الرسول ﷺ على السمع والطاعة والالتزام بما يأمر به الشرع من الأحكام وهو ما يعرف باسم " البيعة " .

وقد روى في الصحيحين أن النساء اجتمعن مرة ، وقلن للرسول ﷺ : «غلبنا الرجال! فاجعل لنا يوماً من تلقاء نفسك. فوعدهن يوماً لقيهن فيه فوعظهن وأمرهن»

ولا تعوزك الآيات الصريحة التي تقرر للمرأة استقلالها التام عن الرجل تجاه الله: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاهِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ التحريم ١٠

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْرِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾﴾ التحريم ١١

فالمرأة في القرآن امرأة صالحة لا يؤثر عليها صلاح الرجل أو فسادة أو هي طالحة لا ينفعها في الآخرة صلاح الرجل وتقواه أو طغيانه ؛ فهي ذات مسئولية مستقلة فيما يتعلق بشئونها أمام الله! الأمر الذي جعل الله أن يوجه اللوم لآدم وحواء على ذنبيهما .

٤٧- حفظ الإسلام لرأى المرأة وضمن لها الحق في تحاورها مع أعلى سلطة في الدولة في شأن زواجها وأولادها: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِنْ أُمَّهُتُھُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا ذَلِكَ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَاِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾﴾ المجادلة ١-٤

هذه الآيات الأربع نزلت في حادثة بين أوس بن الصامت وزوجه خولة بنت ثعلبة. قال لها: أنت على كظهر أمي.

وما برحت حتى نزلت الآيات تشنع على المظاهرين من نساءهم ، وتبكتهم ،

وتضع طريقًا للخلاص من الظهار ، وتبين أنه ليس طلاقًا ولا موجبًا للفرقة .
وانظر بعد ذلك كيف جعل القرآن مجادلة المرأة للرسول ﷺ قرآنًا يُتلى إلى
يوم الدين ، وجعله تشريعًا عامًا خالدًا .

فآيات الظهار وأحكامه في الشريعة الإسلامية ، وفي القرآن الكريم لأثر من
آثار الفكر النسائي ، وصفحة إلهية خالدة تلمح فيها على مر العصور صورة
احترام الإسلام لرأى المرأة ، وأن الإسلام لا يراها مخلوقة تُقاد بفكر الرجل
ورأيه ، وإنما لها رأيها . ولرأيها قيمة قيمته في بناء المجتمع المسلم ، بل وفي
التشريع الإسلامي .

٤٨- حفظ الإسلام حق المرأة في مناقشة الحاكم ومراجعته فيما
يخالف أوامر الله :

وعلى هذا المبدأ . وهو مبدأ احترام رأى المرأة وأن لها حقها في التفكير
وإبداء الرأى . قبل عمر بن الخطاب نقدها إياه . وهو خليفة المسلمين . وهو
يخطب الناس ويحذرهم التغالى في المهور! ولم يلبث أن رجع عمر إلى رأيها ،
وعاد على نفسه باللائمة!!

٤٩- جعل لها الحق في المشاركة في نصرة دين الله :

فتركها تطيب المجاهدين وتسقيهم ، وفرض عليها الجهاد بكل م تملك
وقت غزو الأعداء على الدولة المسلمة . وكان يقرع الرسول ﷺ بين نسائه إذا
أراد أن يغزو أو يحج . وكان ﷺ يعطى المرأة من الغنائم . وكان يبيح قتل المرأة
إذا كان لها في قوة العدو رأى . وقد ذكر رجال الحديث أن جملة من لم يؤمنهم
النبي ﷺ يوم الفتح أربعة عشر ، منهم ستا من النساء .

وهذا اعتراف من الإسلام أن هناك من النساء من لها من قوة الرأى والقوة
السياسية ما يجعلها تساوى عدة رجال!!

٥٠- حفظ الإسلام حق المرأة في حفاظه على إنسانيتها وقت حيضها ،

فلم يجعلها تتسبب في نجاسة كل ما تلمسه ، بل جعل زوجها يتمتع بها وتمتع به ، دون الجماع .

٥١- كَرَّمَ الإسلام المرأة بأن سَمَّى سورة باسم النساء الكبرى ، وسورة باسم النساء الصغرى (المشهورة بسورة الطلاق) ، وسورة باسم مريم .

٥٢- سجل القرآن للمرأة قوة فراستها : حيث لم تكن رآته غير مرة واحدة سقا لهما فيها ماشيتهما . وهذا القدر من الرؤية ليس من شأنه أن يمكن الإنسان من معرفة أسرار النفوس ودخائلها ، إلا إذا كان قد أوتى من قوة الفراسة ما أوتيته ابنة شبيب !

﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَأْبَىٰ اسْتَجِرُّهُ إِنِّي خَيْرٌ مِّنْ اسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ (٦٦)
القصص ٢٦

٥٣- سجل القرآن للمرأة حسن حيلتها : وكيف أنقذت بحسن هذه الحيلة طفلاً من بطش فرعون : ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِرُوكَ﴾ (١٢) القصص ١٢

٥٤- سجل القرآن للمرأة ذكاءها وبعد نظرها : فقالت ملكة سبأ لمستشاريها : إن كان نبيا حقا لم تصادف هديتنا مكاناً في قلبه ، ولم تحل بينه وبين تبليغ أمر ربه . وإن لم يكن ، فسوف يفرح بها ، ويعرض عن قتالنا !!

﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (٣٥) النمل ٣٥

وقد كان لها ما قدره بعد نظرها وعلمها بالأمم الأخرى ، وإمامها بشيء من أديان وحضارات الشعوب الأخرى : ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَنَ قَالَ أُمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَيْنِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ (٣٦) النمل ٣٦-٣٧

٥٥- سجل القرآن للمرأة حسن سياستها وتدبير ملكها على أساس

الشورى ، وعدم الاستبداد بالرأى :

﴿قَالَتْ يَتَأْتِيَ الْملُوكُ إِنِّي أَخْلَقْتُ إِلَيْكَ كِتَابٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّكُمْ مِنْ سُلَيْمَنَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَى وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَتَأْتِيَ الْملُوكُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا نَحْنُ أَوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعْرَازَ أَهْلِهَا أُولَئِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ النمل ٢٩-٣٤

انظر إلى الآيات التى تصور حصافة رأى المرأة ، وسبرها لغور النفوس ، وتجد فى الوقت نفسه عدم الإغترار بما يديه الأتباع والأشباع من إظهار الاعتداد بنفوسهم وقوتهم ، وعدم الإكتراث بغيرهم فى وقت الكلام .

يصور كذلك عدم تبعيتها العمياء لما يقوله الرجال ، حتى ولو كانوا من كبار رجالات الدولة أو ذوى الرأى والمشورة ، فقد أظهرتها الآيات أنها كانت أكثر منهم عقلاً وحكمة وعلمًا وفراصة وحسن تدبير لعظام الأمور .

٥٦- حفظ الإسلام حق المرأة بأن ساوى بينها وبين الرجل فى الدماء : وقد يكون هذا من أهم مظاهر التسوية بين الذكر والأنثى فى الحقوق البشرية المشتركة بينهما : فقد قررت أن يقتل الرجل بالمرأة ، والمرأة بالرجل .

﴿وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ المائدة ٤٥

﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ البقرة ١٧٩

٥٧- حفظ الإسلام حق المرأة بأن ساوى بينها وبين الرجل فى اللعان :

﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحْسَنِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣﴾ وَأَخْمِسَةُ أَنْ لَعَنْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ

﴿٧﴾ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ ﴿النور ٤-٩﴾

٥٨- حفظ الإسلام حق المرأة بأن ساوى بينها وبين الرجل فى الشهادة: فهناك حالات لا تُقبل فيها إلا شهادة المرأة دون الرجل ، وهى القضايا التى لم تجر العادة باطلاع الرجال على موضوعاتها ، كالولادة والبراءة ، وعيوب النساء فى المواضع الباطنة .

وهناك شهادة الرجل وحده ، وهى القضايا التى تثير موضوعاتها عاطفة المرأة ، ولا تقوى على تحملها بما أودع فيها من عاطفة الرحمة والحياة ، وذلك كالحدود والقصاص .

ومع ذلك فقد رأوا قبول شهاداتها فى الدماء ، إذا تعيَّنت طريقاً لثبوت الحق ، وذلك فيما إذا وقعت الجريمة فى مكان ليس به إلا النساء . ومن القضايا ما تقبل فيها شهادتهما معاً ، وهى القضايا التى ليس موضوعها من أحد النوعين السابقين .

٥٩- حفظ الإسلام حق المرأة فى جسدتها بعد موتها ، وهذا يشترك فيه الرجل مع المرأة لقوله ﷺ (كسر عظم الميت ككسره حياً)

٦٠- حفظ الإسلام حق المرأة وهى فى قبرها ، وهذا يشترك فيه الرجل مع المرأة لقوله ﷺ (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر)

٦١- حفظ الإسلام حق المرأة فى الحساب أمام رب العالمين ، وهذا يشترك فيه الرجل مع المرأة: وبذلك ساوى بينهما فى الثواب والعقاب فى الآخرة:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ وَالْقَنِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّيِّمِينَ

وَالصَّيِّمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ الأحزاب ٣٥

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ النحل ٩٧

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ غافر ٤٠

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَبْرًا ﴿١٢٤﴾﴾ النساء ١٢٤

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّن بَعْضٍ﴾ آل عمران ١٩٥

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ التوبة ٧٢

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِندَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾﴾ الفتح ٥

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرَىٰ مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾ الحديد ١٢

٦٢- حفظ الإسلام حق المرأة في أن ربطها بالسعادة الأبدية في الدنيا والآخرة:

إن القرآن ربط بين السعادتين ، وجعل سعادة الدنيا وسيلة لسعادة الآخرة .
﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ الإسراء ٧٢

وجعل الجنة تحت أقدامها ، ودخولها يتوقف على رضا الأم على أبنائها من الرجال والنساء . وجعل عقوبة عقوق الوالدين تُعجل في الدنيا قبل الآخرة . وجعل الأم من أحق الناس بحسن صحابة المرء .

فلم ينتقص الإسلام حق المرأة ، أو يُهِنَهَا ، بل على النقيض من ذلك ، فقد رفع شأنها ، وحسبنا أن نعرف أن الله خَلَدَهَا في كتابه الكريم ، وجعل لها ثلاث سور من القرآن الكريم ، وهما سورة النساء وسورة مريم ، وسورة الطلاق ، وليس هناك سورة باسم الرجال .

بل من جميل صنع الله بالمرأة أن جعل الرجل يتعامل مع الأجناس الدنيا من الوجود ، فإنه إما زارع يتعامل مع التربة والمواشي والحيوانات ، وإما صانع يتعامل مع المادة الصماء . . ولكن المرأة تتعامل مع أشرف شيء في الوجود وهو الإنسان ، والمرأة التي لا تريد الإقتناع بهذه المهمة تكون امرأة فاشلة .

بل خَلَدَ القرآن امرأة في سورة المجادلة ، واحترم الإسلام رأيها ، وجعلها مجادلة ومحاور للرسول ، وجمعها وإياه في خطاب واحد ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ المجادلة : ١ . وقرر رأيها ، وجعله تشريعاً عاماً خالداً . . فكانت سورة المجادلة أثراً من آثار الفكر النسائي ، وصفحة إلهية خالدة نلمح فيها على مر الدهور صورة احترام الإسلام لرأى المرأة ، فالإسلام لا يرى المرأة مجرد زهرة ، ينعم الرجل بشم رائحتها ، وإنما هي مخلوق عاقل مفكر ، له رأى ، وللرأى قيمته ووزنه .

وكان النبي ﷺ يقول عن نفسه : «أنا ابن العواتك من قريش» . والعواتك هن نساء من قريش ، كانت كل منهن تُسمَّى عاتكة .

وقال ﷺ : «النساء شقائق الرجال» ، أى جزء أو شق منهم .

وقال ﷺ : «من سعى على ثلاث بنات فهو في الجنة ، وكان له أجر المجاهدين صائماً قائماً .»

وقال ﷺ: «خيركم خيركم لنسائه ، وأنا خيركم لنسائي» .

وحتى لا يشقُّ الرجال على نسائهم ، فقد قال ﷺ عنهم: «أنهن خُلِقْنَ من ضلع أعوج ، إذا حاولت أن تقيمه كسرتَه ، فسايسوهن تستمتعوا بهن» .

وعن أسماء بنت أبي بكر قالت: (قدمت على أمي وهي مشركة في عهد قريش ، إذ عاهدوا رسول الله ﷺ ، ومدتهم مع أبيها ، فاستفتت النبي ﷺ فقالت له: (يا رسول الله ، إن أمي قدمت علي وهي راغبة؟ أفأصلها؟ قال: «نعم، صليها» .

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ، من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: «أُمك» . قل: ثم من؟ قال: «ثم أمك» . قال: ثم من؟ قال: (ثم أمك) . قال: ثم من؟ قال: «ثم أبوك» .

وقال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها: ادخلي الجنة من أي الأبواب شئت» .

ويكفي النساء المسلمات شرفاً على الرجال أن أول من آمن بالرسول ﷺ هي زوجته السيدة خديجة ، وأول شهيدة في الإسلام هي سُمَيَّة أم عَمَّار بن ياسر ، وأول من أُوْتِمِنَ على حفظ كتاب الله بعد جمعه هي أم المؤمنين حفصة بنت عمر .

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم لنسائهم خلقاً» .

وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ، ما أكرم النساء إلا كريم ، وما أهانهنَّ إلا لئيم» .

قارن هذا التكريم للمرأة بقول الكتاب المقدس وآراء آباء وفلاسفة لمسيحية:

الرب يرسل ملاكه ليسب المرأة ويكُمِّمَ فيها بثقل من الرصاص: (وَكَاثَتْ امْرَأَةٌ جَالِسَةً فِي وَسْطِ الْإِيْفَةِ . ٨ فَقَالَ: [هَذِهِ هِيَ الشَّرُّ] . فَطَرَحَهَا إِلَى وَسْطِ الْإِيْفَةِ وَطَرَحَ ثِقْلَ الرِّصَاصِ عَلَى فَمِهَا .) زكريا ٥ : ٨

(٢٥) وَكَانَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ سَائِرِينَ مَعَهُ فَأَلْتَفَّتْ وَقَالَ لَهُمْ: ٢٦ «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَأُمَّرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيزًا.» لوقا ١٤ : ٢٥-٢٦

(١٤) وَأَدَمُ لَمْ يُغَوَّ لَكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي، ١٥ وَلَكِنَّهَا سَتَحْلُصُ بِوِلَادَةِ الْأَوْلَادِ، إِنْ تَبَتَّنَ فِي الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْقِدَاسَةِ مَعَ التَّعَقُّلِ .
تيموثاوس الأولى ٢ : ١٤-١٥

ويقول توماس الإكويني: (المرأة أرذل من العبد بدليل أن عبودية العبد ليست فطرية بينما المرأة مأمورة فطريًا من قبل الأب والابن والزوج)

أعلن البابا (اينوسنسوس الثامن) في براءة (١٤٨٤) أن الكائن البشري والمرأة يبدوان نقيضين عنيدين "

وقال الفيلسوف نيتشه: (إن المرأة إذا ارتقت أصبحت بقرة. وقلب المرأة عنده مكنى الشر، وهى لغز يصعب حله، ويُنصَحُ الرجل ألا ينسى السوط إذا ذهب إلى النساء).

لقد كتب أودو الكانى فى القرن الثانى عشر: (إن معانقة امرأة تعنى معانقة كيس من الزباله).

وقال القديس تروتوليان: (إن المرأة مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، ناقضة لنواميس الله ، مشوهة للرجل).

الفصل التاسع عشر

تتضاعف نجاسة المرأة عند إنجابها إينة :

يقول الكتاب (المقدس): (١) وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: ٢ قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِذَا حَبَلَتْ امْرَأَةٌ وَوَلَدَتْ ذَكَرًا تَكُونُ نَجِسَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ. كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْثِ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً. ٣ وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ يُخْتَنُ لَحْمُ غُرْلَتِهِ. ٤ ثُمَّ تُقِيمُ ثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ يَوْمًا

فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا . كُلُّ شَيْءٍ مُقَدَّسٍ لَا تَمَسُّ وَإِلَى الْمُقَدَّسِ لَا تَجِيءُ حَتَّى تَكْمُلَ
أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا . ٥ وَإِنْ وَلَدَتْ أُنْثَى تَكُونُ نَجَسَةً أُسْبُوعَيْنِ كَمَا فِي طَمْثِهَا . ثُمَّ
تَقِيمُ سِتَّةَ وَسِتِّينَ يَوْمًا فِي دَمِ تَطْهِيرِهَا . (لاويين ١٢ : ٥-١)

لك أن تتخيل أن نجاستها تتضاعف بولادة الأنثى . أى إن الولد يُضاعف
أخته في الطهر، هذا فقط لأنه ولد مثل آدم أما هى فأنثى مثل حواء

الفصل العشرين

خُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ :

(لأن الرجل ليس من المرأة بل المرأة من الرجل . ولأن الرجل لم يُخلق
من أجل المرأة بل المرأة من أجل الرجل) كورنثوس الأولى ١١ : ٨-٩

على النقيض من الإسلام الذى جعل خلق المرأة والرجل لاستحلاف
الأرض وتعميرها، فهى منوط بها رسالة الله للبشرية مثل الرجل : ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ التوبة ٧١

الفصل الواحد والعشرين

المرأة الحائض فى الإسلام :

أباح الإسلام للرجل الاستمتاع بزوجه الحائض ، وحرّم عليه فقط
جماعها ، حفاظًا على صحتهم ، وتجنبًا للأذى : ﴿وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ
هُوَ أَذَى فَأَعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ
حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾﴾ البقرة ٢٢٢

سأل رجل رسول الله ﷺ فقال : «ما يحل لى من امرأتى وهى حائض؟ فقال
رسول الله ﷺ : لتشد عليها إزارها ثم شأتك بأعلاها» . [مالك]

وعن عائشة قالت: (كانت إحدانا إذا كانت حائضاً فأراد رسول الله ﷺ أن يباشرها ، أمرها أن تتزر في فور حيضتها ثم يباشرها . قالت : وأيكم يملك إربه كما كان النبي ﷺ يملك إربه). [البخارى ومسلم] لقد كان رسول الله ﷺ أملك الناس لأمره وشهوته .

وفى حديث أنس فى مسلم ، قال النبي ﷺ «اصنعوا كل شىء إلا الجماع»

وفضلاً عن الاستمتاع مع الحائض ، فالتعامل اليومى معها لا حرج فيه إطلاقاً ، سواء المشاركة فى الفراش أو المأكلة أو المناولة أو ترجيل الشعر ، أو البيع أو الشراء أو ملامسة الثوب ، أو ملامستها هى نفسها ، كما ذكرنا فى الاستمتاع بالحائض .

عن أم سلمة قالت : (بينما أنا مع النبي ﷺ مضطجعة فى خميصة ، حضت ، فانسللت ، فأخذت ثياب حيضتى . فقال : أنفست؟ فقلت : نعم . فدعانى فاضطجعتُ معه فى الخميصة). [البخارى ومسلم]. والخميصة : كساء ذو خمل

وعن عائشة قالت : (كنت أشرب وأنا حائض ، ثم أناول النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فئ فيشرب ، وأتعرق العرق وأنا حائض ، ثم أناول النبي ﷺ فيضع فاه على موضع فئ). [مسلم]

العرق : العظم الذى أخذ عنه معظم اللحم وبقي عليه لحوم رقيقة طيبة .

وأتعرق العرق : أى أكل بقايا اللحم بأسناني

وعن عائشة قالت : (كنت أرجل رأس رسول الله ﷺ وأنا حائض). [البخارى ومسلم]

عن عائشة أن النبي ﷺ كان يتكىء فى حجرى وأنا حائض ، ثم يقرأ القرآن . [البخارى ومسلم]

وعن عائشة أن النبي ﷺ كان يقبل بعض أزواجه ، ثم يصلى ولا يتوضأ . [النسائى] وكذلك القبلة واللمسة لا تفسد الصيام أو الحج ، بل أمر أن يتمتع

الحاج بزوجته ﴿فَن تَمَنَّعَ بِالْعَمْرِ إِلَى الْمَحْجِ فَمَا أَسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ البقرة ١٩٦

الفصل الثاني والعشرين

المرأة النفساء في الكتاب المقدس مخطئة ولا بد لها من كفارة لتتوب عما لم تقترفه:

المرأة النفساء في التوراة هي مخصنة وعليها أن تقدم ذبيحة بعد أيام تطهيرها ليكفر عنها الكاهن. (٦ وَمَتَى كَمِلْتُ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا لِأَجْلِ ابْنِ أَوْ ابْنَةِ تَأْتِي بِخُرُوفٍ حَوْلِي مُحَرَّقَةً وَفَرْخَ حَمَامَةٍ أَوْ يَمَامَةٍ ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ إِلَى بَابِ خِيَمَةِ الْجَمَاعِ إِلَى الْكَاهِنِ ٧ فَيُقَدِّمُهُمَا أَمَامَ الرَّبِّ وَيُكْفَرُ عَنْهَا فَتَطْهَرُ مِنْ يَنْبُوعِ دَمِهَا. هَذِهِ شَرِيعَةُ الَّتِي تِلْدُ ذَكَرًا أَوْ أُنْثَى.) لاويين ١٢ : ٦-٧

الفصل الثالث والعشرين

المرأة الحائض في الكتاب المقدس مخطئة وكالمصابة بالجذام المرأة الحائض مثل المصاب بالجرب ، إن لمستها أو جلست على مكان كانت هي قد جلست عليه تكون أنت أيضًا نجسًا. وبهذا الحيض الذي يأتيها من عند الله ، (هذا تكوين وخلق الأنثى) تكون خاطئة وعليها أن تتطهر من ذنبها هذا بعد أيام طمئتها. أليس هذا ظلم للمرأة؟ لماذا تُحاسب على شيء لم تفعله ولم تكن شريكة فيه؟

(١٩ وَإِذَا كَانَتِ امْرَأَةٌ لَهَا سَيْلٌ وَكَانَ سَيْلُهَا دَمًا فِي لَحْمِهَا فَسَبْعَةَ أَيَّامٍ تَكُونُ فِي طَمْئِثِهَا. وَكُلُّ مَنْ مَسَّهَا يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٢٠ وَكُلُّ مَا تَضْطَجِعُ عَلَيْهِ فِي طَمْئِثِهَا يَكُونُ نَجِسًا وَكُلُّ مَا تَجْلِسُ عَلَيْهِ يَكُونُ نَجِسًا. ٢١ وَكُلُّ مَنْ مَسَّ فَرَاشَهَا يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٢٢ وَكُلُّ مَنْ مَسَّ مَتَاعًا تَجْلِسُ عَلَيْهِ يَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٢٣ وَإِنْ كَانَ عَلَى الْفَرَاشِ أَوْ عَلَى الْمَتَاعِ الَّذِي هِيَ جَالِسَةٌ عَلَيْهِ عِنْدَمَا يَمَسُّهُ يَكُونُ نَجِسًا إِلَى الْمَسَاءِ. ٢٤ وَإِنْ اضْطَجَعَ مَعَهَا رَجُلٌ فَكَانَ طَمْئِثًا عَلَيْهِ يَكُونُ نَجِسًا

سَبْعَةَ أَيَّامٍ . وَكُلُّ فِرَاشٍ يَضْطَجِعُ عَلَيْهِ يَكُونُ نَجَسًا . ٢٥ «وَإِذَا كَانَتِ امْرَأَةٌ يَسِيلُ سَيْلُ دَمِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي غَيْرِ وَقْتِ طَمِئِثِهَا أَوْ إِذَا سَالَ بَعْدَ طَمِئِثِهَا فَتَكُونُ كُلُّ أَيَّامٍ سَيَّلَانٍ نَجَاسَتِهَا كَمَا فِي أَيَّامِ طَمِئِثِهَا . إِنَّهَا نَجَسَةٌ . ٢٦ كُلُّ فِرَاشٍ تَضْطَجِعُ عَلَيْهِ كُلُّ أَيَّامٍ سَيْلِهَا يَكُونُ لَهَا كَفِرَاشٍ طَمِئِثِهَا . وَكُلُّ الْأَمْتَعَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجَسَةً كَنَجَاسَةِ طَمِئِثِهَا . ٢٧ وَكُلُّ مَنْ مَسَّهِنَّ يَكُونُ نَجَسًا فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ . ٢٨ وَإِذَا ظَهَرَتْ مِنْ سَيْلِهَا تَحْسِبُ لِنَفْسِهَا سَبْعَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ تَطْهَرُ . ٢٩ وَفِي الْيَوْمِ الثَّامِنِ تَأْخُذُ لِنَفْسِهَا بِمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخَيْنِ حَمَامٍ وَتَأْتِي بِهِمَا إِلَى الْكَاهِنِ إِلَى بَابِ خِيَمَةِ الْجَمْعِ . ٣٠ فَيَعْمَلُ الْكَاهِنُ الْوَاحِدَ ذَبِيحَةَ خَطِيئَةٍ وَالْآخَرَ مُحَرَّقَةً وَيُكْفِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ أَمَامَ الرَّبِّ مِنْ سَيْلِ نَجَاسَتِهَا .) لاويين ١٥ : ١٩-٣٠

ومعنى ذلك أنها على المرأة النفساء أن تقضى ربع عمرها واقفة ، لا تجلس ولا تنام ، لأن كل ما ستجلس عليه سيكون نجسًا ، للمساء ! وإن اقترح أحدكم أن يكون لها كرسيًا مخصصًا أو سريرًا مخصصًا لهذا الوقت ، فلك أن تتخيل مدى الفضيحة التي ستكون فيها عند وجود أقرباء أو ضيوف بالبيت ، ولك أن تتخيل مدى الإحراج الذي ستكون عليه بجلوسها منفردة معزولة ، الكل يفر منها ، ويبتعد عنها ، حتى لا يتنجس !

وقد كان اليهود لا يتركون زوجاتهم يخرجن للشارع لكي لا يتنجس المارة وخاصة المؤمنين منهم ، وكانوا يضعون سريرا أو خيمة للمرأة في فناء البيت لتنام عليه قريبًا من الكلب ، أثناء فترة طمسها ، حتى تطهر ، وكانت إذا لمست الكلب ، كان عليهم أن يحموه لأنه قد تنجس من ملامستها إياه . وكانت القطط تهرب منها ، لأنها تعلم أنها لو لمستها امرأة ستستحم بالماء ، الأمر الذي تكرهه القطط !!

فلك أن تحكم على قوم حكموا أن الكلب أطهر من المرأة ، فهل هذا كلام الله؟ وهل هؤلاء أناس كرموا المرأة أم أهانوها؟

والأهم من ذلك أن السيدة مريم أم الإله عند النصارى كانت نجسة بعد ولادتها الإله لمدة أربعين يومًا تقريبًا . وكان فى هذا الوقت الإله أيضًا نجسًا ، لأنها كانت تحمله وترضعه ، وتغير له ملابسه التى يبول فيها أو يتبرز . كما ظل هذا الإله على الأقل ربع حياته نجسًا (سبعة أيام فى الشهر التى تأتى أمه فيها دورتها الشهرية) إلى أن انفصل عن أمه .

الفصل الرابع والعشرين

الرب يحكم على المرأة المريضة بنزيف دموى بالموت إهمالًا لحالتها

أما إذا كانت مريضة بمرض يسبب لها نزيفًا ، فقد قضى عليها الرب بالموت إهمالًا! فأى طبيب هذا الذى سيتجرأ للكشف عليها لينجس نفسه حتى المساء؟

٢٥) «وَإِذَا كَانَتْ امْرَأَةٌ يَسِيلُ سَيْلُ دَمِهَا أَيَّامًا كَثِيرَةً فِي غَيْرِ وَقْتِ طَمْثِهَا أَوْ إِذَا سَالَ بَعْدَ طَمْثِهَا فَتَكُونُ كُلَّ أَيَّامٍ سَيَّالًا نَجَّاسَتِهَا كَمَا فِي أَيَّامِ طَمْثِهَا . إِنَّهَا نَجِسَةٌ . ٢٦ كُلُّ فِرَاشٍ تَضَطَّجِعُ عَلَيْهِ كُلَّ أَيَّامٍ سَيْلِهَا يَكُونُ لَهَا كَفَرَّاشٍ طَمْثِهَا . وَكُلُّ الْأَمْتِعَةِ الَّتِي تَجْلِسُ عَلَيْهَا تَكُونُ نَجِسَةً كَنَجَاسَةِ طَمْثِهَا . ٢٧ وَكُلُّ مَنْ مَسَّهِنَّ يَكُونُ نَجَسًا فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَسْتَحِمُّ بِمَاءٍ وَيَكُونُ نَجَسًا إِلَى الْمَسَاءِ .) لاويين ١٥ :

٣٠-١٩

حتى من مسها واستحم ، يكون نجسًا للمساء ، ولا أدرى هل لو لمس فرد ما أحد هؤلاء الأنجاس حتى المساء ، هل سيتنجس هو الآخر معه حتى المساء؟ وكيف سيكون الحال لو لمسها أحد فى المساء؟ فإلى متى تستمر نجاسته؟

الفصل الخامس والعشرين

المرأة فى الكتاب المقدس تُسبب شللًا للحياة العامة:

وعلى ذلك تكون عندهم فكرة المواصلات العامة فكرة فاشلة لأن الكل سيكونون أنجاس! أو على السائق أو الركاب تفتيش النساء تفتيشًا ذاتيًا حتى يضمنوا عدم نجاستهم لكى تقبل صلاتهم!

ولا يمكن لها أن تبيع أو تشتري ، لأن النقود التي ستمسكها ستكون نجسة وستنجس من يأخذها ، ولا يمكنها خدمة زوجها أو أولادها في البيت أو تطيب أو إسعاف أحد منهم !

ولا يصح لها أن تعمل بالطب أو التمريض أو الصيدلة أو المحاماة أو التدريس أو البيع أو الشراء أو تصنيع الغذاء أو الملابس أو أى شئ . فأى تعقيد وإهانة أرادها هذا الكتاب للمرأة ؟ أى إذلال يمكن أن يكون بعد ذلك للمرأة ؟ وعلى هذا فلا يمكن أن يكون هذا الكتاب الذى يفضح أخص خصوصيات المرأة ، ويُعريها من الستر ، ويجردها من الحياء أمام البشر ، كتاباً منزلاً من عند الله !! فإن هذا الدين وهذا الكتاب غير صالح لكل زمان ، بل غير صالح لأى زمان .

الفصل السادس والعشرين

قوامة الرجل على المرأة فى الإسلام :

قال الله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ النساء ٣٤

وقال تعالى : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة ٢٢٨

يقول ابن عباس فى تفسيره لقوله تعالى ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ إن (الدرجة) التى ذكر الله تعالى فى هذا الموضع هى الصنف من الرجل لامرأته عن بعض الواجب عليها ، وإغضاؤه لها عنه ، وأداء كل الواجب لها عليه . وذلك أن الله تعالى قال ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ عقيب قوله : ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ، ثم ندب الرجال إلى الأخذ عليهن بالفضل ، إذا تركن أداء بعض ما أوجب الله لهم عليهن ، ليكون لهم فضل درجة . وهى لافته عظيمة للرجل أن يحسن العشرة ومعاملة زوجته ويتحامل على نفسه ولا يُعضلها .

ومعنى ذلك أن الرجل وله فضل ما . سواء كان هذا الفضل هو الجهاد أو القوامة أو إفضاله على زوجته وصفحه عن بعض الواجب له عليها . ينبغي أن يتحامل على نفسه ، رفقا برعيته . وذلك حتى يستحق مكان القيادة وفضلها ، فإذا كان للقوامة فضل وشرف فهو فضل الرعاية الحانية وشرف تحمل المسؤولية . ولا فضل للقيم المقصر في رعايته أو الغافل عن أعباء مسؤوليته . ثم إنه إذا كان للرجل فضل القوامة وشرفها ، فإن للمرأة فضل السكن وشرف المودة .

ويقول صاحب "عودة الحجاب" : (واعلم أنه ليس حُسن الخلق معها كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها ، واقتداء برسول الله ﷺ ، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام ، وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل ، وراجعت امرأة عمر عمرَ رضى الله عنه فقال : "أتراجعيني؟" ، فقالت : "إن أزواج رسول الله ﷺ يراجعنه ، وهو خير منك" .)

وقال الإمام محمد عبده في تفسيره : وأما قوله تعالى : ﴿وَالرِّجَالُ عَلَىٰ نِجَابٍ﴾ فهو يوجب على المرأة وعلى الرجال أشياء . ذلك أن هذه الدرجة هي درجة الرياسة والقيام على المصالح المُفسَّرة بقوله تعالى : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ . فالحياة الزوجية حياة اجتماعية ، ولا بد لكل اجتماع من رئيس ، لأن المجتمعين لا بد أن تختلف آراؤهم ورغباتهم في بعض الأمور ، ولا تقوم مصلحتهم إلا إذا كان لهم رئيس يُرجع إلى رأيه في خلاف ، لئلا يعمل كل على ضد الآخر فتفصم عروة الوحدة الجامعة ويختل النظام . والرجل أحق بالرياسة لأنه أعلم بالمصلحة ، وأقدر على التنفيذ بقوته وماله ، ومن ثم كان هو المُطالب شرعاً بحماية المرأة والنفقة عليها ، وكانت هي مطالبة بطاعته في المعروف ، حيث (لا طاعة في معصية الله ، إنما الطاعة في المعروف) كما قال الرسول ﷺ . [مسلم]

على أن هناك مشكلة ولكنها ليست في مبدأ إسناد الرئاسة للرجل ، بل هي

فى ضعف أو سوء شخصية الرئيس ، أو شخصية المرؤوس أو فى كليهما . وإذا كان لكل مؤسسة نظام يحكم العلاقة بين الرئيس ومرؤوسيه ، وصلاحيات كل فرد ، فكذلك الحال فى الأسرة . ولكن رغم وجود النظام الذى يحدد العلاقات والصلاحيات ، إلا أن التطبيق الفعلى قد يجرى على خلاف النظام المشروع .

نعم . إنه لأمر فطرى بدهى أن يكون لكل مؤسسة صغيرة أو كبيرة رئيس يدير شئونها . وهذا الأمر تؤكده قواعد الإدارة العلمية ، وعلى ذلك فإن الأسرة باعتبارها مؤسسة لا بد لها من رئاسة . ولا يختلف اثنان أن الرجل يمتاز - فى عامة الأحوال - بغلبة العقل على العاطفة ، بينما تمتاز المرأة بفيض من العاطفة والحنان زيادة عن الفروق البدنية والنفسية ومنها رقة بدنها وشدة انفعالها .

إضافة إلى ذلك فإنها فى بعض الفترات تمر بحالة من حالات الضعف البدنى أو النفسى ، مما يلجئها إلى قدر من اعتزال الحياة العامة ، ومن هذه الفترات أيام الطمث والحمل والولادة والرضاعة ، الأمر الذى يتطلب فضل الرجل (قوامته) على امرأته ، ليغمرها بعطفه وعفوه .

أما الرجل فيظل - فى غالب أحواله - يتمتع بمزيد من القوة العضلية ، ومن القلق الحافز على المضى والصراع الإيجابى الخارجى ، بينما القلق الحافز لدى المرأة غالباً ما يدور حول أطفالها وتدير شئون بيتها .

هذا فضلاً عن اتساع دائرة مخالطة الرجل لمجالات الحياة خارج البيت ، مما يجعله أقدر على كسب خبرة أوسع وأثبت . فإذا تولى الرئاسة كان ذلك أعون على استقرار شئون الأسرة .

وعلى ذلك فالقوامة فى الإسلام منحصرة فى مجال الأسرة فقط ، ولا قوامة للرجل على المرأة فيما هو مال خاص بها أو فيما تملك . وهى قوامة استحقها الرجل بما فرض الإسلام عليه من واجب الإنفاق على المرأة .

وقد استحسّن القديس أوغسطين أن يتخذ الرجل إلى جانب زوجته سرية ،

إذا ما كانت زوجته عقيمًا ، وثبت عقمها ، وإن كان لم يسمح بمثل ذلك للزوجة ، إذا ثبت أن زوجها هو العقيم ، وليس ذلك خوفًا من اختلاط الأنساب ، ولكن لأمن الأسرة . لأنه كما قال فى كتابه (الزواج الأفضل) : لا يصح أن يكون بالأسرة سيدان . فهو يعترف أيضًا بسيادة الرجل على أسرته .

الفصل السابع والعشرين

حديث سجود المرأة لزوجها :

أما حديث (. . . . لو كنت امرأة أحدًا أن يسجد لأحد ، لأمرت النساء أن يسجدن لأزواجهن ، لما جعل الله عليهن من الحق) أخرجه أبو داود وقال الحاكم : (صحيح الإسناد) ، ووافقه الذهبي .

وقد روته السيدة عائشة رضى الله عنها فقالت : (قال رسول الله (: « لو أمرت أحدًا أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها » [أحمد وابن ماجه]

ليس كل سجود مقصود به العبادة ، بل السجود معناه الخضوع والإستسلام والتوقير والعرفان بالجميل والبر ، وهذا نفهمه من أمر الله سبحانه وتعالى للملائكة بالسجود لآدم ، فهذا الأمر فيه خضوع واستسلام لأمر الله تعالى . وكذلك كان سجود نبي الله يوسف لأبويه هو من باب بره بهم ، وعرفانه بجميلهم ، وهذا نراه اليوم فى الابن البار عندما يقبل يد أبيه وأمه . ونراه فى نزول الراكب من على دابته احترامًا لشيخه أو تبجيلًا لكبير العائلة ، أو برًا به إن كان أبوه ، كما نراه لليوم فى مجالس العلم ، عندما يدخل أحد العلماء فيقف لهم باقى المتعلمين احترامًا وتبجيلًا للعمل الذى يقوم به ويقدمه للناس .

والمعنى من ناحية التركيب اللغوى فإنه يدل على امتناع وقوعه ، لاستخدامه كلمة (لو) ، ومعناه امتناع أحد أن يسجد لبشر ، لكن يظل التعبير عن عظم حق الزوج على امرأته . وأما واقعه فلم يحفظ تاريخ المسلمين سجود امرأة لزوجها ،

بل حفظ عنهم تمام كرامتهم ، كما حفظ احتفاظها برأيها ، وما لها وشخصيتها .
فإن عمر بن الخطاب لم يستطع أن يمنع امرأته من الذهاب إلى المسجد حتى في ظلام الليل في العشاء والفجر .

الفصل الثامن والعشرين

سيادة الرجل على المرأة في الكتاب المقدس :

هي قوامة العبد على سيده ، وهذا يتضح من النصوص الكتابية ، ومن نصوص الآباء والقديسين :

(١٦) وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أَكْثَرُ أَتَعَابَ حَبْلِكَ . بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا . وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيَاقُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ» . تكوين ٣ : ١٦

(٢٢) أَيُّهَا النِّسَاءُ اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا لِلرَّبِّ ، ٢٣ لِأَنَّ الرَّجُلَ هُوَ رَأْسُ الْمَرْأَةِ كَمَا أَنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا رَأْسُ الْكَنِيسَةِ ، وَهُوَ مُخَلَّصُ الْجَسَدِ . ٢٤ وَلَكِنْ كَمَا تَخْضَعُ الْكَنِيسَةُ لِلْمَسِيحِ ، كَذَلِكَ النِّسَاءُ لِرِجَالِهِنَّ فِي كُلِّ شَيْءٍ . أفسس ٥ : ٢٢-٢٤

(١٨) أَيُّهَا النِّسَاءُ ، اخْضَعْنَ لِرِجَالِكُنَّ كَمَا يَلِيقُ فِي الرَّبِّ . (كولوسي ٣ : ١٨)
(٣) وَلَكِنْ أُرِيدُ أَنْ تَعْلَمُوا أَنَّ رَأْسَ كُلِّ رَجُلٍ هُوَ الْمَسِيحُ . وَأَمَّا رَأْسُ الْمَرْأَةِ فَهُوَ الرَّجُلُ . وَرَأْسُ الْمَسِيحِ هُوَ اللَّهُ . (كورنثوس الأولى ١١ : ٣)

(٧) فَإِنَّ الرَّجُلَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُعْطِيَ رَأْسَهُ لِكُونِهِ صُورَةً لِلَّهِ وَمَجْدَهُ . وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ . ٨ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ مِنَ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ . ٩ وَلِأَنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُخْلَقْ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ بَلِ الْمَرْأَةُ مِنْ أَجْلِ الرَّجُلِ . (كورنثوس الأولى ١١ : ٧-٩)

ظلت النساء طبقاً للقانون الإنجليزى العام - حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً - غير معدودات من "الأشخاص" أو "المواطنين" ، الذين اصطلح القانون على تسميتهم بهذا الاسم ، لذلك لم يكن لهن حقوق

شخصية ، ولا حق في الأموال التي يكتسبها ، ولا حق في ملكية شيء حتى الملابس التي كنَّ يبسها . أليس هذا استعباد للمرأة وليست فقط قوامة؟

و(نص القانون المدني الفرنسي (بعد الثورة الفرنسية) على أن القاصرين هم الصبي والمجنون والمرأة ، حتى عُدَّ عام ١٩٣٨ ، ولا تزال فيه بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة .) أليس هذا استعباد للمرأة وليست فقط قوامة؟

وبالتالي لم يكن لها الحق في امتلاك العقارات أو المنقولات ، ولم يكن لها الحق في أن تفتح حسابًا في البنك باسمها ، وبعد أن سمحوا أن يكون لها حساب ، لم يكن لها الحق أن تسحب منه ، فعلى زوجها أن يأتي ليسحب لها نقودا من حسابها ، الأمر الذي لا يتم إلا مع الأولاد القُصَّر والمجانين .

وكان شائعًا في بريطانيا حتى نهاية القرن العاشر قانون يعطى الزوج حق بيع زوجته وإعارتها بل وفي قتلها إذا أصيبت بمرض عضال " . أليس هذا استعباد للمرأة وليست فقط قوامة؟

وقال القديس تيرتوليان: (إن المرأة مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، ناقضة لنواميس الله ، مشوهة للرجل) فإذا كانت المرأة هي مدخل الشيطان ، وأساس الخطيئة الأزلية ، فكيف تريدنا أن نعطيها القوامة ، وهي السبب في موت الإله على زعمكم؟

(وفي زمن شباب النبي محمد ﷺ عقد الفرنسيون في فرنسا عام ٥٨٦ م (مجمع باكون) لبحث: هل تُعد المرأة إنسانًا أم غير إنسان؟ وهل لها روح أم ليس لها روح؟ وإذا كان لها روح فهل هي روح حيوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كانت روحًا إنسانيًا ، فهل هي على مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟ وأخيرًا: قرروا أنها إنسان ، ولكنها خُلِقَتْ لخدمة الرجل فحسب .) فأيهما أنصف المرأة: القوامة في الإسلام أم الاستعباد في المسيحية واليهودية؟

يقول توما الإكويني: (إن المرأة خاضعة للرجل لضعف طبيعتها الجسمية والعقلية معًا. والرجل مبدأ المرأة ومنتهاها، كما أن الله مبدأ كل شيء ومنتهاها. وقد فُرضَ الخضوع على المرأة عملاً بقانون الطبيعة، أما العبد فليس كذلك).

وقد ظلت المرأة في نظر القساوسة ورجال الدين كما كانت عند القديس يوحنا فم الذهب: شرًا لا بد منه، وإغواءً طبيعيًا، وكارثة مرغوبًا فيها، وخطرًا منزليًا، وفتنة مهلكة، وشرًا عليه طلاء، وهي أداة الشيطان المحببة التي يقود بها الرجال إلى الجحيم). (الفيلسوف المسيحي والمرأة ص ١٤٤)

(وكان القانون المدني أشدّ عداءً للمرأة من القانون الكنسي، فقد كان كلاً من القانونين يجيز ضرب الزوجة، وينص على ألا تُسمح للنساء كلمة في المحكمة "لضعفهن". ويُعاقب على الإساءة للمرأة بغرامة تعادل نصف ما يُفرض على الرجل نظير الإساءة نفسها. وقد حرّم القانون النساء. حتى أرقاهن مولداً. من أن يُمثّلن ضياعهن في برلمان إنجلترا، أو في الجمعية العامة للطبقات في فرنسا. وكان الزواج قد أعطى الزوج الحق الكامل في الانتفاع بكل ما للزوجة من منافع وقت الزواج، والتصرف في ريعه).

ويرى كلمنت أن النقص لا يصيب إلا الأنثى، ومن هنا كانت ولاية الرجل عليها فرضاً: (لا شيء مخزٍ أو شائن عند الرجل الذي وهبه الله العقل. لكن المسألة ليست على هذا النحو بالنسبة للمرأة التي تجلب الخزي والعار، حتى عندما تفكر في طبيعتها، ماذا عساها أن تكون... إن المرأة موجود أدنى من الرجل، بسبب العقل الذي هو تاج الرجل، وهو يحافظ عليه نقياً دون أن تشوبه شائبة "العقل أمانة عند الرجل لا يلحقه خطأ، ولا يعتريه عيب أو قصور... أما عند المرأة فإننا نجد لها بطبيعتها شيئاً مخزياً ومخجلاً حقاً...") فكيف تُعطى القوامة لشخص فاقد الأهلية، وتسبب في موت الإله على زعمكم؟

الأمر الذي لا نراه قد حدث مع المرأة المسلمة. فاستقلال شخصية المرأة

المسلمة وما قدمه الإسلام لها تكشفه المقارنات الواقعية للأسلوب الذى تعامل به المرأة لدى الغربيين ومن نهج نهجهم والذين لا يزالون - حتى اليوم - لا يعترفون للمرأة بذمة مالية مستقلة ولا كيان مالى مستقل حتى عند صرف شيك من المصرف حيث يشترط إلى جوارها توقيع الزوج .

وأكثر من هذا وضوح فى تبعية المرأة لزوجها فى الغرب - وليس عند أهل الإسلام - ما نراه من سبب المرأة اسم أسرتها بمجرد اقترانها برجل ، مثل المسز غاندى ابنة الزعيم الراحل نهرو والمرأة الحديدية المسز تاتشر ، والسيدة جاكلين التى اقترنت يوما بالرئيس الراحل كيندى فكانت جاكلين كيندى وبعد موته تزوجت الملياردير أوناسيس فأصبحت جاكلين أوناسيس وهكذا .

فهل نحن أمام امرأة لها احترامها ولها ملامح شخصيتها كما يعاملها الإسلام؟ أم أمام سلعة تحمل اسم المشتري بمجرد إتمام البيع؟ ونعرض للمزيد فى أمر استقلال شخصية المرأة فيما يلى من تعقيبات .

الفصل التاسع والعشرين

زوجة العبد وأولادها ملك لسيده فى المسيحية:

(٢) إِذَا اشْتَرَيْتَ عَبْدًا عِبْرَانِيًّا فَسَتْ سِنِينَ يَخْدُمُ وَفِي السَّابِعَةِ يَخْرُجُ حُرًّا مَجَانًّا . ٣ إِنْ دَخَلَ وَحْدَهُ فَوَحْدَهُ يَخْرُجُ . إِنْ كَانَ بَعْلَ امْرَأَةٍ تَخْرُجُ امْرَأَتُهُ مَعَهُ . ٤ إِنْ أَعْطَاهُ سَيِّدُهُ امْرَأَةً وَوَلَدَتْ لَهُ بَيْنَ أَوْ بَنَاتٍ فَالْمَرْأَةُ وَأَوْلَادُهَا يَكُونُونَ لِسَيِّدِهِ وَهُوَ يَخْرُجُ وَحْدَهُ . ٥ وَلَكِنْ إِنْ قَالَ الْعَبْدُ: أُحِبُّ سَيِّدِي وَامْرَأَتِي وَأَوْلَادِي . لَا أَخْرُجُ حُرًّا ٦ يُقَدِّمُهُ سَيِّدُهُ إِلَى اللَّهِ وَيُقَرِّبُهُ إِلَى الْبَابِ أَوْ إِلَى الْقَائِمَةِ وَيَتَّقَبُّ سَيِّدُهُ أُذُنَهُ بِالْمِثْقَبِ فَيَخْدُمُهُ إِلَى الْأَبَدِ .) خروج ٢١ : ٢-٦

وقد وافق أتباع الكتاب المقدس من النصارى على هذه العبودية إزاء الإضطهاد الذى لاقوه من أباطرة الرومان وأمام الأمر الواقع أعلن دعايتهم أن المساواة التى يعنونها هى المساواة الروحية فالناس أمام الله سواء ، أما لجسد

فقد خلق للدينا وعليه أن يخضع لكل ذى سلطان ويتحمل كما تحمل السيد المسيح ليهون بهذا الخضوع على المؤمنين ، وقد برروا سلطة الحاكم بأنها ترتيب من الله ، فمن يقاومها يدينه الله لأنها من أمره .

وقد ارتكنوا فى تبريرهم هذا إلى أقوال بولس فى (١)التَّخَضُّعُ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلَاطِينِ الْفَائِزَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلَّا مِنَ اللَّهِ وَالسَّلَاطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرْتَبَةٌ مِنَ اللَّهِ ٢ حَتَّى إِنْ مَنْ يُقَاوِمُ السُّلْطَانَ يُقَاوِمُ تَرْتِيبَ اللَّهِ وَالْمُقَاوِمُونَ سَيَأْخُذُونَ لَأَنْفُسِهِمْ دَيْنُونَةً. رومية ١٣ : ١-٢ ؛

و(٥)أَيُّهَا الْعَبِيدُ، أَطِيعُوا سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ بِخَوْفٍ وَرَعْدَةٍ، فِي بَسَاطَةِ قُلُوبِكُمْ كَمَا لِلْمَسِيحِ - ٦ لَا بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ، عَامِلِينَ مَشِئَةَ اللَّهِ مِنَ الْقَلْبِ، ٧ خَادِمِينَ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ كَمَا لِلرَّبِّ، لَيْسَ لِلنَّاسِ. أفسس ٦ : ٥-٧ ؛

و(٢٢)أَيُّهَا الْعَبِيدُ، أَطِيعُوا فِي كُلِّ شَيْءٍ سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ، لَا بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَنْ يُرْضِي النَّاسَ، بَلْ بِبَسَاطَةِ الْقَلْبِ، خَائِفِينَ الرَّبِّ. كولوسى ٣ : ٢٢ ؛

و(١)جَمِيعُ الَّذِينَ هُمْ عَبِيدٌ تَحْتَ نِيرٍ فَلْيَحْسِبُوا سَادَتَهُمْ مُسْتَحَقِّينَ كُلِّ إِكْرَامٍ، لِئَلَّا يُفْتَرَى عَلَى اسْمِ اللَّهِ وَتَعْلِيمِهِ. ٢ وَالَّذِينَ لَهُمْ سَادَةٌ مُؤْمِنُونَ لَا يَسْتَهِنُوا بِهِمْ لِأَنَّهُمْ إِخْوَةٌ، بَلْ لِيَخْدِمُوهُمْ أَكْثَرُ، لِأَنَّ الَّذِينَ يَتَشَارَكُونَ فِي الْفَائِدَةِ هُمْ مُؤْمِنُونَ وَمَحْبُوبُونَ. عَلَّمَ وَعَظَ بِهَذَا. تيموثاوس الأولى ٦ : ١-٢ ،

و(٩)وَالْعَبِيدَ أَنْ يَخْضَعُوا لِسَادَتِهِمْ، وَيَرْضَوْهُمْ فِي كُلِّ شَيْءٍ، غَيْرَ مُنَاقِضِينَ، ١٠ غَيْرَ مُخْتَلِسِينَ، بَلْ مُقَدِّمِينَ كُلَّ أَمَانَةٍ صَالِحَةٍ، لِكَيْ يُزَيَّنُوا تَعْلِيمَ مُخْلِصِنَا اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ. ٢. ٩-١٠ ؛

و(١)أَيُّهَا السَّادَةُ، قَدِّمُوا لِلْعَبِيدِ الْعَدْلَ وَالْمُسَاوَاةَ، عَالِمِينَ أَنَّ لَكُمْ أَنْتُمْ أَيْضًا سَيِّدًا فِي السَّمَاوَاتِ. كولوسى ٤ : ١

"بناء على مبدأ الخضوع القائم على أمر الله واستنادًا لهذه النصوص أقرت الكنائس على اختلافها شرعية الرق، وبأبحت الاسترقاق، ولم ير فيه الباباوات والقديسين ومنهم القديس (سيريانوس) والبابا (جريجوار الأكبر) أى حرج، حتى قال القسيس باسيلوس فى كتابه (القواعد الأدبية) بعد أن أورد ما جاء فى رسالة بولس إلى أهل أفسس : "هذا يدل على أن العبد تجب عليه طاعة مواليه كطاعة الله " .

وقال القديس (توماس): "إن الله قضى على بعض الناس أن يكونوا أرقاء ليكونوا محكومين: وخص آخرين بالحرية ليكونوا حاكمين، فالناس جسم كبير، وكل فرد هو عضو منه له عمله ووظيفته، وعليه أن يقوم بعمله ويؤدى وظيفته بأمانة وإخلاص، وقد خص الله الأرقاء بالوظائف الحقيمة فى المجتمع وعوضهم عن إحتقار الناس لهم بثواب الآخرة وبذلك اعتبرت المسيحية الرق نظامًا إلهيًا " .

وقال القديس الفرنسى الشهير (بوسويت): "إن من حق المحارب المنتصر قتل المقهور، فإن استعبده واسترقه فذلك منه منته وفضل ورحمة " .

ونصح القديس (ايزيدروس) ٣٧٠ - ٤٥٠م العبيد بألا يطمعوا فى التحرر من الرق، ولو أرادهم أسيادهم، بل لا يسوغ للعبد أن يتشوق إلى الحرية، فإنه ببقائه على انرق يحاسب يوم القيامة حسابًا يسيرًا، لأنه يكون قد خدم مولاه الذى فى السماء ومولاه الذى على الأرض .

وبمثل هذا نادى (بونسون) فى مواعظه ، وإذا كان بعض رجال الكنيسة قد عارض الإسترقاق فذلك ينصب على الأسرى المسيحيين دون غيرهم " .

وقد جاء فى دائرة معرف لاروس "إن رجال الدين الرسميين يقرون بصحة الاسترقاق ويسلمون بشرعيته " ثم قالت : "ولم يسع فى إبطاله إلا الثورة الفرنسية التى قضت بأن الدنس جميعا متساوون فى الحقوق والواجبات " .

ومن رجال الكنيسة الذين أيدوا الاسترقاق وأباحوا النخاسة الأب (بوفيه) أسقف مدينة ليماس والأب (فورديفيد) أسقف دير الروح القدس .

"وفي العصور الأخيرة كان الأوروبيون يحصلون على زنوج أفريقيا بطرق مشبوهة وينقلونهم إلى أمريكا " .

وأيدت الكنيسة استرقاق الزوج واستندت في ذلك إلى ما ورد في التوراة من أن نوحًا لعن ابنه (حاما) ودعا ربه أن يجعله هو وأولاده عبيدًا لأخويه (سام) و(يافت) ولأولادهما من بعدهما (سفر التكوين ٩ : ٢٠-٢٧) . (نقلا عن الرق في الإسلام لمحمود عبد الوهاب من ص ١٣ - ١٦)

ومازلنا نسمع ونقرأ عن مثل هذه التفرقة العنصرية من المبشرين تجاه النصارى من سكان جنوب أفريقيا ، كما نسمعها ونراها في معاملة الأمريكان للزنوج .

فقد علقت بعض اللافتات في بعض الفنادق والنوادي مكتوب عليها بالخط البارز الواضح (ممنوع دخول السود والكلاب) وإذا اقترب زنجى منها فتك به البيض إلى أن يسلم الروح ، ولا يستطيع رجال الشرطة أن يخلصونه من أيديهم أو ينقذوه من براثنهم " .

"وقد قرأنا أن البيض في أمريكا فتكوا بزنجى أمام رجال الشرطة وبمراى منهم لأنه مشى بجانب فتاة أمريكية بيضاء وبأذن منها لا قهراً عنها " .

"وحكمت محكمة أمريكية بالإعدام على الزنجى (جيمس ولسون) وجريمته كما أعلنت المحكمة أنه سرق دولارين إلا ربعا من امرأة بيضاء " .

وبمقتضى القانون الأسود - الذى عنى بشئون الأرقاء - "الصادر فى فرنسا سنة ١٦٨٥ كان الزنجى إذا اعتدى على أحد الأحرار أو سرق يعاقب بالقتل أو بعقاب بدنى آخر . وإذا أبق يعاقب بصلم الأذنين والحديد المحمى فى المرة الأولى والثانية ويقتل فى الثالثة " .

وفى عهد الملك الفرنسى لويس الرابع عشر، أى فى القرن (١٨) صدر قانون جاءت فيه هذه العبارة: "إنه من توفية حق النظام ألا تتنازل عن احتقار الجنس الأسود مهما كانت منزلته"

"وكان لا يسمح لزوى الألوان أن يحضروا لفرنسا لطلب العلم، وفى انجلترا صدر قانون ينص على أن العبد إذا أبق واستمر فى إبقائه أكثر من ستة أشهر فجزاؤه القتل".

"وفى أمريكا الجنوبية كان لا يسمح للعبد أن يطوف بشوارع المدينة إلا بتصريح".

"وصرح قانونهم بأن العبد لا روح له ولا عقل، وحياته محصورة فى ذراعيه، وفى الأمريكتين نحو (١٥) مليوناً من السود خطفهم النخاسون الغربيون من أفريقيا ونقلوهم إليها عبيداً (الرق فى الإسلام لمحمود عبد الوهاب ص ١٣-١٧)

لقد كان الرقيق فى عرف الإمبراطورية الرومانية المسيحية (شيئاً) لا بشراً. شيئاً لا حقوق له البتة، وكان عليه كل ثقل من الواجبات. وكان يأتى عن طريق غزو القبائل الضعيفة واستعباد أهلها. ولم يكن هذا الغزو لفكرة أو لمبدأ سام، وإنما كان سببه الوحيد هو شهوة استعباد الآخرين وتسخيرهم لمصلحة الرومان. فلكى يعيش الرومانى عيشة البذخ والترف، يستمتع بالحمامات الباردة والساخنة، والثياب الفاخرة، وأطايب الطعام من كل لون، ويغرق فى المتاع الفاجر من خمر ونساء ورقص وحفلات ومهرجانات، كان لا بد لكل هذا من استعباد الشعوب الأخرى وامتصاص دمايتها.

وكان الرقيق يعملون فى الحقول وهم مصفدون فى الأغلال الثقيلة التى تكفى لمنعهم من الفرار. ولم يكونوا يُطعمون إلا إبقاءً على وجودهم ليعملوا، لا لأن من حقهم. حتى كالبهائم أو الأشجار. أن يأخذوا حاجتهم من الغذاء. وكانوا فى أثناء العمل يساقون بالسوط، لغير شىء إلا اللذة الفاجرة التى يحسها

السيد أو وكيله فى تعذيب هذه المخلوقات. وفى الليل يُحشرون فى زنانات مظلمة كريهة الرائحة تعيث فيها الحشرات والفئران، فيلقون فيها عشرات عشرات، قد يبلغ خمسين فردًا فى الزنانة الواحدة بأصفادهم، فلا يتاح لهم حتى الفراغ الذى يُتاح بين بقرة وبقرة فى حظيرة الحيوانات.

ولكن الشناعة الكبرى كانت أفظع من كل ذلك، وأدل على الطبيعة الوحشية التى ينطوى عليها ذلك الرومانى المسيحى، والتى استنبطها من كتابه المقدس، وورثها عنه الأوربى الحديث فى وسائل الاستعمار والاستغلال: (١٥) فَضْرَبَا تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ وَتَحْرِمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. ١٦ تَجْمَعُ كُلُّ أُمَّتِيعَتِهَا إِلَى وَسْطِ سَاحَتِهَا وَتُحْرَقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةُ وَكُلُّ أُمَّتِيعَتِهَا كَامِلَةً لِلرَّبِّ إِلَهِكَ فَتَكُونُ تَلًّا إِلَى الْأَبَدِ لَا تُبْنَى بَعْدُ.)
تشنية ١٣ : ١٥ - ١٧

(١١) وَضْرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمُوهُمْ. وَلَمْ تَبْقَ نَسَمَةٌ. وَأَحْرَقَ حَاضُورَ النَّارِ. ١٢ فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مَدْنٍ أُولَئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعِ مُلُوكِهَا وَضْرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمَهُمْ كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ.) (يشوع ١١ : ١١ - ١٢)
(٣) فَالآنَ اذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلَا تَعْفُ عَنْهُمْ بَلْ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا) صموئيل الأول ١٥ : ٣

(٣) وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِينَ بِهَا وَنَشَرَهُمْ بِمَنَاشِيرٍ وَنَوَارِجٍ حَدِيدٍ وَفُؤُوسٍ. وَهَكَذَا صَنَعَ دَاوُدُ لِكُلِّ مَدْنٍ بَنَى عَمُونَ. ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدُ وَكُلُّ الشَّعْبِ إِلَى أُورُشَلِيمَ.) أخبار الأيام الأول ٢٠ : ٣

(٨) يَا بِنْتُ بَابِلَ الْمُخْرَبَةُ طُوبَى لِمَنْ يُجَارِيكَ جَزَاءُكَ الَّذِي جَارَيْتَنَا! ٩ طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكَ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ!) مزامير ١٣٧ : ٨ - ٩

(١٦) تُجَارَى السَّامِرَةُ لِأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلَهِهَا. بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ. نُحْطِمُ أَطْفَالَهُمْ وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ) هوشع ١٣ : ١٦

[اغْبُرُوا فِي الْمَدِينَةِ وَرَاءَهُ وَاصْرَبُوا. لَا تُشْفِقُوا أَعْيُنُكُمْ وَلَا تَعْفُوا. ٦ الشَّيْخَ وَالشَّابَّ وَالْعَذْرَاءَ وَالطِّفْلَ وَالنِّسَاءَ. اقْتُلُوا لِلْهَلَاكِ. وَلَا تَقْرُبُوا مِنْ إِنْسَانٍ عَلَيْهِ السَّמَةُ، وَابْتَدِئُوا مِنْ مَقْدِسِي؛. فَابْتَدَأُوا بِالرِّجَالِ الشُّيُوخَ الَّذِينَ أَمَامَ الْبَيْتِ. ٧ وَقَالَ لَهُمْ: [نَحْسُوا الْبَيْتَ، وَامْلَأُوا الدُّورَ قَتْلَى. اخْرُجُوا]. فَخَرَجُوا وَقَتَّلُوا فِي الْمَدِينَةِ.] حزقيال ٩ : ٥-٧

هذه الروح العدائية للنفس البشرية هي التي جعلتهم يستمتعون ، أى والله يستمتعون ، بل يتلذذون بمشاهدة مباريات المبارزة بالسيف والرمح بين الرقيق ، مباريات تطير فيها أجزاء من الجسم ، ويحرص كل مصارع على قتل أخيه ، وهنا ترتفع الصيحات ، وتهتف الحناجر بالهتاف وترتفع الأكف بالتصفيق ، وتنطلق الضحكات السعيدة من أعماق نفوس المشاهدين حين يقضى أحد المتبارزين على أخيه قضاءً كاملاً ، فيلقيه طريحاً على الأرض فاقدًا بعض أجزاء جسده وروحه!!

وكانت المصارعات تشمل أيضًا مصارعة أحد الرقيق لأحد الحيوانات المفترسة! تخيل أيها القارئ هذا المظر!! تخيل أنهم رموك إلى أحد الأسود أو التماسيح الجائعة ، وهم يتضاحكون ويعتبرون هذا من مجبات الفرح والسرور إلى قلوبهم الخربة!! تخيل أن التماسيح أو الأسود أو النمر غلب أباك أو أخاك وجلس يلتهمهم أمام عينك!! فأين الدين ، وأين الأخلاق ، وأين المحبة!!

الفصل الثلاثين

العبد وزوجته وأولاده في الإسلام:

جاء الإسلام ليرد لهؤلاء البشر إنسانيتهم ويساويهم بأسيادهم ويباقي البشر:

جاء ليقول للسادة عن الرقيق: ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ النساء ٥

جاء ليعلن أن أرواحهم غالية مثل أرواح كل البشر. جاء ليقرر أنهم بشر عند الله كأسيادهم، بل ليساويهم بأسيادهم. قال رسول الله ﷺ: «من قتل عبده قتلناه ،

ومن جدع عبده جدعناه ، ومن أخصى عبده أخصيناه» رواه الشيخان وغيره .

جاء ليقرر وحدة الأصل والمنشأ والمصير : قال رسول الله ﷺ : «أنتم بنو آدم ، وآدم من تراب» مسلم

جاء ليرفع قدر العبيد ويعلن إنسانيتهم ، واحتمال أن يكونوا عند الله أفضل من أسيادهم : قال رسول الله ﷺ : «ألا لا فضل لعربي على أعجمي ، ولا لأعجمي على عربي ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى» أخرجه الطبري

جاء ليأمر السادة بالإحسان إلى عبيدهم كما يحسنون إلى آبائهم وأقربائهم : ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ النساء ٣٦

جاء ليقرر أن السادة هم أهل للجارية ، يُستأذنون في زواجها ، وأن العلاقة بين السادة والرقيق ليست علاقة الاستعلاء والاستعباد ، أو التسخير أو التحقير ، وإنما هي علاقة القربى والأخوة : ﴿فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن فَيِّتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَاذْكُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ النساء ٢٥

جاء ليقرر أن الرقيق هم أخوة لأسيادهم : قال رسول الله ﷺ : «إخوانكم خولكم . . فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يَطعم ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم» حديث رواه البخاري .

بل تغلغل الإسلام أكثر من ذلك في نفس أتباعه للوصول بهم إلى مراعاة شعور العبيد ويشعرهم أنهم عباد لله فقط وأن أسيادهم ما هم إلا أخوانهم وأهلهم : قال رسول الله ﷺ : «لا يقل أحدكم : هذا عبي و هذه أمتي ،

وليقول فتاى وفتاتى» رواه أبو هريرة. ويستند على ذلك أبو هريرة فيقول لرجل ركب وخلفه عبده يجرى: (احمله خلفك ، فإنه أخوك ، وروحه مثل روحك).

كذلك حرص الإسلام على عدم التلاعب بنفسية الرقيق وأمانيتهم فى التحرر ، فقد حرم على السيد المالك التلاعب بلفظ العتق مع عبيده: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يجوز فيهن اللعب: الطلاق والنكاح والعتق» ، وقال: «من أعتق وهو لاعب فعتقه جائز»

إذن فقد قفز الإسلام بالعبيد من مستوى الجماد والحيوان إلى مستوى البشر ، له روح كروح سيده ، وكائنًا إنسانيًا له كرامة يحميها القانون ، ولا يجوز الاعتداء عليها بالقول ولا بالفعل:

فأما القول فقد نهى الرسول ﷺ السادة عن تذكير أرقائهم بأنهم أرقاء ، وأمرهم أن يخاطبوا بما يشعرهم بمودة الأهل وينفى عنهم صفة العبودية ، وقال لهم: «إن الله ملككم إياهم ، ولو شاء لملكهم إياكم» وبذلك يغض من كبرياء السادة ، ويكسر استعلائهم على عبيدهم ، ويردهم إلى الأسرة البشرية التى تربطهم جميعًا ، والمودة التى ينبغى أن تسود علاقات بعضهم ببعض.

وأما الاعتداء الجسدى فعقوبته صريحة وهى المعاملة بالمثل: قال رسول الله ﷺ: «من قتل عبده قتلناه ، ومن جدد عبده جدعناه ، ومن أخصى عبده أخصيناه» رواه الشيخان وغيره. وهو مبدأ صريح الدلالة على المساواة الإنسانية بين الرقيق والسادة ، وصريح فى بيان الضمانات التى يحيط بها حياة هذه الطائفة من البشر ، وهى ضمانات كاملة ووافية ، تبلغ حدًا عجيبًا لم يصل إليه قط تشريع آخر من تشريعات الرقيق فى لتاريخ كله ، لا قبل الإسلام ولا بعده ، إذ جعل مجرد لطم العبد فى غير تأديب مبررًا شرعيًا لتحرير الرقيق. فللتأديب حدود مرسومة لا يتعداها ولا يتجاوز على أى حال ما يؤدب به السيد أبناءه.

وشجع الإسلام على تحرير الرقيق بعدة وسائل منها العتق والمكاتبة: سواء

كان العتق من جانب صاحب الرقيق بمبادرة شخصية منه ، أو تكفيرا عن ذنب اقترفه . أما المكاتبه فهي منح الحرية للرقيق متى طلبها بنفسه ، مقابل مبلغ من المال يتفق عليه السيد والرقيق . والعتق هنا إجبارى لا يملك السيد رفضه ولا تأجيله بعد أداء المبلغ المتفق عليه . وإلا تدخلت الدولة لتنفيذ العتق بالقوة ، ومنح الحرية لطلبها .

ومنذ اللحظة الأولى التى يطلب فيها العبد مكاتبه سيده ، ويشعر بداخله برغبة فى التحرر ، يصبح عمله عند سيده بأجر أو يتاح له إذا رغب فى ذلك أن يعمل فى الخارج بأجر حتى يجمع المبلغ المتفق عليه . وإذا عجز المكاتب على جمع النقود لتحرير نفسه ، ساعدته الدولة من مال زكاة المسلمين على تحرير نفسه : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدِيرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴾ التوبة ٦٠

ويحرص الإسلام أيضًا على تحرير العبيد فى أحكامه الشرعية ، فلو حكم القاضى بالعتق ولو خطأ ينفذ حكمه ويحرر العبد . وإذا ادعى العبد أنه حر سقط عنه الرق حتى يثبت المالك ملكية الرقبة ، ولو أقر بأنه رقيق ثم أنكر وادعى الحرية ألغى إقراره الأول . ولو حملت الأمة كانت الأم ووليدها من الأحرار . ولا يجوز لغير مالكة أن يعاشرها معاشرة جنسية ، وكذلك لا يُسمح لمالكها أن يعاشرها جنسيا إذا كان قد أنكحها لغيره .

ومن أروع ما سجله التاريخ فى عالم الأرقاء أن الإسلام فتح أمامهم وأمام أولادهم نوافذ الحرية وأعدهم لتحمل المسئولية وليتبوأوا المراكز العالية ، والمناصب الراقية . ومنهم زيد بن حارثة قائد جيش المسلمين إلى مؤتة وكان فيه كبار الصحابة وخالد بن الوليد . وكذلك تولى ابنه أسامة قيادة الجيش الذى كان فيه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، وغيرهم كثيرون .

الفصل الواحد والثلاثين

الكتاب يسمح بزواج المرأة المسيحية من غير المسيحي وبأمرها بطاعته :

(كَذَلِكَ أُتِيَتْهَا النِّسَاءُ كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّى وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لَا يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ، يُرَبِّحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِذَوْنِ كَلِمَةٍ) بطرس الأولى ٣ : ١

وقد يُفسَّر «الْبَعْضُ لَا يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ» بأنهم نصارى أيضاً ، لكن اسماً فقط ، أو لا يجتهدون فى طاعة أوامر الله ونواهيه وينفذونه .

حيث تمنع قوانين الأحوال الشخصية الكنسية الزواج بين رجل وامرأة مختلفى العقيدة، فلا يجوز عندهم زوج يهودى أو مسلم بمسيحية، ولا يجوز زواج أرثوذكسى من كاثوليكية .

وهذا القانون مستمد من العهد القديم : (١)فَدَعَا إِسْحَاقُ يَعْقُوبَ وَبَارَكَهُ وَأَوْصَاهُ وَقَالَ لَهُ : «لَا تَأْخُذْ زَوْجَةً مِنْ بَنَاتِ كَنْعَانَ . ٢قُمْ اذْهَبْ إِلَى قَدَّانِ أَرَامَ إِلَى بَيْتِ بَثُؤِيلَ أَبِي أُمِّكَ وَخُذْ لِنَفْسِكَ زَوْجَةً مِنْ هُنَاكَ مِنْ بَنَاتِ لَابَانَ أَخِي أُمِّكَ .) تكوين ٢٨ : ٢

والسبب فيه الحفاظ على ميراث كل سبط من أسباط بنى إسرائيل : (٧)فَلَا يَتَحَوَّلُ نَصِيبُ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ سِبْطٍ إِلَى سِبْطٍ بَلْ يُلَازِمُ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَ سِبْطِ آبَائِهِ . ٨وَكُلُّ بِنْتٍ وَرَثَتْ نَصِيبًا مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ تَكُونُ امْرَأَةً لِوَاحِدٍ مِنْ عَشِيرَةِ سِبْطِ أَبِيهَا لِيَرِثَ بَنُو إِسْرَائِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَ آبَائِهِ ٩فَلَا يَتَحَوَّلُ نَصِيبٌ مِنْ سِبْطٍ إِلَى سِبْطٍ آخَرَ بَلْ يُلَازِمُ أَسْبَاطُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كُلُّ وَاحِدٍ نَصِيبَهُ .) عدد ٣٦ : ٧-٩

(ولعل من أجل ذلك ساقكما الله إلى حتى تتزوج هذه بذى قربتها من عشيرة سبط أبيها) طوبيا ٧ : ١٤

(ولما أن صار رجلاً اتخذ له امرأة من سبطه اسمها حنه) طوبيا ١ : ٩

هذا على الرغم من أن موسى عليه السلام تزوج من امرأة كوشية:
(١) وَتَكَلَّمْتُ مَرْيَمَ وَهَارُونَ عَلَى مُوسَى بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الْكُوشِيَّةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا (لأنَّهُ
كَانَ قَدْ اتَّخَذَ امْرَأَةً كُوشِيَّةً) عدد ١٢ : ١

وأن سليمان تزوج من سيدات أجنبيات كثيرات على غير دينه: (١) وَأَحَبَّ
الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بَنَاتِ فِرْعَوْنَ: مُوَابِيَّاتٍ وَعَمُونِيَّاتٍ
وَأَدُومِيَّاتٍ وَصِيدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ ٢ مِنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمْ الرَّبُّ لِبَنِي
إِسْرَائِيلَ: [لَا تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لَأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ
وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ]. فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهِؤُلَاءِ بِالْمَحَبَّةِ. ٣ وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ
السَّيِّدَاتِ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ. فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. ٤ وَكَانَ فِي زَمَانٍ
شَيْخُوخَةٍ سُلَيْمَانُ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ إِلَهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلًا مَعَ
الرَّبِّ إِلَهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. (ملوك الأول ١١ : ١-٤)

الفصل الثاني والثلاثين

الإسلام يسمح بزواج المسلم من المسلمة أو أهل الكتاب ، ولا
يسمح بزواج المسلمة إلا من مسلم:

يعترف المسلم بكل أنبياء الله ، وبكل كتبه المُنزلة على أنبيائه ، الأمر الذى
يختلف تمامًا فى اليهودية والمسيحية ، فأصحاب هاتين الديانتين لا يعترفون لا
بالإسلام دينًا ولا بمحمد نبيًا ورسولًا .

وترجع مسألة الزواج فى الإسلام إلى ما يُعرَف فى فقه الزواج باسم
(الكفاءة) ، لذلك إذا تزوج رجل مسلم زانى بامرأة مسلمة عفيفة فلا يُعتبر كفتًا
لها ، حتى وإن تاب وحسنت توبته . وكذلك فإن المسلم يُحرّم عليه الزواج
بالوثنية ، لأنها لا تعترف بأى دين سماوى .

والمسلمة مؤمنة بكل الأنبياء ، أما غير المسلم فهو جاحد لغير واحد منهم
فهو أقل دينًا وإيمانًا ، فلا يستحق أن تكون له القوامة عليها . ثم إن الزوج غير

المسلم ، ولو كان كتابيًا ، لا يعترف بدين المسلمة ، بل يكذب بكتابها ، ويجحد رسالة نبيها ، ولا يمكن لبيت أن يستقر وهذه حالة (القيم) فيه . وعلى العكس من ذلك : إذا تزوج المسلم بالكتابية ، فإنه يعترف بدينها ويؤمن بنبيها وكتابها الذى أنزله الله ، وبذلك يتحقق السكن والرحمة ، الذين يقوم عليهما الزواج ، ولا يتأتى منه إجبارها على ترك دينها .

ومن عظمة الإسلام فى هذا العمل الذى يثبت فيه عدم أنانيته أنه لم يبح أن يرث الرجل زوجته الكتابية إذا ماتت على دينها ، كما منع أيضًا أن ترثه وهى على غير دينه .

ثم كيف يُسلم الإسلام ابنته لرجل كتابى يمنع المرأة من التعلم ، ويبيح بيع بناته القصر ، ويعتبر المرأة ذليلة وأسيرة خطأ ارتكبه آدم وحواء ، ولا يبيح الطلاق؟ لماذا يرمى الإسلام بناته فى نار جهنم؟ فكيف تنفك المسلمة من الكتابى إذا ظلمها أو سامها سوء العذاب؟ وكيف تحصل على حقوقها التى كفلها لها الإسلام وكرمها بها؟ فهل يُجبر الزوج الكتابى على كل هذا؟ كيف . والإسلام ينادى بأنه لا إكراه فى الدين؟

وإذا كنا عرفنا من التاريخ الأسود للمرأة بسبب تعاليم الكنيسة وفهم رجالها لنصوص الكتاب ، فما هو الخير الذى كان سينتظر المرأة المسلمة ، لو كانت تزوجت بمسيحى؟ كانت ستزيد من أعداد المعذبات ، وكانت ستزداد صفحات تاريخ المرأة سوادًا على سوادها .

ثم منعًا للتعصب وحقًا للدماء ، وتركًا للقيم من أهل الكتاب وشأنه فيما يعتقد من أخلاق التعامل مع غير أهل ملته ، وحتى تستقيم أمور الأسرة جاء منع زواج المسلمة من غير الكتابى ، فنظرة المسيحية واليهودية لمن يُخالِف دينهم أنه يستحق القتل ، بل يستبيح التلمود سرقة غير اليهودى ، وتمنع التوراة الإقراض بربا لليهودى فقط :

(٢١) وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، مِنْ طِفْلٍ وَشَيْخٍ - حَتَّى الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْحَمِيرِ بِحَدِّ السَّيْفِ. . . . ٢٤ وَأَحْرَقُوا الْمَدِينَةَ بِالنَّارِ مَعَ كُلِّ مَا فِيهَا. إِنَّمَا الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ وَأَيَّةُ النُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ جَعَلُوهَا فِي خِزَانَةِ بَيْتِ الرَّبِّ. (يشوع ٦ : ٢١-٢٤)

(٤٠) فَضَرَبَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسُّفُوحِ وَكُلِّ مُلُوكِهَا. لَمْ يَبْقَ شَارِدًا، بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ. (يشوع ١٠ : ٢٨-٤٠)

(١٠) ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَأَخَذَ حَاصُورَ وَضَرَبَ مَلِكَهَا بِالسَّيْفِ. . . . ١١ وَضَرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ فِيهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمُوهُمْ. وَلَمْ تَبْقَ نَسَمَةٌ. وَأَحْرَقَ حَاصُورَ النَّارِ. ١٢ فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مَدُنِ أُولَئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ. حَرَّمَهُمْ كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ. (يشوع ١١ : ١٠-١٢)

(٦) فَحَرَّمْنَاهَا كَمَا فَعَلْنَا بِسِيحُونَ مَلِكِ حَشْبُونَ مُحَرَّمِينَ كُلِّ مَدِينَةٍ: الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ. ٧ لَكِنَّ كُلَّ الْبَهَائِمِ وَغَنِيمَةِ الْمَدُنِ نَهَبْنَاهَا لَأَنْفُسِنَا. (تثنية ٣ : ٦-٧)

(٣) فَالآن أَذْهَبْ وَاضْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلَا تَعْفُ عَنْهُمْ بَلْ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلًا وَرَضِيعًا، بَقَرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا. . . .) صموئيل الأول ١٥ : ٣

(١٠) فَلَمْ يَطْرُدُوا الْكَنْعَانِيِّينَ السَّاكِنِينَ فِي جَاوَرٍ. فَسَكَنَ الْكَنْعَانِيُّونَ فِي وَسْطِ أَفْرَائِمَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، وَكَانُوا عبيدًا تَحْتَ الْحِزْيَةِ. (يشوع ١٦ : ١٠)

(١٢) وَأَمَرَ دَاوُدُ الْغُلَمَانَ فَقَتَلُوهُمَا، وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمَا وَأَرْجُلَهُمَا وَعَلَّقُوهُمَا عَلَى الْبَرْكَةِ فِي حَبْرُونَ. (صموئيل الثاني ٤ : ١٢)

(١٧) وَجَاءَ إِلَى السَّامِرَةِ، وَقَتَلَ جَمِيعَ الَّذِينَ بَقُوا لِأَخَابَ فِي السَّامِرَةِ حَتَّى

٥٣ يَنْقَسِمُ الْأَبُ عَلَى الْإِبْنِ وَالْإِبْنُ عَلَى الْأَبِ وَالْأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ وَالْبِنْتُ عَلَى الْأُمِّ وَالْحَمَاءُ عَلَى كَتَنَتِهَا وَالْكَتَنَةُ عَلَى حَمَاتِهَا .) لوقا ١٢ : ٤٩-٥٣

(٢٧) أَمَّا أَغْدَائِي أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادَّبَحُوهُمْ قُدَّامِي .) لوقا ١٩ : ٢٧

(١٤) لَا تَكُونُوا تَحْتَ نِيرٍ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ ، لِأَنَّهُ آيَةٌ خِلْطَةٌ لِلْبَرِّ وَالْإِثْمِ؟
وآيَةُ شَرِكَةِ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟ ١٥ وَأَيُّ اتِّفَاقٍ لِلْمَسِيحِ مَعَ بَلِيعَالٍ؟ وَأَيُّ نَصِيبٍ
لِلْمُؤْمِنِ مَعَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ؟ ١٦ وَآيَةُ مُوَافَقَةٍ لِهَيْكَلِ اللَّهِ مَعَ الْأَوْثَانِ؟) كورنثوس
الثانية ٦ : ١٤-١٦

فكيف تستقيم الحياة مع الرجل القيم على زوجته وهو يراها كافرة ، ويحثه دينه وإيمانه على قتلها ، وقتل أهلها وكل من يخالف إيمانه من عائلتها؟ كيف تستقيم الحياة وقتل أسرته بيديه من القربات التي يتقرب بها إلى الرب؟ فهل الإسلام من السذاجة أن يضحي بنسائه؟ هل رأيت مقدار حفاظ الإسلام على المرأة ، ورعايته لها؟

بينما يقر الإسلام الشرائع الأخرى ، ويأمر بعاملتهم بالحسنى ، وعدم إكراههم على ترك دينهم . فيقول : ﴿ قُلْ بَيِّنَاتٍ الْكَافِرُونَ ① 》 لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنْتُمْ عِبِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ④ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⑥ 》 الكافرون ١-٦

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ⑦ 》 البقرة ٢٥٦
﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ⑧ 》 يونس ٩٩

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ⑨ 》

وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمُ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَكُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴿العنكبوت ٤٦﴾

﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَغْلِبُونَ ﴿٦٠﴾ ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ الأنفال ٦٠-٦١﴾

﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْفُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾﴾ التوبة ٤﴾

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتُمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾﴾ التوبة ٦-٧﴾

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلَالٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ النحل ١٢٥-١٢٨﴾

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٩﴾﴾ البقرة ١٠٩﴾

﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٢٤﴾﴾ فصلت ٣٤﴾

﴿أَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ ﴿٩٦﴾ المؤمنون ٩٦

﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ ﴿٩٧﴾ ﴿فِيمَا تَقْضِيهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَافِيَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٩٨﴾ المائدة ١٢-١٣

﴿وَجَزَّوْا سَنَتَهُ سَنَةً مِثْلَهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٩٩﴾ الشورى ٤٠

﴿وَيُطْعَمُونَ الْطَعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ ﴿١٠٠﴾ الإنسان ٨

﴿قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١٠٢﴾ الجاثية ١٤-١٥

﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿١٠٣﴾ يونس ٩٩

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ ﴿١٠٤﴾ البقرة ٢٠٨

﴿فَإِنْ اعْتَرَلَكُمْ فَلَمْ يَقْبَلُوكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ السَّلَامَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ النساء ٩٠

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَيَبُّوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَتَقَىٰ إِلَيْكُمْ أَلَسَلَّمْ لَسَتْ مُؤَمَّنًا﴾ النساء ٩٤

فأى قيم أعدل؟ وأى قيم تجد معه المرأة راحتها فى العبادة والحياة؟ وأى قيم سيحافظ على زوجته وعلى دينها ، ويقيم علاقة اجتماعية ناجحة مع المرأة ومع أسرتها؟

ثم إن الجنين يُنسب إلى أبيه ، فلو كان أبوه غير مسلم ، لكان المشرع فى الإسلام يُفرض فى أتباعه ، ولأباح بعمله هذا للمسلم أن يعتنق ديناً آخر ، هو رفضه ، ورفض عقائدهم وسفهها ، ولكان بذلك تناقض الكتاب مع نفسه ، لهذا حرّم الإسلام زواج المسلمة من كتابي ، وهذا التشريع دليل من الأدلة التى تبين إحكام تشريع الله سبحانه وتعالى :

﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَىٰ إِبْرَاهِيمَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ المائدة ٧٢ ، ٧٣

﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ آل عمران ٨٥ .

الفصل الثالث والثلاثين

المرأة ليست أهلاً لأن تُعلم ، لأن آدم خُلِقَ قبلها ، وهى صاحبة الخطيئة :

وصف بولس حكماء العالم بالجهل وأن جهّال العالم أعلم منهم : (٢٧) بل اختار الله جهّال العالم ليُخزي الحكماء) كورنثوس الأولى ١ : ٢٧ ،

وطالب أتباعه أن يصيروا أغبياء ، لأن في غبايهم الحكمة . فقال : (إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَظُنُّ أَنَّهُ حَكِيمٌ بَيْنَكُمْ فِي هَذَا الدَّهْرِ فَلْيَصِرْ جَاهِلًا لِكُنِّي يَصِيرُ حَكِيمًا ! ١٩ لَأَنَّ حِكْمَةَ هَذَا الْعَالَمِ هِيَ جَهَالَةٌ عِنْدَ اللَّهِ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ : «الْأَخِذُ الْحُكَمَاءَ بِمَكْرِهِمْ» . ٢٠ وَأَيْضًا : «الرَّبُّ يَعْلَمُ أَفْكَارَ الْحُكَمَاءِ أَنَّهَا بَاطِلَةٌ» .) كورنثوس الأولى ٣ : ١٨ - ٢٠

ولكى يمرر عقيدته التي ناقدها تعاليم موسى وعيسى والناموس طالبهم بعدم الجدل . فقال : (١٤) اِفْعَلُوا كُلَّ شَيْءٍ بِلاَ دَمْدَمَةٍ وَلَا مُجَادَلَةٍ فيليبى ٢ : ١٤

ونتيجة للسلطة المطلقة التي أُتيحت للكنيسة . فى العصور الوسطى . فقد رأت أن أى مصدر من مصادر العلوم والمعرفة ، لا بد أن يكون صادرًا عنها ، وأن أى رأى يُخالف رأيها فهو باطل يجب مقاومته بكل ما يُستطاع .

لهذا فقد تراقب المطبوعات (وَحُتِّمَ على كل مؤلف وكل طابع أن يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذى عُيِّنَ للمراقبة ، وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئًا لم يُعرض على المراقب أو ينشر شيئًا لم يأذن المراقب بنشره ، وأوعز إلى هذا المراقب أن يدقق النظر حتى لا ينشر ما فيه شئ يومئذ إلى مخالفة العقيدة الكاثوليكية .)

والى جانب ذلك فقد زعم رجال الكنيسة أن الكتب المقدسة تحتوى على كل ما يحتاج إليه البشر من علوم الدين والدنيا ، وعلى الإنسان المؤمن أن يُصدِّق كل ما فيه أولاً ، ثم يجتهد ثانياً فى حمل نفسه على فهمه وتأويل فهمه ليصل إلى النتائج التى أتى بها الكتاب المقدس مهما عارض ذلك العقل أو خالف شاهد الحس ، كما صرَّح بذلك ترتوليان .

بالإضافة إلى ذلك فقد احتجرت الكنيسة لنفسها حق فهم وتفسير الكتاب المقدس ، وحظرت على أى عقل . خارج جهازها الكهنوتى . أن يحاول فهمه أو تفسيره أو مناقشة أى مسألة فيه ، ومثال ذلك "مسألة العشاء الربانى" التى لا

يستسيغها العقل ، حيث فرضتها الكنيسة على الناس ، وحذرت عليهم مناقشتها ، وإلا عرضوا أنفسهم للطرد والحرمان ، نهيك عن محاكم التفتيش .

فعلى سبيل المثال عندما انتشرت فكرة كروية الأرض ، هاجمها رجال الكنيسة هجوماً عنيفاً ، وبرر القديس أوغسطين نقضه لهذه النظرية بقوله : (إن التبشير بالإنجيل طالما لم يصل إلى الجهة المقابلة من الأرض ، فلا يمكن أن يكون هناك من السلالة البشرية أثر ما .)

كما هاجم (برو كوبيوس الغزى) كل من يقول بوجود بشر فى الجهة المقابلة للأرض ، مستنداً إلى أنه (إذا كان على الجهة المقابلة فى الأرض أناس ، لوجب أن يذهب المسيح إليهم ، وأن يقضى صلباً فى سبيل خلاصهم مرة ثانية).

وتساءل معلم الكنيسة لاكتانتيوس مستنكراً : (هل هذا معقول؟ أيعقل أن يُجنّ الناس إلى هذا الحد ، فيدخل فى عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض ، وأن أقدام الناس تعلو رؤوسهم؟)

لقد كانت الأرض بالنسبة إلى بعض الناس منهم تلاً تدور الشمس حوله ما بين الشروق والغروب ، وبالنسبة إلى الآخرين مسطحاً تحيط به المحيطات .

ورأت الكنيسة أن الأمر لن يُحل إلا باستخدام القوة ، فأنشأت محاكم التفتيش : ففي سنة ١٣١٦ م أفلت الطبيب (بطرس ألبانو) من أيدي محكمة التفتيش حيث أدركته الوفاة قبل أن تمتد يدها إليه ، جزاء ما روجّ إليه من مذهب الأنتيبود (وجود بشر يقطنون فى الجهة الأخرى من الأرض) وغيره من مذاهب العلم .

وفى سنة ١٣٢٧ م طردت الكنيسة العالم الفلكى (شيكودا سكولى) ثم أحرقتة حياً فى فلورنسا ، وكان أستاذ بجامعة كولونيا ، لأنه علّم مذهب الأنتيبود وغيره من حقائق العلم .

ولاذ آخرون بالصمت خوفاً من عقاب الكنيسة لهم ، مثل :

آبيان الذى كان أستاذًا فى جامعة أنجلو ستاد فى عصر شارل الخامس .
وريتيكوس الذى كان أستاذًا فى ويتنبرج .

كما قامت حملة عنيفة ضد (جاليليو) لأنه اكتشف بمنظاره أن هناك سيارات أخرى تزيد عن السبعة التى ذكرها سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى بقوله : (١٩) فَأَكْتُبْ مَا رَأَيْتَ، وَمَا هُوَ كَائِنْ، وَمَا هُوَ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ هَذَا. ٢٠ سِرُّ السَّبْعَةِ الْكُؤَاكِبِ الَّتِي رَأَيْتَ عَلَى يَمِينِي، وَالسَّبْعُ الْمَنَائِرِ الذَّهَبِيَّةِ: السَّبْعَةُ الْكُؤَاكِبُ هِيَ مَلَائِكَةُ السَّبْعِ الْكُنَائِسِ، وَالْمَنَائِرُ السَّبْعُ الَّتِي رَأَيْتَهَا هِيَ السَّبْعُ الْكُنَائِسُ».) رؤيا يوحنا ١ : ١٩ - ٢٠

واتهمت الكنيسة هذا الفكر وصاحبه بالكفر والإلحاد ، وعللت رأيها المناهض لهذه النظرية قائلة : إن حكمة الله تقتضى أن لا يخلق شيئاً عبثاً ، وتبعا لكلام جاليليو ، فلا بد من وجود بشر يقطنون هذه السيارات ، فكيف يمكن لأهلها أن يكونوا قد تناسلوا من آدم؟ وكيف خرجوا من سفينة نوح (يقول الكتاب المقدس إن الطوفان امتد لكل الأرض ، فغرق كل من عليها)؟ وكيف نعتقد أن المسيح منقذ النوع الإنسانى قد كفر عنهم؟

أما بالنسبة للمدارس ، فقد كانت الكنيسة هى التى تشرف عليها ، وترسم سياستها التعليمية ، مما طبع الثقافة بطابع لاهوتى ، فمثلاً المدارس التى أمر (شارلمان) سنة ٧٨٩ م بتعميمها فى الأديرة والكاتدرائيات ، كان التعليم فيها يقتصر على الترانيم والموسيقى الدينية .

أما بالنسبة لتعليم النساء ، فقد ذكر بطرس البستانى أنه كان فى غاية الإنحطاط ، حيث لم يكن لهنّ مدارس . إلا ما ندر وفى المدن الكبيرة فقط . وكن يتعلمن القراءة فقط وكانت بعض الأديرة تعلم النساء تلاوة الصلاة ، وصناعة التطريز وغيرها من أعمال الأديرة .

ولم يقتصر الأمر على هذا الحد من منع العلم ونشر الجهل ، بل اعتبرت الكنيسة بعض الهرطقات والخرافات من العلوم العقلية بمثابة النصوص المقدسة التي يجب على الكل اتباعها والإيمان بها .

نذكر في علم الجغرافيا : الراهب (قوزماس إنديكوبليوستيس) الذي وضع نظامًا خرافيًا عن الكون والأرض ، واستطاع أن يقنع به الكنيسة . وكان مما قاله (نقلا عن موقف الإسلام والكنيسة من العلم ص ١٣٢ وما بعدها) : (إن الأرض عبارة عن معين منبسط تحيط به أربعة بحار!) ولم يقتصر الأمر على ذلك بل حدد مساحتها فقال : (ويبلغ . معين الأرض . أربعمئة يوم سفرًا طولًا ، وماتى يوم عرضًا!)

أما بالنسبة لكيفية وضع السماء فقال : (وفى حدود هذه البحار الأربعة الخارجية تقوم جدران عظيمة القدر ، هائلة الحجم ، تحوى كل ذلك البناء الكبير ، وتحمل من فوقها تلك القبة السماوية ، وقد ثبتت أطرافها إلى أعلى الجدران بمادة فيها صفة الالتصاق .)

كما علل ظاهرة غروب الشمس بقوله : (إن عند طرف الأرض الشمالى يقع جبل عظيم ، خلفه يكون مقر الشمس أثناء الليل!)

ولم يكتفى بهذه الهرطقة ، بل صبح عليها المسحة الإلهية ، واعتبرها من وحى الله فقال : (إنه ليس موسى والأنبياء وحدهم ، بل الملائكة والحواريين أيضًا متفقون على أن ما فى هذا مذهبه ، وأن الله فى اليوم الآخر سوف ينزل غضبه على كل من لم يُسلم به أو يتشكك فيه) .

وقبلت أراء قوزماس فى العالم المسيحى على أنها وحى مقدس أنزل على قلبه ! بل إن كثيرا من رجال الكنيسة توسعوا فى شرح نظرياته ، وظل الاعتقاد بها ساريًا حتى نهاية القرون الوسطى .

أما بالنسبة لطبيعة الرياح ، وكيفية هبوبها ، فقد ظهرت رموزها على

الخرائط الجغرافية فى صورة أدمغة عظيمة الحجم متفخة الوجنات ترسلها فى اتجاه أورشليم!

كما أنهم عللوا احمرار الشمس عند الغروب نتيجة مواجهتها لجهنم ، حيث حدد بعض رجال الكنيسة ، ومن بينهم (دانتى) موقع جهنم فقال : (إنها تقع عرض المحيط الأطلنطى ، وعلى مسافة غير معروفة من شاطئ أوروبا .)

وبالنسبة لنشأة الضفادع والهوام والبعوض فقد قال القديس (باسيل الكبير) الذى عاش فى القرن الرابع الميلادى : (قد خُصَّت المياه بقوة انتاجية ، وأنه من الطمى والطين اللازب نشأت الضفادع والهوام والبعوض .)

تبنى هذا رأى كذلك القديس (أوغسطين) ، حيث قال : (إن مواد ما قد خصَّها الله بقوة تستطيع أن توجد صورًا خاصة من الحيوانات والنباتات .)

وفى القرن السابع للميلاد ظهر قديس اسمه (إيزيدور الأشيللى) اهتم بقضية الخلق ، وسجَّل أفكاره ، والتي استعان فيها بآراء القديس (باسيل) و(أوغسطين) فى مؤلفه المسمَّى (الإنسيكلوبيدى الكبير) ، تعرض فيه لنشأة بعض الحيوانات وكيف تُخلَق ، وكان مما قاله : (إن النحل إنما يحدث من لحم الثور المنحل ، والخنافس من لحم الحصان ، والجراد من البغال ، والعقارب من السراطين .)

والعجيب أن هذا الكتاب ظل مرجعًا أساسيًا لطلاب العلم فى خصائص الحيوانات وحقيقة الطبيعة لأجيال طويلة .

ولم يقتصر الأمر على ذلك ، بل تطرق رجال الكنيسة إلى وصف بعض المخلوقات ، وما تقوم به من أفعال ، فهذا (نيدر) عضو محكمة التفتيش يصف فى كتابه المسمى (تل النمل) خصائص بعض المخلوقات ، ومما قاله عن نمل (أثيوبيا) : (إن له قروناً ، وإنه ينمو حتى يصير فى حجم الكلب !)

وقالوا عن الثعابين : (إنها تلقى سمها بعيداً قبل أن ترد الماء .)

ومما قالوه عن السبع: (إنه لكى يضلل من يقوم بمطاردته ، فإنه يمحو بطرف ذنبه آثاره .)

ولعل أكثر من تطرق إلى خصائص الحيوانات وطباعها (بارثولوميو) فى كتابه المسمى (خصائص الأشياء)، حيث ذكر فيه خصائص بعض الحيوانات ، وما تقوم به من أفعال ، ومما قاله عن التمساح: (أنه إذا عثر على إنسان على حافة المياه فإنه يقتله ، ثم ييكى عليه ، ثم يأكله !)

وقال عن التنين: (بأنه أعظم الأفاعى ، ويطير فى الجو فيحرك الهواء ! وإذا دخل الماء ، فإن البحر يهيج ويطغى إلى غير ذلك من الأوصاف .)

بالإضافة إلى ما ذُكر ، فقد علل بعض رجال الكنيسة سبب وجود الحيوانات الضارة نتيجة لأخطاء الإنسان ، حيث ذكر ذلك (بطرس لومبارد) فى كتابه المسمى (الجميل) فقال: (إنما أصبحت الحيوانات مضرّة مؤذية ، لتزعج الإنسان وتعاقبه على رذائله ! ولتحضه على الفضيلة وتكملها فى نفسه ، لقد خلقت العجماوات غير مؤذية ، فلما أن وقعت المعصية ، انقلبت مضرّة أبلغ الضرر !)

وفى مجال الطب: لقد اختلط لطب عندهم فى أوروبا فى العصور الوسطى بالتعاويد الدينية والتنجيم ، ولم يعرفوا علم التشريح ، فضلاً عن البساطة والسذاجة فى ممارسة المهنة التى كان يقوم بها الرهبان .

وعلى الرغم من ذلك فقد أخذت الكنيسة تعارض اشتغال الرهبان والراهبات فى تلك المهنة ، وذلك لكى يتفرغوا للقضايا الروحية !

وعلاوة على ذلك فقد كانت الكنيسة تقوم بعزلى المرضى بصورة وحشية ، فقد كان المريض بداء الجذام يمنح قداساً من قِبَل الكنيسة ، كان يذهب بمقتضاه

إلى حفرة فى فسحة الكنيسة ، وبقدفه الكاهن بالتراب ثلاث مرات ، ثم يُنفى إلى بقاع نائية مُخصّصة لمرضى البرص!

كما علل أحد أساتذة جامعة (مونبليه) سنة ١٣٤٨ م أن أسباب انتشار مرض الطاعون ناتج عن نظر المريض! لهذا فقد نصح الطبيب أو الكاهن أن يطلبوا من المريض اغماض عينيه أو وضع خرقة عليها قبل أن يعمّد إلى معاينته!

ويحكى لنا الأمير أسامة بن منقذ (١٠٩٥ - ١١٨٨)، ابن أخت حاكم قلعى شيزر نادرة من نوادر علاج الغرب للأمراض فيقول: (ومن عجيب طبهم أن صاحب المنيطرة كتب إلى عمى يطلب منه إنقاذ طبيب يداوى مرضى من أصحابه. فأرسل إليه طبيباً نصرانياً يقال له ثابت. فما غاب عشرة أيام حتى عاد فقلنا له: ما أسرع ما داويت المرضى! قال: إنهم أحضروا عندي فارساً قد طلعت فى رجله دملة ، وامرأة قد لحقها نشاف. فعملتُ لُبَيْخَةً ففتحت الدملة وصلحت. وحميت المرأة ورطبت مزاجها. فجاءهم طبيب إفرنجى فقال لهم: هذا ما يعرف شيئاً يداويهم ؛ وقال للفارس: أيّما أحب إليك: تعيش برجل واحدة أم تموت برجلين؟ قال أعيش برجل واحدة. قال احضروا لى فارساً قوياً وفأساً قاطعة ؛ فحضر الفارس والفأس ، وأنا حاضر ، فحطّ ساقه على قرمة خشب وقال للفارس: اضرب رجله بالفأس ضربة واحدة! اقطعها! فضربه ، وأنا أراه ، ضربة واحدة ما انقطعت. ضربه ضربة ثانية فسال مخ الساق ، ومات الرجل من ساعته.

وأبصر المرأة فقال: هذه امرأة فى رأسها شيطان قد عشقها ، احلقوا شعرها. فحلقوه. وعادت تأكل من مآكلهم الثوم والخردل. فزاد بها النشاف ، فقال: الشيطان قد دخل فى رأسها. فأخذ موسى وشقّ رأسها صليلاً وسلخ وسطه ، حتى ظهر عظام الرأس ، وحكه بالملح ، فماتت فى وقتها. فقلت لهم: بقى لكم إلى حاجة؟ قالوا: لا. فجئت وقد تعلمت من طبهم ما لم أكن أعرفه.)

ونادرة أخرى حدثت للأمير (ديدو الثانى فون روشيليتز وغويز) الذى كان يشكو قِصْرًا فى نفسه ، وسمنة فى بدنه ، وذهب إلى الطبيب ليستشيريه إذا كانت السمنة هذه ستزعجه وتتعبه فى الرحلة التى ينوى القيام بها بصحبة الإمبراطور هاينريش السادس إلى (أبولين) الإيطالية. فتناول الطبيب موسًا حادة شق بها بطن الأمير الصغير المسكين ببساطة ، فنزع الشحم الزائد منه ، وانتزع روحه معه كذلك.

وفى أثناء رحلة الأمير أسامة بن منقذ من عكا إلى بحيرة طبرية حكى له السيد فيلهلم فون بورن كما سمعها رفاقه فى السفر هذه الأقصوصة: (كان عندنا فى بلادنا فارس كبير القدر ، فمرض وأشرف على الموت. فجئنا إلى قس كبير من قسوسنا وقلنا: تجيء معنا حتى تبصر الفارس فلان؟ قال: نعم. ومشى معنا ونحن نتحقق أنه إذا حطَّ يده عليه عرفى. فلما رآه ، قال: اعطونى شمعًا! فأحضرنا له قليل من الشمع ، فليته وعمله مثل عُقْد الإصبع. وعمل كل واحدة فى جانب أنفه ، فمات الفارس. فقلنا له: قد مات ، قال: نعم ، كان يتعذب ، سددت أنفه حتى يموت ويستريح.)

هكذا كان العلاج عندهم: أيد توضع ، وشيطان يطرد ، وصلاة تقدم .. وحفر يرمى فيها المريض ويقذف عليه لتراب .. تلك كانت الوسائل المفضلة فى المعالجة التى حاول بها أطباء أوروبا . عن طريق مسح الكهنوت والرهبان . إنقاذ الإنسانية المريضة ، وتخليصها من براثن الداء والألم .

عملاً بما نسبوه للسيد المسيح أنه قاله لتلاميذه ، ثم سحبا الكلام على كل طاقم رجال الكهنوت: (٨) اشفُوا مَرَضَى . طَهِّرُوا بُرْصًا . أَقِيمُوا مَوْتَى . أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ . مَجَّانًا أَخَذْتُمْ مَجَّانًا أَعْظُوا .) متى ١٠ : ٨

أما فى علم الكيمياء: فقد كانت الكنيسة تقوم بحملة عنيفة على بعض الذين أوتوا نصيبًا من العلم فيها ، فهذا (لينيوس) استطاع أن يتوصل إلى معرفة

سبب احمرار المياه ، ومما قاله : (إن احمرار المياه راجع إلى تكاثر نوع من الجوبينيات فيه).

ولما علم رجال الكنيسة بأقواله جاهره العدا ، وأولوا هذه الظاهرة بأنها خارقة من الخوارق الربانية ، تحدث عند غضب الله ! ونتيجة لحملة العدا التي قامت بها الكنيسة اضطر (لينيوس) إلى التراجع عن رأيه .

أما فى مجال العلوم الرياضية والفلك ، فقد كانت دراسة الحساب والهندسة والفلك تسير فى غاية البداوة ، واستمرت على هذا الحال حتى أوائل القرن الثانى عشر .

فمثلاً الحساب كان يتم بطريقة بدائية للغاية ، حيث كان يتم بطريقة رسم خطوط طولية على الألواح ، ثم توضع الأرقام فى الخانات ، وفى هذه الخانات كانوا يضعون قطعاً صغيرة من الحجر أو الزجاج أو المعدن ، وبواسطتها استطاعوا أن يجرؤا عمليات الجمع والطرح . (كما تقول الدكتور زيجريد هونكه)

هذه هى الأفكار والنظريات التى كانت الكنيسة تفرضها على الناس وتحاكم ، وتعاقب ، بل وتعذب كل من يخالفها أو يبين زيفها وبطلانها ، وكان ذلك فى كل العلوم التى يقبلها العقل السوى .

أما علم الفلك فقد حاربوا أفكار (كوبرنيكوس) و (جاليليو) وفرضوا على طلاب العلم بعض الآراء التى تهدف إلى دحض آراء (كوبرنيكوس) وبيان أنها مناقضة للنصوص المقدسة ، ومن ذلك ما قام به الكاهن (هسل) حيث وضع لطلاب العلم مختصراً فى علم الفلك أسماه : (الرجوع إلى الأصل الموسوى فى أصل الكون) .

وقضى هذا التفكير الضيق على كل موهبة ، وعاق كل بحث علمى ، وأجبر

كل المفكرين الذين لا تتفق أعمالهم ومعتقدات الكنيسة هذه على إنكار ما قالوه من النظريات العلمية ، وإلا كان مصيرهم الحرق العلني بالنار ، لكفرهم وخروجهم على المعتقدات الإلهية .

أما ما فعلته الكنيسة في كل من خالف جهلها ، وأتى بعلم يبين أخطاء الكتاب المقدس ، ويثبت أنه بهذا ليس من وحى الله ، فقد قامت قيامة الكنيسة ولم تقعد ، وقام رجالها بهجمة وحشية عليهم ، وكفروهم ، واستحلوا دمهم ، وأنشأوا لهم محاكم التفتيش : فقد حكمت محكمة التفتيش في مدة لا تزيد على ١٨ عامًا (١٤٨١ - ١٤٩٩) على ١٠٢٣٠ شخصًا بأن يُحرقوا وهم أحياء ، فأحرقوهم ! وعلى ٦٨٦٠ بالشنق ، فشنقوا ، وعلى ٩٧٠٢٣ شخصًا بعقوبات مختلفة ، فنفذت .

وينقل الدكتور توفيق الطويل قول المؤرخ (لورنتي) الذي أتيح له البحث بمطلق الحرية في أرشيفات محكمة التفتيش الإسبانية فيقول : (إن المحكمة وحدها قدمت إلى النار أكثر من واحد وثلاثين ألف نفس ، وأصلت أكثر من مائتين وتسعين ألفًا بعقوبات أخرى تلى الإعدام في صرامتها ، وهذا الرقم لا يشمل الذين أودت بحياتهم فروع هذه المحكمة الإسبانية في مكسيكو . ولما بأمريكا الجنوبية ، وقرطاجة ، وجزر الهند الغربية ، وصقلية ، وسردينيا ، وأوران ، ومالطة)

ومن هؤلاء العلماء :

جاليليو : الذي عوقب في سنة ١٦١٥ م ووقف أمام محكمة التفتيش في روما وصدر الحكم بسجنه ، وهنا عُذِّبَ عذابًا شديدًا ، مما اضطره إلى التراجع عن آرائه ، وأُقيِرَ أخيرًا على أن يُعلن وهو جاث على ركبتيه أمام البابا (أوربان الثامن) الاعتراف الآتي : (أنا جاليليو ، وفي السبعين من عمري ، سجين جاث على ركبتي ، وبحضور فخامتكم ، وأمامي الكتاب المقدس : الذي ألمسه الآن بيدي ، أعلن أنني لا أشاع ، بل ألعن وأحتقر خطأ القول وهرطقة الاعتقاد بأن الأرض تدور!)

وكوبرنيكوس: الذى نفذ من قبضة زبانية الكنيسة بموته ، إلا أنها صادرت كتبه وأحرقتها ، وحرم على أتباع الكنيسة الاطلاع عليها .

وبافون: الذى ظهر فى القرن الخامس عشر واشتغل بالتاريخ الطبيعى ، وتحت التعذيب تراجع واعتذر علناً ونشر اعتذاره على الناس وتبرأ من كتبه وأفكاره قائلاً: (أعلن إقلاعى عن كل ما جاء فى كتابى خاصاً بتكوين الأرض ، وجملة عن كل ما جاء به مخالفاً لقصة موسى .)

ونيوتن: الذى تبنى نظرية الجاذبية الأرضية ، فقد عوقب من قبل الكنيسة لأن هذا القول معناه . من وجهة نظر الكنيسة . انتزاع قوة التأثير من الله وتحولها إلى قوة مادية .

وجيور دانو برونو: قامت الكنيسة بإحراقه حياً ، ثم ذرت بقاياها الترايبية مع الريح!

وتراجع الكثير من العلماء عن البحث أو تأييد أبحاث غيرهم خوفاً على حياتهم أمثال:

آبيان: الذى كان معلماً فى علم الفلك ، وكان يُدرّس فى جامعة (أنجلوستاد) ، فلم يستطع تأييد آراء كوبرنيكوس .

وكذلك رينولد الذى لم يستطع تأييد آراء كوبرنيكوس ، بل كان يدافع عن آراء الكنيسة الفاسدة ويلقنها للطلبة .

وكذلك كان ريتيكوس الذى كان استاذاً فى (ويتنبرج) فقد أثر الصمت تجاه بعض الحقائق العلمية خشية الإصطدام مع الكنيسة .

وكذلك كان ديكارت الذى تبنى المنهج التجريبي من أجل الوصول للمعرفة .

ولا يمكنك أن تقول إن هؤلاء قوم ضلوا فاضلوا! إنهم استندوا للكتاب المقدس فى كل أفعالهم ، فى رفضهم العلوم الفلكية ، والجغرافية ، والطبيعية ،

وفى كل الإتجاهات العلمية ، الأمر الذى يؤكد اليوم بعد اعتراف العلم بهذه النظريات أن هذا الكلام الذى استندوا إليه فى الكتاب المقدس ليس من وحى الله . بل ارتكنوا إلى جرائمهم الوحشية إلى نصوص الكتاب المقدس :

(٦) «وَإِذَا أَغْوَاكَ سِرًّا أَخُوكَ ابْنُ أُمِّكَ أَوْ ابْنُكَ أَوْ ابْنَتُكَ أَوْ امْرَأَةُ حِضْنِكَ أَوْ صَاحِبُكَ الَّذِي مِثْلُ نَفْسِكَ قَائِلًا : نَذْهَبُ وَنَعْبُدُ إِلَهَةً أُخْرَى لَمْ تَعْرِفْهَا أَنْتَ وَلَا آبَاؤُكَ ٧ مِنْ إِلَهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَكَ الْقَرِيبِينَ مِنْكَ أَوْ الْبَعِيدِينَ عَنْكَ مِنْ أَقْصَاءِ الْأَرْضِ إِلَى أَقْصَائِهَا ٨ فَلَا تَرْضَ مِنْهُ وَلَا تَسْمَعْ لَهُ وَلَا تُشْفِقْ عَيْنُكَ عَلَيْهِ وَلَا تَرَقِّ لَهُ وَلَا تَسْتُرْهُ ٩ بَلْ قَتَلًا تَقْتُلُهُ . يَدُكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَوَّلًا لِقَتْلِهِ ثُمَّ أَيْدِي جَمِيعِ الشَّعْبِ آخِرًا . ١٠ تَرْجُمُهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَ لِأَنَّهُ التَّمَسَّ أَنْ يُطَوِّحَكَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهِكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ .) تشية ١٣ : ٦ - ١٠

(٦) إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَثْبُتُ فِي يَطْرَحُ خَارِجًا كَالْفُضْنِ فَيَحِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ فَيَحْتَرِقُ . ٧ إِنْ ثَبَّتُمْ نَفْسِي وَثَبَّتَ كَلَامِي فِيكُمْ تَظْلُبُونَ مَا تُرِيدُونَ فَيَكُونُ لَكُمْ . ٨ بِهَذَا يَتَمَجَّدُ أَبِي أَنْ تَأْتُوا بِثَمَرٍ كَثِيرٍ فَتَكُونُونَ تَلَامِيذِي .) يوحنا ١٥ : ٦ - ٨

ونحن هنا لا نعارض قتل المرتد ، فهى عقوبة المرتد فى الإسلام أيضا ، ولكننى أعارض أن يكون الله قد أمر بتعذيب النفس غير المؤمنة بالحرق حيا أو بأى صورة أخرى لأن هذا يتعارض مع رحمة الله الأبدية : (١٠) لِأَنَّ رَحْمَتَكَ قَدْ عَظُمَتْ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَإِلَى الْعَمَامِ حَقًّا .) مزامير ٥٧ : ١٠

(١) اِرْحَمْنِي يَا اللَّهُ اِرْحَمْنِي لِأَنَّهُ بِكَ احْتَمَمْتُ نَفْسِي وَبِظِلِّ جَنَاحِكَ اِحْتَمِي إِلَيَّ أَنْ تَغْبُرَ الْمَصَائِبُ . ٢ أَصْرُخُ إِلَى اللَّهِ الْعَلِيِّ إِلَى اللَّهِ الْمُحَامِي عَنِّي ٣ ، يُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيَخْلُصُنِي) مزامير ٥٧ : ١ - ٣

(١) اِرْحَمْنِي يَا اللَّهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ . حَسَبَ كَثْرَةِ رَأْفَتِكَ امْحُ مَعَاصِيِي . ٢ اغْسِلْنِي كَثِيرًا مِنْ إِثْمِي وَمِنْ خَطِيئَتِي طَهِّرْنِي . ٣ لِأَنِّي عَارِفٌ بِمَعَاصِيِي وَخَطِيئَتِي أَمَامِي دَائِمًا .) مزامير ٥١ : ٣ - ١

فما وصلت إليه الكنيسة وكهنتها في المجال الديني ، لم يكن عاملاً منقذاً للحضارة ، بل كان عائقاً لها . لقد كانت أمامهم الفرصة ، تماماً كالعرب ، بل إن فرصتهم كانت أكبر في أن يأخذوا التراث العظيم ، ويتطوروا به ويرتقوا ، كما فعلوا من بعد .

وظل الفكر الإغريقي بالنسبة لهم غريباً على الدوام . فحوالى عام ٣٠٠ م علل أسقف قيصرية أوزيبوس ذلك المسلك لعلماء الطبيعة من الأسكندرية ، قائلاً : (إن موقفنا هذا ليس جهلاً بالأشياء التى تعطينها أنتم كل هذه القيمة ، وإنما لاحترارنا لهذه الأعمال التى لا فائدة منها . لهذا فإننا نشغل أنفسنا بالتفكير فيما هو أجدى وأنفع) .

وظل هذا التفكير العقيم سائداً لا يتغير ، فيتحدث بمثل هذا فى القرن الثالث عشر القديس توما الأكويني فيقول : (إن المعرفة القليلة لأمر سامية أجل قدرًا من معرفة كبيرة موضوعها أمور حقيرة) .

ولقد بدت للسلادة المهيمنين على الأمور ضرورة تحريم الكتب التى تهتم بالأمور الحقيرة الدنيوية على المتعلمين ورجال الدين . ففي عام ١٢٠٦ م نبه مجمع رؤساء الكنائس المنعقد فى باريس رجال الدين بشدة إلى عدم قراءة كتب العلوم الطبيعية ، واعتبر ذلك خطيئة لا تُغتفر .

كل هذا على الرغم من أن المرأة كانت تسأل عيسى عليه السلام ، وكانت تحضر معه الإحتفالات ، وكانت معه قبل العشاء الأخير ، إلا أنك ترى بولس فى رسائله قد أنزلها منزلة حقيرة ، فمن ناحية العلم ليس لها أن تسأل داخل الكنيسة ، حتى لو لم يحضر زوجها ، وحتى لو لم تفهم ، وحتى لو لم يوضح ويفصح المتكلم ، أو لو كان زوجها غيباً أو لم يتابع الحديث .

ولو أردنا دليلاً آخر على مدى الهوة العميقة التى كانت تفصل الشرق عن الغرب ، لكفانا أن نسبة ٩٥٪ على الأقل من سكان الغرب فى القرون من التاسع إلى الثانى عشر ، كانوا لا يستطيعون القراءة والكتابة .

بينما كان شارل الأكبر يجهد نفسه فى شيخوخته لتعلم القراءة والكتابة ، وبينما أمراء الغرب يعترفون بعجزهم عن الكتابة والقراءة ، وفى الأديرة يندربن الكهنة من يستطيع مسك القلم ، لدرجة أنه عام ١٢٩١م لم يكن فى دير جالينوس من الكهنة والرهبان من يستطيع حل الخط .

بينما كان هذا كله يحدث فى الغرب ، كان آلاف مؤلفة من المدارس فى القرى والمدن تستقبل ملايين البنين والبنات ، وكان الدافع إلى كل هذا هو رغبتهم الصادقة فى أن يكونوا مسلمين حقاً ، كما يجب أن يكون المسلم ، ولم يجبرهم أحد على ذلك ، بل اندفعوا إليه عن رغبة وإيمان ، لأن من واجب كل مسلم أن يقرأ القرآن ، ويتدبر آياته ، ويعمل بها ، فعليه الوقوف على أسباب غضب الله على الأمم السابقة وتجنبه ، وعليه البحث عن العلم أينما كان ، والاستفادة منه .

ولم يجد الناس للكتاب المقدس سيلاً ، إذا استثنينا الكهنة ورجال الدين ، فهم وحدهم يستطيعون قراءته وفهم لغته . ومنذ عام ٨٠٠ م لم يعد الشعب يفهم المواعظ الملقاة باللاتينية ، حتى إن مجلس رؤساء الكنائس المنعقد فى مدينة تور أوصى بوعظ الناس باللغة التى يتكلمون بها . ولم تكن هناك حاجة تدعو الشعب فى تلك العصور إلى تعلم اللاتينية ، بل لم تكن هناك أية رغبة فى تعليم الشعب أو تثقيفه .

ولم تكن المساجد لتدريس علوم القرآن فقط ، بل كان التلاميذ يتعلمون فيها إضافة إلى القرآن قواعد اللغة والديانة والخطابة والأدب والتاريخ والجغرافيا والمنطق والفلك والرياضة . وبذلك لم تكن المساجد مجرد أماكن تؤدى فيها الصلوات فحسب ، بل أصبحت منبراً للعلوم والمعارف ، يتساوى فى ذلك المولد مثل البنت .

الفصل الرابع والثلاثين

الكتاب يمنع المرأة من التعلم وفهم الدين:

ليس للمرأة أن تناقش داخل الكنيسة لفهمهم، فهو يفترض أن الرجل هو صاحب العقل، ولا يفهم إلا هو، لذلك من لا تفهم عليها بسؤال زوجها في البيت! وإذا لم يذهب زوجها إلى الكنيسة ليفهم ويتعلم، فقد ضُربَ عليها الجهل! مع الأخذ في الاعتبار أن الكتاب سمح للنصرانية بالزواج من غير النصراني، فكيف ستسأل زوجها الجاهل بدينها؟ ألا يرمى بها الكتاب بهذه التعاليم في أحضان الشيطان؟ ألا يسلمها الكتاب بذلك إلى الكفر والجهل؟ ألا يقذف بها الكتاب بذلك إلى نار جهنم؟ (١) كَذَلِكَ أَيْتَهَا النِّسَاءُ كُنَّ خَاضِعَاتٍ لِرِجَالِكُنَّ، حَتَّىٰ وَإِنْ كَانَ الْبَعْضُ لَا يُطِيعُونَ الْكَلِمَةَ، يُرَبِّحُونَ بِسِيرَةِ النِّسَاءِ بِدُونِ كَلِمَةٍ) بطرس الأولى ٣ : ١

(٣٤) لَتَضُمُّتِ نِسَاؤُكُمْ فِي الْكَنَائِسِ لِأَنَّهُ لَيْسَ مَا ذُونًا لَهُنَّ أَنْ يَتَكَلَّمْنَ بَلْ يَخْضَعْنَ كَمَا يَقُولُ النَّامُوسُ أَيْضًا. ٣٥ وَلَكِنْ إِنْ كُنَّ يُرِدْنَ أَنْ يَتَعَلَّمْنَ شَيْئًا فَلْيَسْأَلْنَ رِجَالَهُنَّ فِي الْبَيْتِ لِأَنَّهُ قَبِيحٌ بِالنِّسَاءِ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي كَنِيسَةٍ. (كورنثوس الأولى ١٤ : ٣٤-٣٥)

(٩) وَكَذَلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ يُزَيَّنْنَ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْجِسْمَةِ مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ، لَا بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لَالِيٍّ أَوْ مَلَابِسَ كَثِيرَةٍ الثَّمَنِ، ١٠ بَلْ كَمَا يَلِيْقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللَّهِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ. ١١ لَتَتَعَلَّمِ الْمَرْأَةُ سُكُوتٍ فِي كُلِّ خُضُوعٍ. ١٢ وَلَكِنْ لَسْتُ آذِنُ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تُعَلِّمَ وَلَا تَتَسَلَّطَ عَلَى الرَّجُلِ، بَلْ تَكُونِ فِي سُكُوتٍ، ١٣ لِأَنَّ آدَمَ جَبَلٌ أَوَّلًا ثُمَّ حَوَاءُ، ١٤ وَآدَمُ لَمْ يُغْوَ لَكِنْ الْمَرْأَةُ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّيِ) تيموثاوس الأولى ٢ : ٩-١٤

وهذا الذي جعل سقراط وأريستوفان ومولير يحاربون تعليم المرأة:

فقال سقراط: إن المرأة ليست معدة إعدادًا طبيعيًا لكي تفهم شيئًا في العلم، ولكنها معدة للمطبخ وتربية الأولاد.

وجاء أفلاطون ليعطيها قسطاً من التعليم ، فقامت عليه الدنيا .
 وقام الفيلسوف الساخر أريستوفان بتأليف رواية اسمها : النساء
 المتحذلقات ، وتندّر فيها على المرأة التى نالت قسطاً من التعليم ..
 وجاء بعده مولير الفرنسى وتندّر بدوره على المرأة فى روايته : برلمان النساء .

الفصل الخامس والثلاثين

المرأة والعلم فى الإسلام :

لم يمنع الإسلام المرأة حق التعليم ، ذلك الحق الذى منعه بعض الأديان
 الكتابية ، والذى ظلت المرأة الغربية المسيحية محرومة منه إلى عصور متأخرة ،
 بل جعله فريضة من الفرائض الواجبة على كل مسلم ومسلمة ، فقد قال النبى
 ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » .

تقول الكاتبة زيجريد هونكه : (لقد كانت خديجة نموذجاً لشريفات العرب ،
 أجاز لها الرسول ﷺ أن تستزيد من العلم والمعرفة كالرجل تماماً . وسار الريب
 وشاهد الناس سيدات يدرسن القانون والشرع ويلقن المحاضرات فى المساجد
 ويفسرن أحكام الدين . فكانت السيدة تنهى دراستها على يد كبار العلماء ، ثم
 تنال منهم تصريحاً لتدرس هى بنفسها ما تعلمته ، فتصبح الأستاذة الشيخة . كما
 لمعت بينهن أديبات وشاعرات ، والناس لا ترى فى ذلك غضاضة أو خروجاً
 على التقاليد .)

فإن أول ما أنزله الله من القرآن هو الحث على العلم والمعرفة : ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ
 رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ ٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ ٤
 عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝ ٥ ﴾ العلق ١-٥

وأمرنا الله أن ندعوه بزيادة العلم قائلين : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ طه ١١٤

ورغبنا فى العلم فبين لنا أن المتعلم لا يتساوى عنده بغير المتعلم ، فقال :
 ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الزمر ٩

وبين الله لنا أن مكانة أهل العلم عنده أعلى في درجات الرضى والجنة ، فقال : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ المجادلة ١١

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فاطر ٢٨

ولم يكتفى القرآن بهذا بل حث المسلمين على البحث والتأمل ، وأعطى إشارات علمية ، نذكر منها : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۚ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ الطارق ٥-٧

كما أشار إلى مراحل نمو الإنسان مطالباً غير المسلمين أن يثبتوا عكس ذلك فتقام عليهم الحجة بأن هذا الكتاب كتاب الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ، ومطالباً فيها المسلمين بتعلم ذلك دفاعاً عن دينهم وإثباتاً لصحة عقيدتهم ، وهذا ما نراه اليوم من كبار علمائنا أمثال الدكتور زغلول النجار وغيره من العلماء المسلمين . جزاهم الله عنا وعن الإسلام خير الجزاء . : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْماً فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴾ المؤمنون ١٢-١٤

وأشار إلى إمكانية استخدام الأهلة في حساب الأشهر والسنين ، فقال : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ ﴾ البقرة ١٨٩

بل وصف من يرتكن إلى آياته العلمية أنهم من أهل العلم والتقوى وأنهم هم المهتدون : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِيعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ يونس ٥-٦

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ ۚ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٩٧﴾ الأنعام ٩٧

﴿وَعَلَّمَنَّا وَيَالْتَجِمَ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ النحل ١٦

لذلك وثق الارتباط بين العلم والإيمان والتقوى والهدى، وحث المؤمنين على العلم والبحث عنه وطلبه والتدبر في آيات الله ومخلوقاته. ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرعد ٤، وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل ١١، وقوله ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ الحجر ٧٥، ﴿إِنَّ فِي آخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦١﴾﴾ يونس ٦، ﴿قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ الأنعام ٩٧

كما خاطب الله تعالى أمهات المؤمنين رضى الله عنهن فقال: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُشَاكِي فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ الأحزاب ٣٤

وجعل المسير في الاتجاه الصحيح للوصول للجنة هو طلب العلم النافع. بل رغب فيه أكثر من ذلك، فقد أمر الله من في الأرض والسماء حتى الحيتان أن تطلب من الله أن يغفر لطالب العلم. بل شبه العالم بالنبى، وبين فضله على الزهاد والعباد مثل فضل القمر على باقى الكواكب. فقال ﷺ: «من سلك طريقاً يطلب فيه علماً، سلك الله به طريقاً من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من فى السماوات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً، وإنما ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» أبو داود والترمذى

وقال ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» متفق عليه

بل جعلها من كنوز الدنيا التى يجب أن يغبط الناس بعضهم بعضاً عليها. فقال ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَةٍ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الْحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا» متفق عليه

وجعل العلم من أنفع الأشياء لصاحبه حتى فى القبر. فقال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم يُتَفَعُّ به، أو ولد صالح يدعوا له» رواه مسلم

واستثنى العلم من كون الدنيا وما فيها ملعونًا ، وقرنه بذكر الله . فقال ﷺ: «الدنيا ملعونةٌ ، مَلْعُونٌ ما فيها ، إلا ذكرَ الله تعالى ، وما والاهُ ، وعالمًا ، أو متعلمًا» الترمذى

بل جعل طالب العلم كالمجاهد فى سبيل الله فقال ﷺ: «مَنْ خَرَجَ فى طلبِ العلمِ فهو فى سبيلِ الله حَتَّى يَرْجِعَ» الترمذى

وجعل كتم العلم من الآثام التى يُلْجَمُ فم كاتمهُ بلجام من النار يوم القيامة ترغيبًا فى نشر العلم ، وترهيبًا من كتمه . فقال ﷺ «مَنْ سُئِلَ عن علم فَكَتَمَهُ ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» أبو داود والترمذى

وجعل مداد طالب العلم أقدس من دم الشهيد . فقال: «إن مداد الطالب أقدس من دم الشهيد»

ولم يجعل لطلب العلم زمانًا محددًا ، فطالب المسلم بالتعلم مادام حيًا . فقال: «اطلبوا العلم من المهد إلى اللحد»

ولم يجعل لطلب العلم مكان محددًا . فطالب المسلم بالبحث عن العلم ، ولو كان فى آخر العالم . فقال: «اطلبوا العلم ولو فى الصين»

حتى الجاريات لم يستثناهن الإسلام من طلب العلم . فقد حثَّ رسول الله ﷺ على تعليمهن وتربيتهن وعقهن ، فقال: «أيما رجل عنده وليدة [جارية] ، فعَلَّمَهَا ، فأحسنَ تعليمها ، وأدبها ، فأحسنَ تأديبها ، ثم أعتقها وتزوجها فله أجران» متفق عليه

الأمر الذى دفع الصحابيات على لقاء الرسول ﷺ لأخذ العلم من أعلى

مصادره ، كما حرص الصحابة والتابعين على لقاء نساء النبي من أجل أخذ العلم من مصدر هو من أغنى مصادره بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ .

وقد أحسَّت المرأة نتيجة لهذا الحث بحاجتها إلى العلم ، فذهبت إلى النبي ﷺ تطلب منه مجلساً للعلم خاصاً بالنساء مثل مجلس علم الرجال . فعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال : (جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ذهب الرجال بحديثك ، فاجعل لنا من نفسك يوماً نأتيك فيه تعلمنا مما علمك الله) فقال ﷺ : (اجتمعنَّ يوم كذا وكذا فى مكان كذا) فاجتمعن ، فاتاهنَّ ، فعلمهن مما علمه الله).

هكذا بلغ حرص النساء المسلمات على العلم غايته ، بل زاد نهمهن بطلب العلم حتى تطلبن المجالس الخاصة بهن للتعليم ، مع أنهن يستمعن فى المسجد لتعليم الرسول ﷺ ومواظبه .

وكانت السيدة عائشة من أفقه النساء فى أمور الدين ، حتى قال عنها الرسول ﷺ لأصحابه الرجال : (خُذُوا نصف دينكم عن هذه الحميراء). فقد رَدَّت السيدة عائشة على ابن أختها أسماء "عروة بن الزبير" حين ظنَّ أن الطواف بالصفاء والمروة يسر واجباً فى أداء فريضة الحج اعتماداً على قوله تعالى : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ البقرة ١٤٨ ، حيث يوحى ظاهر الآية بالتخيير لا الفرض . فقالت له يا بن أختى بشئ ما فهمت ، لو كان الأمر كما فهمت لكانت الآية تقول "ألا يطوف بهما" .

وكان عمرها حين لحق الرسول ﷺ بربه لم يخط بعد إلى التاسعة عشرة ، ولم يكن بين أصحاب النبي ﷺ من كان أروى منها ومن أبى هريرة رضى الله عنهما ، على أنها كانت أدق منه وأوثق . وكانت رضى الله عنها تُحسن أن تقرأ ، ولم يكن يعرف ذلك إلا عدد محدود من أصحاب رسول الله ﷺ ، وكم كان لها رضى الله عنها من استدراكات على الصحابة وملاحظات ، فإذا علموا بذلك منها رجعوا إلى قولها .

وكانت تأتيها النساء في بيتها فتعلمهن ، وتفقهن في الدين ، وكان من بين هؤلاء النساء المرأة المخزومية ، التي قُطعت يدها .

ومما قيل في علم السيدة عائشة : (نقلا عن عودة الحجاب ج ٢)

قال الزهري : (لو جُمِعَ علم عائشة إلى علم جميع النساء ، لكان علم عائشة أفضل)

وقال عطاء : (كانت عائشة أفقه الناس ، وأحسن الناس رأيا في العامة)

وعن موسى بن طلحة قال : (ما رأيت أحدا أفصح من عائشة)

وقال مسروق : (رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ يسألونها عن الفرائض)

وعن عروة بن الزبير قال : (ما شكل علينا أصحاب رسول الله ﷺ حديث قط ، فسألنا عائشة إلا وجدنا عندها منه علما)

وقد كان الرجال يطلبون العلم من أمهات المؤمنين : فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي يسألون عن عبادة النبي ﷺ

وهل تجد موطنًا أوثق ، ومرتقى أسمى ، ومنزلة أوثق من أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه . وهو العلم الأشم الذي لا يدانيه أحد في علمه وحكمته ، وقربه من رسول الله ﷺ وقربته . يتلقى الحديث على مولاة [جارية] لرسول الله ﷺ كانت تقوم على خدمته ، وهي ميمونة بنت سعد؟ فكيف بمن دون علي رضي الله عنه؟!

انظر إلى احترام الصحابة للمرأة ولعلمها ، حتى ولو كانت أمة! فهؤلاء الرجال يعترفون بجهلهم في مسألة أو أكثر ، ويُقرّون بعلم امرأة ، بل ويلجأون إليها للتعلم منها! حتى علي بن أبي طالب (الذي قال عنه رسول الله ﷺ أنا مدينة

العلم وعلى بابها) لم يتكبر أن يتعلم من أمة ، احترمتها واحترم ما عندها من علم ، فجلس يتعلم منها .

وكذلك كانت أمنا السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، فقد كانت تتعلم الكتابة فى الجاهلية على يد امرأة كاتبة تُدعى (الشفاء العدوية) وهى سيدة من بنى عُدى قبيلة عمر بن الخطاب ، فلمَّا تزوجها النبى ﷺ طلب إلى الشفاء أن تعلمها تحسين الخط وتربيته كما علمتها أصل الكتابة .

وقد قيل إن عائشة بنت طلحة وفدت على هشام بن عبد الملك ، فلمَّا تذاكر شيوخ بنو أمية العلوم والمعارف من أشعار العرب وأخبارهم وكانت حاضرة عنده شاركتهم فى ذلك ، حتى إذا ذكروا النجوم والأفلاك ذكرت لهم أسماءها ، فقال لها هشام : أما عن الأول فلا أنكره وأما النجوم فمن أين لك هذا ، قالت تعلمتها من خالتى عائشة أم المؤمنين .

كما قدَّرَ الرسول ﷺ علم المرأة لدرجة أنه جعله بديلاً عن المهر ، عند عجز الزوج عن دفع المهر . فقد قال رسول الله ﷺ لرجل لم يكن معه ما يتزوج به : «تزوجها على ما عندك من كتاب الله» . بل جعله فدية أسرى الحرب ، فكان العلم يساوى حياة الأسير ، وكان كل أسير يُعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ، يُطلق سراحه .

ولقد وجد على مر القرون نساء تجاوزن علوم فرض العين إلى فرض الكفاية ، فكانت منهن المحدثات العظيمات ، والراويات الثقات ، حتى عدَّهنَّ الإمام محمد بن سعد صاحب كتاب (الطبقات الكبرى) نيف وسبعمئة امرأة من المحدثات اللاتى روين عن رسول الله ﷺ أو عن صحابته رضى الله عنهم ، وروى عنهنَّ أعلام الدين وأئمة المسلمين .

وقد روى أن الشيخ الذهبى (من عماء السلف) قد تعلم على يد ثلاثمائة امرأة!! وكذلك كان عالم القرن الثامن الهجرى الأشهر (ابن تيمية) قد تلقى العلم من جدته تيمية وتسمَّى بإسمها .

وقد ذكر السيوطي في الإتيقان: ١ / ٧٢، نقلًا عن طبقات ابن سعد ٨ / ٤٥٧ أن الصحابية أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث قد جمعت القرآن (حفظته)، وأن الرسول ﷺ قد أمرها أن تؤم أهل دارها، وكان لها مؤذن.

وقد روى عن الإمام علي بن أبي طالب في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ التحريم ٦ أنه قال: يقي الرجل أهله (زوجته) النار بأن يعلمها.

لقد بلغت الكثرات من العالمات المسلمات منزلة علمية رفيعة، فكان منهن الأستاذات والمدرسات (للإمام الشافعي، والإمام البخاري، وابن خلكان، وابن حيان). ونعرض فيما يلي نماذج من هؤلاء الفقيهات والمحدثات اللاتي اعتززن بالإسلام، فكان لهنَّ سهم في إعزازه، والبذل في سبيله:

تولت السيدة الشفاء بنت عبد الله المخزومية في عصر عمر بن الخطاب قضاء الحسبة في سوق المدينة، وهي وظيفة دينية ومدنية تتطلب الخبرة والصرامة.

استشار النبي ﷺ زوجته أم سلمة عندما تقاعس الناس عن التحلل من عمرة الحديبية، وبذلك أنقذت رجال المسلمين من الهلاك وعذاب الله.

ويُروى عن أم الدرداء الفقيهة الزاهدة قولها: (لقد طلبت العبادة في كل شيء، فما أصبت لنفسي شيئًا أشفى من مجالسة العلماء ومذاكرتهم).

وهذه ابنة سعيد بن المسيب لما دخل بها زوجها، وكان من أحد طلبة والدها، فلما أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج، فقالت له زوجته: إلى أين تريد؟، فقال: إلى مجلس سعيد أتعلم العلم. فقالت له: "اجلس أعلمك علم سعيد!"

وكانت امرأة الحافظ الهيثمي. وهي بنت شيخه الحافظ العراقي. تساعد زوجها في مراجعة كتب الحديث.

وشهادة الملقبة بفخر النساء في القرن الخامس الهجري فهي كانت كاتبة بغدادية ، عالمة محدثة عابدة ، صادقة في رواية الحديث ، وكانت تجيد الخط ، ولها رسائل في الحديث والفقه والتوحيد . كانت تلقى دروسًا في لأدب والتاريخ في جامع بغداد على الجمهور . وكان لها منزلة علمية كبيرة في التاريخ الإسلامي ، ولهذا كان يحضر دروسها كثير من العلماء والفضلاء .

وكانت كريمة بنت محمد بن حاتم المروزي سيدة الوزراء من راويات صحيح البخاري المعتبرة عند المحدثين ، روت عن السرخسي ، وكانت نابغة في الفهم والنباهة وحدة الذهن ، رحل إليها أفاضل العلماء .

وكانت شجرة الدر زوجة نجم الدين أيوب ، أول امرأة تتولى حكم مصر ، وقد أدارت رحي الحرب على ملك فرنسا سان لويس بعد موت زوجها بالمنصورة . وقد عُرفت بالذكاء النادر ، ولذهن الحاضر ، وحب القراءة والكتابة .

وكانت السيدة مهر النساء زوجة الأمير سليم على عرش فارس ، وكانت تتقن اللغتين العربية والفارسية وآدابهما ، بالإضافة إلى علمها الواسع في الموسيقى ، وكانت هي التي تستقبل الأمراء والحكام . وقد حدث مرة أن وقع زوجها أسيرًا في بعض الحروب ، فقامت على رأس الجنود ، فاستخلصته من قبضة الأعداء . وكانت تربي اليتامى واليتيمات وتعطف عليهم وتزوجهم ، كما كانت موئل المظلومين ، وملاذ المعدمين . وكان زوجها يدعوها (نور القصر) ، وكان الشعب يدعوها (نور جهان) أي نور الدنيا . وكانت تأمر باخطبة في المساجد ، وتحدد الضرائب ، وتنظر في أموال البلاد يوميًا ، وقد كتب اسمها على النقود إلى جانب اسم زوجها . كما أنشأت بعض المدارس والمستشفيات والمطاعم . وأصدرت قانونًا بمنع الهنود من دفن النساء وهن على قيد الحياة مع أزواجهن عند موتهم .

وكانت أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي طبيبة مبرزة شهيرة في الطب ، كثيرة الاطلاع ، كما أجادت علومًا كثيرة في الطب . وكانت أختها

وابنتها من العالمات بالطب والمداواة ، ولهما خبرة كبيرة بعلاج أمراض النساء .

وكانت من المحدثات أيضًا السيدة زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية الحنبلية ابنة الإمام شرف الدين عبد الله أخى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمهم الله تعالى ، وزوجة الإمام العلامة أبو محمد عبد الوهاب بن السلاّر .

وكانت أم عبد الواحد عالمة فاضلة من أحفظ الناس للفقهاء على مذهب الشافعى ، وحفظت القرآن وغير ذلك من العلوم ، وكانت محدثة .

وكانت وقاية امرأة عالمة فاضلة ، كانت بإحدى مدن ليبيا ، وكان يلجأ إليها أفاضل العلماء ، ويقولون : (تعالوا بنا نستشير وقاية ، فعصابتها خير من عمائمنا) .

ومن المحدثات أيضًا السيدات :

زينب ابنة الكمال ومن تلاميذها الإمام محمد بن حمزة الحسينى .

ووزيرة بنت عمر بن المنجى ومن تلاميذها الإمام محمد بن سوار السبكى .

ست القضاة بنت الشيرازى ومن تلاميذها الحافظ بن ناصر الدين الدمشقى ، والقاضى الإمام أحمد بن فضل الله العمرى . وغيرهن المئات الكثيرة .

والسيدة زبيدة زوج هارون الرشيد التى كانت لها مكانة عظيمة فى عصرها ، فهى التى أمدت مكة بالماء الصالح للشرب من العين التى عُرفت باسمها ، وهى التى أمرت ببناء إسكندرونة بعد أن دمرها البيزنطيون . وكانت تُقرض الشعر الجيد ، ولها آراء صائبة فى السياسة والحروب .

هل سمع الناس فى عصر من العصور أو عن أمة من الأمم فيها عالم من أوثق رواة الحديث عقدة وأصدقهم حديثاً وهو الحافظ بن عساكر (توفى

٥٧١ هـ) الملقَّب بـ (حافظ الأمة) كان له من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء؟ عالم واحد يتلقى العلم عن بضع وثمانين امرأة؟ فكم ترى منهن من لم يلقها أو يأخذ عنهما؟ مع الأخذ في الاعتبار أن الرجل لم يجاوز الجزء الشرقي من الدولة الإسلامية ، فلم تطأ قدماء أرض مصر ، ولا بلاد المغرب ، ولا الأندلس وهي أحفل ما تكون بالعالمات وذوات الرأي من النساء .

بل كان منهن من اعتلى عرش العلم ووصلن إلى أعلى المراتب العلمية ، حتى أنهن كن يمنحن الإجازات العلمية للرجال ، ومن أمثال ذلك أم المؤيد زينب بنت الشعري ، التي منحت العالم ابن خلكان إجازة علمية كتبها له في سنة ٦١٠ هـ .

وكان العلماء في الدولة الإسلامية يجدون في حلهم وترحالهم كل عناية واهتمام من قبل الحكام في البلاد الإسلامية ، فبالإضافة إلى المكانة الرفيعة التي كانوا يحظون بها عند الخلفاء والولاة والأمراء ، كانت تُغدق الأموال عليهم وتيسر لهم جميع الوسائل في سبيل مواصلة أبحاثهم ودراساتهم . بالإضافة إلى إنشاء المدارس والمعاهد والجامعات ودور العلم ، بالإضافة إلى بناء بعض الولاة المساكن لطلاب العلم ، علاوة على الأوقاف الكبيرة التي كانت توقف على طلبة العلم .

بل تولت امرأة القضاء في العصر العباسي ، ومنهن من اشتغلن بالسياسة ، وناصرن طائفة على أخرى ، معتمدات على فصاحتهم ، وعاطفتهم المؤثرة ، وبديهتهن الحاضرة ، ومقدرتهن الخطابية الملتهبة ، كما حدث وقت القتال بين على ومعاوية ، فقد ناصرت نساء كثيرات عليًا ، مثل هند بنت يزيد الأنصارية ، والزرقاء بنت عدى بن قيس ، وأم الخير البارقية ، وعكرشة بنت الأطروش . وفي العصور التالية لعبت الخيزران امرأة المهدي الخليفة الثالث من بني العبَّاس ، وشجرة الدر دورًا رئيسيًا في قيادة الدولة الإسلامية .

كل هذا كان يحدث في الوقت الذي كانت فيه الكنيسة في الغرب المسيحي

تمنح طلاب العلم رخصاً من أجل التسؤل! لكى يستطيعوا تغطية نفقاتهم الدراسية على الرغم من امتلاك الكنيسة للأموال الطائلة، وهذا يدل دلالة واضحة على عدم اهتمام الكنيسة بالعلم وطلابه. علاوة على مصادرتها لبعض الكتب وحرقتها. لاحتوائها على بعض الحقائق العلمية التى تخالف نظرياتها. كما كانت تفرض الرقابة الصارمة على المطبوعات وتتدخل فى بحوث العلماء ودروسهم، وتحرم على أتباعها مطالعة الكتب المخالفة لنظرتها.

وكان من نتيجة هذا الجهل الذى ضربته الكنيسة على أتباعها:

١- أحرقت مكتبة الإسكندرية التى كانت تحتوى على كتب البطالسة والمصريين القدماء على عهد يوليوس قيصر، وكانت قسمين أحدهما مكتبة البروخيوم وتحتوى على ٤٠٠ ألف مجلد، والأخرى السرايوم وتضم ٢٠٠ ألف مجلد.

٢- انتحل بطريرك الإسكندرية أدنى الأسباب لإثارة ثورة فى المدينة لإتلاف ما بقى فى مكتبة البطالسة بعضه بالإحراق وبعضه بالتبديد، ولقد قال أروسيوس المؤرخ إنه رأى أدراج المكتبة خالية من الكتب، بعد أن نال تيوفيل الأمر الإمبراطورى من قيصر الرومان بإتلافها بنحو عشرين سنة.

٣- جاء بعد تيوفيل ابن أخته سيريل بطريركاً على الإسكندرية، وكان خطيباً مفعوفاً، له على الشعب سلطان بفصاحته، وكان فى الإسكندرية فتاة تسمى هيباتى الرياضية، تشغل بالعلوم والفلسفة، وكان يجتمع إليها كثير من أهل النظر فى العلوم الرياضية، وكان لا يخلو مجلسها من البحث فى الفلسفة، فلم يحتمل سيريل السماع بها وبعلموها، مع أن الفتاة لم تكن مسيحية، بل كانت على دين آبائها المصريين القدماء، فأخذ يشير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها فى الطريق سائرة إلى دار ندوتها. فقبضوا عليها وفعلوا بها الآتى:

أولاً: جردوها من ملابسها كلية.

ثانياً: أخذوها إلى كنيسة الإسكندرية مكشوفة العورة.

ثالثًا: قتلوها فى مقر الكنيسة.

رابعًا: قطعوا جسمها تقطيعًا.

خامسًا: ثم فصلوا 'اللحم عن العظم.

سادسًا: ألقوا ما بقى منها فى النار.

ويقول مؤرخ هذه القصة وراويها: ولم تسأل الدولة القديس سيريل بطريرك الإسكندرية عما صنع بالفتاة هياتى ، ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها .

٤- حرق العلماء وكتبهم إذا تعارض علمهم مع جهل الكنيسة ورجالها ، فقد كانت الكنيسة تصف السبب العلمى لقوس قزح بأنه قوسًا حرييًا بيد الرب ينتقم بها من عباده إذا أراد ، فأثبت العالم دى روميس أن هذا القوس هو من إنعكاس ضوء الشمس فى نقطة الماء ، فقبض عليه وأحضره إلى روما ، وحُبس حتى مات ، ثم حوكت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت فى النار. فك أن تتخيل أن دعاة الرب محبة ، ودعاة أحبا أعداءكم يقومون بإحراق جثة عالم مات أو لم يسألهم أحد البتة: هل التمثيل بالجثث يُدرج تحت محبة الأعداء؟

٥- بعد انحسار الإسلام عن بلاد الأندلس فى إسبانيا ، قام الكاردينال اكسيهينس بإحراق ثمانية آلاف كتاب عربى مخطوطة فى غرناطة ، فيها كثير من ترجمة الكتب المعول عليها عند علماء أوزوبا وقتئذ.

٦- فقد كان تعلم المرأة سبة تشمئز منها انساء قبل الرجال ، فلما كانت البصبات بلاكويل تتعلم فى جامعة جنيف سنة ١٨٤٩ . وهى أول طبيبة فى العالم الغربى . كانت النسوة المقيمات معها يقاطعنها ، ويأبين أن يكلمنها ، ريزوين ذيوئهن من طريقها احتقارًا لها ، كأنهن متحزرات من نجاسة يتقين مساسها . ولما اجتهد بعضهم فى إقامة معهد يعلم النساء الطب بمدينة فلادلفيا الأمريكية ، أعلنت الجماعة الطبية بالمدينة أنها تصدر كل طبيب يقبل التعليم بذلك المعهد ، وتصدر كل من يستشير أولئك الطبييت . .) (نقلا عن المرأة فى القرآن ، لعباس العقاد ص ١١٢)

الفصل السادس والثلاثين

شبهة ورد:

من الذى أحرق مكتبة الأسكندرية؟

من الاتهامات الشائعة التى يُرمى بها الإسلام والمسلمون هو إحراق عمرو ابن العاص لمكتبة الأسكندرية. ويستشهدون ببعض النصوص التى ذكرت فى بعض المراجع التاريخية التى كتبها بعض المؤرخين من المسلمين والنصارى.

وحجتهم فى ذلك ما كتبه عبد اللطيف البغدادى (١٢٣١ م) فى كتابه الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعينة بأرض مصر، والمقرئزى يكاد ينقل ما ذكره البغدادى حرفياً، وكذلك ابن القفطى (١٢٤٨ م) فى كتابه أخيار العلماء بأخبار الحكماء، وكذلك الكاتب النصرانى أبا الفرج الملتقى (١٢٧٧ م) فى كتابه مختصر الدول.

*من المعروف أن عمرو بن العاص قد فتح مصر عام ٦٤٢ م، وقد تلاحظ من التواريخ أعلاه أن أول من كتب عن هذا هو عبد اللطيف البغدادى بعد الفتح بزمن يبلغ تقريباً ٦٠٠ عام. أضف إلى ذلك أن المؤرخين الذين سبقوه لم يشيروا إلى هذه التهمة أية إشارة مع أنهم قد تكلموا فى كتبهم بإسهاب عن الفتح العربى لمصر. ومن هؤلاء المؤرخين سعيد بن البطريق (٩٠٥ م تقريباً) والطبرى واليعقوبى والبلاذرى وابن عبد الحكم والكندى وغيرهم.

أضف إلى ذلك أن الكتاب فى القرنين السابقين للفتح العربى لم يذكروا شيئاً عن وجود مكتبة عامة فى الأسكندرية، وكذلك لم يشر إليها حنا النقيوس ولا إلى إحراقها مع أنه كتب عن الفتح العربى.

*أكد لوبون جوستاف فى كتابه حضارة العرب المطبوع عام ١٨٨٤ بباريس (صفحة ٢٠٨): أن المكتبة لم تكن موجودة عند الفتح

العربى ، إذ كانت قد أُحْرِقَتْ عام ٤٨ ق . م عند مجيء يوليوس قيصر إلى الأسكندرية .

وهذا ما أكدّه بطلر فى كتبه فتح العرب لمصر صفحة ٣٠٣ - ٣٠٧ وأضاف أن يوليوس قيصر كان محصوراً سنة ٤٨ ق . م فى حى البروكيون يحيط به المصريون من كل جانب تحت قيادة أخيلاس ، فأحرق السفن التى فى الميناء لقطع خط الرجعة على يوليوس وقيل إن النيران امتدت إلى المكتبة (يقصد هنا مكتبة المتحف أو المكتبة الأم) وأحرقَت المكتبة وأفتتها أو قد فنيت تمامًا فى القرن الرابع الميلادى .

ويواصل بطلر دفاعه قائلاً : أما المكتبة الوليدة التى قامت فى السيرايوم فإنها كانت فى حجرات متصلة ببناء معبد السيرايوم وقد أحرق هذا المعبد فى عهد تيودوسيوس عام ٣٩١ م على يد المسيحيين الذين كان يقودهم رئيسهم تيوفيلوس .

*أكد جيبون فى كتابه إضمحلال وسقوط الإمبراطورية الرومانية الجزء التاسع (صفحة ٢٧٥) : أن المكتبة قد أُحْرِقَتْ عام ٣٨٧ - ٣٩٥ م فى عهد تيودوسيوس .

وقد يدل على صدق هذه الأقوال أن أحد الرحالة الرومان واسمه أوراзиوس قد زار مصر فى أوائل القرن الخامس الميلادى وكتب عنها سنة ٤١٦ م وذكر أنه لم يجد سوى رفوف خالية من الكتب فى هذه المكتبة .

ذكر جرجى زيدان فى جزئه الثالث من كتابه التمدن الإسلامى (صفحة ٤٢ - ٤٣) نقلاً عن أبى الفرج الملطى (النصرانى) - وهذا مانقله المقرئى عنه بالحرف - أن يوحنا النحوى صرّح أن المكتبة كان بها على عهد بطولماوس فيلادلفوس أكثر من ٥٠١٢٠ كتاباً وأن هذه الكتب تم احراقها فى ستة أشهر بعد أن وزعت على أربعة آلاف حمام .

* ويعترض فريق من المؤرخين على رواية أبى الفرج لأسباب كثيرة لا يقرها العقل:

١- مات يوحنا النحوى قبل فتح العرب لمصر بحوالى ٣٠ أو ٤٠ سنة.

٢- كيف يعمل عمرو بن العاص على إحراق الكتب ثم يسلمها إلى الحمامات التى يقوم على خدمتها نصارى مصر - مع العلم بوجود كتب ومقتنيات نفيسة فى هذه المكتبة؟

٣- ألم يكن فى استطاعة أصحاب الحمامات أن يبيعونها ويترجحوا منها؟

٤- ألم يكن فى استطاعة أحد الأثرياء من أمثال يوحنا النحوى أن يشتريها؟

٥- كانت الكتب تصنع من ورق الكاغد الذى لا يصلح لإيقاد النار.

٦- كان أول ما أنزله الله من القرآن هو الحث على العلم والمعرفة بالقراءة ، فكيف يتم ذلك لو أحرق المسلمون كتب العلم؟ : ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ العلق ١-٥

٧- من الأوامر الربانية أن نطلب من الله بالدعاء أن يزيدنا علمًا ، فلم يحرق المكتبة إلا من يعتبر العلم الدنيوى كفرًا : ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ طه ١١٤

٨- كذلك أعلننا الله أن المتعلمون أرفع درجات ، وأكثر تقوى وخشية ومعرفة له من غير المتعلمين ، بل هى من أسباب رضى الله على عبده المتعلم ، كأداء الفروض تمامًا : فكيف يتسنى لمسلم أن يحرق ويهدم أسباب رضى ربه ، وأسباب ارتقاء مكانته عند الله؟ فقال تعالى : ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر ٩

وقال تعالى : ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر ٢٨

وقال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾

المجادلة ١١

٩- كذلك وجود النصوص القرآنية التي تأمرنا بالبحث ودراسة سنن

الأقدمين مثل:

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ

الْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾﴾ آل عمران ١٣٧

﴿لَتَنْبُؤَكُمُ فِي أَثَرِ النَّفْسِكُمْ وَالنَّفْسُكُمُ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ

ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ آل عمران ١٨٦

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ﴾ إبراهيم ٩

بل إن آيات الله تعالى التي تحث المسلم على التفكير، والتدبر، والتعقل

لتمنع المسلم من أن يقترف مثل هذه الجريمة. فقد قال تعالى:

﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ الرعد ٤

وقال: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِقَوْمٍ يَفْكُرُونَ﴾ النحل ١١

وقال: ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ الحجر ٧٥

إضافة لآيات الأخرى الكثيرة التي تحث المسلم على البحث والدراسة،

والعلم، والتأمل، والمقارنة، فلم يتنكر المسلم لعلم مطلقاً، وكان العلم

والتمسك بالقرآن وسنة النبي ﷺ هو سبب ارتفاع شأن المسلمين، وعلى النقيض

فقد كان سبب تأخر النصارى حتى القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين هو

تمسكهم بالكتاب المقدس، فلما انفصلت الكنيسة عن الدولة، تجرأ العلماء

عندهم، وأخذوا بأسباب العلم، الذي توصل إليه المسلمون، وقامت نهضتهم.

ومن أمثال هذه الآيات قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر ٢٨

والآيات التي تُحثُّ المسلمين على البحث والتأمل ، مثل :

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۚ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ۖ﴾ (١) يخرج من بين الصلب والترائب

﴿٧﴾ الطارق ٧-٥

ومثل : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ۖ﴾ (٢) ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْثَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٢﴾ ﴿المؤمنون ١٢-١٤﴾

ومثل : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾ البقرة ١٨٩

ومثل : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۖ﴾ (٣) إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴿يونس ٦-٥﴾

ومثل : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۖ﴾ (٤) ﴿الأنعام ٩٧﴾

ومثل : ﴿وَعَلَّمَكُمُ الْيَوْمَ الْآيَاتِ الَّتِي كُنْتُمْ تَسْأَلُونَ﴾ النحل ١٦

١٠- من المعروف أن المسلمين كانوا يعملون على نشر العلم منذ غزوة بدر، ولذلك كانوا يطلقون سراح الأسير إذا قام بتعليم عشرة من المسلمين .

١١- المدقق في الحديث المنسوب ليوحنا النحوي عن عمرو بن العاص حيث ذكر أن هذه الكتب نفيسة ولا تُقدَّر بمال . وما كان لعمرو بن العاص أن يحرقها لأنها مال يخص أقباط مصر، والعهد الذي أخذه عمرو على نفسه يقتضى حماية الأقباط وأموالهم .

١٢- من المعروف فقهياً إذا أتلف أحد المسلمين شيئاً يملكها أحد

النصارى ، كان لزامًا عليه أن يرد له ثمنها ولو كات خمرًا أو لحم خنزير ، فما بالك بأننا نتكلم عن كتب وعلم ، فما كان له أن يفنى هذا العلم ، ولو كان مُخالفًا لدينه ، طالما أنه ملك للنصارى .

١٣- دفع عمرو بن العاص للمصريين فى الوجه القبلى ثمن ما أتلفه الرومان فى هجومهم الثانى على مصر بسبب خطته التى كانت ترمى إلى سحب القوات الرومانية بعيدًا عن الأسكندرية . فيستبعد أن يكون قد أتلف ممتلكاتهم وأموالهم إبرارًا بعهدہ معهم .

١٤- رأى الرسول ﷺ مع عمر بن الخطاب رقوقا من الكتاب المقدس ولم يأمره بحرقه أو التخلص منه . كذلك سأل الرسول عليه الصلاة والسلام اليهود عن قول التوراة فى الزناة وقرأوا عليه من الكتاب الذى بأيديهم ، ولم يأمر أحدًا بنزعه منهم أو حرقه .

١٥- على الرغم من أن الكتاب المقدس به بعض النصوص التى يراها المسلم شركًا بينًا أو كفرًا صريحًا أو قذفًا لا مراء فيه فى حق الأنبياء ، أو فى حق الله ، وعلى الرغم من أن البعض قد يفهم النصوص التى تشير إلى زنا لأب بيناته ، أو زنا الحمى بكتته ، أنها دعوة للإقتداء بهؤلاء الأنبياء وأفعالهم ، إلا أنه لم يقم أحد من المسلمين بحرق نسخة واحدة من الكتاب المقدس ولا توجد نصوص فى القرآن أو السنة تحض على ذلك .

١٦- أنشأ المأمون بتشجيع من وزرائه عام ٨٣٠ م فى بغداد مكتبة تُدعى بيت الحكمة وهو عبارة عن مكتبة عامة ودار علم ومكتب ترجمة ، ويُعد بيت الحكمة أعظم صرح ثقافى نشأ بعد مكتبة الأسكندرية . فيستبعد على مسلم أمرًا بالعلم والقراءة والبحث والتدبر أن يحرق كتابًا للعلم .

١٧- نمت دور الكتب فى كل مكان نمو العشب فى الأرض الطيبة ، وفى عام ٨٩١م أحصى مسافر عدد دور الكتب العامة فى بغداد بأكثر من مئة . وبدأت

كل مدينة تبني لها دارًا للكتب يستطيع أى من الشعب استعارة أى كتاب منها ، أو أن يجلس فى قاعات المطالعة ليقرا ما يريد .

١٨- كانت مكتبة النجف فى العراق . وهى مكتبة صغيرة . تحتوى فى القرن العاشر أربعين ألف مجلد ، بينما لم تحو أديرة الغرب سوى اثنى عشر كتابًا ربطت بالسلاسل ، خشية ضياعها . وكان لكل مسجد مكتبته الخاصة ، بل إنه كان لكل مستشفى يستقبل زواره قاعة فسيحة صُفِّت على رفوفها الكتب الطبية الحديثة الصدور ، تباع لطلبة العلم والأطباء ، ليقفوا منها على آخر ما وصل إليه العلم الحديث . ولقد جمع نصير الدين الطوسى لمرصده فى مراغة أربعين ألف مخطوطة .

١٩- حذا حذو الخليفة فى بغداد كل الأمراء العرب فى مختلف أنحاء العالم العربى . مثلاً مكتبة أمير عربى فى الجنوب كانت تحتوى على مئة ألف مجلد . ورُوِيَ أنه لما سُفِّى سلطان بخارى محمد المنصور من مرضه العضال على يد ابن سينا ، وهو بعد فتى لم يتجاوز الثامنة عشر ، كافأه السلطان على ذلك بأن سمح له أن يختار من مكتبة قصره ما يحتاج إليه من الكتب لدراستها ، وكانت كتبها تشغل حيزًا كبيرًا من القصر ، وقد رُبِّت حسب موضوعاتها . ويكتب ابن سينا عن ذلك الحديث فيقول : (وهناك رأيت كتبًا لم يسمع أغلب الناس حتى بأسمائها) .

٢٠- ولا يستطيع أحد أن يقارن نفسه بالخليفة العزيز فى القاهرة . حتى خليفة قرطبة ، الذى بعث رجاله وسماسته فى كل أنحاء الشرق ليجلبوا له الكتب فيزيد روائع مكتبته ، أنَّى له أن يصل إلى ما فعله العزيز؟! لقد حوت مكتبة العزيز على مليون وستمئة ألف (٦٠٠ ٠٠٠) كتابًا ، فكانت بذلك أجمل وأكمل دار للكتب ضُمَّت ٦٥٠٠ مخطوطة فى الرياضيات و ١٨٠٠٠ مخطوطة فى الفلسفة ، ولم يمنع هذا قط ابنه من بعده ، حين اعتلى العرش ، من أن يبنى مكتبة ضخمة فيها ثمانى عشرة قاعة للمطالعة إلى جوار المكتبة القديمة .

٢١- ترك ابن الجزار (الطبيب والرحالة القيرواني) عند وفاته ٢٥٠ طناً من لفائف جلد الغزال التي كتبها بنفسه. ويحكى أن طبيباً آخر. ولم يكن أحد في ذلك العصر يشك في صدق هذه الرواية. لم يستطع أن يقبل دعوة سلطان بخارى لزيارة قصره لأنه كان مشغولاً بتحصيل ٤٠٠ جمل لنقل مكتبته التي بلغ وزن كتبها ١٠٠٠٠ كيلو جرام إلى مسكنه الجديد. وعرف الناس عند وفاة أحد العلماء أنه ترك ٦٠٠ صندوقاً متخماً بالكتب في كل فروع العلم، وأن كل صندوق منها بلغ من الثقل حداً جعل عدداً من الرجال يعجزون عن نقله إلى خارج المنزل.

٢٢- وحذا الوزراء ورجال الدولة حذو الخلفاء والأمراء، فلقد ترك الوزير المهلبى عند وفاته ٩٦٣ م مجموعة من ١١٧٠٠٠ مجلد، واستطاع زميله الشاب ابن عباد أن يجمع في مكتبته ٢٠٦٠٠٠ كتاب، وجمع أحد قضاة ١٠٥٠٠٠٠ مجلداً.

ولما كانت هذه الأرقام الضخمة قد حسبت بالتقريب وبلغ في بعضها، فإن هذه المبالغة نفسها لهى أكبر دليل على مفاخرتهم بذلك وسرورهم بكل جهد يُبذل في هذا السبيل، وليس أدل على هذا مما نقرأه من أن بعض الوزراء لم يكن يخرج إلى رحلة إلا ومعه حمولة ثلاثين جملاً من الكتب تصحب ركبته.

٢٣- لقد تقاضى ابن الهيثم ٧٥ درهماً أجراً لنسخ مجلد من مجلدات أقليدس، وهو مبلغ لا يستهان به، فقد عاش منه ابن الهيثم ستة أشهر. لقد كان إذن اقتناء كتب العلماء اليونانيين والقدماء غير المسلمين ليس بالكفر، وليس بالهرطقة، بل كان من الأمور التي يتباهى بها العلماء والخلفاء والوزراء وكبار رجال الدولة، ويبحثون عنها ويدفعون كل نفيس في سبيل اقتنائها. فليست إذن من أخلاق المسلم أن يحرق كتاباً.

٢٤- سافر أحد الدلائين (كانت مهمتهم شراء الكتب النادرة وبيعها) من بغداد إلى القاهرة ليشتري من مصر النادر من الكتب، وكان قد سمع بأخبار

طبيبها الشهير إبراهيم بن الصوفان الذي كان يوظف عددًا من النساخ ويشرف عليهم ، حتى صار له كنز من الكتب الطبية وغيرها ، وقدم التاجر للطبيب عرضًا مغريا لشراء عشرة آلاف مجلد من مكتبته ، ووافق الطبيب ، ولكن أخبار الصفقة وصلت إلى آذان الوزير الأفضل ، الذي كان بدوره من عشاق العلم الذين يقدرون قيمته وقديسيته ، فثارت فيه نزعة حبه للكتاب وتقديسه إياه ، كما ثارت فيه النزعة الوطنية ، وأقنع الطبيب بالإبقاء على هذا الكنز داخل البلد ، ودفع له من ماله الخاص الثمن الذي عرضه التاجر العراقي ثمنًا لتلك الكتب .

٢٥- هناك الكثير جدًا من الكتب أنقذها المترجمون العرب ، ولولا مجهوداتهم في الترجمة لضاعت هي الأخرى ، منها كتب جالينوس في علم التشريح ، ومخطوطات هيرون وفيلون ومينلاوس في الميكانيكا والرياضيات ، وبطلميوس في البصريات ، ومخطوطة لأقليدس في علم التوازن ، ومخطوطة في (ساعة الماء) ، وقانون الطفو لأرشميدس .

وثمة ثلاثة كتب علمية لأبولونوس أنقذها ثابت بن قرة الطبيب وعالم الرياضيات الكبير الذي عمل مع ولد حنين بن اسحق وابن أخيه المرز النبيه في مدرسة الأستاذ بين تلاميذه التسعين . ولم يمت حنين إلا وقد أتم ترجمة أغلب أعمال الكلاسيين .

٢٦- كان حنين هذا من العلماء المترجمين الذين لم يدخروا وسعًا في البحث عن كتاب معين ، وقد تمتع بمعرفة واسعة في كل فروع المعرفة ، فكان سيّد المادة التي يترجمها ، يضيف على مواضع الضعف أو الغموض من عنده نورا يجعلوها . خرج حنين ذات مرة بنفسه للبحث عن نسخة من أعمال جالينوس ، وكانت نادرة الوجود ، فسافر بحثًا عنها من العراق إلى سورية وفلسطين ومصر حتى وصل الأسكندرية ، ولكنه لم يوفق في العثور عليها ، اللهم نصف كتاب منها وجده في دمشق فرجع به إلى بغداد وبعدد ضخم آخر من الأعمال العلمية النادرة القيمة ليقدم لنا أكبر دليل على مدى اهتمام العرب بالكتب والترجمة .

٢٧- قيام الكثيرين من العرب بدراسة اللغات الأجنبية وترجمة كتب بعض مشاهير العلوم في العصر الأغريقي، وإرسال العلماء العرب (على نفقاتهم الخاصة) التجار إلى بلاد الهند وبيزنطة للبحث عن كتب العلم وشرائها، أنقل بعضًا منهم من كتاب شمس العرب [أصل الترجمة شمس الله] تسطع على الغرب للكاتبة زيجريد هونكه مثل:

(١) كان العلماء المسلمين حريصين على اقتناء كتب العلم اليونانية والرومانية ودراسة ما فيها. ومن أمثال ذلك رجل العلم العظيم موسى بن شاكر وأولاده الثلاث محمد وأحمد وحسن في عصر الخليفة المأمون. وقد برعوا في علم الفلك ودراسة طبقات الجو والرياضة. وكانوا يرسلون أتباعهم إلى بلاد البيزنطيين على نفقاتهم لشراء الكتب وترجمتها والاستفادة من علومهم. ولو كان في الإسلام نص ينهى عن ذلك لما اقترفوا إثم البحث عن العلم وترجمة الكتب وتعليم الغرب.

(٢) حرص العلماء أمثال الخوارزمي على اقتناء كتب العلم الهندية وغيرها. فقد كان على علم بكتب بطليموس عن جداول الحساب والجبر وهو من قام بتصحيحها.

(٣) ترجم ثابت بن قرة لبنى موسى عددًا كبيرًا من الأعمال الفلكية والرياضية والطبية لأبولونيوس وأرشميدس وإقليدس وتيودوسيوس وأرسطوطاليس وأفلاطون وجالينوس وأبقراط وبتليميوس. كما أنه صحح ترجمات حنين ابن اسحق وولده ثم شرع في وضع مؤلفات ضخمة له، فوضع ١٥٠ مؤلفًا عربيًا و ١٠ مؤلفات باللغة السريانية في الفلك والرياضيات والطب. فهذا نموذجًا من النماذج المشرقة في صفحات علم العرب وتقديسهم للعلم. فهل يصدق أحد العقلاء أن المسلمين قاموا بإحراق مكتبة عظيمة مثل مكتبة الأسكندرية ثم بعد ذلك يتكبد علماءهم مشقة البحث عن مؤلفات لنفس العلماء الذين حُرقت كتبهم!!!

٢٨- وتقول الدكتورة الألمانية العالمية (زيجيريد هونكه): (إن العرب لم

ينقذوا الحضارة الإغريقية من الزوال ونظموها ورتبوها ثم أهدوها إلى الغرب فحسب ، إنهم مؤسسو الطرق التجريبية فى الكيمياء والطبيعة والحساب والجبر والجيولوجيا وحساب المثلثات وعلم الاجتماع . بالإضافة إلى عدد لا يُحصى من الاكتشافات والاختراعات الفردية فى مختلف فروع العلوم والتى سُرِقَ أغلبها ونُسِبَ لآخرين ، قدّم العرب أثمن هدية وهى طريقة البحث العلمى الصحيح التى مهدت أمام الغرب طريقه لمعرفة أسرار الطبيعة وتسلطه عليها اليوم .

فهل قابل الغرب هذا بالشكر؟ لا .

فقد طمسوا الهوية العربية حتى لا يظهر الإسلام متلاًّ وسط الظلام الذى فرضه قساوسة وأساقفة وباباوات الدين النصرانى على كل من أتى بحقيقة علمية تخالف الكتاب المقدس وتُظهر جهل من ألفوه .

فقد أسمى الخوارزمى الجوريزموس Algorizmus وأسمى ابن سينا أريستوفوليس Aristofolis أو Avicienne وأسمى ابن رشد أفيروس Averoes ، فى محاولة منهم لطمس الهوية الإسلامية ، وأصحاب الفضل على علمهم وحضارتهم .

ونختتم هذا الرد بقول ألدوميلى Aldo Mieli فى كتابه القِيم : العلم عند العرب :

فى القرن الأول من خلافة العباسيين [بداية القرن الثامن] كان المترجمون (من الأغريقية إلى السريانية ، ومن السريانية إلى العربية) هم الذين يحتلون المرتبة الأولى - على وجه الخصوص - من النشاط العلمى .

وكان من بين هؤلاء العلماء والمترجمين نصارى ويهود احتضنتهم قصور الخلافة نفسها . فلا يُعقل أن نحرق كتبهم ونبيد علومهم ثم نحضن علمائهم . ومن أمثال هؤلاء العلماء تيوفيل بن توما الرهاوى وهو مسيحى مارونى توفى عام ٧٨٥م ، وجرس بن جبريل بن بختيشوع المتوفى عام ٧٧١م ، وكذلك أبى يحيى البطريق المتوفى عام ٨٠٠م ، (صفحة ١٨٤ من شمس العرب تشرق على الغرب) .

الفصل السابع والثلاثين

فى الكتاب المقدس: الزواج وإنجاب الأولاد عقوبة للمرأة:
(١٦) وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أَكْثَرُ أَتْعَابَ حَبْلِكَ. بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا.
وَأِلَى رَجْلِكَ يَكُونُ اسْتِيقَاكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ.» (تكوين ٣: ١٦)

ومن هنا فهم أهل الكتاب أن الزواج هو عقوبة للمرأة ، الأمر الذى دفع بولس أن يُشجّع على عدم الزواج: (٣٨) إِذَا مِنْ زَوْجٍ فَحَسَنًا يَفْعَلُ وَمَنْ لَا يُزَوِّجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ. ٣٩ الْمَرْأَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِالنَّامُوسِ مَا دَامَ رَجُلُهَا حَيًّا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَ رَجُلُهَا فَهِيَ حُرَّةٌ لِكَيْ تَتَزَوَّجَ بِمَنْ تُرِيدُ فِي الرَّبِّ فَقَطْ. ٤٠ وَلَكِنَّهَا أَكْثَرُ غَبْطَةً إِنْ لَبِثْتُ هَكَذَا بِحَسَبِ رَأْيِي. وَأُظَنُّ أَنِّي أَنَا أَيْضًا عِنْدِي رُوحُ اللَّهِ.) كورنثوس الأولى ٧: ٣٨-٤٠

والأمر الذى جعل الكنيسة تعارض استخدام التخدير فى حالات الوضع عام ١٨٤٧م ؛ لأن الله فى الكتاب المقدس . حسب زعمهم . قال لحواء بعد سقوطهما فى الخطيئة وأكلهما من الشجرة المحرمة عليهما: (تَكْثِيرًا أَكْثَرُ أَتْعَابَ حَبْلِكَ. بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا) تكوين ٣: ١٣ ، فكان لسان حالهم يقول: كيف نرحم النساء من الألم ، طالما أن الرب قد قرر تألمها أثناء الولادة؟ فعلينا إذن أن نساعد الرب فى انتقامه من النساء وأن ننتقم منهن لأنهن سبب طردنا من الجنة!!

لذلك قال لوثر الذى جعل النساء منبذات قسراً فى وحشية ، ومنفيات من عالم الرجال ، والذى يرى فى الزواج عقاباً للمرأة: (إن هذا العقاب ينبع أيضاً من الخطيئة الأصلية ، وتحمله المرأة مُكرَهة تماماً ، كما تتحمل الآلام والمتاعب التى وضعت على جسدها. إن السلطة تبقى قى يد الرجل ، وتُجبر المرأة على طاعته حسب وصية الله . فالرجل هو الذى يحكم البيت والدولة ، ويشن الحرب ، ويدافع عن ممتلكاته ، ويفلح الأرض ، ويبنى ، ويزرع . . الخ. أما المرأة فعلى العكس من ذلك ، فهى مثل مسمار دق فى الحائط .

... يجب أن تبقى المرأة في المنزل ... ، ترعى الحاجات المنزلية ، مثل انسان حُرِّم القدرة على ادارة تلك الشؤون ، التي تختص بالدولة ... بهذه الطريقة تعاقب حواء)

لم يتغير شيء! قد يكون لوثر تصارع عقائديًا مع روما ، ولكننا رأينا ، من وقت لآخر ، كيف أن الكراهية المسيحية للمرأة لم تتأثر بالاختلاف الفكري العقائدي . فلا تزال المرأة هي حواء الحقيرة عندهم والمنبوذة المعذبة . .

إن الصورة غير العادية للمرأة ، كمسمار يدق في حائط ، تكشف عن حقيقة مكانتها: فهي بائسة لا عون لها ، تُساق ، ويُدقُّ على رأسها . . لا يسعى وراءها من أجل إقامة مودة زوجية فيها دفء وراحة عائلية ، فلا توجد أى حرارة متبادلة . . ولهذا خلا بدء تاريخ الزواج المسيحي من المحبة ، والمساواة ، وعيش الرجال والنساء معًا في وئام) (تعدد نساء الأنبياء ص ٢٣٧-٢٣٨)

الفصل الثامن والثلاثين

الكتاب يأمر بتشويه المرأة المتبرجة:

(١٣) احْكُمُوا فِي أَنْفُسِكُمْ: هَلْ يَلِيقُ بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُصَلِّيَ إِلَى اللَّهِ وَهِيَ غَيْرُ مُغَطَّاةٍ؟ (كورنثوس الأولى ١١ : ١٣)

(٥) وَأَمَّا كُلُّ امْرَأَةٍ تُصَلِّي أَوْ تَتَّبَأُ وَرَأْسَهَا غَيْرُ مُعْطَى فَتَشِينُ رَأْسَهَا لِأَنَّهَا وَالْمَخْلُوقَةُ شَيْءٌ وَاحِدٌ بَيْنَهُ. ٦ إِذِ الْمَرْأَةُ إِنْ كَانَتْ لَا تَتَغَطَّى فَلْيَقْصَّ شَعْرُهَا. وَإِنْ كَانَ قَبِيحًا بِالْمَرْأَةِ أَنْ تُقْصَّ أَوْ تُحْلَقَ فَلْتَتَغَطَّ. (كورنثوس الأولى ١١ : ٥-٦)

فاحمدوا الله يا نساء المسلمين على نعمة الإسلام الذي حرَّم على ولى الأمر تشويهكم بحلق شعركن ، كما حرَّم على ولى الأمر تشويه الرجال بحلق لحاهم!

الفصل التاسع والثلاثين

الكتاب المقدس يدع المرأة تعيش تتحرق شوقا لرجل تتزوجه فى
الحلال!

(١) وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْأُمُورِ الَّتِي كَتَبْتُ لِي عَنْهَا فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لَا يَمَسَّ
امْرَأَةً. ٢ وَلَكِنْ لِسَبَبِ الزَّنا لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ امْرَأَتُهُ وَلِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ
رَجُلُهَا. (كورنثوس الأولى ٧ : ١-٢)

(٣٨) إِذَا مَنْ زَوَّجَ فَحَسَنًا يَفْعَلُ وَمَنْ لَا يُزَوِّجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ. ٣٩ الْمَرْأَةُ
مُرْتَبِطَةٌ بِالنَّامُوسِ مَا دَامَ رَجُلُهَا حَيًّا. وَكَأَنَّ إِنْ مَاتَ رَجُلُهَا فَهِيَ حُرَّةٌ لِكَيْ تَتَزَوَّجَ
بِمَنْ تُرِيدُ فِي الرَّبِّ فَقَطْ. ٤٠ وَلَكِنَّهَا كَثُرُ غِبْطَةٍ إِنْ لَبِثَتْ هَكَذَا بِحَسَبِ رَأْيِي.
وَأَظُنُّ أَنِّي أَنَا أَيْضًا عِنْدِي رُوحُ اللَّهِ. (كورنثوس الأولى ٧ : ٣٨-٤٠)

فكيف تصرف شهوتها التى خلقها الله بها بدون زواج؟ وكيف ستعمر
الأرض؟ ألم يقل الرب لحواء: «تَكْثِيرًا أَكْثَرَ أَتَعَابَ حَبْلِكَ. بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ
أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيقَاؤُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ». (تكوين ٣ : ١٦)
فكيف سينفذ أمر الرب بالحمل والألم والولادة إذا لم تتزوج؟

وأين المنطق فى خلق النساء لها شهوة جنسية تمامًا مثل الرجل ، وتركها
بدون رجل تتحرق شوقًا إليه؟! فهل يوجد أمامها طريقًا آخر غير طريق الزنى؟

الفصل الأربعين

نسى الرب أن يعطى أوامره عن العذارى فأكمل بولس ما نساها
الرب:

(٢٥) وَأَمَّا الْعَذَارَى فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ وَلَكِنِّي أُعْطِي رَأْيًا
كَمَنْ رَجِمَهُ الرَّبُّ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا. ٢٦ فَأَظُنُّ أَنَّ هَذَا حَسَنٌ لِسَبَبِ الضِّيقِ
الْحَاضِرِ. أَنَّهُ حَسَنٌ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا: ٢٧ أَنْتَ مُرْتَبِطٌ بِامْرَأَةٍ فَلَا تَطْلُبُ
الْإِنْفِصَالَ. أَنْتَ مُنْفَصِلٌ عَنِ امْرَأَةٍ فَلَا تَطْلُبُ امْرَأَةً. ٢٨ لَكِنَّكَ وَإِنْ تَزَوَّجْتَ لَمْ

تُخْطِئُ. وَإِنْ تَزَوَّجْتَ الْعَذْرَاءَ لَمْ تُخْطِئِي. وَلَكِنَّ مِثْلَ هَؤُلَاءِ يَكُونُ لَهُمْ ضِيقٌ فِي الْجَسَدِ. وَأَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُشْفِقُ عَلَيْكُمْ. (كورنثوس الأولى ٧: ٢٥-٢٨)

وهذه دعوة أخرى إلى الفتيات غير لمتزوجات بعدم الزواج! فهل يرضى آباء وأمهات الفتيات غير المتزوجات عن هذه النصيحة؟ وهل يفعل ذلك أكثر النصارى تدينًا؟ وماذا سيحدث لو لم تتزوج كل الفتيات المسيحيات؟ سيتقرض هذا الدين من الوجود، فهل هذا ما أراده بولس؟

الفصل الواحد والأربعين

الكتاب يأمر الرجال بإخصاء أنفسهم:

(١٢) لِأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَّاهُمُ النَّاسُ وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَّوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ. (١٩: ١٢) فأين حق النساء في الزواج وهدوء النفس والمتعة الحلال، إذا تتبع كل إنسان هذه التعليمات؟ أليس هذا الأمر فيه مهانة للمرأة؟ أليس هذا من شأنه انتشار السحاق (الشذوذ الجنسي بين النساء)؟

وكيف سيُنفذ أمر الرب بشأن الزواج والإنجاب إن خصى الرجال أنفسهم؟ وكيف سيستمر البشر في عبادة الله؟ وكيف كان سينزل ليُصلب ليفدى البشر إن نزل ولم يجد بشرًا؟ وكيف سينفذ أمر الله بعقاب المرأة أثناء الحمل والولادة؟ وكيف سيسود الرجل عليها دون أن يتزوجها؟ (١٦) وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: «تَكْثِيرًا أَكْثَرُ أَتْعَابَ حَبْلِكَ. بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا. وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيفَاؤُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ.» (١٣: ١٣)

فهل أراد كاتب هذا النص من التخلص من النصارى قاطبة: مرة بعدم زواج الفتيات، ومرة بعدم زواج المطلقين أو المطلقات، ومرة أن يخصى الرجال أنفسهم؟

الفصل الثانى والأربعين

الكتاب المقدس يقضى على إنسانية المطلقة:

(ومن يتزوج مطلقة فإنه يزنى) متى ٥ : ٣٢

فأين إنسانية المطلقة؟ أين حقها الطبيعي فى الحياة؟ لماذا تعيش منبوذة جائعة متشوقة للزواج ولا تستطيعه؟ لماذا يسد الكاتب كل منافذ الزواج والإنجاب لدى النصارى؟

الفصل الثالث والأربعين

حالات حرق السيدات ضعف شيلتها عند الرجال:

(٩) وَإِذَا تَدَنَسَتْ ابْنَةُ كَاهِنٍ بِالزَّيِّ فَقَدْ دَنَسَتْ أَبَاهَا. بِالنَّارِ تُحْرَقُ. ثلاث حالات تُحرق فيهما المرأة حية فى مقابل حالة واحدة عند الرجل. لاويين ٢١ : ٩

(١٤) وَإِذَا اتَّخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَأُمُّهَا فَذَلِكَ رَذِيلَةٌ. بِالنَّارِ يُحْرَقُونَهُ وَإِيَّاهُمَا لِكْنِي لَا يَكُونُ رَذِيلَةٌ بَيْنَكُمُ. (لاويين ٢٠ : ١٤).

الفصل الرابع والأربعين

قطع اليد عقوبة خاصة بالسيدات فقط:

(١١) إِذَا تَخَاصَمَ رَجُلَانِ رَجُلٌ وَأَخُوهُ وَتَقَدَّمتِ امْرَأَةٌ أَحَدِهِمَا لِتُخَلِّصَ رَجُلَهَا مِنْ يَدِ ضَارِبِهِ وَمَدَّتْ يَدَهَا وَأَمْسَكَتْ بِعَوْرَتِهِ ١٢ فَأَقْطَعُ يَدَهَا وَلَا تُشْفِقْ عَيْنُكَ. (تثنية ٢٥ : ١١-١٢)

الفصل الخامس والأربعين

الإسلام يُحرّم قتل النساء فى الحروب:

حرّم الإسلام قتل النساء أو الأطفال أو الشيوخ وكل من لم يمسك

سلاحًا ، ويعتدى على المسلمين . فكان الرسول العظيم محمد ﷺ يوصى الجيش قبل أن يتحرك بقوله : انطلقوا باسم الله .. وعلى بركة رسوله .. لا تقتلوا شيخًا فانيًا ، ولا طفلًا صغيرًا ولا امرأة ، وألا تغلوا ، وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ، .. إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور ..

وعندما هُزِمَ المسلمون في غزوة أحد خرج الرسول ﷺ من المعركة جريحًا ، وقد كسرت رباعيته ، وشج وجهه ، ودخلت حلقتان من حلقات المغفر في وجنتيه ، فقال له بعض من أصحابه : لو دعوت عليهم يا رسول الله ، فقال لهم : إني لم أبعث لعائنًا ، ولكني بعثت داعية ورحمة .. اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون

وفى نفس هذه المعركة قتل عم الرسول ﷺ أسد الله حمزة بيد رجل يدعى وحشى ، بتحريض من هند زوج أبى سفيان ، ولما خرَّ أسد الله حمزة أخذت هند تفتش عن قلب حمزة حتى احترته ، ثم مضغته مبالغة في التشفى والانتقام ..

ولما أسلمت هند وأسلم وحشى لم يزد الرسول على أنه استغفر لهند ، وقبل إسلام وحشى وقال له : إن استطعت أن تعيش بعيدًا عنا فافعل . هذا كل ما كان من معلم الإنسانية الخير مع قاتل عمه ومع ماضغة قلبه!!!

ورأى في أحد حروبه امرأة من الأعداء مقتولة ، فغضب وأنكر وقال : ألم أنهكم عن قتل النساء؟ ما كانت هذه لتُقتل .

ولما فتح مكة ودخلها الرسول ﷺ ظافرًا على رأس عشرة آلاف من أبطاله وجنوده ، واستسلمت قريش ، ووقفت تحت قدميه أمام الكعبة ، تنتظر حكم الرسول عليها بعد أن قاومته ٢١ سنة ما زاد ﷺ على أن قال : يا معشر قريش . ماذا تظنون أنى فاعل بكم؟ قالوا خيرًا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، فقال اليوم أقول لكم ما قال أخى يوسف من قبل : لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين . اذهبوا فأنتم الطلقاء . فعفا عن رجالها ونسائها من كبار السن وصغارهم .

الفصل السادس والأربعين

دية المرأة التى قتلت خطأ فى الإسلام !!

ودية المرأة إذا قتلت خطأ تكون نصف دية الرجل ، وكذلك دية أطرافها ، وجراحاتها على النصف من الرجل وجراحاته . (فقه السنة - المجلد الثالث - ص ٦٥)

رأينا أن من حق الرجل فى التوراة أن يبيع ابنته ، (٧ وَإِذَا بَاعَ رَجُلٌ ابْنَتَهُ أَمَةً لَا تَخْرُجُ كَمَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ.) خروج ٢١ : ٧

ورأينا أن القانون الإنجليزى حتى عام ١٨٠٥ م كان يبيع للرجل أن يبيع زوجته .

وفى القانون الصينى كان للرجل الحق فى أن يبيع زوجته كالجارية ، وإذا ترملت المرأة الصينية أصبح لأهل الزوج الحق فيها كإرث ، وللصينى الحق فى أن يدفن زوجته حية .

وكانت المرأة فى قانون هامورابى تُحسب فى عداد الماشية المملوكة ، ومن قتل بنتاً لرجل كان عليه أن يُسلم له ابنته ليقتلها أو يملكها أو يبيعها إن شاء .

أما الإسلام فقد عدها ضمن البشر ، الذين ساوى بينهم الله فى الخلق ، وخلقهم من نفس واحد ، فإذا كان القتل عمداً ، فقد وجب القصاص ، سواء كان المقتول رجل أو امرأة ، وسواء كان القاتل رجل أو امرأة . وبذلك فقد ساوى الله بين الرجال والنساء ، فأخذ نفس بنفس ، وكذلك إذا أضرَّ أى إنسان إنساناً آخر ، بغض النظر عن جنس أى منهما ، فيجب القصاص بالمثل : ﴿وَكَبَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُم الظَّالِمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ المائدة ٤٥

وهذا ما أقرته التوراة من قبل: (١٧) وَإِذَا أَمَاتَ أَحَدُ إِنْسَانًا فَإِنَّهُ يُقْتَلُ. ١٨ وَمَنْ أَمَاتَ بِهِمَةً يُعَوِّضُ عَنْهَا نَفْسًا بِنَفْسٍ. ١٩ وَإِذَا أَحْدَثَ إِنْسَانٌ فِي قَرِيبِهِ عَيْنًا فَكَمَا فَعَلَ كَذَلِكَ يُفْعَلُ بِهِ. ٢٠ كَسَرَ بِكَسْرٍ وَعَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌَّ بِسِنٍَّ. كَمَا أَحْدَثَ عَيْنًا فِي الْإِنْسَانِ كَذَلِكَ يُحْدَثُ فِيهِ. ٢١ مَنْ قَتَلَ بِهِمَةً يُعَوِّضُ عَنْهَا وَمَنْ قَتَلَ إِنْسَانًا يُقْتَلُ. ٢٢ حُكْمٌ وَاحِدٌ يَكُونُ لَكُمْ. الْغَرِيبُ يَكُونُ كَالْوَطَنِيِّ. إِنِّي أَنَا الرَّبُّ (إِلَهُكُمْ؛). لاويين ٢٤: ١٧-٢٢

أما القتل الخطأ فليس فيه إلا التعويض المالى. وفى كل قوانين الدنيا قد يحكم القاضى فى دولة أوربية بسبب تأخر القطار عن مواعده المعلن لشخص بأضعاف مضاعفة من التعويض الذى يأخذه آخر. سواء أكان الإثنان من الرجال أو أحدهما أو كلاهما من النساء. فالأمر يرجع لما فقده الشخص بتأخر القطار.

فالتعويض يجب إذن أن يُراعَى فيه مقدار الخسارة الواقعة على المتضرر. وخسارة الأسرة بفقدان الرجل أكبر من خسارتها بفقدان المرأة. فهو معيلهم الأول الذى يقوم بالإنفاق عليهما وعلى أولادهم والسعى فى سبيل إعاشتهم.

أما الأولاد الذين قتلت أمهم خطأ، والزوج الذى قتلت زوجته خطأ، فهم لم يفقدوا إلا ناحية معنوية، يمكن أن يكون المال تعويضاً عنها.

فالدية ليست تقديرًا لقيمة الإنسانية فى القتل، وإنما هى تقدير لقيمة الخسارة المادية التى لحقت أسرته بفقده، وهذا هو الأساس القويم الذى لا يمارى فيه أحد.

وإذا كانت التوراة تعتبر الرجل سيد المرأة وهى أمته (عبدته)، فهل يتساوى قيمة الإثنان عندهم؟ (٨) إِنَّ قُبِّحَتْ فِي عَيْنِي سَيِّدَهَا الَّذِي حَظَّبَهَا لِنَفْسِهِ يَدْعُهَا تُفْكُ. وَلَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ أَنْ يَبْعَهَا لِقَوْمٍ أَجَانِبَ لِعَدْرِهِ بِهَا. (خروج ٢١: ٨)

الفصل السابع والأربعين

المرأة ليست مجد الله !!

(الرَّجُلُ عَلَيْهِ أَلَّا يُغْطِيَ رَأْسَهُ، بِاعْتِبَارِهِ صُورَةَ اللَّهِ وَمَجْدَهُ. وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَهِيَ مَجْدُ الرَّجُلِ. ٨ فَإِنَّ الرَّجُلَ لَمْ يُؤْخَذْ مِنَ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ أُخِذَتْ مِنَ الرَّجُلِ؛ ٩ وَالرَّجُلُ لَمْ يُوجَدْ لِأَجْلِ الْمَرْأَةِ، بَلِ الْمَرْأَةُ وَجِدَتْ لِأَجْلِ الرَّجُلِ.)
كورنثوس الأولى ١١ : ٧

حتى عفاف المرأة وتحشمها فهو عقوبة من الرب لأنها ليست صورة الله ومجده كالرجل!

ونفس الفكرة تكررت فى سفر التكوين ، وفيها نسب الأولاد لله ، أما البنات فنسبهم للناس : (١ وَحَدَّثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الْأَرْضِ وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ ٢ أَنَّ أَبْنَاءَ اللَّهِ رَأَوْا بَنَاتِ النَّاسِ أَنَّهُنَّ حَسَنَاتٌ. فَاتَّخَذُوا لِنَفْسِهِنَّ نِسَاءً مِنْ كُلِّ مَا اخْتَارُوا.) تكوين ٦ : ١-٢

الفصل الثامن والأربعين

مراعاة شعور المرأة التى مات عنها زوجها فى الإسلام :

ما أعظم هذا الحرص على شعور المرأة ، بعد أن كانت تباع وتُشترى ، بعد أن كانت لُعبة يستمتعون بها ، وهى يُسكب عليها الزيت المغلى ، وتُعذَّب ! ما أعظم ما أهدى الإسلام للمرأة : لقد أهدها إنسانيتها ! لقد أشعرها بآدميتها !

فمن الحضارات من كان يحرقها حية بجوار جثة زوجها ، ومنهم من كان يجعلها من قطع الأثاث أو فى عدد مواشى المتوفى ليرثها ابنها أو اخوان المتوفى ، ويعطون لأنفسهم الحق فى بيعها أو تأجيرها أو ضمها للخدم ، فخفف عنها الإسلام كل هذا وجعل عدتها أربعة أشهر وعشرة أيام . ما لم تكن حاملاً فعدها عدة الحامل . وفيها تستبرئ رحمها ، ولا تجرح أهل الزوج فى عواطفهم بزواج فوري .

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ البقرة ٢٣٤

وفى أثناء هذه العدة تلبس محتشمة ولا تتزين للخطاب ، وبعد هذه العدة فلا سبيل لأحد عليها ، سواء من أهلها أو من أهله فى حدود المعروف من شريعة الله وسنة رسوله . فلها أن تأخذ زينتها المباحة للمسلمات ، ولها أن تتلقى خطبة الخطاب ، ولها أن تزوج نفسها ممن ترضى ، لا تقف فى سبيلها عادة بالية ، ولا كبرياء زائفة وليس عليها رقيب إلا الله .

هذا شأن المرأة . . ثم يلتفت السياق إلى الرجال الراغبين فيها فى فترة العدة ، فيوجههم توجيهًا قائمًا على أدب النفس ، وأدب الاجتماع ، ورعاية المشاعر والعواطف ، مع رعاية الحاجات والمصالح :

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرْنَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ البقرة ٢٣٥

فإن المرأة فى عدتها ما تزال مُعلَّقة بذكرى لم تُمُت ، وبمشاعر أسرة الميت ، ومرتبطة كذلك بما قد يكون فى رحمها من حمل لم يتبين ، أو حمل تبين والعدة مُعلَّقة بوضعه . . وكل هذه الاعتبارات تمنع الحديث عن حياة زوجية جديدة ، لأن هذا الحديث لم يَجِن موعده ، ولأنه يخرج مشاعر ، ويخدش ذكريات .

ومع رعاية هذه الاعتبارات فقد أُبيح التعريض . لا التصريح . بخطبة النساء ، أُبيحت الإشارة البعيدة التى تلمح منها المرأة أن هذا الرجل يريد لها زوجة بعد انقضاء عدتها .

وقد أباح الله الرغبة المكنونة التى لا تُذكر لا تلميحًا ولا تصريحًا لأن الله

علم أنها تتعلق بميل فطرى ، حلال فى أصله ، مُباح فى ذاته ، والملايسات وحدها هى التى تدعو إلى تأجيل اتخاذ الخطوة العملية فيه ، والإسلام يعمل على عدم تحطيم المشاعر الإنسانية ولا الميول الفطرية ، ولا يكبت النوازع البشرية ، إنما يهذبها ويضبطها . ومن ثمّ ينهى فقط عما يخالف نظافة الشعور ، وطهارة الضمير .

(وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا) فلا جُنَاحَ عليكم فى أن تُعَرِّضُوا بالخطبة ، أو أن تكونوا فى أنفسكم الرغبة فى ذلك ، ولكن المحذور هو المواعدة سِرًّا على الزواج قبل انقضاء العِدَّة ، ففى هذا مُجَانِبَةٌ لأدب النفس ، ومخالسة لذكرى الزوج ، وقلة استحياء من الله الذى جعل العدة فاصلاً بين عهدين من الحياة .

﴿إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ لا نكر فيه ولا فحش ، ولا مخالفة لحدود الله التى بينها فى هذا الموقف الدقيق .

﴿وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتْلُ أَجَلُهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَأَخَذُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفْوٌ حَلِيمٌ﴾ ونلاحظ أنه لم يقل : ولا تعقدوا النكاح ، إنما قال ﴿وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ زيادة فى التخرج ، فالعزيمة التى تنشئ العقد النكاح هى المنهى عنها .

الفصل التاسع والأربعين

الإسلام والعزوبة :

من أعظم فضائل الإسلام على الرجل والمرأة ، بل على الدولة الإسلامية والمجتمع الإنسانى كله ، أنه حرّم الرهبانية ، التى جعلتها المسيحية أساس الحياة عندها ، وجعلت الزواج فيها جائزاً . وهو بذلك أنصف الرجل والمرأة وحقق الفطرة الإنسانية . وهو بذلك لجدير بكونه دين الواقعية ودين الفطرة .

ولم يسمح الله لبشر أن يغير هذه الفطرة ، فلم يكتب الرهبانية على النصارى

أو غيرهم، بل المتتبع لتاريخ نشأتها، سيعلم أنها نشأت بسبب الإضطهاد الذى لاقوه بسبب دينهم: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ الحديد ٢٧

فقد كان التلاميذ متزوجون، ولم يتزوج منهم إلا الربى أول فاتح رحم (أى المندور لله لتدريس التوراة) من نسل هارون من سبط لاوى، مثل نبيا الله يوحنا المعمدان وعيسى عليهما السلام.

والآيات التى تحت على الزواج كثيرة، منها:

﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّى تُؤْمِنَ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ ءَايَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَاسْأَلُوا عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَأَعْرِضُوا لِلنِّسَاءِ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ إِنْ سَأَلْتُمْ حَرْثَ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنْى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّكَلَّفُونَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾﴾ البقرة ٢٢١-٢٢٤

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَقْرَبُوا عَهْدَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾ البقرة ٢٣٥

﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٢٣٦﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ

عَلَيْكُمْ وَحَلَّيْلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢٢﴾ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِجْلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا
بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٣﴾
وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ
أَيْمَنُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَنِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ
بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفَحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ
أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ أَنْتُمْ بِنَفْسِكُمْ أَنْ لَا يَكُنْ عَلَيْهِنَّ مِنْكُمْ نِصْفٌ مِمَّا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنْ
الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿٢٤﴾ النساء ٢٢-٢٥

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الْطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ
وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ
أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِلَهِينَ فَقَدْ حِطَّ
عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٥﴾ المائدة ٥

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ
فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ المؤمنون ٥-٦

﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ
يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * وَلَيْسَتُغْنِيَنَّ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى
يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴿النور ٣٢-٣٣﴾

﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ
بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ الروم ٢١

وكان الزواج سنة من سنن الأنبياء: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ
أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾ الرعد ٣٨

وكذلك دافع الرسول ﷺ عن حقوق المرأة في الزواج ، والإستمتاع بزوجها ، وحرّم على الرجال الرهينة والتبتل :

فقال ﷺ : «الدنيا متاع ، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» .

وقال ﷺ : «من كان موسراً لأن يتزوج ، ثم لم يتزوج فليس مني» .

وقال ﷺ : «ليس في الإسلام اعتزال النساء والتزام الصوامع» .

وقال ﷺ : «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، فإنه أغضّ للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» .

وقال ﷺ لعكاف بن وداعة : «يا عكاف ألك امرأة؟ قال : لا . فقال له النبي ﷺ فأنت إذن من إخوان الشياطين ، إن كنت من رهبان النصارى فألحق بهم ، وإن كنت منا فمن ستتنا النكاح» .

وقال ﷺ : «من تزوج فقد حفظ نصف دينه ، فليتنق الله في النصف الآخر» .

وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص لما علم أنه انصرف إلى العبادة انصرفاً كلياً : «إن لبدنك عليك حقاً ، وإن لزوجك عليك حقاً» .

وقال ﷺ : «ثلاثة حق على الله عونهم : المجاهد في سبيل الله ، والمُكاتب الذي يريد الأداء ، والناكح الذي يريد العفاف» .

وقال ﷺ : «أربع من السعادة : المرأة الصالحة والمسكن الواسع والجار اصالح والمركب الهنيء» .

وقال ﷺ : «قلب شاكر ، ولسان ذاكِر ، وزوجة صالحة تعينك على أمر دنياك ودينك ، خير لك مما اكتنز الناس» .

وكان الصحابة يسعون في التعجيل بتزويج أراملهم ، فبعد أن تأيَّمت حفصة

بنت عمر بن الخطاب ، عرض تزويج ابنته على عثمان بن عفان فرفض ، فعرضها على أبي بكر ، فسكت ولم يتلق منه إجابة ، ثم خطبها الرسول ﷺ .

الفصل الخمسين

العزوبة والتوراة :

في الوقت الذي جاء فيه عيسى عليه السلام مؤيداً لكتاب موسى وكتب الأنبياء ، عاملاً بالتوراة ، ومعلماً ومدرساً لها في معبد اليهود ، ولكهنتهم وعلمائهم ، أمراً لهم بالوقوف على أحكامها ، وتطبيقها : الأمر الذي أثبتناه في الفصل الثالث عشر . فقال : (١٧) «لَا تَنْظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ . مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لِأَكْمِلَ . ١٨ فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ . ١٩ فَمَنْ تَقَضَّ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ . وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ فَهَذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ .) متى ٥ : ١٧-١٩

وكان يُعَلِّم جميع الشعب اليهودي لشريعة والناموس داخل معبدهم :

(٢٠) ثُمَّ حَضَرَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصُّبْحِ وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ .) يوحنا ٨ : ٢ ولم يجدوا ما يتهمون به ، إذا فقد كان حافظاً للناموس متبعاً له .

وكذلك التزمت أمه مريم البتول بالناموس :

(٢٢) وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ ٢٣ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ : أَنْ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحٍ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُوساً لِلرَّبِّ . ٢٤ وَلَكِنِّي يَقْدُمُوا ذَبِيحَةً كَمَا قِيلَ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ زَوْجَ يَمَامٍ أَوْ قَرْخِي حَمَامٍ .) لوقا ٢ : ٢٢-٢٤

وقال يعقوب رئيس التلاميذ من بعده:

(١٠) لَأَنَّ مَنْ حَفِظَ كُلَّ النَّامُوسِ، وَإِنَّمَا عَشْرٌ فِي وَاحِدَةٍ، فَقَدْ صَارَ مُجْرِمًا فِي الْكُلِّ. ١١ لَأَنَّ الَّذِي قَالَ: «لَا تَزْنِ» قَالَ أَيْضًا: «لَا تَقْتُلْ». فَإِنْ لَمْ تَزْنِ وَلَكِنْ قَتَلْتَ، فَقَدْ صِرْتَ مُتَعَدِّيًا النَّامُوسَ. يعقوب ٢: ١٠-١١

يقول دشنر ص ٥٢: (لم يسب اليهود الزواج ، ولم يتمردوا عليه ، ولم يكن عندهم مبدأ العزوبة ، فقد كان يجب على اللاويين والكهنة أن يتزوجوا من عذراوات مُبجلات من بنى إسرائيل ، وكانت العزوبة عندهم من التعاسة ، وهى أحد مظاهر غضب الرب عليهم وعقوباته لهم ، لذلك لم يحتوى كتاب العهد القديم العبرى بالمرّة على كلمة أعزب ، لأنها كانت كلمة غريبة على مسامعهم ، بل أكثر من ذلك أن اليهود قد اعتادوا بعد السبى أن يزوجوا أولادهم وبناتهم فى سن مبكرة ، فكانت البنت تتزوج وهى فى الثالثة عشر ، والابن وهو فى الثامنة عشر. ثم أجبر التلمود فيما بعد اليهود على الزواج ، وهو نفس الوضع الذى نجده فى القرآن الذى يُقدّس الزواج ، وكان الربى يختلف عن رجال الدنيا : فقد كان عليه أن يُجامع زوجته يوميًا ، حتى يصفو ذهنه لدراساته .)

الفصل الواحد الخمسين

مارتن لوثر يقضى على الرهينة ويبيح تعدد الزوجات:

كان لوثر يرفع من شأن الزواج ويجعله فوق العزوبة التى وصمها بأنها تهرب من المسؤولية الاجتماعية. ولقد كان دفاعه عن الزواج فى مستهل هجومه على تبتل رجال الاكليروس والرهبان شديدًا. وكان السبب فى ذلك أن الممارسات التى قاومها كانت فظيعة. فلقد كانت ممارسة رجال الاكليروس للتسرى مشاهدة فى كل مكان ، باعتباره شرعًا مقبولًا ، كما كان ييغاضى عن الشذوذ الجنىسى دون أدنى مبالاة.

لقد اجتاحت رذيلة الشذوذ الجنىسى الكنيسة فى العصور الوسطى ، وكان

يُتغاضى عنها دون أدنى مبالاة ، الأمر الذى حرَّكَ لوثر إلى أن يؤكد على السماح بالزواج كعلاج ، فقد كان يقول إن نبضة الجنس قوية لدرجة أنه لا يقدر على العفة إلا القليل . . . وهذا يتطلب التحرر من تسلط الجنس ، ولا يقدر على ذلك إلا الذين منحوا القوة .

من أجل ذلك قد يكون الرجل المتزوج أكثر عفة من الراهب ، كما أن فرض التَّبَتُّل على الذين لم يُمنَحوا نعمة العفة ، إنما هو بمثابة الحكم عليهم بجَهَنم ، أو بتذوق عذاب المطهر .

فلا يحق للبابا [والكلام مازال للوثر] بعد اليوم أن يمنع ذكراً أو أنثى من الزواج ، إلا إذا كان يحق له منع الطعام والشراب . بل إن الزواج بامرأتين قد يُسَمَّح به أيضاً ، كعلاج لعدم اقتراف الإثم ، أى كبديل عن الاتصال الجنسي غير المشروع)

R. painton: sex, love and marriage, pp. 83-85

(نقلًا عن تعدد نساء الأنبياء ص ١٥٨)

وكيف يمنعهم من الزواج وقد كانت أم الإله متزوجة على قول الكتاب المقدس من يوسف بن يعقوب (متى ١ : ١٥) ومن يوسف بن هالى (لوقا ٣ : ٢٣) كما أنها حبلت من الروح القدس (متى ١ : ١٨) الذى هو ابنها نفسه؟

وكيف يمنعوا شعب الكنيسة من الزواج وتعدد الزوجات وقد كان أنبياءهم متزوجون ولهم نساء عديدات ، حتى إن سليمان كان له ١٠٠٠ (ألف) امرأة كما يحكى لنا سفر ملوك الأول ١١ : ٣ ؟ فهل كانوا سيصبحون بذلك أشرف وأنقى من أنبياء الله؟

الفصل الثانى والخمسين

الإسلام والزنا :

ادعى نفر من أهل الجهل أن القرآن يدعو للزنى ، واستشهدوا على ذلك

بقول الله تعالى: ﴿قَالَ يَنْقُورِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ هود ٧٨

وهذا الإتهام ينطوى على جهل كبير ، وعمى شديد عما قالته الآية : فكيف يدعوههم إلى الزنى بيناته ، وهو يقول لهم ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ ويقول لهم ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ . فهل الله الذى نهى عن الزنى . وجعل عقوبته للمحصن (المتزوج) الموت رجماً ، وعقوبته لغير المحصن الجلد مئة جلدة أمام طائفة من المؤمنين والتغريب سنة عن مكان الجريمة . هو الذى يدعوا إليه؟

وكيف فهتمم ما لم يفهمه علماء اللغة العربية وقت نزول القرآن؟ هل كانت لتفوتهم هذه الآية ، لو كانت تدعوا للزنى كما فهتمم؟

اقرأوا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ الإسراء ٣٢

وقوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النور ٢

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِعْنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَتَرَفَّنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْسِدُنَّ بِهِنَّ بِأَيْدِيَهُنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْنَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الممتحنة ١٢

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الفرقان ٦٨

بل نهى الله ورسوله عن تتبع عورات النساء ، وأوصا بغض البصر ، الذى ويفتح باب الشهوات على مصراعيه: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ٣٠ وقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ

يَقْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا
وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ
أَبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَى إِخْوَانِهِنَّ أَوْ
بَنَى أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِيكَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ
الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ
مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾
النور ٣٠-٣١

فَعَجَبًا لِمَنْ تَقْبَلُ قِصَصَ زَنَى الْأَنْبِيَاءِ ، وَعَلَى رَأْسِهِمْ قِصَّةُ زَنَا ابْنَتِي بِي اللَّهِ
لَوْ طَبَعَهُ ، بَعْدَ أَنْ أَسْكُرْتَاهُ ! فَعَجَبًا لِمَنْ يَقْبَلُ هَذِهِ الْأَقَاصِيصَ ثُمَّ يَتَّهِمُ الْقُرْآنَ
بِالتَّشْجِيعِ عَلَى الزَّانِي ! وَفِي الصَّفَحَاتِ الْقَادِمَةِ أَدْلَةٌ كَافِيَةٌ عَلَى تَشْجِيعِ الزَّانِي
وَالْبَاسَةِ مَسْوَحِ التَّقْوَى وَالنُّبُوَّةِ .

ومنها قصة شمشون ، وهو نبي بدليل أقوال سفر القضاة الآتية :

(٥) فَهَا إِنَّكَ تَحْبِلِينَ وَتَلِدِينَ ابْنًا ، وَلَا يَعْلُ مُوسَى رَأْسَهُ ، لِأَنَّ الصَّبِيَّ
يَكُونُ نَذِيرًا لِلَّهِ مِنَ الْبَطْنِ ، وَهَؤُلَاءِ يَبْدَأُ يُخْلَصُ إِسْرَائِيلُ مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ .
قضاة ١٣ : ٥

(٢٥) وَابْتَدَأَ رُوحُ الرَّبِّ يُحَرِّكُهُ فِي مَحَلَّةٍ دَانَ بَيْنَ صُرْعَةٍ وَأَشْتَاوَلٍ . (قضاة
١٣ : ٢٥)

(٦) فَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ ، فَشَقَّهُ كَشَقِّ الْجَدْيِ وَلَيْسَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ . وَلَمْ
يُخْبِرْ أَبَاهُ وَأُمُّهُ بِمَا فَعَلَ . ٧ فَتَنَزَلَ وَكَلَّمَ الْمَرْأَةَ فَحَسَنَتْ فِي عَيْنَيْ شَمْشُونٍ . (قضاة
١٤ : ٦)

(١٩) وَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ فَتَنَزَلَ إِلَى أَشْقَلُونَ وَقَتَلَ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ رَجُلًا ،
وَأَخَذَ سَلْبَهُمْ وَأَعْطَى الْحُلَّ لِمْظَهْرِي اللُّغْزِ . وَحَمِيَ غَضْبَهُ وَصَعِدَ إِلَى بَيْتِ أَبِيهِ .
قضاة ١٤ : ١٩

وتسير القصة في الفصل السادس عشر أن شمشون زنا بامرأة من أهل غزة ،
ثم عشق امرأة أخرى تُدعى (دليلة): (١) ثُمَّ ذَهَبَ شَمْشُونُ إِلَى غَزَّةَ وَرَأَى هُنَاكَ
امْرَأَةً زَانِيَةً فَدَخَلَ إِلَيْهَا ٣ فَاضْطَجَعَ شَمْشُونُ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ
قضاة ١٦ : ١-٣

(٤) وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّهُ أَحَبَّ امْرَأَةً فِي وَادِي سَوْرَقَ اسْمُهَا دَلِيلَةُ . ٥ فَصَعِدَ
إِلَيْهَا أَقْطَابُ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَقَالُوا لَهَا : «تَمَلِّقِيهِ وَانْظُرِي بِمَاذَا قُوَّتُهُ الْعَظِيمَةُ ، وَبِمَاذَا
نَتِمَكَّنُ مِنْهُ لِنُوثِقَهُ لِإِذْلالِهِ ، فَنُعْطِيكَ كُلَّ وَاحِدٍ أَلْفًا وَمِئَةً شَاقِلٍ فِضَّةً .» (قضاة ١٦ :
٤-٥

وسأترك باقى قصص زنا الأنبياء فى مكانه . أما قصة زنا لوط بابنتيه فتجدها
فى تكوين ١٩ : ٣٠-٣٨

وقصة زنى يهوذا ، الذى يُعد أبو الشعب الإسرائيلى ، مع زوجة أبنائه
(ثامار) تجدها فى تكوين الفصل ٣٨

الفصل الثالث والخمسين

الرب يُحرِّم الزنى وما يؤدى إليه :
(٢٧) «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ : لَا تَزْنِ . ٢٨ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ كُلَّ
مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَسْتَهْيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ . ٢٩ فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى
تُعْثِرُكَ فَأَقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلَا يُلْقَى
جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ . ٣٠ وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْثِرُكَ فَأَقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ
لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلَا يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ .» متى ٥ :
٢٧-٣٠

الفصل الرابع والخمسين

الرب أمر نبيه هوشع بالزنى :
الرب يأمر هوشع أن يأخذ لنفسه امرأة فاسقة متزوجة محبوبة لزوجها

(١) وَقَالَ الرَّبُّ لِي: «اذْهَبْ أَيْضًا أَحْبِبِ امْرَأَةً حَبِيبَةً صَاحِبٍ وَزَانِيَةً كَمَحَبَّةِ الرَّبِّ لِيْنِي إِسْرَائِيلَ وَهُمْ مُلْتَفِتُونَ إِلَى إِلَهَةٍ أُخْرَى وَمُحِبُّونَ لَأَقْرَاصِ الزَّيْبِ». (هوشع ٣: ١)

فكيف يتفق هذا مع ذاك؟ وهل هذا العقاب من البر للعاهرة أم للنبي أم لأولادهما؟ يأمر الرب بالفحشاء ولمنكر؟ أشجع الرب على الزنى؟ يأمر الرب أن يتزوج نبيه من امرأة عاهرة؟ أليس هذا تزنيًا وتجميلاً للزنى والعهارة؟ وأين تبقى القدوة الحسنة لأتباع هذا النبي؟ وأين المثل الصالح والقدوة النافعة من تزوج النبي بعاهرة؟ ومن يتزوج العفيفات إذن إذا كان تزوج النبي بالعاهرات هو أمر إلهي؟ لك أن تتخيل أن العاهرة تتزوج بالنبي ، وتتزوج العفيفة بالعاهر!! فما شكل المجتمع الذي ستتجه الأسرتان؟

الفصل الخامس والخمسين

الرب يعاقبهم فيوقعهم في الزنى!

(١١) هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَتْنَدَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذْ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأَعْطِيهِنَّ لِقَرِيْبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هَذِهِ الشَّمْسِ. ١٢ لِأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالسَّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقُدَّامَ الشَّمْسِ». (صموئيل الثاني ١٢: ١١-١٢!!!)

(١٧) لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ [لأَمْصِيَا]: امْرَأَتُكَ تَزْنِي فِي الْمَدِينَةِ وَبَنُوكَ وَبَنَاتُكَ يَسْقُطُونَ بِالسَّيْفِ وَأَرْضُكَ تُنْسَمُ بِالْحَبْلِ وَأَنْتَ تَمُوتُ فِي أَرْضٍ نَجَسَةٍ وَإِسْرَائِيلُ يُسَبَّى سَبِيًّا عَنْ أَرْضِهِ؛ (عاموس ٧: ١٧)

(١٠) لِذَلِكَ أُعْطِيَ نِسَاءَهُمْ لِآخَرِينَ وَخَفُلُهُمْ لِمَالِكِينَ لِأَنَّهُمْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كُلُّ وَاحِدٍ مُوَلَّعٌ بِالرَّبِّحِ مِنَ النَّبِيِّ إِلَى الْكَاهِنِ كُلِّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ بِالْكَذِبِ. (إرميا ٨: ١٠)

(٢٢) وَإِنْ قُلْتِ فِي قَلْبِكَ : لِمَآذَا أَصَابْتَنِي هَٰذَا؟ - لِأَجْلِ عَظَمَةِ إِثْمِكَ هُتِكَ دَيْلَاكِ وَأُنْكَشِفَ غُتْمَا عَقَبَاكِ. . . ٢٦ فَأَنَا أَيْضًا أَرْفَعُ دَيْلِيكَ عَلَى وَجْهِكَ فَيَرَى خِزْيُكَ. ٢٧ فَسُقُوكَ وَصَهِيْلُكَ وَرَذَالَةُ زِنَاكِ عَلَى الْآكَامِ فِي الْحَقْلِ.)
إرميا ١٣ : ٢٢-٢٦

(١٦) وَقَالَ الرَّبُّ : «مِنْ أَجْلِ أَنْ بَنَاتِ صِهْيُونَ يَتَشَامَخْنَ وَيَمَشِينَ مَمْدُودَاتِ الْأَعْنَاقِ وَغَامِزَاتِ بَعْيُونِهِنَّ وَخَاطِرَاتِ فِي مَشِيهِنَّ وَيُخْشِخِشْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ ١٧ يُضْلِعُ السَّيِّدُ هَامَةَ بَنَاتِ صِهْيُونَ وَيُعْرِِي الرَّبُّ عَوْرَتَهُنَّ.) إشعيا ٣ : ١٦-١٧ ، أنظر إلى التصوير الذي يهدد فيه الرب أورشليم.

نبي الله حزقيال يأمره الرب أن يمشى حافيًا عاريًا : (٢) فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ قَالَ الرَّبُّ عَنْ يَدِ إِشْعِيَاءَ بْنِ أَمُوصَ : «أَذْهَبْ وَحُلِّ الْمِسْحَ عَنْ حَقْوَيْكَ وَاخْلَعْ جِذَاءَكَ عَنْ رِجْلَيْكَ». فَفَعَلَ هَكَذَا وَمَشَى مُعْرِىً وَحَافِيًا.) حزقيال ٢٠ : ٢

فأين الحفاظ على حياة النساء؟ وأين حياة الرجال؟ بل أين حياة الأنبياء؟ بل أين أدب الرب وتعاليمه السامية؟ أليست هذه دعوة للفجور وانتشار الزنى؟ ألم يرتكن رؤاد شواطئ العراة إلى مثل هذه النصوص؟ (سبحانك ربى وتعاليت عن ذلك علواً كبيراً)

(٤) مِنْ أَجْلِ زِنَى الزَّانِيَةِ الْحَسَنَةِ الْجَمَالِ صَاحِبَةِ السَّحْرِ الْبَائِعَةِ أُمَمًا بِزِنَاهَا وَقَبَّلَ بِسِحْرِهَا. ٥ «هَتَنَذَا عَلَيْكَ يَقُولُ رَبُّ الْجُنُودِ فَأُكْشِفُ أَدْيَاكَ إِلَى قَوْقِ وَجْهِكَ وَأُرِي الْأُمَمَ عَوْرَتَكَ وَالْمَمَالِكَ خِزْيَكَ.) ناحوم ٣ : ٤-٥ ، أنظر إلى التصوير الذي يهدد فيه الرب مدينة نينوى.

خاطب الرب بني إسرائيل مهدداً إياهم إن لم يسمعوا لصوت الرب قائلاً : (٣٠) تَخْطُبُ امْرَأَةً وَرَجُلٌ آخَرُ يَضْطَجِعُ مَعَهَا.) تثنيا ٢٨ : ٣٠ .

(١) «قُولُوا لِإِخْوَتِكُمْ «عَمِّي» وَلَاخَوَاتِكُمْ «رُحَامَةً». ٢ حَاكِمُوا أُمَّكُمْ حَاكِمُوا لَأَنَّنَا لَيْسَتْ امْرَأَتِي وَأَنَا لَسْتُ رَجُلًا لِتَغْرِزَ زِنَاهَا عَنْ وَجْهِهَا وَفَسَقَهَا مِنْ بَيْنِ

نَذِييَهَا ٣ لَيْثًا أَجَرَدَهَا عُرْيَانَةً وَأَوْقَفَهَا كَيُومٍ وَلَا دَتِيهَا) هوشع ٢ : ١-٣

(١٧) يُصْلِعُ السَّيِّدُ هَامَةَ بَنَاتِ صِهْيُونَ وَيُعَرِّي الرَّبُّ عَوْرَتَهُنَّ (إشعياء ٣ : ١٧)

الفصل السادس والخمسين

الرب يأمر نبيه هوشع أن يتزوج بزانية :

الرب يأمر هوشع أن يأخذ لنفسه امرأة زنى (٢) أَوَّلَ مَا كَلَّمَ الرَّبُّ هُوشَعَ قَالَ الرَّبُّ لِهُوشَعَ : « اذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةً زَنَى وَأَوْلَادَ زَنَى لِأَنَّ الْأَرْضَ قَدْ زَنَتْ زِنَى تَارِكَةً الرَّبَّ ! » . ٣ فَذَهَبَ وَأَخَذَ جُومَرَ بِنْتَ دِبْلَايِمَ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ لَهُ ابْنًا .) هوشع ١ : ٢-٣

فكان الإله بذلك قد شجع على الزنى بأن زوج نبيه من امرأة زنى . وكيف سيأخذ لنفسه أولاد زنى إلا إذا زنى معها دون زواج؟ فهل هذه هي صورة المرأة وفكرتكم عنها في كتابكم؟ وهل هذا هو مجتمع العفة والأخلاق الحميدة التي تتكون من هذه الأوامر؟ وماذا سيكون رد فعل ابنتك أو أختك لو قالت لك : إن الرب مجد الزانية وزوجها من خير البشرية ، لقد زوجها من نبيه الذي ينزل عليه الوحي ! ما لنا لا نفتدى بها ، ونسير على دربها؟ فهل تتخيل أن الله القدوس اللطيف بعباده يأمر بذلك؟ ولو فعل الرب هذا ، فماذا سيفعل الشيطان أكثر من ذلك؟

الفصل السابع والخمسين

الرب أوحى أن ينام نبيه في حضن امرأة عذراء :

(١) وَشَاخَ الْمَلِكُ دَاوُدُ . تَقَدَّمَ فِي الْأَيَّامِ . وَكَانُوا يُعْطُونَهُ بِالْثِيَابِ فَلَمْ يَدْفَأْ . ٢ فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ : [لِيُفْتَشُوا لِسَيِّدِنَا الْمَلِكِ عَلَى فِتَاةٍ عَذْرَاءَ ، فَلْتَقِفَ أَمَامَ الْمَلِكِ وَلْتَكُنْ لَهُ حَاضِنَةً وَلْتَضْطَجِعَ فِي حِضْنِكَ فَيَدْفَأَ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ] .) ملوك الأول ١ : ١-٢

أى عندما شاخ هذا النبي تحلل من مقومات الأخلاق ، ونام في حضن فتاة عذراء!! كما لو كان الكاتب يريد أن يقول : اختصروا الطريق ، فإن نهاية الطريق

هو التهلكة والزنى وهتك عروض النساء!! وفى هذه الحالة سيهتدى من يفكر فى هذا الأمر أنه عليه أن يختصر الطريق ويبدأه بالزنى والفجور!!

هل ترضى لإبتكك العذراء الصغيرة تنام فى حضن رجل ، حتى لو قالوا لك إن هذا الرجل هو الإله المتجسد؟

ولو سلمنا جدلاً أن هذا النبى انذى زنى من قبل مع امرأة أوريا الحثى ، أم نبى الله سليمان ، فأين الحياء الذى ينبغى أن تتمتع به الفتاة التى تنام فى حضن رجل أجنبى عنها؟ وأين كان أهل هذه الفتاة؟ وأين رجال الدين؟ هل تأمر الكل عى إقناع الفتاة بهذا الفجور؟ ولو حدث ذلك فما الذى يضمن عدم حدوث نفس هذا الشئ مع الكتبة والكهنة ليغيروا فيما أنزله الله ، وخاصة أنه لدينا اعترافات من الله فى الكتاب المقدس أن الكتبة والكهنة والأنبياء كانوا من اللصوص ، ومن الذين تأمروا على كلمة الرب وحرفوها ، فمنهم من أخفى بعض الكتب ، ولا وجود لها فى الكتاب المقدس ، ومنهم من وضع آراء شخصية فى الكتاب :

أسفاراً مفقودة يتكلم عنها الكتاب :

- ١- سفر حروب الرب وقد جاء ذكره فى (العدد ٢١ : ١٤) .
- ٢- سفر ياشر وقد جاء ذكره فى (يشوع ١٠ : ١٣ وصموئيل الثانى ١ : ١٧) .
- ٣- سفر أمور سليمان جاء ذكره فى (الملوك الأول ١١ : ٤١)
- ٤- سفر مراثية إرميا على يوشيا ملك أورشليم (أخبار الأيام الثانى ٣٥ : ٢٥)
- ٥- سفر أمور يوشيا (أخبار الأيام الثانى ٣٥ : ٢٥)
- ٦- سفر مراحم يوشيا (أخبار الأيام الثانى ٣٥ : ٢٥)
- ٧- سفر أخبار ناثن النبى (أخبار الأيام الثانى ٩ : ٢٩)
- ٨- سفر أخيا النبى الشيلوني (أخبار الأيام الثانى ٩ : ٢٩)

- ٩- وسفر رؤيا يعدو الرائي وجاء ذكره في (أخبار الأيام الثاني ٩ : ٢٩)
- ١٠- سفر أخبار جاد الرائي وقد جاء ذكره في (أخبار الأيام الأول ٢٩ : ٢٩-٣١)
- ١١- سفر أخبار أيام ملوك يهوذا : ورد ذكره في (ملوك الثاني ٢٤ : ٥ و ٢١ : ٢٥) .
- ١٢- سفر تاريخ إسرائيل ويهوذا : ورد ذكره في (أخبار الأيام الثاني ٢٧ : ٧) .
- ١٣- سفر تاريخ عدو النبي : ذكر في (أخبار الأيام الثاني ١٢ : ١٥) و (١٣ : ٢٢) .
- ١٤- سفر تاريخ شمعياء النبي : ورد ذكره في (أخبار الأيام الثاني ١٢ : ١٥) .
- ١٥- سفر كتاب إشعياء النبي عن الملك عزدي : ذكر في (أخبار الأيام الثاني ٢٦ : ٢٢) .
- ١٦- سفر تاريخ الملوك : ورد ذكره في (أخبار الأيام الثاني ٢٤ : ٢٧) .
- ١٧- سفر أخبار الأنبياء : ورد ذكره في (أخبار الأيام الثاني ٣٣ : ١٩) .
- ١٨- سفر الرب : ورد ذكره في اشعياء (٣٤ : ١٦) .
- ١٩- سفر تاريخ ياهو بن حناني : ورد ذكره في (أخبار الأيام الثاني ٢٠ : ٣٤) .
- ٢٠- سفر تاريخ ملوك إسرائيل ويهوذا : ورد ذكره في (أخبار الأيام الثاني ٣٦ : ٨) .
- ٢١- سفر سنن الملك : ورد ذكره في (صموئيل الأول ١٠ : ٢٥) .
- ٢٢- سفر أخبار أيام ملوك إسرائيل : ورد ذكره في (ملوك الأول ١٤ : ١٩ و ١٦ : ٥ و ١٦ : ١٤) .
- ٢٣- سفر شريعة الله (يشوع ٢٤ : ٢٦)
- ٢٤- سفر تورااة موسى (يشوع ٨ : ٣١)
- ٢٥- سفر شريعة موسى (يشوع ٢٣ : ٦)
- ٢٦- سفر أخبار الأيام : ورد ذكره في (نحميا ١٢ : ٢٣) .
- ٢٧- سفر يسوع (تسالونيكي الثانية ١ : ٨)
- ٢٨- سفر أخبار صموئيل الرائي (أخبار الأيام الأول ٢٩ : ٢٩)

- ٢٦- سفر حياة الخروف (رؤيا يوحنا اللاهوتي ١٣ : ٨ و ٢١ : ٢٧)
- ٣٠- كتاب العهد لموسى عليه السلام (الخروج ٢٤ : ٧)
- ٣١- سفر تاريخ المخلوقات (ملوك الأول ٤ : ٣٢) [ولم أعثر عليها]
- ٣٢- رسالة بولس إلى أهل اللاذقية: ورد ذكرها في (كولسي ٤ : ١٦)
- ٣٣- رسالة بولس الأولى إلى أهل فيلي: ورد ذكرها في (فيلبي ٣ : ١) الموجودة في العهد الجديد . . (انظر العهد الجديد (بولس باسيم) هامش صفحة ٧٧١).
- ٣٤- رسالة لبولس إلى أهل كورنثوس: ورد ذكرها في كورنثوس الثانية ٧ : ٨).
- ٣٥- وتقول دائرة المعارف الكتابية (كلمة أبوكريفا): إن هناك رسالة مفقودة إلى الكورنثيين: ففي (كورنثوس الأولى ٥ : ٩) يذكر الرسول رسالة إلى الكورنثيين يبدو أنها قد فقدت.
- ٣٦- يقول متى ٢ : ٢٣ (وأتى وسكن فى مدينة يُقال لها ناصرة. لكى يتم ما قيل بالأنبياء إنه سيدعى ناصرياً) فأين كتاب الأنبياء الذى ذكر فيه هذا؟ لا يوجد.
- ٣٧- بالإضافة إلى آراء شخصية وخطابات شخصية كتبها بولس لأشخاص ما ، فلماذا اعتبرت من وحى الله؟ وما الحكمة منها؟ (٣٨) إِذَا مَنْ زَوَّجَ فَحَسَنًا يَفْعَلُ وَمَنْ لَا يُزَوِّجَ يَفْعَلُ أَحْسَنَ. ٣٩ الْمَرْأَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِالنَّامُوسِ مَا دَامَ رَجُلُهَا حَيًّا. وَلَكِنْ إِنْ مَاتَ رَجُلُهَا فَهِيَ حُرَّةٌ لِكَيْ تَتَزَوَّجَ بِمَنْ تُرِيدُ فِي الرَّبِّ فَقَطْ. ٤٠ وَلَكِنَّهَا أَكْثَرُ غَيْظَةً إِنْ لَبِثَتْ هَكَذَا بِحَسَبِ رَأْيِي. وَأُظَنُّ أَنِّي أَنَا أَيْضًا عِنْدِي رُوحُ اللَّهِ.) كورنثوس الأولى ٧ : ٣٨-٤٠
- ٣٨- (٢٥) وَأَمَّا الْعَذَارَى فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ وَلَكِنِّي أُعْطِي رَأْيًا كَمَنْ رَحِمَهُ الرَّبُّ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا. ٢٦ فَأُظَنُّ أَنَّ هَذَا حَسَنٌ لِسَبَبِ الضِّيقِ الْحَاضِرِ. أَنَّهُ حَسَنٌ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا: كورنثوس الأولى ٧ : ٢٥-٢٦
- ٣٩- (١٢) وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا لَا الرَّبُّ: إِنْ كَانَ أَخٌ لَهُ امْرَأَةٌ غَيْرُ مُؤْمِنَةٍ وَهِيَ تَرْتَضِي أَنْ تَسْكُنَ مَعَهُ فَلَا يَتْرُكْهَا. ١٣ وَالْمَرْأَةُ الَّتِي لَهَا رَجُلٌ غَيْرُ مُؤْمِنٍ وَهُوَ

يَرْضِي أَنْ يَسْكُنَ مَعَهَا فَلَا تَرُكْهُ. (كورنثوس الأولى ٧ : ١٢-١٣)

٤٠- (٢ها أنا بولس أقول لكم: إنه إن اختستتم لا ينفعكم المسيح شيئاً!) غلاطية ٥ : ٢، وهو نفس الأمر الذي أدانه فيه التلاميذ، وكفروه بسببه.

٤١- بولس ينوي أن يشتى في نيكوبوليس! فهل هذا من وحى الله؟ (١٢ حينما أرسل إليك أرتيماس أو تيخيوس بايز أن تأتي إلي إلى نيكوبوليس، لأنني عزمْتُ أن أشتي هناك.) تيطس ٣ : ١٢

٤٢- (١) أوصي إليكم بأختنا فيبي التي هي خادمة الكنيسة التي في كنخريا ٢ كي تقبلوها في الرب كما يحق للقدسين وتقوموا لها في أي شيء احتاجته منكم لأنها صارت مساعدة لكثيرين ولي أنا أيضاً. ٣ سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع ٤ اللذين وصعا عنقيهما من أجل حياتي اللذين لست أنا وخدي أشكرهما بل أيضاً جميع كنائس الأمم ٥ وعلى الكنيسة التي في بينهما. سلموا على أبيتوس حبيبي الذي هو باكورة أخائية للمسيح. ٦ سلموا على مريم التي تعبت لأجلنا كثيراً. ٧ سلموا على أندرونكوس ويوناس نسيي المأسورين معي اللذين هما مشهوران بين الرسل وقد كانا في المسيح قبلي. ٨ سلموا على أميلياس حبيبي في الرب. ٩ سلموا على أوربانوس العامل معنا في المسيح وعلى إسناخيس حبيبي. ١٠ سلموا على أبلس المزمكي في المسيح.) رومية ١٦ : ١-١٠ وأكتفى بهذا لأن الإصحاح كله سلامات.

٤٣- (١١) لوقا وحده معي. خذ مرثس وأحضره معك لأنه نافع لي للخدمة. ١٢ أما تيخيوس فقد أرسلته إلى أفسس. ١٣ الرداء الذي تركته في ترواس عند كاربس أحضره متى جئت، والكتب أيضاً ولا سيما الرقوق. ١٤ إسكندر النحاس أظهر لي شرواً كثيرة. ليُجازِه الرب حسب أعماله.) ثيموثاوس الثانية ٤ : ١١-١٤

٤٤- استشهاد بولس بشر من أقوال الشاعر (أراتس) وهو: (٢٨) لأننا به نحيا

وَنَتَحَرَّكَ وَنُوجَدُ. كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعَرَائِكُمْ أَيضًا: لَأَتْنَا أَيضًا ذُرِّيَّتَهُ. أعمال
الرسل ١٧ : ٢٨، فما حاجة الرب لأقوال الشعراء لتأييد أقواله؟ أيستشهد الرب
بأقوال الشعراء ليقنع الناس بدينه؟

٤٥- استشهاد بولس بقول الشاعر (مناندو) وهى: (٣٣ لَا تَضِلُّوا! فَإِنَّ
الْمُعَاشِرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الْأَخْلَاقَ الْجَيِّدَةَ.) كورنثوس الأولى ١٥ : ٣٣

٤٦- استشهاد بولس بقول الشاعر الكريتي (أبيمانديس) وهو: (١٢ قَالَ وَاحِدٌ
مِنْهُمْ - وَهُوَ نَبِيٌّ لَهُمْ خَاصٌّ: «الْكِرِيْتِيُّونَ دَائِمًا كَذَّابُونَ. وَحُوشٌ رَدِيَّةٌ. بَطُونٌ
بَطَّالَةٌ»). تيطس ١ : ١٢

ذَكَرَ الْكِتَابُ الْمَقْدَسُ لِلتَّحْرِيفِ الَّذِي وَقَعَ لِكَلِمَةِ اللَّهِ:

(١) (كَيْفَ تَدْعُونَ أَنْكُمْ حُكَمَاءَ وَلَدَيْكُمْ شَرِيعَةَ الرَّبِّ بَيْنَمَا حَوْلَهَا قَلَمُ الْكِتَابَةِ
الْمُخَادِعِ إِلَى أَكْذُوبَةٍ؟) إرمياء ٨ : ٨

(٢) (٤) اللَّهُ أَفْتَخِرُ بِكَلَامِهِ. عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَلَا أَخَافُ. مَاذَا يَصْنَعُهُ بِي الْبَشَرُ!
هَالِكُ الْيَوْمِ كُلُّهُ يُحَرِّفُونَ كَلَامِي. عَلَيَّ كُلُّ أَفْكَارِهِمْ بِالشَّرِّ.) مزمو ٥٦ : ٤ - ٥

(٣) (١٥) وَيَلُ لِلَّذِينَ يَتَعَمَّقُونَ لِيَكْتُمُوا رَأْيَهُمْ عَنِ الرَّبِّ فَتَصِيرُ أَعْمَالُهُمْ فِي الظُّلْمَةِ
وَيَقُولُونَ: «نُ بَيِّصُرُنَا وَمَنْ يَعْرِفُنَا؟». ١٦ يَا لَتَحْرِيفِكُمْ!) إشعياء ٢٩ : ١٥ - ١٦

(٤) (٣١) الْأَنْبِيَاءُ يَتَّبِعُونَ بِالْكَذِبِ وَالْكَهَنَةُ تَحْكُمُ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَشُعْبِي هَكَذَا
أَحَبُّ.) إرمياء ٥ : ٣١ .

(٥) (٣٠) لِذَلِكَ هَتَّنَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ يَقُولُ الرَّبُّ الَّذِينَ يَسْرِقُونَ كَلِمَتِي بَعْضُهُمْ
مِنْ بَعْضٍ.) إرمياء ٢٣ : ٣٠

(٦) (٣٢) هَتَّنَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ بِأَخْلَامٍ كَاذِبَةٍ يَقُولُ الرَّبُّ الَّذِينَ يَقْضُونَهَا
وَيُضِلُّونَ شُعْبِي بِكَاذِبِهِمْ وَمُفَاخَرَاتِهِمْ وَأَنَا لَمْ أُرْسِلْهُمْ وَلَا أَمَرْتُهُمْ. فَلَمْ
يُفِيدُوا هَذَا الشَّعْبَ فَإِنَّهُ يَقُولُ الرَّبُّ.) إرمياء ٢٣ : ٣٢

(٧) (٣١) هَتَّنَا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ يَقُولُ الرَّبُّ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ لِسَانَهُمْ وَيَقُولُونَ: قَالَ.
إرمياء ٢٣ : ٣١

(٨) (٣٦) أَمَّا وَحْيِي الرَّبِّ فَلَا تَذْكُرُوهُ بَعْدَ لَأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ إِذْ قَدْ حَرَفْتُمْ كَلَامَ إِلَهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلَيْنَا. (إرمياء ٢٣ : ٣٥-٣٦)

(٩) (٣٣) وَإِذَا سَأَلَكَ هَذَا الشَّعْبُ أَوْ نَبِيٍّ أَوْ كَاهِنٍ : [مَا وَحْيِي الرَّبِّ؟] فَقُلْ لَهُمْ : [أَيُّ وَحْيٍ؟] إِنِّي أَرْفُضُكُمْ - هُوَ قَوْلُ الرَّبِّ. ٣٤ فَالنَّبِيُّ أَوْ الْكَاهِنُ أَوْ الشَّعْبُ الَّذِي يَقُولُ : وَحْيِي الرَّبِّ - أُعَاقِبُ ذَلِكَ الرَّجُلَ وَبَيْتَهُ. (إرمياء ٢٣ : ٣٤-٣٣)

(١٠) (لَا تَغْشَكُمْ أَنْبِيَائُكُمْ الَّذِينَ فِي وَسْطِكُمْ وَعَرَأُفُوكُمْ وَلَا تَسْمَعُوا لِأَخْلَامِكُمْ الَّتِي تَحْلَمُونَهَا. ٩ لَأَنْتُمْ إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ لَكُمْ بِاسْمِي بِالْكَذِبِ. أَنَا لَمْ أُرْسِلْهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ. (إرمياء ٢٩ : ٨-٩)

(١١) (٩) وَبَاطِلًا يَعْبُدُونَنِي وَهُمْ يُعَلِّمُونَ تَعَالِيمَ هِيَ وَصَايَا النَّاسِ. (متى ١٥ : ٩-٧)

(١٢) ليس هذا فقط بل إن الكتاب المقدس يتوعد المحرفين ، إذن كان يعلم أن هناك من حرف ، وهناك من يحرف : (وَإِنِّي أَشْهَدُ لِكُلِّ مَنْ يَسْمَعُ مَا جَاءَ فِي كِتَابِ النُّبُوءَةِ هَذَا : إِنْ زَادَ أَحَدٌ شَيْئًا عَلَى مَا كُتِبَ فِيهِ ، يَزِيدُهُ اللَّهُ مِنْ لُبَلَايَا الَّتِي وَرَدَ ذِكْرُهَا ، ١٩ وَإِنْ أَسْقَطَ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ أَقْوَالِ كِتَابِ النُّبُوءَةِ هَذَا ، يُسْقِطُ اللَّهُ نَصِيبَهُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ. وَمِنْ الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، اللَّتَيْنِ جَاءَ ذِكْرُهُمَا فِي هَذَا الْكِتَابِ") رؤيا يوحنا ٢٢ : " ١٨

(١٣) (٣٢) فَأَخَذَ إِرْمِيَا دَرْجًا آخَرَ وَدَفَعَهُ لِأَرْوَخَ بْنِ نِيرِيَا الْكَاتِبِ فَكَتَبَ فِيهِ عَنْ فَمِ إِرْمِيَا كُلَّ كَلَامِ السَّفَرِ الَّذِي أَحْرَقَهُ يَهُودٌ قِيمٌ مَلِكُ يَهُوذَا بِالنَّارِ وَزِيدَ عَلَيْهِ أَيْضًا كَلَامٌ كَثِيرٌ مِثْلَهُ. (إرمياء ٣٦ : ٣٢)

(١٤) (٦) رَأَوْا بَاطِلًا وَعِرَافَةً كَاذِبَةً. الْقَائِلُونَ : وَحْيِي الرَّبِّ وَالرَّبُّ لَمْ يُرْسِلْهُمْ، وَانْتَظَرُوا إِبْثَاتَ الْكَلِمَةِ. (حزقيال ١٣ : ٦)

(١٥) (٧) أَلَمْ تَرَوْا رُؤْيَا بَاطِلَةً، وَتَكَلَّمْتُمْ بِعِرَافَةٍ كَاذِبَةٍ، قَائِلِينَ : وَحْيِي الرَّبِّ وَأَنَا لَمْ أَتَكَلَّمْ؟ (حزقيال ١٣ : ٧)

(١٦) (٨) لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: لَأَنْكُمْ تَكَلَّمْتُمْ بِالْبَاطِلِ وَرَأَيْتُمْ كَذِبًا، فَلِذَلِكَ هَا أَنَا عَلَيْكُمْ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ. حزقيال ١٣ : ٨

(١٧) (٩) وَتَكُونُ يَدَيَّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ يَرُونِ الْبَاطِلَ وَالَّذِينَ يَعْرِفُونَ بِالْكَذِبِ. فِي مَجْلِسِ شَعْبِي لَا يَكُونُونَ، وَفِي كِتَابِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ لَا يُكْتَبُونَ، وَإِلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ لَا يَدْخُلُونَ، فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَنَا السَّيِّدُ الرَّبُّ. حزقيال ١٣ : ٩

(١٨) (١٠) إِذْ كَانَ كَثِيرُونَ قَدْ أَخَذُوا بِتَأْلِيلِ قِصَّةٍ فِي الْأُمُورِ الْمُتَيَقِّنَةِ عِنْدَنَا ٢ كَمَا سَلَّمَهَا إِلَيْنَا الَّذِينَ كَانُوا مِنْذُ الْبَدْءِ مُعَايِنِينَ وَخُدَّامًا لِلْكَلِمَةِ ٣ رَأَيْتُ أَنَا أَيْضًا إِذْ قَدْ تَبَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْأَوَّلِ بِتَدْقِيقٍ أَنْ أَكْتُبَ عَلَى التَّوَالِي إِلَيْكَ أَيُّهَا الْعَزِيزُ ثَاوُفِيلُسُ ٤ لِتَعْرِفَ صِحَّةَ الْكَلَامِ الَّذِي عُلِّمْتُ بِهِ. (لوقا ١ : ٤-١)

(١٩) (١١) إِنِّي أَتَعَجَّبُ أَنْكُمْ تَتَّقِلُونَ هَكَذَا سَرِيعًا عَنِ الَّذِي دَعَاكُمْ بِنِعْمَةِ الْمَسِيحِ إِلَى إِنْجِيلِ آخَرَ. ٧ لَيْسَ هُوَ آخَرَ، غَيْرَ أَنَّهُ يُوجَدُ قَوْمٌ يُزَعِّجُونَكُمْ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُحَوِّلُوا إِنْجِيلَ الْمَسِيحِ. ٨ وَلَكِنْ إِنْ بَشَرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلَائِكُ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ «أَنَايِمًا». (غلاطية ١ : ٦-٨)

(٢٠) (١٢) فَإِنَّهُ إِنْ كَانَ صِدْقُ اللَّهِ قَدْ ارْتَدَّادَ بِكَذِبِي لِمَجْدِهِ فَلِمَذَا أَدَانُ أَنَا بَعْدُ كَخَاطِي؟ (رومية ٣ : ٧)

فهل صدق الله ومجده يحتاج إلى كذب بولس ونفاقه؟

وهل عجز الرب عن نشر كلمته بالفضيلة والصدق؟ وهل يُعقل أن يلجأ الرب إلى الكذب والكذابين لنشر دينه بين الناس؟

وما حكمة الإله أن يوحى إلى كذاب أو لص بنشر رسالته وتعاليمه؟

ألا يخشى ذلك الإله من تفسى الكذب بين شعبه؟

وكيف أثق في هذا الإله الذى يرتكن إلى كاذب ومخادع لنشر رسالته؟

وهل سيحاسبنا الله على الكذب فى الدنيا يوم الحساب؟ كيف وهو ناشره؟

وما الفرق بين الشيطان والرب فى هذه الصفة الرذيلة؟

ألم يكذب هو (سبحانه وتعالى عن ذلك علواً كبيراً) بإعانتة هذا الكاذب وإرسال الوحي إليه؟

وكيف يأمر بما لا يفعله هو؟ أليست هذه حجة عليه؟ أليس هذا من الظلم؟
ألم يقل فى الناموس (لا تكذب)؟ فلماذا يعين الكاذب ويوحى إليه؟؟؟

أنبياء لصوص وكذبة ونجسة ، فكيف يكون كلامهم وحي الله :
(لأنهم من الصغير الى الكبير كل واحد مولع بالربح من النبي إلى
الكاهن . كل واحد يعمل بالكذب .) إرميا ٨ : ١٠

فكيف تثقون بعد ذلك فى كلام أنبيائكم وكهنتكم إذا كان علام الغيب قد
وصفهم بالكذب؟ أى يقولون ما لم يقل الله ، ويدعون أنه منزل من عنده . أليس
هذا دليل على التحريف؟ أليس هذا أكبر دليل على سحب الثقة من هذا الكتاب
وهؤلاء الأنبياء؟

(١٤) فَقَالَ الرَّبُّ لِي : [بِالْكَذِبِ يَتَّبِعُ الْأَنْبِيَاءُ بِاسْمِي . لَمْ أَرْسَلْهُمْ وَلَا
أَمَرْتُهُمْ وَلَا كَلَّمْتُهُمْ . بِرُؤْيَا كَاذِبَةٍ وَعِرَافَةٍ وَبَاطِلٍ وَمَكْرٍ قُلُوبِهِمْ هُمْ يَتَّبِعُونَ
لَكُمْ] . إرميا ١٤ : ١٤

من هم هؤلاء الأنبياء الكذبة حتى ستثنى كتاباتهم من الكتاب المقدس حتى
يكون اسم الكتاب على ما يُسمى؟

هل هى كتابات سليمان لدى عبد الأوثان (الملوك الأول ١١ : ٩ - ١٠)؟

أم هل هى كتابات الزناة من الأنبياء أمثال داود (صموئيل الثانى ١١) ولوط
(تكوين ١٩ : ٣٠ - ٣٨) ويهوذا ويعقوب و... و...؟

أم هل هى كتابات نبي الله إبراهيم وأبو الأنبياء الذى يتهمه الكتاب
المقدس بالتريح من عرض زوجته وشرفها وشرفه (تكوين ١٢ : ١١ - ١٦)؟

أم هل هي كتابات أنبياء لصوص أمثال يعقوب نبي الله الذى يتهمه الكتاب المقدس بالكذب على أبيه وسرقة البركة والنبوة من أخيه (تكوين ٢٧) ولم يكتفى بذلك بل نهب بهائم وغنيمة سكان عاي لنفسه (حسب قول الرب!!!) (يشوع ٨ : ٢٧) أم هي كتابات وموسى الذى يتهمه الكتاب المقدس بسرقة ذهب المصريين عند خروجهم من مصر (خروج ٣ : ٢٢ وأيضاً خروج ١٢ : ٣٥ - ٣٦)؟ تعالى الله عما تقولون علواً كبيراً.

(١١) لَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْكَهَنَةَ تَنَجَّسُوا جَمِيعًا بَلْ فِي بَيْتِي وَجَدْتُ شَرَّهُمْ يَقُولُ الرَّبُّ. (إرمياء ٢٣ : ١١)

(١٣) وَقَدْ رَأَيْتُ فِي أَنْبِيَاءِ السَّامِرَةِ حِمَاقَةً. تَنَبَّأُوا بِالْبُعْلِ وَأَضَلُّوا شَعْبِي إِسْرَائِيلَ. (إرمياء ٢٣ : ١٣)

(٣١) الْأَنْبِيَاءُ يَتَنَبَّأُونَ بِالْكَذِبِ وَالْكَهَنَةُ تَحْكُمُ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَشَعْبِي هَكَذَا أَحَبُّ. (إرمياء ٥ : ٣١)

(لَأَنَّهُمْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كُلُّ وَاحِدٍ مُوَلِّعٌ بِالرَّبِّحِ مِنَ النَّبِيِّ إِلَى الْكَاهِنِ كُلِّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ بِالْكَذِبِ. (إرميا ٨ : ١٠)

(١٤) فَقَالَ الرَّبُّ لِي: [بِالْكَذِبِ يَتَنَبَّأُ الْأَنْبِيَاءُ بِاسْمِي. لَمْ أَرْسِلْهُمْ وَلَا أَمَرْتُهُمْ وَلَا كَلَّمْتُهُمْ. بِرُؤْيَا كَاذِبَةٍ وَعِرَافَةٍ وَبَاطِلٍ وَمَكْرِ قُلُوبِهِمْ هُمْ يَتَنَبَّأُونَ لَكُمْ]. (إرميا ١٤ : ١٤)

بل قال الرب عن أنبياء بنى إسرائيل إنهم أنبياء للضلالة والكذب، أى أتباع الشيطان، (١١) لَوْ كَانَ أَحَدٌ وَهُوَ سَالِكٌ بِالرِّيحِ وَالْكَذِبِ يَكْذِبُ قَائِلًا: أَتَنَبَّأُ لَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمُسْكِرِ لَكَانَ هُوَ نَبِيَّ هَذَا الشَّعْبِ! (مicha ٢ : ١١)

ويُنسب إلى عيسى عليه السلام القول: (٨) جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَاقٌ وَلُصُوصٌ وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ. (يوحنا ١٠ : ٨)

وهذه الفقرات الكتابية تدفع أى عاقل إلى تجاهل هذا الكتاب ، ويفعل كما قال برنارد شو ، أى يضعه فى خزانة حديدية ولا يفتحه أبداً .

هل تعلم أن اعتراف الكتاب (المقدس) بأن الأنبياء كذبة ولصوص وسراق لينفى عنهم العصمة ، ويستتبع هذا رفض كل تعاليمهم؟ فكيف تقبل وتستشهد بأقوال لص؟ إنها سبة فى جبينكم أن يكون أنبياءكم لصوص؟ وإذا كان كبارؤكم لصوص فماذا تكون أنت أيها المحترم؟ أين أصحاب العقول بينكم؟ فهل علمت الآن لماذا طالب برنارد شو بالتخلص من هذا الكتاب؟

الفصل الثامن والخمسين

الكتاب المقدس يساعد على نشر الزنا بنصوص مثيرة جنسياً :

على الرغم من أن أحد الوصايا العشر تنص صراحة ودون لبث بتحريم الزنى ، وعلى الرغم من وجود عقوبات صارمة للزانى ، ما بين القتل والرجم والحرق (لاويين ٢٠ : ١٠-٢١) ، إلا أنك ترى نصوصاً تثير الغرائز ، وتجعلك تقترب من الزنى ، بل وتعلمك كيفية رسم خطة ، للإيقاع بأختك فى الزنى والرجاسة . والأمر من ذلك أن ترى نصوصاً فى الكتاب المقدس يأمر فيها الرب نبيه بالزنى! ونصوصاً يعاقب الرب مخالفه بأن يوقعهم فى الزنى! ونصوصاً يفضح الرب فيها مخالفه ويعرّى عورتين! فهل هذا من قبيل (ولا تقربوا الزنى)؟

(لَا حَظُّ بَيْنَ الْبَيْنِ عَلَامًا عَدِيمَ الْفَهْمِ ٨ عَابِرًا فِي الشَّارِعِ عِنْدَ زَاوِيَتَيْهَا وَصَاعِدًا فِي طَرِيقِ بَيْتِهَا . . . ١٠ إِذَا بِأَمْرَاةٍ اسْتَقْبَلَتْهُ فِي زِيٍّ زَانِيَةٍ . . . ١٣ فَأَمْسَكَتْهُ وَقَبَّلَتْهُ . أَوْقَحَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ لَهُ : . . . ١٦ بِالذَّبَّاجِ فَرَشْتُ سَرِيرِي بِمُوشَى كَتَّانٍ مِنْ مِصْرَ . ١٧ عَطَرْتُ فِرَاشِي بِمُرٍّ وَعُودٍ وَقَرْفَةٍ . ١٨ هَلُمَّ نَرْتَوْ وَدًا إِلَى الصَّبَاحِ . نَتَلَذَّذُ بِالْحُبِّ ١٩ لِأَنَّ الرَّجُلَ لَيْسَ فِي الْبَيْتِ . ذَهَبَ فِي طَرِيقِ بَعِيدَةٍ . ٢٠ أَخَذَ صُرَّةَ الْفِضَّةِ بِيَدِهِ . يَوْمَ الْهَلَالِ يَأْتِي إِلَى بَيْتِهِ . ٢١ أَغْوَتْهُ بِكَثْرَةِ فُنُونِهَا بِمَلَتْ شَفَتَيْهَا طَوْحَتْهُ . ٢٢ ذَهَبَ وَرَاءَهَا لَوْقَتِهِ كَثُورٍ يَذْهَبُ إِلَى الذَّبْحِ أَوْ كَالْغَبِيِّ إِلَى قَيْدِ الْقِصَاصِ .) (أمثال ٧ : ٧-٢٢)

(وَأَفْرَحُ بِامْرَأَةِ شَبَابِكَ ١٩ الطَّبِيبَةُ الْمُحِبُّوبَةُ وَالْوَعْلَةُ الرَّهِيَّةُ . لِيُرَوْكَ نَدْيَاهَا فِي كُلِّ وَقْتٍ وَبِمَحَبَّتِهَا اسْكُرْ دَائِمًا .) (أمثال ٥ : ١٨-١٩)

(١٠) مَا أَجْمَلَ خَدْيِكَ بِسُمُوطٍ وَعُنُقِكَ بِقَلَانِدٍ! ١٣ ضُرَّةُ الْمَرْ حَبِيبِي لِي . بَيْنَ نَدْيَيْ يَيْتٍ . . . ١٥ هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ . عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ . ١٦ هَا أَنْتِ جَمِيلٌ يَا حَبِيبِي وَحُلُوقُ وَسَرِيرُنَا أَخْضَرُ .) (نشيد الإنشاد ١ : ١٦-١٠)

(١) فِي اللَّيْلِ عَلَى فِرَاشِي طَلَبْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ . ٢ إِنِّي أَقُومُ وَأَطُوفُ فِي الْمَدِينَةِ فِي الْأَسْوَاقِ وَفِي الشُّوَارِعِ أَطْلُبُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي . طَلَبْتُهُ فَمَا وَجَدْتُهُ . ٣ وَجَدَنِي الْحَرَسُ الطَّائِفُ فِي الْمَدِينَةِ فَقُلْتُ : «أَرَأَيْتُمْ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي؟» ٤ فَمَا جَاوَزْتُهُمْ إِلَّا قَلِيلًا حَتَّى وَجَدْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي فَأَمْسَكْتُهُ وَلَمْ أَرْخِهِ حَتَّى أَدْخَلْتُهُ بَيْتَ أُمِّي وَحُجْرَةَ مَنْ حَبَلْتُ بِي . ٥ أَحْلَفُكَ يَا بَنَاتِ أورشليم بِالطَّبَّاءِ وَبِأَيَّالِ الْحَقْلِ إِلَّا تَيْقِظْنَ وَلَا تُنَبِّهْنَ الْحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ .) نشيد الإنشاد ٣ : ١-٥

(١) هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ يَا حَبِيبَتِي هَا أَنْتِ جَمِيلَةٌ! عَيْنَاكِ حَمَامَتَانِ مِنْ تَحْتِ نَقَابِكَ . شَعْرُكَ كَقَطِيعِ مِعْزٍ رَابِضٍ عَلَى جَبَلٍ جِلْعَادٍ . ٢ أَسْنَانُكَ كَقَطِيعِ الْجَزَائِرِ الصَّادِرَةِ مِنَ الْغَسْلِ الْمَوَاتِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مُتِّمٌ وَلَيْسَ فِيهِزَّ عَقِيمٌ . ٣ شَفَتَاكِ كَسِلْكَةِ مِنَ الْقَرْمِزِ . وَقَمُوكِ حُلُوقٌ . حَدِّكِ كَقِلْقَلَةِ رُمَانَةٍ تَحْتِ نَقَابِكَ . ٤ عُنُقُكِ كَبُرْجِ دَاوُدَ الْمَبْنِيِّ بِالْأَسْلِحَةِ . أَلْفُ مِجَنٍّ عُلِقَ عَلَيْهِ كُلُّهَا أَثْرَاسُ الْجَبَابِرَةِ . ٥ نَدْيَاكِ كَخَشْفَتِي طَبِيبَةٌ تَوَاطِينُ يَرْعِيَانِ بَيْنَ السُّوسَنِ . ٦ إِلَى أَنْ يَفِيحَ النَّهَارُ وَتَنْهَزِمَ الظَّلَالُ أَذْهَبُ إِلَى جَبَلِ الْمَرْ وَإِلَى تَلِّ اللَّبَانِ . ٧ كُلُّكِ جَمِيلٌ يَا حَبِيبَتِي لَيْسَ فِيكِ عَيْبَةٌ .) نشيد الإنشاد ٤ : ١-٧

(١) مَا أَجْمَلَ رِجْلَيْكِ بِالنَّعْلَيْنِ يَا بِنْتَ الْكَرِيمِ! دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الْحَلِيِّ صَنْعَةٍ يَدَيَّ صَنَاعٍ . ٢ سُرْتُكِ كَأَسُّ مَدُورَةٍ لَا يُعَوِّزُهَا شَرَابٌ مَمْرُوجٌ . بَطْنُكِ ضُبْرَةٌ حَنْطَةٌ مُسَيِّجَةٌ بِالسُّوسَنِ . ٣ نَدْيَاكِ كَخَشْفَتَيْنِ تَوَاطِينِ طَبِيبَةٍ . ٤ عُنُقُكِ كَبُرْجِ

مِنْ عَاجٍ. عَيْنَاكَ كَالْبَرْكِ فِي حَشْبُونٍ... ١٥ بَثَّ رَبِّيَمَ. أَنْفُكَ كَبُرُجٍ لُبْنَانَ النَّاطِرِ
تُجَاهَ دِمَشْقٍ... ١٦ مَا أَجْمَلُكَ وَمَا أَجْمَلُ... ١٧ أَيْتَهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَاتِ! ١٨ قَامَتْكَ هَذِهِ
شَبِيهَةٌ بِالنَّحْلَةِ وَتُدْيَاكِ بِالْعَنَاقِيدِ... ١٩ «إِنِّي أَصْعَدُ إِلَى النَّحْلَةِ وَأُمْسِكُ
بِعُدْوِقِهَا». وَتَكُونُ تُدْيَاكِ كَعَنَاقِيدِ الْكَمَرِ... ٢٠ نَحْنَةُ أَنْفُكَ كَالْتَفَاحِ (نشيد الإنشاد

٨-١: ٧

(١) أَلَيْتَكَ كَأَخٍ لِي الرَّاضِعُ تُدْيَاكِ... ١ فَاخِذَكَ فِي الْخَارِجِ وَأَقْبَلْكَ وَلَا
يُخْزُونِي. ٢ وَأَقْوَدُكَ وَأَدْخُلُ بِكَ بَيْتَ أُمِّي وَهِيَ تَعْلُمُنِي فَأَسْقِيكَ مِنَ الْخَمْرِ
الْمَمْزُوجَةِ مِنْ سُلَافِ رُمَانِي. ٣ شِمَالُهُ نَحْتُ رَأْسِي وَيَمِينُهُ تُعَانِقُنِي.
٤ أَحْلَفُكَ يَا بَنَاتِ أُورُشَلِيمَ أَلَّا تُقَطِّظْنَ وَلَا تَنْهَنَ الْحَبِيبَ حَتَّى يَشَاءَ. (نشيد
الإنشاد ٨: ١-٤)

(٨) لَنَا أُخْتُ صَغِيرَةٌ لَيْسَ لَهَا تُدْيَانٌ. فَمَا لَنَا نَصْنَعُ لِأُخْتِنَا فِي يَوْمٍ تُخْطَبُ؟
٩ إِنْ تَكُنْ سُورًا فَنَبْنِي عَلَيْهَا بَرْجَ فِضَّةٍ. وَإِنْ تَكُنْ بَابًا فَنَحْضُرُهَا بِالْوُحَا أَرْزِ. ١٠ أَنَا
سُورٌ وَتُدْيَايَ كَبُرَجَيْنِ. حِينَئِذٍ كُنْتُ فِي عَيْنَيْهِ كَوَاجِدَةٍ سَلَامَةً. (نشيد الإنشاد ٨:
٨-١٠)

(١) وَكَانَتْ إِلَيَّ كَلِمَةُ الرَّبِّ: ٢ يَا بَنَ آدَمَ، عَرَّفَ أُورُشَلِيمَ بِرَجَاسَاتِهَا...
١٥ [فَاتَّكَلْتُ عَلَى جَمَالِكَ وَزَنَيْتُ عَلَى اسْمِكَ، وَسَكَبْتُ زَنَاكَ عَلَى كُلِّ عَابِرٍ
فَكَانَ لَهُ. ١٦ وَأَخَذْتُ مِنْ ثِيَابِكَ وَصَنَعْتُ لِنَفْسِكَ مُرْتَفَعَاتٍ مُوشَاةَ وَزَنَيْتُ عَلَيْهَا.
أَمْرٌ لَمْ يَأْتِ وَلَمْ يَكُنْ... وَصَنَعْتُ لِنَفْسِكَ صُورَ ذُكُورٍ وَزَنَيْتُ بِهَا...
٢٥ فِي رَأْسِ كُلِّ طَرِيقٍ بَنَيْتُ مُرْتَفَعَتَكَ وَرَجَّسْتُ جَمَالَكَ، وَفَرَّجْتُ رِجْلَيْكَ
لِكُلِّ عَابِرٍ وَأَكْثَرْتُ زَنَاكَ. ٢٦ وَزَنَيْتُ مَعَ جِيرَانِكَ بَنِي مِصْرَ الْغِلَاطِ اللَّحْمِ،
وَزِدْتُ فِي زَنَاكَ لِإِعَاطِي... ٣٣ لِكُلِّ الرَّوَانِي يُعْطُونَ هَدِيَّةً، أَمَّا أَنْتِ فَقَدْ
أَعْطَيْتِ كُلَّ مُحِبِّكَ هَدَايَاكَ، وَرَشَيْتِهِمْ لِيَأْتُوكَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ لِلزَّنا بِكَ.
٣٤ وَصَارَ فِيكَ عَكْسُ عَادَةِ النِّسَاءِ فِي زَنَاكَ، إِذْ لَمْ يُزْنَ وَرَاءَكَ، بَلْ أَنْتِ
تُعْطِينَ أَجْرَةً وَلَا أُجْرَةً تُعْطَى لَكَ، فَصِرْتَ بِالْعَكْسِ! (حزقيال ١٦: ١-٣٤)

الفصل التاسع والخمسين

للب أسلوب قصصى فاضح: قصة العاهرتين: أهولا وأهوليا
(رمز للمدينتين السامرة وأورشليم لكن بأسلوب جنسى مشير)

(١) وَكَانَ إِلَيَّ كَلَامُ الرَّبِّ: ٢ [يَا ابْنَ آدَمَ، كَانَتِ امْرَأَتَانِ ابْنَتَا أُمِّ وَاحِدَةٍ،
٣ زَنَتَا بِمِصْرَ فِي صِبَاهُمَا. هُنَاكَ دُعِدَتْ ثُدِيُهُمَا، وَهُنَاكَ تَزَعَزَعَتْ تَرَائِبُ
عُذْرَتَيْهِمَا. . . . ٨ وَلَمْ تَتْرُكْ زَنَاهَا مِنْ مِصْرَ أَيْضًا، لِأَنَّهُنَّ ضَاغَعُوهُمَا فِي
صِبَاهَا وَزَعَزَعُوا تَرَائِبَ عُذْرَتَيْهَا وَسَكَبُوا عَلَيْهَا زَنَاهُ. ٩ لِذَلِكَ سَلَّمْتُهَا لِيَدِ
عُشَاقِهَا، لِيَدِ بَنِي أَشُورَ الَّذِينَ عَشِيقَتْهُمْ. . . . ١٩ وَأَكْثَرَتْ زَنَاهَا بِذِكْرِهَا أَيَّامَ
صِبَاهَا الَّتِي فِيهَا زَنَتْ بِأَرْضِ مِصْرَ. ٢٠ وَعَشِيقَتْ مَعْشُوقِيهِمُ الَّذِينَ لَحَمُهُمْ
كَلَحَمِ الْحَمِيرِ وَمِنْهُمْ كَمَنِّي الْخَيْلُ. ٢١ وَافْتَقَدْتُ رَذِيلَةَ صَبَاكِ بِزَعَزَعَةِ
الْمِصْرِيِّينَ تَرَائِبِكَ لِأَجْلِ ثُدِي صَبَاكِ.) حزقيال ٢٣: ١-٢١

(٢٢) [لِأَجْلِ ذَلِكَ يَا أَهُولِيَّةُ، هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَئِنَذَا أَهْبِجُ عَلَيْكَ
عُشَاقِكَ . . . ٢٦ وَيَتَزَعَّزَعُونَ عَنْكَ ثِيَابُكَ وَيَأْخُذُونَ أَدَوَاتِ زِينَتِكَ. ٢٧ وَأُبْطَلُ
رَذِيلَتِكَ عَنْكَ وَزَنَاكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، فَلَا تَرْفَعِينَ عَيْنَيْكَ إِلَيْهِمْ وَلَا تَذْكُرِينَ مِصْرَ
بَعْدُ. ٢٨ لِأَنَّهُ هَكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَئِنَذَا أَسْلَمُكَ لِيَدِ الَّذِينَ أَبْغَضْتَهُمْ، لِيَدِ
الَّذِينَ جَفَّتْهُمْ نَفْسُكَ. ٢٩ فَيَعَامِلُونَكَ بِالْبَغْضَاءِ وَيَأْخُذُونَ كُلَّ تَعَبِكَ، وَيَتْرَكُونَكَ
عُرْيَانَةً وَعَارِيَةً فَتُكْشَفُ عَوْرَةُ زَنَاكَ وَرَذِيلَتُكَ وَزَنَاكَ.) حزقيال ٢٣: ٢٢-٢٩

الفصل الستين

الرب نفسه من نسل زناة!

يقول الكتاب: (ه) وَسَلْمُونُ وَلَدَ بُوعَزَ مِنْ رَا حَابَ.) متى ١: ٥

ويقول يشوع عن راحاب: (فَذَهَبَا وَدَخَلَا بَيْنَ امْرَأَةٍ زَانِيَةٍ اسْمُهَا رَا حَابُ

وَاضْطَجَعَا هُنَاكَ.) يشوع ٢: ١

ويقول الرب عن أولاد الزنى: (لا يَدْخُلُ ابْنُ زِنَى فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ.) تثنية ٢٣ : ٢

ومع ذلك دخل يسوع فى جماعة الرب وهو من نسل زنى.

ويقول الكتاب: (وَبُوعَزُ وَلَدَ عُويِدَ مِنْ رَعُوثَ.) متى ١ : ٥

وراعوث هى راعوث الموابية (راعوث ٤ : ٥)

ويمنع الكتاب دخول الموابيين ولعموميين فى جماعة الرب نهائياً: (٣) لَا يَدْخُلُ عَمُونِيٌّ وَلَا مُوَابِيٌّ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى الْأَبَدِ) تثنية ٢٣ : ٣

ومع ذلك دخل يسوع فى جماعة الرب وهو من نسل العمونيين.

ويقول الكتاب: (٧) وَسَلْبِمَانُ وَلَدَ رَحْبَعَامَ.) متى ١ : ٧

ويقول سفر ملوك الأول عن العمونيين: (وَأَمَّا رَحْبَعَامُ بْنُ سَلِيمَانَ فَمَلَكَ فِي يَهُودَا. وَكَانَ رَحْبَعَامُ ابْنُ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ، وَمَلَكَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً فِي أُورُشَلِيمَ الْمَدِينَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا الرَّبُّ لَوْضْعِ اسْمِهِ فِيهَا مِنْ جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ. وَاسْمُ أُمِّهِ نَعْمَةُ الْعَمُونِيَّةِ.) ملوك الأول ١٤ : ٢١

وعلى ذلك فنسل سليمان كلهم بما فيهم يسوع محرومون من الدخول فى جماعة الرب: (٣) لَا يَدْخُلُ عَمُونِيٌّ وَلَا مُوَابِيٌّ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ. حَتَّى الْجِيلِ الْعَاشِرِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُمْ أَحَدٌ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ إِلَى الْأَبَدِ) تثنية ٢٣ : ٣

ومع ذلك دخل يسوع فى جماعة الرب وهو من نسل العمونيين

هؤلاء هم أجداد الرب ، الذى فضل أن يُخلِّدَهم ويجعلهم المثل الأعلى!!

هؤلاء هم أجداد الرب ، الذى فضل أن تكون عائلته زناة وأولاد سفاح أو مطرودين من رحمة الرب!

الفصل الواحد والستين

الكتاب المقدس يشجع على الزنى ويُمجد أولاد السفاح:

والأدهى من ذلك والأمرُّ أن يكون نسل الإله وعائلته من سلالة زنا! انظر كيف يلفون السم في الورق المذهَّب!

بدأت باختيار الرب أن يولد من امرأة عذراء مخطوبة لرجل آخر!

فلماذا عذراء؟ ولماذا المخطوبة لرجل آخر؟ ما غرضه من التشهير بها وبخطيئتها؟ ما غرضه من أن تلد العذراء؟ ألم يفكر في كلام الناس فيه وفي أمه؟ ألم يكن خطيب أمه ذو قيمة عنده حتى يصيبه بهذه المصيبة ويُلحق به هذا التشهير؟ ألم يكن في مقدوره انتقاء عذراء أخرى طاهرة وشريفة غير مخطوبة ليولد منه؟

فكانت بداية الرب المقدسة أنه جعل الناس تتهم أمه بالزنى!

(فَقَالُوا لَهُ: «إِنَّا لَمْ نُوَلِّدْ مِنْ زِنَا. لَنَا أَبٌ وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ».) يوحنا ٨: ٤١

(٢٣) وَلَمَّا ابْتَدَأَ يَسُوعُ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلَاثِينَ سَنَةً وَهُوَ عَلَى مَا كَانَ يُظَنُّ ابْنُ يَوْسُفَ بْنِ هَالِي (لوقا ٣: ٢٣)

بل جعل الاعتراف بالزنى على لسان أمه: (٤٨) فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَهَشَا. وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ: «يَا بُنَيَّ لِمَاذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذِّبَيْنِ» (لوقا ٢: ٤٨)

وكانت الثانية أنه خالف الناموس بنفسه. فقد حرم أن يُجامع الرجل أمه ، ثم يحل هو بصفته الروح القدس على أمه ليولد منها. وهذا عقوبته الموت: (٧) عَوْرَةَ أَبِيكَ وَعَوْرَةَ أُمِّكَ لَا تَكْشِفُ. إِنَّهَا أُمُّكَ لَا تَكْشِفُ عَوْرَتَهَا. ٨ عَوْرَةَ امْرَأَةٍ أَبِيكَ لَا تَكْشِفُ. إِنَّهَا عَوْرَةُ أَبِيكَ.) لاويين ١٨: ٧-٨

فإن كان (الآب) ابن مريم قد دخل على أمه ، فهذه عقوبته: (١١) وَإِذَا

اضْطَجَعَ رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ أَبِيهِ فَقَدْ كَشَفَ عَوْرَةَ أَبِيهِ . إِنَّهُمَا يُقْتَلَانِ كِلَاهُمَا .
دُمُهُمَا عَلَيْهِمَا .) لاويين ٢٠ : ١١

وكيف تقبل امرأة تتزوج بالإله العظيم مالك الملك ، قاصم الجبابرة ، أرحم
الراحمين ، المعطى المانع ، المعز المذل ، الرافع الخافض ، ثم تتركه لتتزوج
غيره من البشر؟ فهل غدر بها الإله وتركها؟ أم طلقها ولم يعلن ذلك خوفاً على
سمعته؟ أم كان البشر أجدر وأظرف من الإله فتركت الإله من أجله؟ وهل
خطبت لاثنيين أم هذا خطأ من متى أو من لوقا؟ أم أخطأ الكاتبان ولم تتزوج
لأنها أول فاتحة رحم؟ فمن المعروف أن أول مولود من أمه (= أول فاتح رحم)
يكون عمره كله منذور لله (١) وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى : ٢ «قَدْ سَ لِي كُلَّ بَكْرٍ كُلَّ فَاتِحِ
رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَآئِيلَ مِنَ النَّاسِ وَمِنْ الْبَهَائِمِ . إِنَّهُ لِي» .) خروج ١٣ : ١-٢ ،
وكذلك لوقا ٢ : ٢٢-٢٣

فمعنى ذلك أنه ليس من حقها أن تتزوج . فلماذا خُطِبَتْ؟ ولو كانت
مخطوبة ، لاعتبرت بشارة الملاك لها بشارة سعيدة يُنبئها فيها بإتمام زواجها من
يوسف ، ولفهمت أن الإنجاب سيكون منه . وما هذا إلا تشويه للمرأة التي اجتمع
عليها الكتاب المقدس بأكمله ، ولم يتركها إلا عاهرة أو مهضومة الحقوق .

فهذا نبي الله لوط يسكر ويزنى بابتثيه : (٣٠) وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوعَرَ وَسَكَنَ
فِي الْجَبَلِ وَابْتَنَاهُ مَعَهُ لِأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوعَرَ . فَسَكَنَ فِي الْمَعَارَةِ هُوَ
وَابْتَنَاهُ . ٣١ وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ : «أَبُونَا قَدْ شَاخَ وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ رَجُلٌ
لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الْأَرْضِ . ٣٢ هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرًا وَنَضْطَجِعْ مَعَهُ فَتُحْبِي
مِنْ أَيْبِنَا نَسْلًا» . ٣٣ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ
وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا بِقِيَامِهَا . ٣٤ وَحَدَّثَ فِي الْعَدِ
أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ : «إِنِّي قَدْ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي . نَسْقِيهِ خَمْرًا اللَّيْلَةَ
أَيْضًا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ فَتُحْبِي مِنْ أَيْبِنَا نَسْلًا» . ٣٥ فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرًا فِي
تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضًا وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلَا

بِقِيَامِهَا ٣٦ فَحَلَبَتْ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا . ٣٧ فَوَلَدَتْ الْبِكْرُ ابْنًا وَدَعَتْ اسْمَهُ
(مُوَآبَ) - وَهُوَ أَبُو الْمُوَابِيْنِ إِلَى الْيَوْمِ . ٣٨ وَالصَّغِيرَةُ أَيْضًا وَلَدَتْ ابْنًا وَدَعَتْ
اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي» - وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ .) تكوين ١٩ : ٣٠-٣٨

وهذا نبي الله إبراهيم لا يخشى الله ويضحى بشرفه وشرف زوجته
سارة خوفًا على نفسه من القتل ولتحقيق مكاسب دنيوية، ويأمر زوجته
بالكذب : (١١) وَحَدَّثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ : «إِنِّي قَدْ
عَلِمْتُ أَنَّكَ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ . ١٢ فَيَكُونُ إِذَا رَأَى الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : هَذِهِ
امْرَأَتُهُ . فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكَ . ١٣ قُولِي إِنَّكَ أُخْتِي لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكَ رَتْحًا
نَفْسِي مِنْ أَجْلِكَ ؛ . ١٤ فَحَدَّثَتْ لَمَّا دَخَلَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ رَأَوْا الْمَرْأَةَ
أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدًّا . ١٥ وَرَأَاهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةَ
إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ ١٦ فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْرًا بِسَبَبِهَا وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ رَعِيدٌ
وَأَمَاءٌ وَأَتْنٌ وَجَمَالٌ .) تكوين ١٢ : ١١-١٦

وهذا شكيم يزني بابنة نبي الله يعقوب (دينه) (تكوين ٢٤ : ٢٠)

وهذا نبي الله نوح يسكر ويتعري : (٢١) وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى
دَاخِلَ خَبَائِثِهِ . ٢٢ فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ وَأَخْبَرَ أَخُوَيْهِ خَارِجًا . ٢٣ فَأَخَذَ
سَامٌ وَيَافَثُ الرَّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَى إِلَى الْوَرَاءِ وَسَتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا
رُؤُوسَهُمَا إِلَى الْوَرَاءِ . فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا . ٢٤ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ
عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ ٢٥ فَقَالَ : «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ . عَبْدُ الْعَبِيدِ يَكُونُ لِأَخُوَيْهِ» .
تكوين ٩ : ٢١-٢٥

تُرى ما الذى فعله حام بأبيه؟ هل زنى بأبيه كما صرح أحد قساوسة أمريكا
الذين يزوجون الرجال بالرجال بمباركة الكنيسة؟

وهذا نبي الله موسى وأخوه هارون أولاد حرام (زواج غير شرعى):
يقول سفر اللاويين ١٨ : ١٢ (عورة أخت أهلك لا تكشف إنها قريبة أهلك).

إلا أن عمرام أبو نبي الله موسى قد تزوج عمته: (وأخذ عمرام يوكابد
عمته زوجة له فولدت له هارون وموسى) الخروج ٦ : ٢٠ (مع الأخذ في
الاعتبار أن النصارى لا يُقرُّن النسخ فى دينهم!)

وهذا نبي الله يعقوب يجمع بين الأختين: فقد تزوج ليثة ورحيل
الأختين وأنجب منهما (تكوين ٢٩ : ٢٣-٣٠) ؛ ويحرم سفر اللاويين الجمع
بين الأختين (لاويين ١٨ : ١٨)

وهذا نبي الله إبراهيم يتزوج من أخته لأبيه: تزوج نبي الله إبراهيم عليه
السلام من سارة وهى أخته من أبيه (تكوين ٢٠ : ١٢) ؛ على الرغم من أن سفر
اللاويين ١٨ : ٩ يحرم الزواج من الأخت للأب أو للأم!

وهذا نبي الله يهوذا عليه السلام يزنى بثامار زوجة ابنه: (تكوين
الإصحاح ٣٨).

وهذا نبي الله داود عليه السلام يزنى بجارته امرأة أوريا وخيانته
العظمى للتخلص من زوجها وقتله: فى (صموئيل الثانى ص ١١) !!!

وهذا نبي الله شاول يُزوّج ابنته زوجة داود عليه السلام من شخص آخر
وهى لم تُطلّق من زوجها الأول: (٤٤ فَأَعْطَى شَاوُلُ مِيكَالَ ابْنَتَهُ امْرَأَةً دَاوُدَ
لِفَلْطِي بْنِ لَإِيْشَ الَّذِي مِنْ جَلِيْمَ .) صموئيل الأول ٢٥ : ٤٤ و(١٤ وَأَرْسَلَ دَاوُدُ
رُسُلًا إِلَى إِيشْبُوشَثَ بِنِ شَاوُلَ يَقُولُ: «أَعْطِنِي امْرَأَتِي مِيكَالَ الَّتِي خَطَبْتُهَا
لِنَفْسِي بِمِئَةِ غُلْفَةٍ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ». ١٥ فَأَرْسَلَ إِيشْبُوشَثُ وَأَخَذَهَا مِنْ عِنْدِ
رَجُلِهَا، مِنْ فَلَطِيئِيلَ بْنِ لَإِيْشَ. ١٦ وَكَانَ رَجُلُهَا يَسِيرُ مَعَهَا وَيَبْكِي وَرَاءَهَا إِلَى
بَحُورِيمَ. فَقَالَ لَهُ أَبْنِيرُ: «أَذْهَبِ ارْجِعِي». فَرَجَعَتْ.) صموئيل الثانى ٣ : ١٤-١٦.

وهذا نبي الله داود لا ينام إلا فى حضن امرأة عذراء: ملوك الأول ١ :

وهذا رب الأرباب ينتقم من نبيه داود عليه السلام على زناه فيسلم أهل

بيته للزنى: صموئيل الثانى ١٢ : ١١-١٢!!!

وهذا ابن نبي الله داود يزنى بأخته: (أمنون بن داود يزنى بأخته ثامار أخت أبشالوم بن داود) اقرأ سيناريو هذا الفيلم فى (صموئيل الثانى ص ١٣).

وهذا نبي الله وأوبين يزنى بزوجة أبيه بلهة: (تكوين ٣٥ : ٢٢ ؛ ٤٩ :

٤-٣)

وهذا نبي الله شمشون يذهب إلى غزة ورأى هناك امرأة زانية فدخل

إليها (قضاة ١٦ : ١)

وهذا نبي الله حزقيال يشجع النساء على الزنى والفجور (حزقيال ١٦ :

٣٣-٣٤)

ترى لماذا فضّل الرب الرذيلة على الفضيلة؟ هل لإفساد البشرية؟ أم أن

كاتب هذه الكلمات والأفكار إنسان يحارب الله القدوس ويمهد لعبادة الشيطان

وانتشار الزنى والرذيلة فى الأرض؟

إنها إذن بكل المقاييس مؤامرة على المرأة: أنبياء زناة!! أنبياء تتزوج

زانيات!! نصوص جنسية مثيرة للغرائز! منع الطلاق حتى مع وجود نفور بين

الرجل وزوجته!! منع زواج المطلقة! تفضيل عدم زواج العذراء! تفضيل إخصاء

الرجل لنفسه! الرب نفسه من نسل زنى!!

الفصل الثانى والستين

الكتاب يأمر الزوجة المَسِيَّة بالبكاء شهراً قبل الدخول بها!

(١٠) إِذَا خَرَجْتَ لِمُحَارَبَةٍ أَعْدَائِكَ وَدَفَعَهُمُ الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ وَسَيَّئَتْ

مِنْهُمْ سَبِيًّا ١١ وَرَأَيْتَ فِي السَّبْيِ امْرَأَةً جَمِيلَةً الصُّورَةِ وَالتَّصَفَّتْ بِهَا وَاتَّخَذَتْهَا لَكَ

زَوْجَةً ١٢ فَحِينَ تَدْخُلُهَا إِلَى بَيْتِكَ تَخْلُقُ رَأْسَهَا وَتَقْلَمُ أَظْفَارَهَا ١٣ وَتَنْزِعُ ثِيَابَ

سَبِيهَا عَنْهَا وَتَقْعُدُ فِي بَيْتِكَ وَتَبْكِي أَبَاهَا وَأُمُّهَا شَهْرًا مِنَ الزَّمَانِ ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ

تَدْخُلُ عَلَيْهَا وَتَتَزَوَّجُ بِهَا فَتَكُونُ لَكَ زَوْجَةً. ١٤ وَإِنْ لَمْ تُسَرَّ بِهَا فَأُطْلِقْهَا لِنَفْسِهَا. لَا تَبِعْهَا بَيْعًا بِفِضَّةٍ وَلَا تَسْرِقْهَا مِنْ أَجْلِ أَنْكَ قَدْ أَذَلَّتْهَا. (تثنية ٢١ : ١٠-١٤)

وماذا سيفعل الرجل المؤمن إن لم تبك زوجته؟ هل سيضربها لتبكي؟ وما علة الرب من هذه العكنة وهذا الغم قبل الزفاف؟ ومتى ستفرح المرأة إذن ، إذا كانت قبل زفافها لا بد أن تبكي شهراً؟

الفصل الثالث والستين

الكتاب المقدس يعطى الأب الحق فى بيع ابنته :
من حق الأب أن يبيع ابنته : (٧ وَإِذَا بَاعَ رَجُلٌ ابْنَتَهُ أُمَّةً لَا تَخْرُجُ كَمَا يَخْرُجُ الْعَبْدُ.) خروج ٢١ : ٧

وكذلك اشترى بوعز راعوث الموابية امرأة محلون وجدة داود : (٩ فَقَالَ بُوعَزُ لِلشُّيُوخِ وَلِجَمِيعِ الشَّعْبِ : «أَنْتُمْ شُهُودُ الْيَوْمِ أَنِّي قَدِ اشْتَرَيْتُ كُلَّ مَا لِأَيِّمَالِكَ وَكُلَّ مَا لِكَلْيُونِ وَمَحْلُونِ مِنْ يَدِ نَعْمِي. ١٠ وَكَذَا رَاعُوْتُ الْمُوَابِيَّةَ امْرَأَةً مَحْلُونٍ قَدِ اشْتَرَيْتُهَا لِي امْرَأَةً» راعوث ٤ : ٩-١٠)

الفصل الرابع والستين

هانت عليهم المرأة فكان مهرها (غلفة ذكر رجل ميت) :
(٢٥ فَقَالَ شَاوُلُ : «هَكَذَا تَقُولُونَ لِذَاوُدَ : لَيْسَتْ مَسَرَّةُ الْمَلِكِ بِالْمَهْرِ. بَلْ بِمِئَةِ غُلْفَةٍ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ لِلْإِنْتِقَامِ مِنْ أَعْدَاءِ الْحَلِكِ.» وَكَانَ شَاوُلُ يَتَفَكَّرُ أَنْ يُوقِعَ دَاوُدَ بِيَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ.) صموئيل الأول ١٨ : ٢٥

الغريب أن الكتاب المقدس يُظهر الأنبياء فى 'سوأ قدوة' ، وأشر خلق الله ! وأفضل قدوة هن العاهرات ! فهذه هى أخلاق الأنبياء مع بعضهم البعض : يوقع أحدهم الآخر فى أيدي الكافرين ، ويسم آخر شرف امرأته لفرعون ومن بعده

لجاره ، وآخر يزنى بابتنتيه ، وآخر يزنى بزوجة أبيه ، وآخرون يكفرون ويعبدون الأوثان! وهذا كله فى كفة ، وما فعله يعقوب فى كفة أخرى: فقد تصارع من الرب ، وهزمه ، وسرق النبوة من أخيه ، وابتاعها منه بابتزاز فى مقابل طبق عدس! أى والله طبق عدس!!

فهذا نبي الله إبراهيم لا يخشى الله ويضحى بشرفه وشرف زوجته سارة خوفاً على نفسه من القتل ولتحقيق مكاسب دنيوية، ويأمر زوجته بالكذب: (١١) وَحَدَّثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: «إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. ١٢ فَيَكُونُ إِذَا رَأَاكَ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هَذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونِي وَيَسْتَبْقُونَكَ. ١٣ قُولِي إِنَّكَ أُخْتِي لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكَ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكَ». ١٤ فَحَدَّثَ لَمَّا دَخَلَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ أَنَّ الْمِصْرِيِّينَ رَأَوْا الْمَرْأَةَ أَنَّهَا حَسَنَةٌ جِدًّا. ١٥ وَرَأَاهَا رُؤَسَاءُ فِرْعَوْنَ وَمَدَحُوهَا لَدَى فِرْعَوْنَ فَأَخَذَتِ الْمَرْأَةَ إِلَى بَيْتِ فِرْعَوْنَ ١٦ فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْرًا بِسَبَبِهَا وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ. (تكوين ١٢: ١١-١٦)

ولا يخشى الله ويقبل التضحية بشرفه وشرف زوجته سارة، ولم يتعلم من الدرس الذى أخذه من حكايته مع فرعون: (١) وَانْتَقَلَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ هُنَاكَ إِلَى أَرْضِ الْجَنُوبِ وَسَكَنَ بَيْنَ قَادِشَ وَشُورَ وَتَعَرَّبَ فِي جَرَارَ. ٢ وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي». فَأَرْسَلَ أَبِيْمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَخَذَ سَارَةَ. ٣ فَجَاءَ اللَّهُ إِلَى أَبِيْمَالِكِ فِي حُلُمِ اللَّيْلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ مَيِّتٌ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ الَّتِي أَخَذَتْهَا فَإِنَّهَا مُتَزَوِّجَةٌ بِيَعْلٍ». ٤ وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ أَبِيْمَالِكُ قَدْ اقْتَرَبَ إِلَيْهَا. فَقَالَ: «يَا سَيِّدُ أُمَّةٌ بَارَةٌ تَقْتُلُ؟ ٥ أَلَمْ يَقُلْ هُوَ لِي إِنَّهُ أُخْتِي وَهِيَ أَيْضًا نَفْسُهَا قَالَتْ هُوَ أَخِي؟ بِسَلَامَةٍ قَلْبِي وَنِقَاوَةِ يَدَيَّ فَعَلْتُ هَذَا». ٦ فَقَالَ لَهُ اللَّهُ فِي الْحُلُمِ: «أَنَا أَيْضًا عَلِمْتُ أَنَّكَ بِسَلَامَةٍ قَلْبِكَ فَعَلْتَ هَذَا. وَأَنَا أَيْضًا أَمْسَكْتُكَ عَنْ أَنْ تُخْطِئَ إِلَيَّ لِذَلِكَ لَمْ أَدْعَكَ تَمَسُّهَا. ٧ فَالآنَ رُدِّ امْرَأَةَ الرَّجُلِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ فَيُصَلِّيَ لَأَجْلِكَ فَتَحْيَا. وَإِنْ كُنْتُ لَسْتُ تَرُدُّهَا فَأَعْلَمُ أَنَّكَ مَوْتًا تَمُوتُ أَنْتَ وَكُلُّ مَنْ لَكَ». ٨ فَتَبَكَرَ أَبِيْمَالِكُ فِي الْعَدِ وَدَعَا جَمِيعَ عِبِيدِهِ وَتَكَلَّمَ بِكُلِّ هَذَا الْكَلَامِ فِي مَسَامِعِهِمْ. فَخَافَ الرُّجَالُ جِدًّا.

٩ ثُمَّ دَعَا أَيِّمَالِيكَ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لَهُ: «مَاذَا فَعَلْتَ بِنَا وَبِمَاذَا أَخْطَأْتَ إِلَيْكَ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيَّ وَعَلَى مَمْلَكَتِي خَصِيَّةً عَظِيمَةً؟ أَعْمَالًا لَا تُعْمَلُ عَمِلْتَ بِي!». ١٠ وَقَالَ أَيِّمَالِيكَ لإِبْرَاهِيمَ: «مَاذَا رَأَيْتَ حَتَّى عَمِلْتَ هَذَا الشَّيْءَ؟» ١١ فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: «إِنِّي قُلْتُ: لَيْسَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ خَرَفُ اللَّهِ الْبَتَّةَ فَيَقْتُلُونَنِي لِأَجْلِ امْرَأَتِي. ١٢ وَبِالْحَقِيقَةِ أَيْضًا هِيَ أُخْتِي ابْنَةُ أَبِي غَيْرَ أَنَّهَا لَيْسَتْ ابْنَةُ أُمِّي فَصَارَتْ لِي زَوْجَةً. (تكوين ٢٠: ١-١٢)

ويسرق يعقوب البركة والنبوة من أبيه بتدبير من أمه: (تكوين الإصحاح ٢٧)

ويشتري نبي الله يعقوب النبوة من أخيه عيسو بطبق عدس: (٢٩ وَطَبَخَ يَعْقُوبُ طَبِيخًا فَأَتَى عِيسُو مِنَ الْحَقْلِ وَهُوَ قَدْ أَغْيَا. ٣٠ فَقَالَ عِيسُو لِيَعْقُوبَ: «أَطْعِمْنِي مِنْ هَذَا الْأَحْمَرِ لِأَنِّي قَدْ أُغْيَيْتُ. (لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ أَدُومَ). ٣١ فَقَالَ يَعْقُوبُ: «بِعَنِي الْيَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ». ٣٢ فَقَالَ عِيسُو: «هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ فَلِمَاذَا لِي بِكُورِيَّةٍ؟» ٣٣ فَقَالَ يَعْقُوبُ: «أَحْلِفْ لِي الْيَوْمَ». فَحَلَفَ لَهُ. فَبَاعَ بَكُورِيَّتَهُ لِيَعْقُوبَ. ٣٤ فَأَعْطَى يَعْقُوبُ عِيسُو خُبْزًا وَطَبِيخَ عَدَسٍ فَأَكَلَ وَشَرِبَ وَقَامَ وَمَضَى. فَاحْتَفَرَ عِيسُو الْبُكُورِيَّةَ. (تكوين ٢٥: ٢٩-٣٤)

اقرأ: نبي الله يعقوب يصارع الرب ويهزمه: (تكوين ٣٢: ٢٢-٣٠)

قتل النبي أبشالوم أخيه أمنون: صموئيل الثاني ١٣: ١-٢٩

أبشالوم بن داود يقود حربًا ضد أبيه النبي داود: صموئيل الثاني ١٨:

١٧-١

نبي الله ناثان يتأمر مع أمه ويكذبان وينصبان على أبيهما داود لإختيار سليمان نبيًا: (ملوك الأول ١: ١١-٣١)

اقرأ: نبي الله داود يقتل أولاده الخمس من زوجته ميكال لإرضاء الرب: (صموئيل الثاني ٢١: ٨-٩) وقد عُدَّتْ في التراجم الحديثة من ميكال

إلى ميراب. ومن المسلم به أن ميكال زوجة داود وأخت ميراب الصغرى، فعُدَّت حتى لا يكون داود قد قتل أولاده، بل أولاد ميراب ابنة شاول الذي أراد الإمساك به وقتله.

نبى الله شاول يُزوّج ابنته زوجة داود عليه السلام من شخص آخر وهى لم تُطلق من زوجها الأول: (٤٤) فَأَعْطَى شَاوُلُ مِيكَالَ ابْنَتَهُ امْرَأَةً دَاوُدَ لِفَلْطِي ابْنِ لَإِشَ الَّذِي مِنْ جَلِيمَ. (صموئيل الأول ٢٥ : ٤٤)

و(١٤) وَأَرْسَلَ دَاوُدَ رُسُلًا إِلَى إِيشْبُوشَ بْنِ شَاوُلَ يَقُولُ: «أَعْطِنِي امْرَأَتِي مِيكَالَ الَّتِي خَطَبْتُهَا لِنَفْسِي بِمِئَةِ غُلْفَةٍ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ». ١٥ فَأَرْسَلَ إِيشْبُوشَ وَأَخَذَهَا مِنْ عِنْدِ رَجُلِهَا، مِنْ فَلَطِيئِيلَ بْنِ لَإِشَ. ١٦ وَكَانَ رَجُلُهَا يَسِيرُ مَعَهَا وَيَنْكِي وَرَاءَهَا إِلَى بَحُورِيمَ. فَقَالَ لَهُ أَتَيْتُ: «أَذْهَبِ ارْجِعِي». فَرَجَعَتْ. ٢٠ صموئيل الثاى ٣ : ١٤-١٦.

اقرأ: أبناء نبى الله صموئيل قضاة مُرتشيون: (صموئيل الأول ٨ : ٢-٥ وأخبار الأيام الأول ٦ : ٢٨)

اقرأ: نبى الله إرمياء يحكم على نبى الله حننيا بالكفر ويقتله: (١٥) فَقَالَ إِرْمِيَا النَّبِيُّ لِحَنَنْيَا النَّبِيِّ: [اسْمَعْ يَا حَنَنْيَا. إِنَّ الرَّبَّ لَمْ يُرْسِلْكَ وَأَنْتَ قَدْ جَعَلْتَ هَذَا الشَّعْبَ يَتَكَلَّمُ عَلَى الْكُذْبِ. ١٦ لِذَلِكَ هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَئِنَذَا طَارِدُكَ عَنْ وَجْهِ الْأَرْضِ. هَذِهِ السَّنَةُ تَمُوتُ لِأَنَّكَ تَكَلَّمْتَ بِعِصْيَانٍ عَلَى الرَّبِّ]. ١٧ فَمَاتَ حَنَنْيَا النَّبِيُّ فِي تِلْكَ السَّنَةِ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ. (إرمياء ٢٨ : ١٥-١٧)

إضافة لفجور الأنبياء فهناك أنبياء كفرة عبدت الأوثان ودعت لعبادتها: اقرأ: نبى الله هارون يعبد العجل ويدعوا لعبادته: (خروج ٣٢ : ١-٦)

اقرأ: نبى الله داود يُسمّى ابنه (بعليا داع أى بعل يعرف) تيمنا ببعل: أخبار الأيام الأول ١٤ : ٧ ويُسمّى أيضًا (أليادع أى الله يعرف) أخبار الأيام الأول ٣ : ٨

اقرأ: نبي الله يوناثان يُسمّى ابنه (مرى بعل) تيمنا ببعل: أخبار الأيام الأول ٨: ٣٤ و ٩: ٤٠

اقرأ: نبي الله سليمان يعبد الأوثان: (٩) فَعَصَبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لِأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ، ١٠ وَأَوْصَاهُ فِي هَذَا الْأَمْرِ أَنْ لَا يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْرَى. فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ. (الملوك الأول ١١: ٩-١٠)

اقرأ: زوجة نبي الله سليمان مقلدة ابنة أبشالوم عملت تمثالا لسارية: (ملوك الأول ١٥: ١٣ و أخبار الأيام الثاني ١٥: ١٦)

اقرأ: نبي الله جدعون يبني مذبحا لغير الله ويضلّ بني إسرائيل: (قضاة ٨: ٢٤-٢٧)

اقرأ: نبي الله آحاز يعبد الأوثان: (ملوك الثاني ١٦: ٢-٤، وأيضا أخبار الأيام الثاني ٢٨: ٢-٤)

اقرأ: نبي الله يربعام يعبد الأوثان: (ملوك الأول ١٤: ٩)

اقرأ: نبي الله بعشا بن يربعام يعبد الأوثان (ملوك الأول ١٥: ٣٣-٣٤)

اقرأ: نبي الله يفتاح الجلعاوى يقدم أضحية للأوثان (قضاة ١١: ٣٠-٣١)

اقرأ: نبي الله أخاب بن عمري يعبد البعل ويسجد له (ملوك الأول ١٦: ٣٣-٣١)

اقرأ: نبي الله يهورام يعبد العجل (ملوك الثاني ٣: ١-٢٥)

اقرأ: نبي الله أمصيا يعبد الأوثان (أخبار الأيام الثاني ٢٥: ١٤)

اقرأ: نبي الله يسجد للملك ولا يسجد لله: (٩) فَأَتَى اللَّهُ إِلَى بَلْعَامَ وَقَالَ: «نَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ الرِّجَالُ الَّذِينَ عِنْدَكَ؟» عدد ٢٢: ٩؛ (٣١) ثُمَّ كَشَفَ الرَّبُّ عَنْ

عَيْنِي بَلْعَامَ فَأَبْصَرَ مَلَكَ الرَّبِّ وَاقِفًا فِي الطَّرِيقِ وَسَيْفُهُ مَسْلُورٌ فِي يَدِهِ فَخَرَّ سَاجِدًا عَلَى وَجْهِهِ. (عدد ٢٢ : ٣١)

اقرأ: غدر الرب بموسى: أرسل الرب موسى إلى مصر، إلى فرعون لإخراج شعبه من مصر، وحدث في الطريق أن الرب نزل من على عرشه والتقى بموسى وأراد قتله، لأنه لم يختن ابنه بعد. إله خائن، مخادع!! وهو ينوى الغدر به وقلته، ولم تنقذه إلا امرأته: (وَلَكِنِّي أَشَدُّ قَلْبُهُ حَتَّى لَا يُطْلِقَ الشَّعْبَ. ٢٢ فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرِ. ٢٣ فَقُلْتُ لَكَ: أَطْلِقِ ابْنِي لِيَعْبُدَنِي فَأَبَيْتَ أَنْ تُطْلِقَهُ. هَا أَنَا أَقْتُلُ ابْنَكَ الْبِكْرَ؛ ٢٤ وَحَدَّثْتُ فِي الطَّرِيقِ فِي الْمَنْزِلِ أَنَّ الرَّبَّ التَّقَاهُ وَطَلَبَ أَنْ يَقْتُلَهُ. ٢٥ فَأَخَذْتُ صَفُورَةً صَوَّانَةً وَقَطَعْتُ غُرْلَةَ ابْنِهَا وَمَسَّتْ رِجْلَيْهِ. فَقَالَتْ: «إِنَّكَ عَرِيسُ دَمٍ لِي». ٢٦ فَأَنْفَكَ عَنْهُ. حِينَئِذٍ قَالَتْ: «عَرِيسُ دَمٍ مِنْ أَجْلِ الْخِتَانِ») خروج ٤ : ٢١-٢٦

اقرأ: تأمر الرب مع الشيطان لإهلاك أخاب بعد أن فشل هو وملائكته في الانتقام منه: (١٩ وَقَالَ: [فَاسْمَعْ إِذَا كَلَامَ الرَّبِّ: قَدْ رَأَيْتُ الرَّبَّ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّهِ، وَكُلُّ جُنْدِ السَّمَاءِ وَقُوفٌ لَدَيْهِ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ. ٢٠ فَقَالَ الرَّبُّ: مَنْ يُغْوِي أَخَابَ فَيَضَعْدُ وَيَسْقُطُ فِي رَامُوتَ جِلْعَادَ؟ فَقَالَ هَذَا هَكَذَا وَقَالَ ذَاكَ هَكَذَا. ٢١ ثُمَّ خَرَجَ الرُّوحُ وَوَقَفَ أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ: أَنَا أُغْوِيهِ. وَسَأَلَهُ الرَّبُّ: بِمَاذَا؟ ٢٢ فَقَالَ: أَخْرِجْ وَأَكُونُ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ. فَقَالَ: إِنَّكَ تُغْوِيهِ وَتَقْتَدِرُ. فَأَخْرِجْ وَافْعَلْ هَكَذَا.) ملوك الأول ٢٢ : ١٩-٢٢

اقرأ: الرب يأمر بسرقة المصريين، بل اشترك في السرقة معهم: (٣٥ وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ بِحَسَبِ قَوْلِ مُوسَى. طَلَبُوا مِنَ الْمِصْرِيِّينَ أَمْتِعَةً فَضَّةً وَأَمْتِعَةً ذَهَبَ وَثِيَابًا. ٣٦ وَأَعْطَى الرَّبُّ نِعْمَةً لِلشَّعْبِ فِي عْيُونِ الْمِصْرِيِّينَ حَتَّى أَعَارَوْهُمْ. فَسَلَبُوا الْمِصْرِيِّينَ.) (خروج ٣ : ٢٢ ؛ خروج ١٢ : ٣٥-٣٦)

ولم يكتفِ الكتاب بهذا، بل نسب صفات مضحكة لا تليق بجلال الله وقد استه:

اقرأ في الكتاب المقدس: الرب يأمر حزقيال يأكل الخراء الآدمي:

(١٢) وَتَأْكُلُ كَعْمًا مِنَ الشَّعِيرِ. عَلَى الْخُرِّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنَ الْإِنْسَانِ تَحْبِزُهُ أَمَامَ عُيُونِهِمْ. ١٣ وَقَالَ الرَّبُّ: [هَكَذَا يَأْكُلُ بَنُو إِسْرَائِيلَ حُبْزَهُمُ النَّجَسَ بَيْنَ الْأُمَمِ الَّذِينَ أَطْرَدُهُمْ إِلَيْهِمْ؛] حزقيال ٤ : ١٢-١٣

اقرأ في الكتاب المقدس: الرب يمسك الخراء بيديه ويقذفه في وجوه الكهنة:

(٣) هَئِنَذَا أَنْتَهَرُ لَكُمْ الزَّرْعَ وَأَمُدُّ الْفَرْثَ عَلَى وُجُوهِكُمْ فَرَثَ أَعْيَادِكُمْ فَتَنْزَعُونَ مَعَهُ. ملاخي ٢ : ٣

اقرأ في الكتاب المقدس: الرب طائر في السماء راكبًا ملاك أنثى (١٠) طَاطَأَ السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ وَضَابَتْ تَحْتَ رِجْلَيْهِ. ١١ رَكِبَ عَلَى كُرُوبٍ وَطَارَ، وَرُبِّيَ عَلَى أَجْنِحَةِ الرِّيحِ. صموئيل الثاني ٢٢ : ١٠-١١

اقرأ في الكتاب المقدس: الرب خروف:

(١٤) هَؤُلَاءِ سَيَحَارِبُونَ الْحَمَلَ، وَالْحَمَلُ يَغْلِبُهُمْ، لِأَنَّهُ رَبُّ الْأَرْبَابِ وَمَلِكُ الْمُلُوكِ، وَالَّذِينَ مَعَهُ مَدْعُودُونَ وَمُخْتَارُونَ وَمُؤْمِنُونَ. رؤيا ١٧ : ١٤ (تم)

تغيير كلمة الخروف الموجودة بترجمة الشرق الأوسط لعام ١٩٨٩ إلى الحمل على نسخة التنت وفي كتاب الحياة والترجمة المشتركة)

اقرأ في الكتاب المقدس: الرب خروف بسبعة قرون:

(٦) وَرَأَيْتُ فَإِذَا فِي وَسْطِ الْعَرْشِ وَالْحَيَوَانَاتِ الْأَرْبَعَةِ وَفِي وَسْطِ الشُّيُوخِ حَمَلٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ، لَهُ سَبْعَةُ قُرُونٍ وَسَبْعُ أَعْيُنٍ، هِيَ سَبْعَةُ أَرْوَاحِ اللَّهِ الْمُرْسَلَةِ إِلَى كُلِّ الْأَرْضِ. رؤيا ٥ : ٦

اقرأ في الكتاب المقدس: الرب يدعو على نفسه بالويل (١) وَبَلَ لِي لِأَنِّي صِرْتُ كَجَنَى الصَّيْفِ كَخُصَاصَةِ الْقَطَافِ. لَا عُثْقُودٌ لِلْأَكْلِ وَلَا بَاكُورَةٌ بَيْنَهُ اشْتَهَتْهَا نَفْسِي) ميخا ٧ : ١

﴿٢٠﴾ اِقْرَأْ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ: الرب يحلق شعر رجله بموس مستأجرة ويتنف لحيته:

(٢٠) فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَخْلُقُ السَّيِّدُ بِمُوسَى مُسْتَأْجَرَةً فِي عَبْرِ النَّهْرِ بِمَمْلِكِ أَشُورَ الرَّأْسِ وَشَعَرَ الرَّجُلَيْنِ وَتَنْزِعُ اللَّحْيَةَ أَيْضًا. (إشعياء ٧: ٢٠)

اِقْرَأْ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ: الرب يقف على سلم يصل السماوات بالأرض والملائكة تستخدمه في الصعود والهبوط في رؤيا عيسو: (١٢) وَرَأَى حُلْمًا وَإِذَا سُلَّمٌ مَنْصُوبَةٌ عَلَى الْأَرْضِ وَرَأْسُهَا يَمَسُّ السَّمَاءَ وَهُوَ ذَا مَلَائِكَةُ اللَّهِ صَاعِدَةً وَنَازِلَةً عَلَيْهَا ١٣ وَهُوَ ذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا فَقَالَ: «أَنَا الرَّبُّ إِلَهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِنَّهُ إِسْحَاقُ. الْأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ. (تكوين ٢٨: ١٢-١٣)

اِقْرَأْ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ: الرب ينوح ويولول: (٨) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْوُحُ وَأُولُولُ. أَمْشِي حَافِيًا وَعُريَانًا. أَصْنَعُ نَحِيًّا كَبَنَاتِ آوَى وَنَوُحًا كَرِعَالِ النَّعَامِ (مicha ١: ٨)

اِقْرَأْ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ: الرب يمشي حافيًا عريانًا: (٨) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْوُحُ وَأُولُولُ. أَمْشِي حَافِيًا وَعُريَانًا. أَصْنَعُ نَحِيًّا كَبَنَاتِ آوَى وَنَوُحًا كَرِعَالِ النَّعَامِ. (Micha ١: ٨)

اِقْرَأْ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ: الرب يصرخ ويتنحب كالنساء: (٨) مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْوُحُ وَأُولُولُ. أَمْشِي حَافِيًا وَعُريَانًا. أَصْنَعُ نَحِيًّا كَبَنَاتِ آوَى وَنَوُحًا كَرِعَالِ النَّعَامِ. (Micha ١: ٨)

اِقْرَأْ فِي الْكِتَابِ الْمَقْدَسِ: الرب يستيقظ من النوم وعينه تدمع من الخمر: (٦٥) فَاسْتَيْقَظَ الرَّبُّ كَنَائِمٍ كَجَبَّارٍ مُعْطِطٍ مِنَ الْخَمْرِ. (مزامير ٧٨: ٦٥)

ثم جعلوه إنسانًا ، ولكنه إلهًا في نفس الوقت ، إلهًا عزيزًا قدوسًا ، كان

٣ : ٥١ : ١٧

لِيُحْيِيَ الْيَتَامَىٰ وَرِثَتَهُمْ وَيُخْرِجَهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ (سورة النحل : ٨٠)

٢٨ - ١٨ : ٦ : ٦٠ (سورة النحل)

وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ (سورة النحل : ٢٨) وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ (سورة النحل : ٢٨)

٧ - ٦ : ٢٨ : ٦٠ (سورة النحل) وَلِيُخْرِجَهُم مِّنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ (سورة النحل : ٢٨)

٦٣ : ٧٨ : ٢٨ (سورة النحل) وَلِيُخْرِجَهُم مِّنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ (سورة النحل : ٦٣)

١٨ - ٧٨

٧٨ : ٢٨ (سورة النحل) وَلِيُخْرِجَهُم مِّنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ (سورة النحل : ٧٨)

٧٦ : ٢٨ : ٦٣ (سورة النحل) وَلِيُخْرِجَهُم مِّنَ ظُلُمَاتٍ إِلَى نُورٍ (سورة النحل : ٧٦)

(٩) طُوبَى لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكَ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ! (مزامير ١٣٧ : ٩)
 (١٦) تُجَارَى السَّامِرَةُ لِأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلَهِهَا . بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ .
 تُحَطَّمُ أَطْفَالُهُمْ وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ (هوشع ١٣ : ١٦)

(٣) وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِينَ بِهَا وَنَشَرَهُمْ بِمَنَاشِيرٍ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَقُؤُوسٍ .
 وَهَكَذَا صَنَعَ دَاوُدُ لِكُلِّ مُدْنٍ بَنَى عُمُونَ . ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدُ وَكُلُّ الشَّعْبِ إِلَى
 أُورُشَلِيمَ .) أخبار الأيام الأول ٢٠ : ٣

(٤٠) فَضَرَبَ يَشُوعُ كُلَّ أَرْضِ الْجَبَلِ وَالْجَنُوبِ وَالسَّهْلِ وَالسُّفُوحِ وَكُلِّ
 مُلُوكِهَا . لَمْ يَبْقَ شَارِدًا ، بَلْ حَرَّمَ كُلَّ نَسَمَةٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ .) يشوع
 ١٠ : ٤٠

(١٠) ثُمَّ رَجَعَ يَشُوعُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ وَأَخَذَ حَاضِرًا وَضَرَبَ مَلِكَهَا
 بِالسَّيْفِ ١١ وَضَرَبُوا كُلَّ نَفْسٍ بِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ . حَرَّمُوهُمْ . وَلَمْ تَبْقَ
 نَسَمَةٌ . وَأَحْرَقَ حَاضِرًا بِالنَّارِ . ١٢ فَأَخَذَ يَشُوعُ كُلَّ مُدْنٍ أُولَئِكَ الْمُلُوكِ وَجَمِيعَ
 مُلُوكِهَا وَضَرَبَهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ . حَرَّمَهُمْ كَمَا أَمَرَ مُوسَى عَبْدُ الرَّبِّ .) يشوع ١١ :
 ١٠-١٢

هل تصدق أن كل هذا كتبه الرب؟ فلا تحزني أختي النصرانية ، فهو لم
 ينصف أحداً من البشر ، حتى أنبياءه ومختاربه :

(١٤) فَقَالَ الرَّبُّ لِي : [بِالْكَذِبِ يَتَّبِعُ الْأَنْبِيَاءُ بِاسْمِي . لَمْ أَرْسَلْهُمْ وَلَا
 أَمَرْتُهُمْ وَلَا كَلَّمْتُهُمْ . بِرُؤْيَا كَاذِبَةٍ وَعِرَافَةٍ وَبَاطِلٍ وَمَكْرِ قُلُوبِهِمْ هُمْ يَتَّبِعُونَ
 لَكُمْ] .) إرميا ١٤ : ١٤

(١١) لِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ وَالْكَهَنَةَ تَنَجَّسُوا جَمِيعًا بَلْ فِي بَيْتِي وَجَدْتُ شَرَّهُمْ يَقُولُ
 الرَّبُّ .) إرميا ٢٣ : ١١

(٣١) الْأَنْبِيَاءُ يَتَّبِعُونَ بِالْكَذِبِ وَالْكَهَنَةُ تَحْكُمُ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَشَعْبِي هَكَذَا
 أَحَبَّ .) إرميا ٥ : ٣١

(لَأَنَّهُمْ مِنَ الصَّغِيرِ إِلَى الْكَبِيرِ كُلُّ وَاحِدٍ مُوَلَّعٌ بِالرَّيْحِ مِنَ النَّبِيِّ إِلَى الْكَاهِنِ كُلِّ وَاحِدٍ يَعْمَلُ بِالْكَذِبِ.) إرميا ٨ : ١٠

(١١) لَوْ كَانَ أَحَدٌ وَهُوَ سَالِكٌ بِالرَّيْحِ وَالْكَذِبِ يَكْذِبُ قَائِلًا : أَتَبَأُ لَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمُسْكِرِ لَكَانَ هُوَ نَبِيَّ هَذَا الشَّعْبِ!) ميخا ٢ : ١١

ويُنسب إلى عيسى عليه السلام القول : (٨) جَمِيعُ الَّذِينَ أَتَوْا قَبْلِي هُمْ سُرَّاقٌ وَلُصُوصٌ وَلَكِنَّ الْخِرَافَ لَمْ تَسْمَعْ لَهُمْ.) يوحنا ١٠ : ٨

الفصل الخامس والستين

ملاك الرب يسب المرأة ويسميها (الشرّ):
(وَكَانَتْ امْرَأَةٌ جَالِسَةً فِي وَسْطِ الْإِيْفَةِ. ٨ فَقَالَ : [هَذِهِ هِيَ الشَّرُّ].
فَطَرَحَهَا إِلَى وَسْطِ الْإِيْفَةِ وَطَرَحَ ثِقْلَ الرِّصَاصِ عَلَى فَمِهَا.) زكريا ٥ : ٨

من البديهي أن ملاك الرب لا يتحرك بدافع من نفسه ، بل هو رسول من عند الله ، ينفذ رغبة الله ، ويبلغ رسالته . فترى من الذى أرسل ملاك الرب ليصف المرأة بالشر نفسه وي طرح عيها ثقل الرصاص؟ وهل بعد ذلك تبقى للمرأة كرامة إذا كان رب العزة سبها ووصفها بالشر نفسه؟ فماذا تنتظر من عباد الله المؤمنين أن يكون موقفهم حيال المرأة التى رصفها الرب وملاكه بالشر ، كما وصفها الكتاب من بعد أنه سبب الخطية ، وسبب خروج البشر من الجنة ، وسبب شقاء البشرية جمعاء ، وحليف الشيطان الأول ضد البشرية ، وسبب قتل الإله؟

(كما خدعت الحية حواء بمكرها) كورنثوس الثانية ١١ : ٣

(وآدم لم يُغَوَّ لكنَّ المرأة أُعْوِيَتْ فحصلت فى التعدى) تيموثاوس الأولى ٢ : ١٤

(بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتْ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ.) رومية ٥ : ١٢

(١٨) فَإِذَا كَمَا بِخَطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ

رومية ٥ : ١٨

(وَطَرَخَ ثِقْلَ الرِّصَاصِ عَلَى فَمِهَا) هكذا يعذب الرب المرأة ، فقط لأنها
أثى! يا لها من دعوة لاحترام المرأة ، ودورها فى الحياة!

الفصل السادس والستين

الكتاب المقدس يفرض على المرأة أن تتزوج أخى زوجها إذا مات زوجها وتكتب الأولاد باسم زوجها الأول المتوفى :

(٥) «إِذَا سَكَنَ إِخْوَةٌ مَعًا وَمَاتَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ فَلَا تَصِرْ امْرَأَةُ الْمَيِّتِ إِلَى خَارِجٍ لِرَجُلٍ أَجْنَبِيٍّ. أَخُو زَوْجِهَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا وَيَتَّخِذُهَا لِنَفْسِهِ زَوْجَةً وَيَقُومُ لَهَا بِوَاجِبِ أَخِي الزَّوْجِ. ٦ وَالْبِكْرُ الَّذِي تَلِدُهُ يَقُومُ بِاسْمِ أَخِيهِ الْمَيِّتِ لِقَلَّا يُمَحَى اسْمُهُ مِنْ إِسْرَائِيلَ. ٧ «وَأِنْ لَمْ يَرْضَ الرَّجُلُ أَنْ يَأْخُذَ امْرَأَةً أَخِيهِ تَصْعَدُ امْرَأَةُ أَخِيهِ إِلَى الْبَابِ إِلَى الشُّيُوخِ وَتَقُولُ: قَدْ أَبَى أَخُو زَوْجِي أَنْ يُقِيمَ لِأَخِيهِ اسْمًا فِي إِسْرَائِيلَ. لَمْ يَشَأْ أَنْ يَقُومَ لِي بِوَاجِبِ أَخِي الزَّوْجِ. ٨ فَيَدْعُوهُ شُيُوخُ مَدِينَتِهِ وَيَتَكَلَّمُونَ مَعَهُ. فَإِنْ أَصَرَ وَقَالَ: لَا أَرْضَى أَنْ أَتَّخِذَهَا ٩ تَتَقَدَّمُ امْرَأَةُ أَخِيهِ إِلَيْهِ أَمَامَ أَغْنِي الشُّيُوخِ وَتَخْلَعُ نَعْلَهُ مِنْ رِجْلِهِ وَتَبْصُقُ فِي وَجْهِهِ وَتَقُولُ: هَكَذَا يُفْعَلُ بِالرَّجُلِ الَّذِي لَا يَبْنِي بَيْتَ أَخِيهِ. ١٠ فَيَدْعَى اسْمُهُ فِي إِسْرَائِيلَ «بَيْتَ مَخْلُوعِ النَّعْلِ».) (تثنية ٢٥ : ٥-١٠)

الفصل السابع والستين

وبسبب كل هذه النصوص ، وهذا الفهم الخاطيء ، اعتبروا المرأة مسئولة عن هذا كله ، فلولا المرأة ماخرج آدم من الجنة ، فقرروا :

* أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه .

* وأن الأعزب أكرم عند الله من المتزوج .

* وأن السمو في علاقة الإنسان بربه لا يتحقق إلا بالبعد عن الزواج .

* وأن الحمل والولادة ، والشهوة ، وشتياق الرجل لامرأته ، واشتياق المرأة لزوجها من الآثام ، اتى جلبت على المرأة التويل والعار على مدى التاريخ كله ، وهى عقوبة الرب لحوء على خطيئتها الأزلية .

* وأعلنوا أنها باب الشيطان .

لذلك سألهم هنا بذكر ما يتعلق بالجنس والمرأة والزواج بين آباء الكنيسة ومفكرى الغرب المتأثرين بتعاليم الكتاب المقدس والكنيسة:

فبالنسبة للجسد:

كان الجسد شرًا ، فقد كان القديس امبروز (أسقف ميلانو في القرن الرابع) يعظ في أمر الروح كنقيض للجسد الذى هو شر . ولقد كانت تلك الفكرة مصدر إلهام لتلميذه الكبير القديس أوغسطين ، الذى أصبح فيما بعد أسقفًا لمدينة هبو في شمال أفريقيا . فقد كتب امبروز يقول: (فكر في الروح بعد أن تكون قد تحررت من الجسد ، ونبذت الانغماس فى الشهوات ومتع اللذات الجسدية ، وتخلصت من اهتمامها بهذه الحياة الدنيوية) .

فالنسبة لأمبروز كان الجسد مجرد خرقة بالية ملطخة بالأقذار ، تُطرح جانبًا عندما يتحد الانسان بالله الروحانى بالكلية . لقد كان أوغسطين يردد هذه الفكرة باستمرار ، فكم صلى قائلًا : (آه! خذ منى هذا الجسد ، وعندئذ أبارك الرب) .

وفى سير حياة القديسين المسيحيين الكبار نجد مثل هذا الارتياب فى الجسد . لقد اعتاد فرانسيس الأسيزى أن ينادى جسده قائلًا : (أخى الحمار)! كما لو كان الجسد مجرد بهيمة غبية شهوانية ، تستخدم لحمل الأثقل ، وكثيرا ما كان القديسون يتعهدون أجسادهم باعتداء يومى من أجل إمامتها بالتعذيب الذاتى بطرق تقشعر من هولها الأبدان . (تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة ص ٢٢٥)

ومن الرهبان من قضى حياته عاريًا ، ومنهم من كان يمشى على يديه ورجليه كالأنعام ، ومنهم من كان يعتبر طهارة الجسم منافية لطهارة الروح . وكان أتقى الرهبان عندهم أكثرهم نجاسة وقذارة . حتى إن أحدهم يتباهى بأنه لم يقترب إثم غسل الرجلين طول عمره . وآخر يقسم أن الماء لم يمس وجهه ولا يديه ولا رجله مدى خمسين عامًا ، وكان الكثير منهم لا يسكنون إلا في المقابر والآبار المنزوحة والمغارات والكهوف .

وقد روى بعض المؤرخين من ذلك العجائب :

فذكروا أن الراهب (مكاربوس) نام في مستنقع آسن ستة أشهر ، ليعرض جسمه للدغ البعوض والذباب والحشرات ، وكان يحمل دائماً قنطاراً من الحديد .

وكان آخر يحمل قنطارين من الحديد ، وهو مقيم في بئر مهجورة مدة ثلاثة أعوام قائماً على رجل واحدة ، فإذا أنهكه التعب أسند ظهره إلى صخرة . (نقلًا عن معاوّل الهدم والتدمير في النصرانية والتبشير صفحة ٧١-٧٢)

الفصل الثامن والستين

لا بد أن تتخلص المرأة في المسيحية من أنوثتها ليتم خلاصها في الآخرة :

يقول اللواء أحمد عبد الوهاب : (على الرغم من أن الكنيسة في الغرب قد لا تسمح لعذراها بالقيام بأعمال الرجال ، فقد كان للاهوتيون واضحين في أن العذراء البتول قد أصبحت رجلًا شرفيًا . لقد كتب جيروم يقول : "بما أن المرأة حُبِّت للولادة والأطفال ، فهي تختلف عن الرجل ، كما يختلف الجسد عن الروح . ولكن عندما ترغب المرأة في خدمة المسيح أكثر من العالم ، فعندئذ سوف تكف عن أن تكون امرأة ، وستسمى رجلًا " (تعليق جيروم على رسالة بولس إلى أهل أفسس)

وقد قرأنا أيضًا ما قاله القديس امبروز (أسقف ميلانو في القرن الرابع) فهو يعتبر أن (الروح نقيض للجسد) وأن (الجسد شر).

ويطالب امبروز بالتخلص من الجسد لسمو الروح: (فكر في الروح بعد أن تكون قد تحررت من الجسد).

الأمر الذى جعلهم يتخلصون من المرأة ، لأنها الجسد الشرير ، ومصدر متاعب الحياة وغضب الرب لذلك "تشكل مجلس اجتماعى فى بريطانيا فى عام ١٥٠٠ لتعذيب النساء ، وابتدع وسائل جديدة لتعذيبهن ، وقد أحرق الألاف منهن أحياء ، وكانوا يصبون الزيت المغلى على أجسامهن لمجرد التسلية "

ولذلك: (ظلت النساء صبقًا للقانون الإنجليزى العام . حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريبًا . غير معدودات من "الأشخاص" أو "المواطنين" ، الذين اصطلح القانون على تسميتهم بهذا الاسم ، لذلك لم يكن لهن حقوق شخصية ، ولا حق فى الأموال التى يكتسبها ، ولا حق فى ملكية شئ حتى الملابس التى كنَّ يلبسها .)

ولذلك: (نص القانون المدنى الفرنسى (بعد الثورة الفرنسية) على أن القاصرين هم الصبى والمجنون والمرأة ، حتى غُذِّلَ عام ١٩٣٨ ، ولا تزال فيه بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة .) (عودة الحجاب الجزء الثانى ص ٤٦)

ولذلك: كان شائعًا فى بريطانيا حتى نهاية القرن العاشر قانون يعطى الزوج حق بيع زوجته وإعارتها بل وفى قتلها إذا أصيبت بمرض عضال "

ولذلك: (إن القانون الإنجليزى عام ١٨٠١ م وحتى عام ١٨٠٥ حدد ثمن الزوجة بستة بنسات بشرط أن يتم البيع بموافقة الزوجة)

لذلك: أعلن البابا (اينوسنسيوس الثامن) فى براءة (١٤٨٤) أن الكائن

البشرى والمرأة يبدوان نقيضين عنديدين "

لذلك: قال شوبنهاور (المرأة حيوان ، يجب أن يضربه الرجل ويطعمه ويسجنه)

لذلك قال لوثر: (المرأة كمسمار يُدق في الحائط)

لذلك عارضت الكنيسة عام ١٨٤٧م استخدام التخدير للنساء في عملية الولادة ؛ لأن الرب في الكتاب المقدس . حسب زعمهم . قال لحواء بعد سقوطهما في الخطيئة وأكلهما من الشجرة المحرمة عليهما: (تَكْثِيرًا أَكْثَرُ أَتْعَابَ حَبْلِكَ . بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا) تكوين ٣: ١٣ ، فكان لسان حالهم يقول: كيف نرحم النساء من الألم ، طالما أن الرب قد قرر عذابها أثناء الولادة؟ فعلينا إذن أن نساعد الرب في انتقامه من النساء!!

لذلك قال أرسطو: (الذكر هو الأنموذج أو المعيار ، وكل امرأة إنما هي رجل معيب)

لذلك قال الفيلسوف نتشه: (إنها ليست أهلاً للصدقة ، فما هي إلا هرة ، وقد تكون عصفورًا ، وإذا هي ارتقت أصبحت بقرة . وقلب المرأة بالنسبة له مكن الشر ، وهي لغز يصعب حله ، ويُنصَحُ الرجل ألا ينسى السوط إذا ذهب إلى النساء).

لذلك قال لوثر: (إذا تعبت النساء ، أو حتى ماتت ، فكل ذلك لا يهم ، دعهن يمتن في عملية الولادة ، فلقد خلقن من أجل ذلك) (تعدد نساء الأنبياء ص ٢٣٥)

ومن عجب العجائب أن تسمع ليوم عن رجال في أمريكا وفرنسا يقومون بتبادل الزوجات ، كما لو كانت المرأة عندهم من الدواب!

الفصل التاسع والستين

وبالنسبة للجنس :

تقول الكاتبة كارين أرمسترونج : (فى القرن الثالث عشر الميلادى قال الفيلسوف اللاهوتى القديس توما الاكوينى ، الذى ساد الفكر الكاثولىكى حتى عهد قريب ، إن الجنس كان دائماً شراً . . . وعلى أى حال ، فإن هذا الموقف السلبى لم يكن محصوراً فى الكاثوليك ، فلقد كان لوثر وكالفين متأثرين إلى أقصى حد بآراء أوغسطين ، وحملوا مواقفهم السلبية تجاه الجنس والزواج إلى قلب حركة الإصلاح الدينى مباشرة . لقد كره لوثر الجنس بشكل خاص . على الرغم من أنه قد تزوج ومحا البتولية فى حركته المسيحية . لقد كان يرى أن كل ما يستطيع الزواج عمله هو أن يقدم علاجاً متواضعاً لشهوة الانسان التى لا يمكن السيطرة عليها . فكم صرخ قائلًا : (كم هو شئ مرعب وأحمق تلك الخطيئة ! إن الشهوة هى الشئ الوحيد الذى لا يمكن شفاؤه بأى دواء ، ولو كان حتى الزواج الذى رُسم لنا خصيصاً من أجل هذه النقيصة التى تكمن فى طبيعتنا .) (تعدد نساء الأنبياء ومكانة امرأة ص ٢٢٦)

(لقد سلم أوغسطين [القرن الرابع الميلادى] إلى الغرب تراث 'الخوف من الخطيئة ، كقوة لا يمكن السيطرة عليها ، فهناك فى لب كل تشكيل للعقيدة ، توجد المرأة حواء ، سبب كل هذه التعاسة ، وكل هذا الثقل من الذنب والشر ، وكل الانغماس البشرى فى الخطيئة . لقد ارتبطت الخطيئة والجنس والمرأة معاً فى ثالث غير مقدس . فبالنسبة بذكر مبتل مثل أوغسطين ، لا يمكن فصل هذه العناصر الثلاثة . وفى الغرب بقيت لمرأة هى حواء إلى الأبد ، هى إغراء الرجل إلى قدره المشنوم . بل إن إنجاب الأولاد الذى تعتبره ثقافات أخرى فخر المرأة الرئيسى وينبوع القدرات التى تمتلكها ، نجده فى المسيحية قد غلفه الشر باعتباره الوسيلة التى تنتقل بها الخطيئة)

(ويقول القديس جيروم . (إذا امتنعنا عن الاتصال الجنىسى ، فإننا نكرم

زوجاتنا. أما إذا لم نمتنع: حسنًا! فما هو نقيض التكريم سوى الإهانة)

وتواصل الراهبة كارين أرمستروج: (إن المسيحية خلقت أتعس جو جنسى فى أوروبا وأمريكا بدرجة قد تصيب بالدهشة كلا من يسوع والقديس بولس. ومن الواضح كيف كان لهذا تأثيره على النساء. فبالنسبة لأوغسطين الذى كان يناضل من أجل البتولية، كانت النساء تعنى مجرد إغراء يريد أن يوقعه فى شرك، بعيدًا عن الأمان والإمارة المقدسة لشهوته الجنسية. أما كون العصاب الجنسى للمسيحية قد أثر بعمق فى وضع النساء، فهذا ما يرى بوضوح من حقيقة أن النساء اللاتى التحقن بالجماعات الهرطيقية المعادية للجنس، وصرن بتولات، قد تمتعن بمكانة واحترام كان من المستحيل أن يحظين بهما فى ظل المسيحية التقليدية)

(لقد كانت المسيحية مشغولة طيلة مئات السنين بجعل النساء يخلجن من أمورهن الجنسية، ولقد عرفت النساء جيدًا كما قال أوغسطين ولوثر قبل عدة قرون، أن تشريع الزواج كان مجرد دواء ضعيف المفعول لمعالجة شرور الجنس)

(لقد كان يُنظر إلى جسد المرأة باشمزاز على نحو خاص، كما كان مصدر إرباك لآباء الكنيسة أن يسوع ولد من امرأة. فكم ضغطوا بشدة فى موعظة تلو موعظة، وفى رسالة تلو رسالة على أن مريم بقيت عذراء، ليس فقط قبل ميلاد المسيح بل وبعده أيضًا)

لقد كتب أودو الكانى فى القرن الثانى عشر: (إن معانقة امرأة تعنى معانقة كيس من الزبالة).

لقد كانت الأحشاء الخفية للمرأة، والتى تتسم بالقذارة، مع رحمها الذى لا يشبع، موضع استقذار وفحش بشكل خاص. وكان الآباء راغبين فى التأكيد على أن يسوع لم يكن له إلا أقل القليل من الاتصال بذلك الجسد البغيض)

(ولقد كتب أسقف فرنسى عاش فى القرن الثانى عشر: أن كل النساء بلا

استثناء مومسات ، وهن مثل حواء سبب كل الشرور فى العالم)

وقال الراهب البندىكتى رنار دى موريكس دون مواربة فى أشعاره: إنه لا توجد امرأة طيبة على وجه الأرض)

وقال الراهب الانجليزى اسكندر نكهام: (إنه نظرًا لأن المرأة لا تشبع جنسياً ، فإنها غالباً ما تصطاد بائساً حقيراً لينام معها فى فراشها ليشبع نهمها إذا كان زوجها غير موجود فى لحظة شبقها . ونتيجة لذلك كان على الأزواج أن يربوا أطفالاً ليسوا أولادهم)

وقال القديس تروتوليان: (إن المرأة مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، ناقضة لنواميس الله ، مشوهة للرجل)

الفصل السبعين

اغتيال شخصية المرأة:

فقد عانت المرأة الويلات من جراء أقوال بولس هذه وغيرها لمدة قرون من الزمان ، فقد اعتبر رجال هذا الدين المنسوب للمسيح "أن المرأة دنس يجب الابتعاد عنه ، وأن جمالها سلاح إبليس .

وحرص آباء الكنيسة على التوكيد على أن المرأة مصدر الخطيئة والشر فى هذا العالم ، ومن ثم يجب قهرها إلى أقصى حد واستهلاكها نفسياً تحت وطأة الشعور بالخزي ، والعار من طبيعتها وكيانها البشرى .

وهذا الاعتقاد تسرب إلى النصرانية من بين معتقدات وعادات كثيرة نقلت إليها من الديانات الوثنية القديمة . التى كانت تعتبر المرأة تجسيدا للأرواح الخبيثة ، والتى كانت متفقة على تحقير النساء وإذلالهن ، بل وإبادتهن بأفطع الطرق والوسائل الوحشية ، ومن بينها إلزام المرأة التى يموت زوجها أن تحرق نفسها بعد موته وإحراق جثته مباشرة "

يقول كارل هاينتس ديشنر فى كتابه (لصلب ذو الكنيسة . قصة الحياة الجنسية للمسيحية) فى الفصل التاسع عشر ص ٢٣٠ :

(قال سيمون دى بوفوار Simone de Beauvoir : لقد أسهمت العقيدة النصرانية فى اضطهاد المرأة ولم تقم بدور بسيط فى هذا)

كما قال ماركوس Marcuse : (إن فكرة أن تكون المرأة حاملة للخطيئة الأزلية ، والتي تتعلق بها عقائد الديانة النصرانية تعلقًا لا تكاد تنفك منه أبدًا ، هى التي أثرت أسوأ تأثير على الناحية الاجتماعية والقانونية للمرأة)

وقال دينس ديديروت Denis Diderot : (إن فى كل عادات وتقاليد الحياة اتحد بطش القانون الشعبى مع بطش الطبيعة ضد المرأة ، فقد عوملت المرأة فى ظل هذه القوانين ككائن فقد عقله)

لقد صنع تاريخ المرأة رجال كانوا يتخذون المرأة عدوا لهم منذ العصور الأولى للبابوية. وكان الرجل يعتبرها فى العصور المنصرمة للإمبراطورية الرومانية كأحد مواشيه ، وله أن يتصرف فيها بالبيع أو القتل إن شاء. ولو قتل ابنة رجل آخر أسلم لهم ابنته فيقتلونها أو يبيعونها أو يتملكونها فلهم الحرية فى ذلك.

وقد ساد الرجل المرأة فى عصر الجيرمان ، وسُمح له أن يؤدب زوجته بالضرب كما سُمح له بقتل زوجته إذا خانتة دون وقوع أدنى عقوبة عليه.

كما كانت مخلوق ثانوى وشريكة للشيطان فى الخطيئة الأزلية، وهذا يجعلها تأتى دائما فى المرتبة الثانية بعد الرجل حتى على المستوى الكنسى.

فأهل الكتاب يرون أن المرأة هى ينبوع لمعاصى ، وأصل السيئة والفجور ، ويؤمنون أن المرأة للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هى مصدر تحركه وحمله على الآثام ، ومنها انبجست عيون المصائب على الإنسانية جمعاء.

لذلك اغتنموا كل فرصة تتعلق بالمرأة بث روح الاحباط فيها ، ولو كانت تتعلق بزى ترتديه . فقد كتب ترتليان فى القرن الثالث رسالة تعاليج زى المرأة ، قال فيها : (لقد كان حريا بها [بالمرأة] أن تخرج فى زى حقير ، وتسير مثل حواء ، ترثى لحالتها ، نادمة على ما كن ، حتى يكون زيها الذى يتسم بالحزن ، مكفراً عما ورثته من حواء : العار ، وأقصد بذلك الخطيئة الأولى ، ثم الخزى من الهلاك الأبدى للإنسانية . فلقد قال الرب للمرأة : («تَكْثِيرًا أَكْثَرُ أَتَعَابَ حَبْلِكَ . بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا . وَإِلَى رَجْلِكَ يَكُونُ اسْتِيقَاكَ وَهُوَ يَسْوَدُ عَلَيْكَ» .) تكوين ٣ : ١٦ ألسن تعلمن أن كل واحدة منكن هى حواء؟)

لذلك قال القديس برنارد الذى فعل كل ما استطاع لنشر عبادة العذراء فى الكنيسة عن أخته بعد زيارتها إياه فى الدير الذى يقيم فيه مرتدية زياً جديداً : (مومس قذرة ، وكتلة من الروث)

الفصل الواحد والسبعين

هل المرأة إنسان ولها روح مثل الرجل أم هى حيوان نجس؟ وفى فرنسا عقد الفرنسيون فى عام ٥٨٦ م . أى فى زمن شباب النبى محمد ﷺ . مؤتمراً (مجمع باكون) لبحث : هل تُعد المرأة إنساناً أم غير إنسان؟ وهل لها روح أم ليس لها روح؟ وإذا كان لها روح فهل هى روح حيوانية أم روح إنسانية؟ وإذا كانت روحاً إنسانياً ، فهل هى على مستوى روح الرجل أم أدنى منها؟ وأخيراً : قرروا أنها إنسان ، ولكنها خُلِقَتْ لخدمة الرجل فحسب . وأنها خالية من الروح الناجية ، التى تنجىها من جهنم ، وليس هناك استثناء بين جميع بنات حواء من هذه الوصمة إلا مريم عليها السلام .

كما قرر مجمع آخر ، أن المرأة حيوان نجس ، يجب الابتعاد عنه ، وأنه لاروح لها ولا خلود ، ولا تلقن مبادئ الدين لأنها لاتقبل عبادتها ، ولا تدخل الجنة ، والملكوت ، ولكن يجب عليها الخدمة والعبادة ، وأن

يكلم فمها كالبعير ، أو كالكلب العقور ، لمنعها من الضحك ومن الكلام لأنها أحبولة الشيطان " .

الفصل الثانى والسبعين

رائحة مركز البابا تزكم الأنوف :

يقول الدكتور لويس عوض فى كتابه " ثورة الفكر " : (كانت الفضائح فى روما ، مركز البابوية ، تزكم الأنوف . فالأصل فى العقيدة الكاثوليكية أن رجال الدين لا يتزوجون ، وأن الرهبان ومنهم الكرادلة والباباوات ، يندرون لله ثلاثة نذور يوم يدخلون باب الدير : نذر العفة ، ونذر الفقر ، ونذر الطاعة . وها نحن نرى البابا اسكندر السادس (١٤٣١ - ١٥٠٣) جهازاً نهائياً ، له ثلاثة أولاد غير شرعيين هم : سيزار بورجيا دوق أوربينو (١٤٧٥ - ١٥٠٧) ، ولوكريس بورجيا (١٤٨٠ - ١٥١٩) ، ودون كانديا .

وكانت خلافة البابا اينوتشتو الثامن (الذى اعتلى الكرسي البابوى من ١٤٨٤ إلى ١٤٩٢) فاقعة الفساد ، كولاية خلفه زير النساء البابا اسكندر السادس . فقد اشتهر اينوتشتو الثامن بأنه كان رجل المحسوية وخراب الذمة ، كما أنه كان أول بابا يعترف علناً بأبنائه غير الشرعيين ، وكان دأبه توسيع أملاك أسرته .

ناهيك عن بيع صكوك الغفران ، وإرهاب مخالفينهم بقرارات الحرمان ، وكذلك كان رجال الدين من رأس الكنيسة إلى أصغر كاهن يكتزون المال ويقتنون الضياع . فقد كانت ممارسات رجال الإكليروس للتسرى مشاهدة فى كل مكان ، باعتباره شرعاً مقبولاً ، كما كان يُتغاضى عن الشذوذ الجنسى ، دون أدنى مبالاة (

الفصل الثالث والسبعين

لماذا خلق الله المرأة؟

يقول أوغسطين: (إذا كان ما احتاجه آدم هو العشرة الطيبة ، فلقد كان من الأفضل كثيرًا أن يتم تدبير ذلك برجلين يعيشان معًا كصديقين ، بدلًا من رجل وامرأة)

وقد كان توما الأكويني متحيرًا تمامًا مثل سلفه أوغسطين في سبب خلق الله للمرأة ، فكتب يقول: فيما يختص بطبيعة الفرد ، فإن المرأة مخلوق معيب وجدير بالإزدراء ، ذلك أن القوة الفعّالة في منى الذكر تنزع إلى إنتاج مماثلة كاملة في الجنس الذكري ، بينما تتولد المرأة عن معيب تلك القوة الفعّالة ، أو حدوث توعلك جسدى ، أو حتى نتيجة لمؤثر خارجى .)

(إن القول بأن طبيعة الفرد في النساء معيبة ، إنما هى فكرة التقطعها من آراء أرسطو فى علم الأحياء . فالذكر هو الأنموذج أو المعيار ، وكل امرأة إنما هى رجل معيب)

وهانت عليهم المرأة فكتب لوثر يقول: (إذا تعبت النساء ، أو حتى ماتت ، فكل ذلك لا يهم : دعهن يمتن فى عملية الولادة ، فلقد خلقن من أجل ذلك)

الفصل الرابع والسبعين

المرأة فاقدة الأهلية:

(ونص القانون المدنى الفرنسى (بعد الثورة الفرنسية) على أن القاصرين هم الصبى والمجنون والمرأة ، حتى عدل عام ١٩٣٨ ، ولا تزال فيه بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة .)

وبالتالى لم يكن لها الحق فى امتلاك العقارات أو المنقولات ، ولم يكن

لها لحق فى أن تفتح حساباً فى البنك باسمها ، وبعد أن سمحوا أن يكون لها حساب ، لم يكن لها الحق أن تسحب منه ، فعلى زوجها أن يأتى ليسحب لها نقوداً من حسابها ، الأمر الذى لا يتم إلا مع الأولاد القُصّر والمجانين .

الفصل الخامس والسبعين

بيع الزوجة أو إعارتها عملاً مشروعاً :

ففى بريطانيا كان شائعاً حتى نهاية القرن العاشر قانون يعطى الزوج حق بيع زوجته وإعارتها بل وفى قتلها إذا أصيبت بمرض عضال "

هل تعرفون أن الفلاح يأبى أن يُعير بقرته للفلاح زميله؟ فما بالكم بمن يُعير زوجته لآخر؟ فهل هانت المرأة عندهم لدرجة أنهم أنزلوها منزلة أقل من الحيوان؟ وهل كان يقصد القانون أن يُحوّل الرجل إلى ديوث والمرأة إلى عاهرة؟ وهل هذا قانون احترام المرأة؟ هل هذا قانون ميّز المرأة على الحيوان أو الجماد ولن أقول الرجل؟ فأى حياة هذه التى يطالب بها القانون مجتمعه؟ وأية محبة وجدتها الكنيسة فى هذا القانون؟

الإصحاح السادس والسبعين

صب الزيت المغلى على النساء عملاً مشروعاً للتسلية :

'ففى عام ١٥٠٠ تشكل مجلس اجتماعى فى بريطانيا لتعذيب النساء ، وابتدع وسائل جديدة لتعذيبهن ، وقد أحرق الآلاف منهن أحياء ، وكانوا يصبون الزيت المغلى على أجسامهن لمجرد التسلية "

لا تعليق غير سؤال أطرحه للتفكير: ترى كيف كان وضع هذه المرأة التى يتسلى الرجال بسكب الزيت المغلى على جسدها؟ فلم يفعلوا ذلك مع الحيوانات .

فانظر كيف كانت المرأة عندهم أقل من الحيوان!!

الفصل السابع والسبعين

يُحرّم على المرأة قراءة الكتاب المقدس :

(وأصدر البرلمان الإنجليزى قرارًا فى عصر هنرى الثامن ملك إنجلترا يُحظر على المرأة أن تقرأ كتاب "العهد الجديد" أى الإنجيل ، لأنها تعتبر نجسة .)

كان يسوع (الإله عندهم) يتوب ويتبرز فى ملابسه أيام طفولته المبكرة ، كما كانت ترضعه أمه وتحمله عددًا من السنين حتى فى أثناء حيضها ، على الرغم من أن الكتاب المقدس يعتبر أن كل ما تلمسه المرأة الحائض يكون نجسًا ، ومع ذلك لم يتهمه أحد بالنجاسة ، فهل كانت المرأة عندهم أكثر نجاسة من بول وبراز الإله؟ فقد كان الإله نفسه يدخل الخلاء (دورة المياه) ولا يتنجس ، أما نجاسة المرأة فهى أشد وأذكى ، لذلك ليس عليها أن تمسك الكتاب المقدس بيديها!!

الفصل الثامن والسبعين

ليس للمرأة حق المواطنة :

(وظلت النساء طبقًا للقانون الإنجليزى العام . حتى منتصف القرن الماضى تقريبًا . غير معدودات من "الأشخاص" أو "المواطنين" ، الذين اصطلح القانون على تسميتهم بهذا الاسم . لذلك لم يكن لهن حقوق شخصية ، ولا حق فى الأموال اللاتى يكتسبونها ، ولا حق فى ملكية شئ حتى الملابس التى كنّ يلبسوها)

وفى عام ١٥٦٧ هـ صدر قرار من البرلمان الاسكوتلاندى بأن المرأة لا يجوز أن تُمنح أى سلطة على أى شئ من الأشياء .

الفصل التاسع والسبعين

ثمن الزوجة نصف شلن:

بل إن القانون الإنجليزي حتى عام ١٨٠٥ م كان يبيح للرجل أن يبيع زوجته ، وقد حدد ثمن الزوجة بستة بنسات (نصف شلن). وقد حدث أن باع إنجليزي زوجته عام ١٩٣١ م بخمسمائة جنيه ، وقال محاميه في الدفاع عنه : (إن القانون الإنجليزي عام ١٨٠١ م يحدد ثمن الزوجة بستة بنسات بشرط أن يتم البيع بموافقة الزوجة) ، فأجابت المحكمة بأن هذا القانون قد ألغى عام ١٨٠٥ م بقانون يمنع بيع الزوجات أو التنازل عنهن ، وبعد المداولة حكمت المحكمة على بائع زوجته بالسجن عشرة سنوات).

(وجاء في مجلة "حضارة الإسلام" السنة الثانية صفحة ١٠٧٨ : حدث العام الماضي أن باع إيطالي زوجته لآخر على أقساط ، فلما امتنع المشتري عن سداد الأقساط الأخيرة قتله الزوج البائع).

الفصل الثمانين

طائفة من أقوال آباء الكنيسة وأدبائهم:

أفضل الاجتماع بالشیطان على الاجتماع بالمرأة المرأة باب جهنم ، وطريق الفساد وإبرة العقرب ، وحليفة الشيطان

وأعلن البابا (اينوسنسوس الثامن) في براءة (١٤٨٤) أن الكائن البشري والمرأة بيدوان نقيضين عنيدين "

ومن أقوال فلاسفة أوربا ومشاهيرها في عصر ما بعد النهضة

(إذا رأيتم امرأة ، فلا تحسبو أنكم ترون كائنا بشرياً ، بل ولاكائناً وحشياً وإنما الذى ترونه هو الشيطان بذاته ، والذى تسمعونه هو صفير الثعبان) (من وصاياات سان بول فاندير - لتلاميذه)

(المرأة خلقت لكي تخضع للرجل ، بل لكي تتحمل ظلمه) (اعترافات جان جاك روسو)

(المرأة حيوان ، يجب أن يضربه الرجل ويطعمه ويسجنه) (شوبنهاور)
(لا يوجد رجل فكر في المرأة ثم احترامها ، فهو إما أن يحتقرها وإما أنه لم يفكر فيها بصورة جدية) (أوتو فيننجر)

(الرجل يمكن أن يتصور نفسه بدون المرأة - أما المرأة فإنها لا تتصور نفسها بدون رجل) جوليان بندا

(المرأة آلة للإبتسام . تمثال حي للغباء) (الأديب الفرنسي - لامنيه)

(المرأة كائن نسبي) (المؤرخ ميشليه)

(وكانوا يُعدُّون اختطاف الأطفال لتربيتهم على الرهينة من القربات . وكانوا يفرون من النساء ولو كانوا أقاربهم لاعتقادهم أن مجرد النظر إلى المرأة مُحِبِّطٌ للأعمال .) - نقلاً عن معاول الهدم والتدمير في النصرانية وفي التبشير إبراهيم سليمان الجبهان ص ٧٢-٧٥]

(يجب على المرأة أن تغطي شعرها لأنها ليست صورة الله) أمبروزيوس القرن الرابع الميلادي (ديشنر صفحة ٣٧٤)

الفصل الواحد والثمانين

رأى الإسلام في المرأة:

ففي الوقت الذي قال فيه ترتوتيان - أحد أقطاب المسيحية الأولى وأئمتها بين للبشرية نظرة المسيحية في المرأة: (إنها مدخل الشيطان الى نفس الإنسان، وإنها دافعة الى الشجرة الممنوعة ناقضة لقانون الله ومشوهة لصورة الله - أي الرجل -) مستندا إلى قول الكتاب المقدس (١٤) وَأَدَمُ لَمْ يُغَوَّ

لَكِنَّ الْمَرْأَةَ أُغْوِيَتْ فَحَصَلَتْ فِي التَّعَدِّي، ١٥ وَلَكِنَّهَا سَتَخْلُصُ بِوِلَادَةِ
الْأَوْلَادِ، إِنْ ثَبَّتَ فِي الْإِيمَانِ وَالْمَحَبَّةِ وَالْقَدَاسَةِ مَعَ التَّعَقُّلِ (١٠). تيموثاوس الأولى
٢: ١٤-١٥

وقال فيه الكتاب المقدس على لسان موسى إنه بسبب خيانتهم للرب حلَّ
الرباء على الجماعة: (وَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: «هَلْ أَبْقَيْتُمْ كُلَّ أُتْنَى حَيَّةٍ؟ إِنْ هَؤُلَاءِ
كُنَّ لِيَنِّي إِسْرَائِيلَ حَسَبَ كَلَامِ بَلْعَامَ سَبَبَ خِيَانَةِ لِلرَّبِّ فِي أَمْرِ فُغُورٍ فَكَانَ
الْوَبَاءُ فِي جَمَاعَةِ الرَّبِّ»). سفر العدد ٣١: ١٥-١٨

وقال فيه سوستام الذي يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن
المرأة: (هي شر لا بد منه ، ووسوسة جبلية، وآفة مرغوب فيها وخطر على
الأسرة والبيت ومحبوبة فتاكة، ومصيبة مطلية مموهة) مستندا إلى قول الرب
الذي أرسل ملاكه ليقول عنها إنها الشر بعينه: (٧ وَإِذَا بَوْرَنَةٌ رَصَاصٍ رُفِعَتْ.
وَكَانَتْ امْرَأَةٌ جَالِسَةً فِي وَسْطِ الْإِيْفَةِ. ٨ فَقَالَ: [هَذِهِ هِيَ الشَّرُّ]. فَطَرَحَهَا إِلَى
وَسْطِ الْإِيْفَةِ وَطَرَحَ ثِقْلَ الرِّصَاصِ عَلَى فَمِهَا). زكريا ٥: ٧-٨

قال الله سبحانه وتعالى في كتابه المكنون ، الذي لا يأتيه الباطل من بين
يديه أو من خلفه ، يعلن للعالم أجمع حرية المرأة وإنسانيتها ويرد لها كرامتها ،
وأنها للرجل سكنا ومودة ورحمة: ﴿وَمَنْ ءَايَنَيْهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٢١﴾ الروم: ٢١

فجاء القرآن ليقول: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة ٢٢٨

وجاء ليقول: ﴿وَعَايَشُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ النساء ١٩

وجاء ليقول: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ البقرة ٢٣٢

وجاء ليقول: ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْوُسْعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدْرُهُ﴾ البقرة ٢٣٦

وجاء ليقول: ﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ الطلاق ٦

وجاء ليقول: ﴿وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِضَعْفِهِنَّ﴾ الطلاق ٦

وجاء ليقول: ﴿فَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ رِيشَةً﴾ النساء ٢٤

وجاء ليقول: ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ النساء ٧

وجاء ليقول: ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا أَكْتَسَبْنَ﴾ النساء ٣٢

وجاء ليقول: ﴿وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ النور ٣٣

وجاء ليقول: ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ البقرة ١٨٧

وجاء ليقول: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَصْهَرُ لَكُمْ﴾ هود ٧٨

وجاء ليقول: ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ النساء ٣٤

وجاء ليقول: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ النساء ١٩

وجاء ليقول: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ﴾ النساء ١٩

وجاء ليقول: ﴿فَأَمْسَاكُ بِمَقْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾ البقرة ٢٢٩

وجاء الرسول الكريم ليبين لنا مكانة المرأة فمثل ﷺ من أحب الناس إليك؟ قال: "عائشة" .. وكان يؤتي ﷺ بالهدية، فيقول: "اذهبوا بها على فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة".

وهو القائل: «استوصوا بالنساء خيراً»

وهو القائل: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر»

وهو القائل: «إنما النساء شقائق الرجال»

وهو القائل : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»

وهو القائل : «من سعادة بن آدم المرأة الصالحة»

ومن هديه : «عن عائشة قالت كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد» .

فإذا كان الكتاب المقدس بجزيئه جعل المرأة سبباً في خطيئة آدم، وسبب في خروجها من الجنة للعمل والشقاء، حتى إنجابها للأولاد جعله تكفيراً عن هذه الخطيئة، فماذا تنتظر من أتباع هذا الدين أن يُحسنوا به إليها؟

الفصل الثانى والثمانين

لم يغو الرجل ، ولكن المرأة غوت :

يقول ديشنر صفحة ٥١-٥٢ : (لم يعرف اليهود الرحمة مع النساء إلا قليلا ، الأمر الذى أثر فيما بعد فى المسيحية ، فهى منذ قصة الخلق . أى منذ الوهلة الأولى للحياة ، وهى مرتبطة بالرجل وخاضعة له ، كما أنها صاحبة أول خطيئة فى التاريخ ، وهى الخطيئة الأزلية ، وكانت هى التى غررت بالرجل ، فأصبح الرجل ضحيته والمُغرَّر به ، ويُعذر فى ذلك ، ويُغفر له . وقد تعلل بقوله : (١٢) فَقَالَ آدَمُ : «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِيَ هِيَ أَعْظَمَنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ» . وقد حُكِمَ على المرأة بالولادة وأوجاع الحمل وأن تصبح جارية للرجل : (١٦) وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ : «تَكْثِيرًا أَكْثَرُ أَتْعَابَ حَبْلِكَ . بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا . وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيقَاؤُكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ» .) تكوين ٣ : ١٦

ونجد قصة الخطيئة الأزلية هذه فى الكثير من الأساطيل الوثنية ، فنجدها فى الديانة السومارية والديانة البوذية ، كما تعرف الأساطير الجرمانية أول زوج من البشر عرفه الإنسان (عسكر وإمبلا) إلا أن اتحادهما لم يُعتبر من الآثام مطلقا .

(وفى العهد القديم يُظهر لنا اسم الإله (بعل) أنه السيد والمالك زوجته

(بعولة) ، ويُشبه سفر اللاويين المرأة بالحيوانات المنزلية المستأنسة) انظر الديانة اليهودية لـ Bousset صفحة ٤٢٦ .

(وحتى في أيام يسوع كانت المرأة توضع في نفس مرتبة الطفل والعبد ، بل إنه في القرن العشرين [١٩٩١] يصلى ايهودى فى المعبد قائلاً : (أشكرك ربى أنك لم تخلقنى كافراً أو عبداً أو امرأة)

(أما فى جانب العبادة فقد ظَلِمَت المرأة بشدة ، فقد استُبعدت من أى مشاركة إيجابية ، وكانت إقامة الصلوات ، وعقد المحاضرات ، والوعظ من واجبات الرجل ، بل حُرِّمَ عليها دراسة التوراة ، وكان لا يُسَمَح لها بالدخول إلا إلى الفناء الأمامى للمعبد فقط . والغريب أنه حتى الحيوانات التى كانت تُقدَّم على المذبح ، كان لا بد لها أن تكون حيوانات مذكرة . وذلك جاء نتيجة لما علمه اليهود من أن الله أحسنَ إلى امرأة ثم أنت منها أول خطيئة فى التاريخ ، وبسببها حلَّ الموت علينا ، حتى ادعى البعض أن مساوىء الرجل أفضل من فضيلة المرأة .)

(وأكثر من ذلك فقد كانت مُهمَّشة فى الحياة اليومية ، وكان يُعد الكلام معها أكثر من اللازم أو التمسك بمشورتها ولعمل بها من المحرمات ، التى يُعاقب عليها المرء بنار جهنم ، ولم يُسَمَح للرجل بتحية المرأة ، أو يُسَمَح لها بتحيته ، لذلك تعجب تلاميذ يسوع من وقوفه مع المرأة السامرية يتبادل أطراف الحديث معها (وعند ذلك جاء تلاميذه وكانوا يتعجبون أنه يتكلم مع امرأة) يوحنا ٤ : ٢٧ ولم تكن ولادتها من الأشياء التى تدخل السرور على أهلها ، وكانت قمة السعادة تغمرهم بولادة الابن الذكر ، كما أغفل العهد القديم عند ذكره للأنسال ذكر أسماء البنات بالمرّة ، بل تعدى الأمر أكثر من ذلك ، فقد سَمَح للأب ببيع ابنته .) (وإذا باع رجل ابنته أمةً لا تخرج كما يخرج العبيد) خروج ٢١ : ٧

الفصل الثالث والثمانين

ويقول الأستاذ Abduh 2000 في مقانه بمتدى برسوميات بعنوان: (المرأة في الكتاب المقدس والديانة النصرانية):

لذا هنا نجد العالم المسيحي المشهور إيكويناس يعتبر المرأة أرذل من العبد بدليل أن عبودية العبد ليست فطرية بينما المرأة مأمورة فطرياً من قبل الأب والابن والزوج

(انظر Thomas Aquinas: "Summa Theologica", XXXIX,3)

وأما المفسر المسيحي المعروف يوحنا فم الذهب (John Chrysostom) فهو يعتبر المرأة (خطراً أسرياً وسيئة مصورة)

Will durant: The Story of Civilizatain ... The Age of Faith
Newyork, 1955,p.325

ومن نتائج هذه الأفكار عن المرأة أن أغلب النصارى الأوائل لم يبالوا، رغم كونهم متزوجين، بأداء الحقوق الزوجية واعتبروا هذا الأمر غير ضروري بل غير مناسب

Hans Leitzmann: The Beginrings of the christian church
(London,1955),p.135

لذا نجد أنه بعد أن يصبح المسيحي أسقفاً يكون من حسناته أن يعتزل المرأة وألا يقترب من امرأته إن كان متزوجاً وقبل أن يصبح أسقفاً .

W.E.H. Leek: A History of European morals (London, 1911),vol.2p.329

ثم نجد هنا القوانين المضحكة نتيجة لهذه الأمور السابقة ، فمثلاً إذا أراد الأسقف أن يلتقى بزوجته لمشورة أسرية وجب عليه أن يفعل ذلك في مكان

فسبح وبحضور شهود. وأمر البابا هيلدبراند (Hildebrand) المسيحيين ألا يستمعوا إلى الأساقفة المتزوجين ولا يطيعوهم.

W.E.H. Lecky: A History of European Morals (London, 1911) vol. p.332

وكانت هذه القوانين قيدها ظالما للرجال والأساقفة ، فلجأوا إلى الحيل الملتوية لإشباع الرغبات ، إلا أن هذه القوانين قد تركت آثارا سيئة عميقة على النساء (فاحتقرن أزواجهن وأكرهن على الخروج ، وظهر عدد كبير - بسبب هذا الفصل بين الرجل وزوجته - من الجرائم والمصائب)

H.C.Lea: An Historical Sketch of Sacredotal Celibacy, 1884, p.277

وتعدى بابا آخر - وهو أوربان الثاني (Urban II) حيث أجاز جميع الحدود في سبيل تنفيذ هذه القوانين غير الفطرية حيث (أجاز للحكام أن يسترقوا نساء أولئك الأساقفة الذين رفضوا أن يتركوا زوجاتهم)

H.C.Lea: An Historical Sketch of Sacredotal Celibacy, 1884, p.333

فكان نتيجة هذا أن ساء وضع المرأة في القرون الوسطى وحتى زمن قريب ، فلم يكن لها قيمة ولا احترام في المجتمعات المسيحية. وكان من حق الزوج القانوني ، حتى النصف الأول من القرن التاسع عشر ، أن يبيع زوجته كما تباع الحيوانات

Cady Stanton: History of Women's Suffrage, vol.3. p.290 (quoted in Rationalist Encyclopaedia by J.McCabe, London, 1950, p.625

وها هي لليوم تُعد أداة متعة للرجل ، ولم يسلم من هذا التفكير لا قسيس ولا أسقف ولا راهب ولا راهبة ، كما كانت حياة الباباوات تزرف بكل أنواع الفساد:

الفصل الرابع والثمانين

فساد رجال الدين المسيحي :

يقول الراهب جيروم فى كشفه عن مناع الفساد فى مركز الديانة النصرانية (نقلًا عن معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير ص ٦٩-٧١):

(إن عيش القسوس ونعيمهم كان يزرى بترف الأغنياء والأمرء . ولقد انحطت أخلاق البابوية انحطاطًا عظيمًا ، واستحوذ عليهم الجشع ، وحب المال ، وعدوا أطوارهم حتى كانوا يبيعون المناصب والوظائف فى المزاد العلنى ، ويؤجرون الجنة بالصكوك ، ويأذنون بنقض القوانين ويمنحون شهادات النجاة وإجازة حل المحرمات والمحظورات ، ولا يتورعون عن التعامل بالربا والرشوة .)

(ولقد بلغ من تبذيرهم للمال أن البابا (اينوسنت الثامن) اضطر إلى أن يرهن تاج البابوية ويُذكر عن البابا (ليو العاشر) أنه أنفق ما ترك سلفه من ثروة ، بالإضافة إلى دخله وإيراد خليفته المنتظر .)

(وكانوا يفرضون (الإتاوات) على الناس ، ويستخدمون أبشع الوسائل فى استيفائها من الأغنياء والفقراء على السواء ، ولا يأنفون من استيفاء هذه الإتاوات والضرائب حتى من البغايا اللواتى يستخدمن أعراضهن للحصول على المعيشة . بل كانوا يشجعون على البغاء العلنى بإعطاء التراخيص والإجازات لمن تريد من العاهرات ممارسة مهنة البغاء .)

(وقد أحصى عدد من حصلن على التراخيص فى عهد أحد الباباوات فوجد أن عددهن يتجاوز (١٦٠٠٠) امرأة فى مدينة روما وحدها .)

كما قال الأستاذ عبد الله المشوخى فى كتابه: (موقف الإسلام والكنيسة من العلم ص ١٠٤): (ولعل حياة البابا اسكندر السادس تصور مدى الفساد

الذى استحوذ على حياة الباباوات ، فقد اتخذ له عشيقة اسمها جيلبا فارنيس ، وكانت موفورة الجمال ، صغيرة السن ، اغتصبها من خطيبها ، واحتفظ بها بعد ارتقائه كرسى البابوية .

ولقد أورد الأستاذ إبراهيم سليمان الجبهان فى رائحته : معاول الهدم والتدمير فى النصرانية وفى التبشير ص ٧٠-٧١):

(أن البابا (يوحنا الثانى) كان خليعا ماجئا اتهم من قِبَل أربعين أسقفا وسبعة عشر كرديناً بأنه فسق بعدة نساء ، وأنه قلد مطرانية (طودى) لغلام كان سنه عشرين سنة ، ثم قُتِلَ وهو متلبس بجريمة الزنا مع امرأة ، وكان القاتل له زوجها .)

(وأن البابا (اينوسنت الرابع) كان متهمًا بالرشوة والفساد .)

(وأن البابا (اكليمينضوس الخامس عشر) كان يجول فى فيينا ولبون لجمع المال مع عشيقته .)

(وأن البابا (يوحنا الثالث والعشرين) متهم بأنه سَمَمَ سلفه ، وباع الوظائف الكنسية ، وأنه كان كافرًا ولوطيًا .)

(أما شيوع الفساد والإباحية فى الأديرة فأعظم من أن تحيط بسرده المجلدات ، ولكنى . مازال الكلام هنا للأستاذ إبراهيم سليمان الجبهان . أكتفى بما نقلته من المراجع التالية : فلقد أورد القاضى عبد الجبار الهمدانى فى كتاب (تثبيت دلائل النبوة) ما يلى :

ومن سيرتهم أن النساء الديرانيات العابدات يظفن على الرهبان الذين انقطعوا فى الأديرة ، ويبحنَّ أعراضهنَّ رحمة بهم ، ومن فعل هذا منهن كان عندهم مشكورًا محمودا ، ويدعى له بالخير ويُقال للفاعلة (لا ينسى لك المسيح هذه الرأفة والرحمة)

(وقد وجد المنقبون عن الآثار في بعض الأديرة في فرنسا (عظام أطفال) وئدوا بعد ولادتهم إذ الأمهات مشغولات بالعبادة . أما الآباء فإنهم كالبهائم لا يعينهم إلا فعل الرذيلة وليكن بعد ذلك ما يكون.)

الفصل الخامس والثمانين

(وقد نشرت مجلة البلاغ الكويتية في عددها ٣٥٣ مقتطفات من مقال لصحفي فرنسي جاء فيه : (إن البابوات يمدسون علاقات جنسية شاذة . وقد أيدت مجلة (تيمبو) الإيطالية هذا النبأ واعتبرته أحد الأسباب التي دفعت البابا إلى تحريف تعاليم الكنيسة لصالح اليهود ، خوفاً من التشهير والفضائح.)

وفي مقالة نشرها موقع (روما . إسلام أون لاين.نت/٢١-٣-٢٠٠١) بعنوان: الفاتيكان: القساوسة يعتدون على الراهبات) كشف تقرير صادر من الفاتيكان عن قيام الكثير من القساوسة والأساقفة في الكنائس الكاثوليكية بالاعتداء الجنسي على الراهبات واغتصابهن وإجبارهن على الإجهاض أو تناول حبوب منع الحمل .

وفي تقرير آخر نشرته صحيفة "لاريبابلিকা" الإيطالية الصادرة عن الفاتيكان الأربعاء ٢١-٣-٢٠٠١ أن هؤلاء القساوسة والأساقفة يستغلون سلطاتهم الدينية التي يتمتعون بها في العديد من الدول، خاصة دول العالم النامي لممارسة الجنس مع الراهبات رغماً عنهن، مشيراً إلى أنه تم الكشف عن العديد من حالات الاعتداء في ٢٣ دولة، منها الولايات المتحدة، البرازيل، الفلبين، الهند وأيرلندا، وإيطاليا، بل وداخل الكنيسة الكاثوليكية (الفاتيكان) نفسها، بالإضافة إلى العديد من الدول الإفريقية!! .

وأشار التقرير إلى أنه تم الكشف عن عدد لا حصر له من حالات الاعتداء الجنسي من جانب القساوسة، الذين يقومون بإجبار هؤلاء الراهبات، إما على تناول حبوب منع الحمل، أو الإجهاض لمنع الفضيحة.

وقال التقرير: إن إحدى الراهبات الأم بكنيسة -لم يتم ذكر اسمها- أقرت بأن القساوسة في الكنيسة التي تعمل بها قاموا بالاعتداء على ٢٩ من الراهبات الموجودات في الأسقفية، وعندما أثرت الراهبة هذا الأمر مع كبير أساقفة الكنيسة، تم فصلها من وظيفتها.

وأشار التقرير إلى أنه وبعد اكتشاف مثل تلك الحالات فإنه يتم إرسال القساوسة المسؤولين عن تلك الاعتداءات، إما للدراسة خارج الدولة أو إرسالهم لكنيسة أخرى لفترة قصيرة. أما الراهبات - اللاتي يخشين العودة إلى منارلهن- فيتم إجبارهن على ترك الكنيسة، ويتحولن في أغلب الأحيان إلى عاهرات.

وقال التقرير: إن الفاتيكان يراقب الموقف، إلا أنه لم يتخذ حتى الآن أى رد فعل مباشر.

وفى كنيسة أخرى -وصبقا للتقرير- طالب القساوسة الموجودون بها، بتوفير راهبات للخدمات الجنسية!! هاللولويا!

الفصل السادس والثمانين

فضيحة تهز الكنيسة الكاثوليكية بالنمسا:

تعرض الكنيسة الكاثوليكية فى النمسا حاليًا لهزة جديدة بعد موجة الفضائح غير الأخلاقية التى اجتاحتها فى السنوات الأربع الماضية، إذ تجدد الحديث عن الفضائح الداخلية إثر كشف أجهزة الأمن النمساوية عن قيام مسؤول (قسيس) فى سكن كاثوليكي داخلى فى بلدة "برامبا خكيرخن" بتخزين وتبادل مواد إباحية مصورة تستغل الأطفال جنسيًا عبر شبكة المعلومات الدولية "إنترنت" وذلك بالتعاون مع أربعة أشخاص آخرين.

وتحقق الشرطة مع القسيس للنظر فى اتهامات موجهة إليه باستغلال دوره كمرب للأطفال فى السكن للاعتداء على عدد منهم جنسيًا، وشكلت تلك الأنباء صدمة لأهالى منطقة "برامبا خكيرخن" الواقعة فى مقاطعة النمسا العليا،

الذين فوجئوا بما كشفت عنه أجهزة الأمن داخل المؤسسة الدينية، وقامت الشرطة بجمع إفادات ١٠٠ طفل من الملتحقين بالسكن الداخلى المذكور للوقوف على حجم الاعتداءات الجنسية المرتكبة بحقهم.

وتتوَج الحادثة الجديدة سلسلة من الفضائح غير الأخلاقية التى تهز الكنيسة الكاثوليكية فى النمسا ومؤسساتها، إذ مازالت الكنيسة تعاني من تبعات الكشف فى عام ١٩٩٥م عن قيام أسقف فيينا الأسبق هيرمان جرور بالاعتداء جنسياً على أطفال فى دير "هولابرونش" ولم تبت الكنيسة فى القضية، واكتفت بإعفاء جرور من منصبه كأسقف للعاصمة النمساوية، الأمر الذى أضعف الثقة فى الكنيسة ورجال الدين النصارى.

الفصل السابع والثمانين

قساوسة شواذ يمارسون اللواط

روما- إسلام أون لاين / ١٠ / ١٢ / ٢٠٠٠ كشف أحد كتاب السيرة البابوية عن أن معظم قساوسة الكنيسة الكاثوليكية فى إيطاليا "الفاتيكان" يمارسون العادات الجنسية الشاذة.

وذكر "ماركو بوليتي" كاتب السيرة البابوية فى أحدث كتبه "الاعتراف" أنه توجد شبكة كبيرة من القساوسة ورجال الدين بالكنيسة الكاثوليكية فى روما فى مناصب مختلفة يمارسون العادات الجنسية الشاذة ويعيشون فى حالة من الرعب خوفاً من كشف أمرهم. وأشار "بوليتي" الذى يغطى شئون الفاتيكان فى جريدة "لا ريبابليكا" أنه وجد صعوبة فى العثور على ناشر لنشر هذا الكتاب الذى باع منه (٥) آلاف نسخة فى ٣ أسابيع مشيراً إلى أنه بالرغم من ذلك فإن الكتاب لقي هجوماً شديداً من جانب الفاتيكان الذى زعم أنه لا يعنى كثيراً بشئون القساوسة ومعاناتهم. وقال "أنتونى مازي" أحد قساوسة الفاتيكان المعروفين والذى يدير جماعة لمكافحة المخدرات: إنه يعرف العديد من القساوسة الذين يمارسون مثل هذه العادات الشاذة، ومعظمهم من الشباب، مشدداً على خطورة هذه الظاهرة الآخذة فى الانتشار. وقد جاء

نشر هذا الكتاب بعد الجدل الحاد الذى أثير بشأن مسألة الشذوذ الجسدى فى إيطاليا التى روجتها مهرجانات واحتفالات الشواذ فى روما، وأدانها البابا.

الفصل الثامن والثمانين

وتستمر الفضائح . . قس بروتستانى يواجه (٢٦) تهمة لا أخلاقية!!
مفكرة الإسلام: ينتظر القس البروتستانى ' جارت ستيفن هاوكينس' -٥٨ عامًا- الحكم عليه بعد وضعه تحت الحراسة لثبوت ارتكابه لـ ٢٦ جريمة غير أخلاقية. وطبقا لصحيفة [ذى أستراليا] فإن هاوكينس الأسترالى الجنسية متهم بارتكاب ١٣ جريمة اغتصاب، و١١ اعتداء مخل بالآداب، وتهمتين بالتحريض على الفاحشة، ويقول الإدعاء إن القس المتهم قد ارتكب هذه الجرائم فى الفترة ما بين عامي: ١٩٧٤ و ١٩٨٤، موقع مذكرة الإسلام على شبكة الإنترنت:

http://www.islammemo.cc/news/one_news.asp?IDnews=12033

الفصل التاسع والثمانين

اتهام ٢٠٠٠ من القساوسة بالاعتداءات الجنسية على الأطفال:
انحرافات القساوسة الجنسية كانت بمثابة الزلزال الذى أصاب الكنيسة الكاثوليكية وأزعج الفاتيكان أيضا إزعاج لأنه طعن فى صميم مصداقيتها، بل امتدت هذه المصداقية فى نظر المواطن الغربى إلى المسيحية نفسها كدين . ولعل هذا ما دفع مجلة التايم الأمريكية إلى إعداد ملف شامل عن الموضوع أعدته الكاتبة جوانا ماكجيري تقول فيه :

"بعدها كثرت وتزايدت الاتهامات بالاعتداءات الجنسية التى يرتكبها الرهبان الكاثوليك وبعد التستر الرسمى عليها، طالب الرومان الكاثوليك الغاضبون قادتهم ورؤسائهم بإصلاح الدين المسيحى . فالصدمة هى أن حالات كثيرة من هذا القبيل انتشرت كفيروس قاتل فى نظر الرأى العام . فالأمر لم يعد يقتصر على بوسطن بل تعداه إلى لوس أنجلس وسانت لويس ومينوستا وفيلادلفيا وبالم بيتش وفلوريدا وواشنطن وبورتلاند وماين وبرايديج بورت

وكونكتيكت. والمريع فى كل هذه الحالات ليس تفردا بهذه القضية بل فى الشبه المرعب بينها. فقد تنوعت وتعددت الاتهامات الموجهة للرهبان الكاثوليك بالاعتداء الجنسى على الأطفال واتهامات للكنيسة بالتستر عليها سواء القضايا التى تورط فيها الأب دان أو أوليفر أو روكو أو بریت "

وتم اتهام ٢٠٠٠ من القساوسة بالاعتداءات الجنسية على الأطفال فى كل البلاد وارتفاع خطير لعدد المكالمات الساخنة لضحايا هذه الاعتداءات . الامر ليس كما صوره الكاردينال بيرنارد لوفى بوسطن بالخطأ الكارثى ولكنه ضربة قاصمة لنجهاز المالى والروحى للمؤسسة الكنسية أيضا وإحباط كبير لكل رجل يلبس (الياقة) الرومانية. فحقيقة دمرت حياة العديد من الناس وتزعزعت الثقة ومصداقية الكنيسة فى معالجة المشاكل الاجتماعية.

ففى يناير/ كانون الثانى وافقت الكنيسة الكاثوليكية فى أيرلندا على دفع مبلغ ١١٠ مليون دولار لأطفال استغلوا جنسياً من قبل رجال دين على مر عقود، إذ أدين أكثر من ٢٠ رجل دين وراهبة بإرغام أطفال على ممارسة الجنس.

ووافقت أبرشية بوسطن الأمريكية على دفع ما بين ١٥ مليون إلى ٣٠ مليون دولار إلى عشرات من الأشخاص لتسوية دعاوى بأن قسا استغلهم جنسيا حين كانوا أطفالا.

وعوقب القس المفصول حاليا جون جيجان بالسجن ١٠ سنوات بسبب إرغامه طفلا صغيرا على ممارسة الجنس، وقد اتهمه ٢٠٠ ضحية، كما اتهموا قساوسة آخرين فى بوسطن، باستغلالهم جنسيا. ولطخت القضية سمعة كاردينال بوسطن برنارد لو، الذى يقال إن البابا يقدره.

وقد قالت صحيفة بوسطن جلوب التى قادت تحقيقا موسعا فى القضية إن الكاردينال لو علم بأمر جون جيجان لكنه نقله من أبرشية إلى أخرى، دون أن يبعده عن الأطفال.

لكن ما لفت نظري في كل هذا الموضوع هو أن الراهبات، ملائكة الرحمة أجبروا الأطفال على ممارسة الجنس معهم!!:(إذ أدين أكثر من ٢٠ رجل دين وراهبة بإرغام أطفال على ممارسة الجنس).

ولم الاستغراب فقد أوصى كتابهم بقتل الأطفال ، كما يحكى أنهم أكلوا الأطفال سواء فيما يحكىه الكتاب المقدس أو يحكىه لنا التاريخ :
(٦) فَحَرَّمْنَاهَا كَمَا فَعَلْنَا بِسِيحُونَ مَلِكِ حَثْبُونِ مُحَرَّمِينَ كُلِّ مَدِينَةٍ :
الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ .) تثنية ٣ : ٦

(٣) وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِينَ فِيهَا وَنَشَرَهُمْ بِمَنَاشِيرٍ وَنَوَارِجِ حَدِيدٍ وَفُؤُوسٍ .
وَهَكَذَا صَنَعَ دَاوُدُ لِكُلِّ مُدْنٍ بَنَى عَمُونَ . ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدُ وَكُلُّ الشَّعْبِ إِلَى
أُورُشَلِيمَ .) أخبار الأيام الأول ٢٠ : ٣

(٣) فَالآنَ اذْهَبْ وَاصْرِبْ عَمَالِيقَ وَحَرِّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلَا تَغْفُ عَنْهُمْ بَلْ
اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً ، طِفْلًا وَرَضِيعًا ، بَقْرًا وَغَنَمًا ، جَمَلًا وَحِمَارًا) صموئيل
الأول ١٥ : ٣

(٨) يَا بِنْتَ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ طُوبَى لِمَنْ يُجَارِيكَ جَزَاءُكَ الَّذِي جَارَيْتَنَا ! ٩ طُوبَى
لِمَنْ يُمْسِكُ أَطْفَالَكَ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ !) مزامير ١٣٧ : ٨-٩

([اغبروا في المدينة ورائه واضربو . لا تشفق أعينكم ولا تغفوا .
٦ الشيوخ والشباب والعذراء والطفل والنساء . اقتلوا للهلاك
[انجسوا البيوت ، واملأوا الدور قتل . اخرجوا ؛) حزقيال ٩ : ٥-٧

وفي العهد الجديد نقرأ أيضًا :

(٣) «لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأَلْقِي سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ . مَا جِئْتُ لِأَلْقِي
سَلَامًا بَلْ سَيْفًا . ٣٥ فَإِنِّي جِئْتُ لِأَفَرِّقَ الْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَالْإِبْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا

وَالْكُتَّةَ ضِدَّ حِمَايَهَا .) متى ١٠ : ٣٤-٤٠

(٤٩) «جِئْتُ لِأُلْقِيَ نَارًا عَلَى الْأَرْضِ ٥١ أَتَنْظُرُونَ أَنِّي جِئْتُ لِأَعْطِيَ سَلَامًا عَلَى الْأَرْضِ؟ كَلَّا أَقُولُ لَكُمْ! بَلْ أَنْقَسَا مَا . ٥٢ لِأَنَّهُ يَكُونُ مِنَ الْآنَ خَمْسَةٌ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ مُتَنَقِّسِينَ: ثَلَاثَةٌ عَلَى اثْنَيْنِ وَاثْنَانِ عَلَى ثَلَاثَةٍ. ٥٣ يَتَنَقِّسُ الْأَبُ عَلَى الْإِبْنِ وَالْإِبْنُ عَلَى الْأَبِ وَالْأُمُّ عَلَى الْبِنْتِ وَالْبِنْتُ عَلَى الْأُمِّ وَالْحَمَاءُ عَلَى كُتَّتِهَا وَالْكُتَّةُ عَلَى حِمَايَهَا.» (لوقا ١٢ : ٤٩-٥٣

(وَقَالَ لَهُمْ: ٢٦) «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلَمِيذًا.» (لوقا ١٤ : ٢٥-٢٦

(٢٧) «أَمَّا أَعْدَائِي أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَتُوا بِهِمْ إِلَيَّ هُنَا وَادَّبَحُوهُمْ قُدَّامِي.» (لوقا ١٩ : ٢٧

(٢٨) ثُمَّ قَالَ لَهَا الْمَلِكُ: [مَا لَكَ؟] فَقَالَتْ: [هَذِهِ الْمَرْأَةُ قَالَتْ لِي: هَاتِي ابْنَكَ فَتَأْكُلْهُ الْيَوْمَ ثُمَّ نَأْكُلْ ابْنِي عَدَا. ٢٩ فَسَلَقْنَا ابْنِي وَأَكَلْنَاهُ. ثُمَّ قُلْتُ لَهَا فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ: هَاتِي ابْنَكَ فَتَأْكُلْهُ فَخَبَّاتِ ابْنَهَا]. ٣٠ فَلَمَّا سَمِعَ الْمَلِكُ كَلَامَ الْمَرْأَةِ مَزَّقَ ثِيَابَهُ وَهُوَ مُجْتَازٌ عَلَى السُّورِ، فَنَظَرَ الشَّعْبُ وَإِذَا مِسْحٌ مِنْ دَاخِلٍ عَلَى جَسَدِهِ.) ملوك الثاني ٦ : ٢٨-٣٠

وأما التطبيق العملي في العصور القربية ، فيحكي لنا التاريخ :
استولت الحبشة على إريتريا المسلمة بتأييد من فرنسا وانجلترا . فماذا فعلت فيها؟ صادرت معظم أراضيها ، وأسلمتها لإقطاعيين من الحبشة ، كان الإقطاعي والكاهن مخولين بقتل أى مسلم دون الرجوع إلى السلطة ، فكان الإقطاعي أو الكاهن يشنق فلاحيه أو يعذبهم فى الوقت الذى يريد . . .

فتحت للفلاحين المسلمين سجوناً جماعية رهيبة ، يجلد فيها الفلاحون بسياط أكثر من عشرة كيلو جرامات . وبعد إنزال أفضع أنواع العذاب بهم كانوا يُلقون في زنانات بعد أن تربط أيديهم بأرجلهم ، ويتركون هكذا لعشر سنين أو أكثر ، وعندما كانوا يخرجون من السجون كانوا لا يستطيعون الوقوف ، لأن ظهورهم قد أخذت شكل القوس .

كل ذلك قبل استلام هيلاسيلاسى السلطة في الحبشة ، فلما أصبح امبراطور الحبشة وضع خطة لإنهاء المسلمين خلال خمسة عشر عاما ، وتباهى بخطة هذه أمام الكونجرس الأمريكى .

سن تشريعات لإذلال المسلمين منها أن عليهم أن يركعوا لموظفى الدولة وإلا يقتلوا .

أمر أن تستباح دماؤهم لأقل الأسباب ، فقد وجد شرطياً قتيلاً قرب قرية مسلمة ، فأرسلت الحكومة كتيبة كاملة قتلت أهل القرية كلهم وأحرقتهم مع قريتهم ، ثم تبين أن القاتل هو صديق المقتول ، الذى اعتدى على زوجته .

حاول أحد العلماء وهو الشيخ عبد القادر أن يثور على هذه الإبادة فجمع الرجال ، واختفى فى الغابات ، فجمعت الحكومة أطفالهم ونساءهم وشيوخهم فى أكواخ من الحشيش والقصب ، وسكبت عليهم البنزين وأحرقتهم جميعاً أحياء .

ومن قبضت عليه من الثوار كانت تعذبه عذاباً رهيباً قبل قتله ، من ذلك إطفاء السجائر فى عينيه وأذنيه ، وهتك عرض بناته وزوجته وأخواته أمام عينيه ، ودق خصيتيه بأعقاب البنادق وجره على الأسلاك الشائكة حتى يتفتت ، وإلقاؤه جريحا قبل أن يموت لتأكله الحيوانات الجارحة ، بعد أن تربطه بالسلاسل حتى لا يقاوم .

وصورة أخرى من الكونغو:

يذكر كلارك أحد أعضاء الإرسالية الأمريكية في تقرير له عن الكونغو سنة ١٨٨٥م وكيف كان البلجيك يرسلون جنودهم ليقتلوا أفرادًا من قبيلة الأكوكو ، ويعودون بالأيادي التي قطعوها من جثث ضحاياهم ، وكانت من بينهم أيدي ثلاثة أطفال ، وأفقرت مناطق بأكملها بسبب القتل والتعذيب . وكان من وسائل التسلية عند البلجيكيين قطع أعضاء الرجل التناسلية وتعليقها على سور القرية .

وكتب جليف في تقرير له سنة ١٨٩٤م أنهم أحضروا عشرين رأسًا بشريًا إلى شلالات ستانلي ، واستعملها الكابتن روم في تزيين حوض الزهور أمام منزله .

وصورة أخرى لجنود الرب في الحملات الصليبية:

في كتابه (على خطى الصليبيين) يقول مؤلفه الفرنسي (جان كلود جويو) . . تحت ضغط الحجاج قرر (رايموند دي سال - جيل) بدءًا من ٢٣ نوفمبر محاصرة معرة النعمان - بسوريا - كان الحصار طويلاً صعباً لكن الصليبيين أفلحوا في الاستيلاء على المدينة وذبحوا سكانها . .

وفي هذا يقول ابن الأثير: خلال ثلاثة أيام أعملت الفرنجة السيف في المسلمين فقتلت أكثر من مائة ألف شخص ، كانت تطرح جثثهم في الخنادق بعد أن مثلوا بها ، واتهموا جزءًا منها بشراهة هذا بالإضافة إلى أعداد الأسرى . . وكتب المؤرخ (راوول دين كاين): عمل جماعتنا على سلق الوثنيين - يقصد المسلمين - البالغين في الطناجر ، وثبتوا الأطفال على الأسياخ واتهموها مشوية .

ويكتب المؤرخ (البيرديكس): لم تتورع جماعتنا عن أن تأكل الأتراك والمسلمين فحسب وإنما الكلاب أيضًا . .

ويكتب (الانويم): بعضهم الآخر قطع لحم الجثث قطعًا وطبخها كي يأكلها . .

وفى الكامل يصف ابن الأثير الاستيلاء على القدس: ولبت الفرنج فى البلدة أسبوعا يقتلون فيه المسلمين، وقتل الفرنج فى المسجد الأقصى ما يزيد على السبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور ذلك الموضع الشريف، ثم بدأ النهب والنسب . .

ويذكر الكثيرون ماذا فعل ريتشارد قلب الاسد فى الحملة الصليبية الثالثة عند احتلاله نعلكا بأسرى المسلمين فقد ذبح ٢٧٠٠ أسير من أسرى المسلمين الذين كانوا فى حامية عكا وقد لقيت زوجات وأطفال لأسرى مصرعهم إلى جوارهم .

الفصل التسعين

الفاتيكان يعترف باغتصاب راهبات من قبل قساوسة:

كما أكد موقع الجزيرة نت على هذا الكلام وأضاف تحت عنوان: الفاتيكان يعترف باغتصاب راهبات من قبل قساوسة:

وكانت الاتهامات قد ظهرت للمرة الأولى فى التقرير الكاثوليكي القومى الأسبوعى فى مدينة كانساس فى ١٦ مارس/ آذار ونقلته وكالة أنباء أديستا - وهى وكالة إيطالية دينية صغيرة - مما أدى إلى وصوله لأجهزة الإعلام لعامة .

وقد أعدت التقرير الذى تحدث عن حالات محددة بالأسماء وحالات تورط أصحابها راهبة وطبيبة تدعى ماورا أودونوهو، وقدمت الراهبة تقريرها إلى رئيس مجمع الفاتيكان للأوامر الدينية الكاردينال ماريتينز سومالو فى فبراير/ شباط عام ١٩٩٥ . وقد أسر الكاردينال آنذاك بإنشاء فريق عمل من المجمع لدراسة المشكلة مع أودونوهو والتي كانت تعمل منسقة الإيدز فى منظمة (كافود) وهى منظمة دينية تابعة لطائفة الروم الكاثوليك تتخذ من لندن مقراً لها .

وأشارت أودونوهو إلى أدلة واضحة على اتهاماتها، وقالت إنه فى إحدى الحالات أجبر قسيس راهبة على الإجهاض مما أدى إلى موتها، ثم قام بنفسه بعمل قداس لها .

وبشأن أفريقيا قال تقريرها: إن الراهبات لا يستطعن هناك رفض أوامر القساوسة بهذا الشأن، وأكدت أن عددا من القساوسة هناك مارسوا الجنس مع الراهبات خوفا من إصابتهم بالإيدز إذا "مارسوه مع العاهرات"، وترغم الراهبات على تناول حبوب لمنع الحمل، لكنها قالت إن مؤسسة دينية اكتشفت وجود ٢٠ حالة حمل دفعة واحدة بين راهباتها العاملات هناك.

وأشار التقرير إلى أن الأسقف المحلي لإحدى المناطق طرد رئيسة دير عندما اشتكت له من أن ٢٩ راهبة من راهبات الدير حبالى بعد أن أرغمن على ممارسة الجنس مع القساوسة.

الفصل الواحد والتسعين

ذكر موقع البى بى سى عن هذه الأحداث تحت العنوان ما يلى:
الفاتيكان يهون من تقرير عن اغتصاب الراهبات:

أقر الفاتيكان بأن الراهبات الكاثوليكيات تتعرضن لتحرش جنسى من جانب القساوسة، لكنه هون من حجم المشكلة مشيرا إلى أنها محدودة وقد جاءت تعليقات الحاضرة الكاثوليكية ردا على مزاعم وردت فى هذا الصدد فى أسبوعية ناشيونال كاثوليك ريبورتر الصادرة فى الولايات المتحدة

وقالت الصحيفة إنها رصدت بعض الحالات التى حملت فيها الراهبات من القساوسة ثم أجبرن على الإجهاض عقب ذلك.

وقد استند المقال التفصيلى الذى نشر فى الصحيفة إلى خمس تقارير أعدت من قبل رجال دين كاثوليك فى الفترة من عام أربعة وتسعين وحتى الوقت الحاضر. واعترف المتحدث باسم الفاتيكان جواكين نافارو فولز بأن قيادة الكنيسة الكاثوليكية تعرف بهذه المشكلة التى كانت موجودة فى منطقة جغرافية محدودة.

الفصل الثانى والتسعين

اعتداءات جنسية على الراهبات فى ٢٣ دولة :

لكن التقرير الذى نشرته ناشيونال كاثوليك ريبورتر تناقض مع ما قاله المتحدث حيث رصد ثلاثة وعشرين دولة وقعت فيها هذه الانتهاكات من بينها الولايات المتحدة وإيطاليا والهند وإيرلندا والبرازيل .

الفصل الثالث والتسعين

اعتراف آباء الكنيسة باغتصاب الراهبات :

ونقل عن الأب روبرت جى فيتيلو، الذى يتأأس حالياً حملة الأساقفة الأمريكيين من أجل التنمية البشرية الذى ألقى محاضرة حول المشكلة نفسها فى عام أربعة وتسعين القول إنه سمع شخصياً قصصاً مأساوية عن نساء متدينات أجبرن على ممارسة الجنس مع قساوسة أو رجال دين أقنعوهم بأن ممارسة الجنس أمر مفيد للطرفين

وقال التقرير إن النساء اللواتى تعرضن لهذه المأساة لم يجدن كثيراً من التعاطف عندما اشتكين ، وهذا نفس ما حدث فى مصر من نجوء السيدة المصرية لأرفع المناصب فى الكنيسة شاكية الراهب برسوم ، ولم تجد التعاطف أو رد فعل يمنع عنها هذه المصيبة .

ونقرأ هذا الكلام اليوم تقريباً فى كل بلد ، فهذه فرنسا أم النهضة : قال مسؤولون قانونيون فى فرنسا إن أوامر صدرت إلى أسقف فرنسى للمثول أمام القضاء فى يونيو/حزيران المقبل ، لمحاكمته جراء عدم قيامه بالإبلاغ عن قسيس تابع له أدين فى تهمة تتعلق باغتصاب وممارسة الجنس مع أطفال دون سن الخامسة عشرة .

وسواجه الأسقف ببيير بيكان عقوبة السجن ثلاث سنوات إذا ثبتت إدانته أمام المحكمة .

وكان قسيس يدعى رينيه بيزى يعمل تحت بيبكان حكم عليه بثمانى عشرة سنة سجنا فى أكتوبر/تشرين الأول من العام الماضى، لارتكابه ١١ عملية اغتصاب وتحرش جنسى بأطفال قصر أثناء فترة عمله فى أبرشية نورماندى بين عامى ١٩٨٧ و١٩٩٦

ويتمسك آباء الضحايا بمحاكمة بيبكان لعدم تبليغه عن ممارسات بيزى الشاذة، وبدلاً من ذلك قام بإرساله لتلقى العلاج النفسى لسته أشهر، مما اعتبر إساءة إلى أقارب الضحايا والرأى العام. بينما يرى محامى بيبكان أن القضية تمس حق الأسقف فى التكتّم على أسرار معاونيه.

ويقول أحد آباء الضحايا إنهم لا يرمون من محاكمة بيبكان إلى سجنه، وإنما لإجراء تغييرات جذرية فى نظام الكنائس فى فرنسا. وكان الأساقفة الفرنسيون قد وعدوا بعد الكشف عن ممارسات رينيه بيزى بالتبليغ عن أى قسيس يرتكب مثل هذا النوع من الجرائم.

وشهدت الآونة الأخيرة تورط العديد من القساوسة الكاثوليك فى جرائم خطيرة، ففى يوم الثلاثاء الماضى رفضت محكمة الاستئناف فى باريس استئنافاً تقدم به الأب جيان مارى فينسان الذى حكم عليه العام الماضى بالسجن خمس سنوات لتحرشه بأحد عشر طفلاً من مرتلى القديس بين عامى ١٩٩٢ و١٩٩٧.

كما اتهمت فتاتان توأمان الأسبوع الماضى قسيساً يبلغ من العمر الآن ٧٦ عاماً بالاعتداء عليهما قبل ١٤ عاماً وكان سنهما آنذاك ١٣ عاماً. ومن المقرر أن يمثل هذا القس أمام المحكمة يوم الاثنين المقبل لىواجه ضحيتيه وجها لوجه، كما توجهان اتهامهما لأسقف الأبرشية أيضاً بالتستر على الجريمة.

الفصل الرابع والتسعين

الكتاب المقدس يخلد ذكرى العاهرات ويقدمهن فى ثوب القديسات:

يقول الأستاذ 2000 eeww فى كتابه الإلكترونى الرائع (المرأة بين الإسلام والمسيحية): دعونا بحث عن أمثلة لنساء افتخرت بهن كتب اليهود والنصارى وجعلت منهن بطالات وأمثلة تحتذى لجميع نساكنهم . . .

فلنبداً بالمرأة خلدتها التوراة - العهد القديم - فى سفر كامل أفرد لها وباسمها ليحكى قصتها . . . يهوديت . . .

تلك المرأة اليهودية التى نجحت فى تسجيل اسمها فى الكتاب المقدس . . .
تلك المرأة التى يردد ملايين اليهود والنصارى قصتها فى قراءتهم لكتابهم المقدس . . . بل ويتعبدون بتلك القراءة . . .

تُرى من هى تلك البظلة؟ وما هى جلائل الأعمال التى قامت بها لتستحق كل هذا التقدير؟ . . . لنقرأ قصتها من ذلك السفر المسجل باسمها . . .

يصفها ذلك سفر يهوديت : ٤ وكانت يهوديت قد بقيت أرملة منذ ثلاث سنين وستة أشهر ٥ وكانت قد هيات لها فى أعلى بيتها غرفة سرية وكانت تقيم فيها مع جواربها وتغلقها ٦ وكان على حقوبها مسح وكانت تصوم جميع أيام حياتها ما خلا السبت ورؤوس لشهور وأعياد آل إسرائيل)

ثم يقول: (٨ وكانت لها شهرة بين جميع الناس من أجل أنها كانت تتقى الرب جدا ولم يكن أحد بقول عليها كلمة سوء)

انظر إلى درجة تقواها وورعها! وهذا لم يجعله ينسى أن يصف جمالها الأخاذ فيقول:

(٧) وكانت صبية جميلة ، ترك لها زوجها منسى ذهباً وفضة وخدمًا وجاريات وماشية وأملاكاً . يهوديت ٨ : ٧ (الترجمة العربية المشتركة)

إلى هنا نجد أن تلك المرأة امرأة مثالية . . . فهي تتقى الله ولا يشوب سمعتها شائبة وليس للناس أى مأخذ عليها

فما هي حقيقة تلك التقوى وتلك الأوصاف الجليلة؟ وما هو العمل العظيم الذى جعل من تلك المرأة تحوذ سفرا كاملا من أسفار العهد القديم؟

الواقع أن تلك المرأة ظهرت فى ظروف قرر فيها اليهود تسليم مدينتها إلى الآشوريين ، فغضبت وقررت التدخل لمحاولة منع هذه الهزيمة من الحول بشعب الله المختار ، ويمضى ذلك السفر فيصف صلاتها وتضرعها لكى توفق فيما هي مقبلة عليه من عمل بطولى . فماذا كان ذلك العمل وتلك البطولة التى قامت بها يهوديت ؟

لنقرأ من سفرها :

(٢) ودعت وصيفتها ونزلت إلى بيتها وألقت عنها المسح ونزعت عنها ثياب إرمالها ٣ واستحمت وادهنت بأطياب نفيسة وفرقت شعرها وجعلت تاجا على رأسها ولبست ثياب فرحها واحتذت بحذاء ولبست الدمالج والسواسن والقرطة والخواتم وتزينت بكل زينتها . ٤ وزادها الرب أيضا بهاء من أجل أن تزينها هذا لم يكن عن شهوة بل عن فضيلة ولذلك زاد الرب فى جمالها حتى ظهرت فى عيون الجميع ببهاء لا يمثل ٥ وحملت وصيفتها زق خمر وإناء زيت ودقيقا وتينا يابسا وخبزا وجبنا وانطلقت ٦ فلما بلغتا باب المدينة وجدتا عزيا وشيوخ المدينة منتظرين ٧ فلما رأوها اندهشوا وتعجبوا جدا من جمالها)

انظر لمباركة الرب واشترাকে فى جريمة الزنا التى ستحدث : (وزادها الرب أيضا بهاء)!

انظر أيضًا لتأييد شيوخ اليهود فيما علموا أنها مقبلة عليه . . . !!!

٨ (غير أنهم لم يسألوها عن شيء بل تركوها تجوز قائلين : إله آبائنا

يمنحك نعمة ويؤيد كل مشورة قلبك بقوته حتى تفتخر بك أورشليم ويكون اسمك محصى فى عداد القديسين والأبرار...!!!!)

ثم يمضى ذلك السفر فى وصف العمل البطولى الذى حملته تلك المرأة على عاتقها!

فهو يصف خداعها لقائد جيوش الأشوريين بجمالها وبالخمير حتى تستدرجه بهاتين الوسيلتين الرخيصتين إلى الفراش! وحين يصيبه الضعف وينام تقوم بالإجهاز عليه...!!!

لنقرأ :

(١٢) فدخل حينئذ بوغا على يهوديت وقال لا تحششى أيتها الفتاة الصالحة أن تدخل على سيدى وتكرمى أمام وجهه وتأكلى معه وتشربى خمرا بفرح ١٣ فأجابته يهوديت من أنا حتى أخالف سيدى ١٤ كل ما حسن وجاد فى عينيه فأنا أصنعه وكل ما يرضى به فهو عندى حسن جدا كل أيام حياتى ١٥ ثم قامت وتزينت بملابسها ودخلت فوقفت أمامه ١٦ فاضطرب قلب اليفانا لانه كان قد اشتدت شهوته ١٧ وقال له اليفانا اشربى الآن واتكئى بفرح فإنك قد ظفرت أمامى بحظوة ١٨ فقالت يهوديت أشرب يا سيدى من أجل أنها قد عظمت نفسى اليوم أكثر من جميع أيام حياتى ١٩ ثم أخذت وأكلت وشربت بحضرته مما كانت قد هيأته لها جاريتها ٢٠ ففرح اليفانا بازائها وشرب من الخمر شيئا كثيرا جدا أكثر مما شرب بى جميع حياته .

١ ولما أمسوا أسرع عبيده إلى منازلهم وأغلق بوغا أبواب المخدع ومضى ٢ وكانوا جميعهم قد ثقلوا من الخمر ٣ وكانت يهوديت وحدها فى المخدع ٤ واليفانا مضطجع على السرير نائما لشدة سكره ٥ فأمرت يهوديت جاريتها أن تقف خارجا أمام المخدع وترصد ٦ ووقفت يهوديت أمام السرير وكانت تصلى بالدموع وتحرك شفتيها وهى ساكنة ٧ وتقول أيدنى أيها الرب إله إسرائيل وانظر فى هذه الساعة إلى عمل يدي حتى تنهض أورشليم مدينتك كما وعدت وأنا أتم ما

عزمت عليه واثقة بأنى أقدر عليه بمعونتك ٨ وبعد أن قالت هذا دنت من العمود الذى فى رأس سريره فحلت خنجره المعلق به مربوطا ٩ واستلته ثم أخذت بشعر رأسه وقالت أيدنى أيها الرب الإله فى هذه الساعة ١٠ ثم ضربت مرتين على عنقه فقطعت رأسه ونزعت خيمة سريره عن العمود ودحرجت جثته عن السرير)

وهكذا صارت هذه العاهرة القديسة نموذجا يجب أن يحتذى لبطولة المرأة فى الكتاب المقدس!!!

وهذا هو دور المرأة كما يراه اليهود والنصارى! أداة للجنس والمتعة لهم! ووسيلة رخيصة للحرب والتسلل إلى فراش أعدائهم!

ولعل البعض يظن أن يهوديت كانت العاهرة الوحيدة التى دخلت الكتاب المقدس من أوسع أبوابه . . . باب الجنس والعهر . . . فهناك توجد امرأة أخرى نجحت فى انتزاع سفر آخر من أسفار الكتاب المقدس باسمها . . . وهى استير . . .

تلك المرأة (البطلة) التى نجحت فى إنقاذ شعب الله المختار من أعدائه مستفيدة بمواهبها (الجنسية) الخارقة . . .!!!!

ومعنا للتطويل فإننا نحيل القارئ مباشرة إلى سفر استير ليقراً قصة تلك العاهرة البطلة

ولمن لا يملك ذلك الكتاب (المقدس) يمكنه قراءة قصة العاهرة فى أى رواية من روايات (ألف ليلة وليلة) مع إبدال اسم (شهرزاد) باسم (استير) . . .!!!

سفران من أسفار الكتاب المقدس تم تسميتهما بأسماء عاهرتين . . .!!!

ومع هذا ظل اسمه (الكتاب المقدس) . . .!!!

وهناك بطلة أخرى من بطالات الكتاب المقدس تم تكريمها فى العهد القديم

ونجحت فى انتزاع الحظوة لدى بولس - كبير محرفى دين المسيح -

راحاب الزانية الجاسوسة . . . !!!

فقد أعطاها العهد القديم التكريم وحق الحياة بعد إبادة أهل مدينتها
بالكامل . . .

يشوع ٦ : ١٧ (١٧) فَتَكُونُ الْمَدِينَةُ وَكُلُّ مَا فِيهَا مُحَرَّمًا لِلرَّبِّ. رَا حَابُ
الزَّانِيَةُ فَقَطَّ تَحِيًّا هِيَ وَكُلُّ مَنْ مَعَهَا فِي الْبَيْتِ، لِأَنَّهَا قَدْ خَبَّاتِ الْمُرْسَلِينَ
الَّذِينَ أَرْسَلْنَاهُمَا. (

يشوع ٦ : ٢٣ (٢٣) فَدَخَلَ لِلْجَاسُوسَانِ وَأَخْرَجَا رَا حَابَ وَأَبَاهَا وَأُمَّهَا
وَأُخُوتَهَا وَكُلَّ مَا لَهَا، وَكُلَّ عَشَائِرِهَا وَتَرَكَاهُمْ خَارِجَ مَحَلَّةِ إِسْرَائِيلَ. (

يشوع ٦ : ٢٥ (٢٥) وَاسْتَحْيَا يَشُوعُ رَا حَابَ الزَّانِيَةَ وَبَيْتَ أَبِيهَا وَكُلَّ مَا
لَهَا. وَسَكَنْتْ فِي وَسْطِ إِسْرَائِيلَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ، لِأَنَّهَا خَبَّاتِ الْمُرْسَلِينَ
الَّذِينَ أَرْسَلَهُمَا يَشُوعُ لِيَتَجَسَّسَا أَرِيحَا. (

ثم يجدد بولس - القديس ؟؟؟!! - تكريمها فيقول :

عبرانيين ١١ : ٣١ (٣١) بِالْإِيمَانِ رَا حَابُ الزَّانِيَةُ لَمْ تَهْلِكْ مَعَ الْعُصَاةِ، إِذْ
قِيلَتْ الْجَاسُوسِينَ بِسَلَامٍ. (

هل هذا هو دور المرأة عند اليهود والنصارى؟ عاهرة وأداة متعة
وجاسوسة؟

وأضيف على كلام أخى WWW٢٠٠٠ أيضا اسم مريم المجدلية ، التى كانت
تمسح بالدهن والطيب أرجل يسوع (لوقا ٧ : ٣٨ ويوحنا ١٢ : ٣) أو رأسه (مرقس
١٤ : ٣ ومتى ٢٦ : ٧) (على إختلاف الأناجيل) ، فقد كانت أيضا عاهرة وتابت .

(٣٩) فَلَمَّا رَأَى الْفَرِّيسِيُّ الَّذِي دَعَاهُ ذَلِكَ قَالَ فِي نَفْسِهِ: «لَوْ كَانَ هَذَا نَبِيًّا
لَعَلِمَ مِنْ هَذِهِ الْمَرْأَةِ الَّتِي تَلِمُسُهُ وَمَا هِيَ! إِنَّهَا خَاطِئَةٌ». (لوقا ٧ : ٣٩

ولا يوجد فى الكتاب المقدس ما يبرئ أشرف نساء العالمين من تهمة الزنى ، ولم يبرأها غير القرآن الكريم ، فقد نسب إلى مريم اعترافها بيسوع ابناً غير شرعى بقولها على يوسف النجار إنه أبو يسوع : (٤٨) فَلَمَّا أَبْصَرَاهُ انْدَحَسَا . وَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : «يَا بُنَيَّ لِمَآذَا فَعَلْتَ بِنَا هَكَذَا؟ هُوَذَا أَبُوكَ وَأَنَا كُنَّا نَطْلُبُكَ مُعَذِّبَيْنِ!» (لوقا ٢ : ٤٨)

الفصل الخامس والتسعين

إنسانية المرأة فى الزواج والطلاق والإنفاق :

ومن هذا المنطلق الفكرى الخاص بمسئولية المرأة عن الخطيئة الأولى ، وجلبها متاعب للجنس البشرى ، ترجم علماء الكتاب المقدس هذا الفكر إلى قوانين تحكم أحوال الأسرة ، مثلما جاء فى كتاب : الأحكام العبرية ، ونذكر منها (نقلًا عن تعدد نساء الأنبياء ص ١٩٣-١٩٥) :

المادة ٤٠٢ : (ما أسعد من رزقه الله ذكورًا ، وما أسوأ حظ من لم يُرزَق بغير الإناث . نعم ، لا ينكر لزوم الإناث للتناسل ، إلا أن الذرية كالتجارة سواء بسواء . فالجلد والعطر كلاهما لازم للناس ، إلا أن النفس تميل إلى رائحة العطر الزكية ، وتكره رائحة الجلد الخبيثة . فهل يُقاس الجلد بالعطر؟) فالرجل عندهم هو العطر والرائحة الزكية ، أما المرأة فهى الجلد ذو الرائحة الخبيثة

المادة ٤٠٧ : (إذا لم تدخل الزوجة على زوجها بمال على ذمة الزوجية ، فلا يكلف الزوج بأن ينفق عليها فى غير الحاجيات اللازمة التى لا بد منها . أما إذا دخلت عليه بمال ، فيجب عليه التوسع فى النفقة بقدر حاله .)

أى إن لم تأت به بنقود فهى كالأنعام تأكل وتشرب فقط لتعمل فى البيت أو فى الحقل وتعتنى بالأولاد ، وفى الليل يسقط عليها كالبهيمة! وإذا مرضت بمرض عضال كان للزوج الحق فى بيع زوجته أو إعارتها أو قتلها ، كما سمح بذلك القانون الإنجليزى فى بريطانيا حتى منتصف القرن التاسع عشر .

حتى ثمن الدواء فى ظل هذا القانون فهو ليس من حق الزوجة! فيحق للرجل قتلها ، مثل البهيمة امريضة التى يأس صاحبها من شفائها ، فقرر التخلص منها بقتلها!

ومن أين تأتى بالنقود وهى ليس لها حق الميراث؟ وكانوا يتشاءمون منها! لك أن تتخيل حال هذه البائسة فى هذه العقيدة!

المادة ٤١٣ : (سلطة الزوج على الزوجة فى أمر التربية وتعليم أمور الدين والدنيا مطلقة لا حدود لها ، فعليه أن يستعملها فى محلها مع الحكمة والاعتدال) فماذا تبقى لها ؟

المادة ٤١٤ : (متى خرجت الزوجة من بيت أهلها ودخلت بيت زوجها ، صار له عليها حق الطاعة التامة والامتثال الكلى فى جميع ما يأمرها به ، فعليه ألا تخالفه فى شىء مما يطلبه منها ، بل تمثل له كما تمثل الجارية لسيدها .)

المادة ٤١٨ : (مهما بلغت ثروة الزوجة ، ومهما كان مقدار المال الذى دخلت به للإعانة على حوائج الزوجية ، فإنه يجب عليها القيام بالأعمال اللازمة لبيتها صغيرة كانت الأعمال أو كبيرة . لأن البطالة تؤدى إلى فساد الأخلاق ، وليس لها مفارقة زوجها لأى سبب كان حتى لو أصيب بعجز أو صار مُقْعَدًا واحتاج للسؤال لأجل الإنفاق عليها .)

المادة ٤١٩ : (جميع ما ، الزوجة ملك لزوجها ، وليس لها سوى ما فرض لها من مهر فى عقد ازواج تُطالب به بعد موته ، أو عند الطلاق إذا وقعت الفرقة . فكل ما دخلت به من المال على ذمة الزوجية ، وكل ما تلتقطه ، وكل ما تكسبه من سعى وعمل ، وكل ما يُهدى إليها فى عرسها ، ملك حلال لزوجها يتصرف فيه كيف يشاء ، بدون معارض ولا منازع .)

المادة ٤٢٦ : (إذا ماتت الزوجة ولم تعقب ذرية من الأولاد ، فزوجها هو وارثها الشرعى .)

المادة ٤٢٨ : (الأسباب التي يحل معها الطلاق ثلاثة: الزنا ، والعقم ، وعيوب الخلقة ، وعيوب الخُلُق .)

المادة ٤٢٩ : (يحل للرجل أن يُطلّق زوجته إذا أُشيعَ عنها الزنا ، ولو لم يثبت عليها الزنا فعلاً . كما يحل له طلاقها إذا اتضح له بعد الزواج أنها كانت [قبل الزواج] سيئة السلوك .)

المادة ٤٣٠ : (يجب على من لم يُرزق من زوجته بذرية بعد معاشرتها عشر سنوات أن يفارقها ويتزوج غيرها .)

المادة ٤٣٣ : (ليس للمرأة أن تطلب الطلاق مهما كانت عيوب زوجها ، حتى لو ثبت عليه الزنا .)

ومن هذا يتضح أن هذا الدين كما فهمه واضعوا هذه القوانين ليس لتهديب الأخلاق ، ولا للإعتناء بالأمة اليهودية وشعبها ، ولكنها حضارة أقل ما تُوصف به أنها حضارة الرجل . للرجل أن يُفسد ويعربد ، وليس للزوجة حق الاعتراض . فهي كالحذاء يلبسه صاحبه متى شاء ويوجهه إلى حيث شاء ، ويرميه متى شاء!!

أما أن تفجر المرأة ، فهو والقانون والمجتمع لها بالمرصاد! أما أن تحصن المرأة نفسها ويُشاع عنها الفجر ، ولو نكايّة في عفتها ، فيكون جزاؤها الطلاق والطرْد إلى الشوارع ، ليكون مصيرها إما الهلاك وإما العهارة! وهذا هو فهمهم لطبيعة المرأة! وهذا هو تقديرهم المشين للمرأة! فهل هؤلاء عقلاء يُؤخذ عنهم تقدير نِوضَع المرأة المسلمة؟

المادة ٤٣٤ : (متى نوى الزوج الطلاق حُرِّمت عليه زوجته . فبمجرد عزمه على مفارقتها ، وَجَبَ عليه الإسراع إلى طلاقها .)

وليس للرجل فرصة يراجع فيها نفسه ، قد يتراجع بعد ما تلين له ويلين لها . لكن أبداً! إنها القاذورات! إنها الحقارة كلها! إنها أحبولة الشيطان! إنها صاحبة أول رذيلة عرفت البشرية! إنها المرأة!

لقد كتب أودو الكاني في القرن لثانى عشر: (إن معانقة امرأة تعنى معانقة كيس من الزبالة).

(ولقد كتب أسقف فرنسى عاش فى القرن الثانى عشر: أن كل النساء بلا استثناء مومسات ، وهن مثل حواء سبب كل الشرور فى العالم)

وقال القديس تروتوليان: (إن المرأة مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، ناقضة لنواميس الله ، مشوهة للرجل)

وفى الميراث:

المادة ٣١٣: (إذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن أخيه ، وإن لم يكن له ابن ابن فالميراث لابنة . وإن لم يكن له ابنة فالميراث لأولاد الابنة ، وإذا لم يكن له حفدة فلا أولاد أولادهم الذكور ، وإذا لم يكن له أولاد حفدة من الذكور فالميراث لبنات الحفدة .) لا تعليق!!

المادة ٣١٥: (إذا لم يعقب الميت ذرية ولا نسلاً من ذكر أو أنثى ، أولاداً أو حفدة ، أو من نسلهم ذكوراً أو إناثاً . فميراثه لأصوله . وأحق الأصول بميراث الميت أبوه ، وله كل التركة ، وإذا لم يكن له أب ، فجده ثم أصوله من أبيه .)

وبناءً على المادة ٤٢٦ يرثها زوجها بمفرده إذا لم يكن لها ذرية!

وبناءً على المادتين ٣١٣ و ٣١٥ لا يحق للمرأة أن ترث من زوجها تحت أى ظرف!

الفصل السادس والتسعين

معرض ملاحقة الساحرات

لا أعرف فى تاريخ اليهود ولا الصارى صفحة بيضاء مرت بها مطلقاً ، لا فى الحروب ولا تجاه المرأة ، ولا تجاه الإنسانية ولا تجاه البيئة ؛ الأمر الذى

أدى ليس فقط إلى الاعتداء جنسيًا على المرأة أو الراهبة ، أو إلى بيعها كالنجاج ، بل تعداه أيضًا إلى قتلها حرقًا ، لا لجريرة اقترفتها ، بل لأنها امرأة .

فقد نشرت ميدل ايست أون لاين ما مفاده : فقد قام متحف التاريخ الألماني بعمل معرض لمعالجة موضوع ملاحقة الساحرات بهدف توضيح خلفيات تلك الظاهرة الغريبة وإثفاء الضوء على ما كن يسمين بالساحرات وأسباب ملاحقتهن وقتلهن حرقًا منذ ٣٠٠ سنة ، والتي راح ضحيتها ستون ألف فردا .

برلين - لا يزال الأوروبيون يتذكرون ملاحقة السحرة والساحرات ، والمحاكم التي كانت تعقد لمحاكمتهن وتعذيبهن وحرقهن في العصور الوسطى ، بقلوب تعصف غضبا بسبب المعاملة غير الانسانية لهم لا لشيء إلا لشعور ممثلى الكنائس من القساوسة آنذاك بتهديد سلطتهم ونفوذهم الكبير من ذوى الفكر المستنير الذين اتهموا بالشعوذة .

ونبه بيرنجر إلى أنه من مدعاة الحزن حاليا التوقف على حصيلة ضحايا الشعوذة في العصور الوسطى إذ أنه ذهب ضحية المحاكم البدائية وملاحقة الساحرات والبطش بهن في أوروبا خلال ٣٠٠ سنة الماضية أكثر من ١٧٨٠ شخصا في ألمانيا و ٦٠ ألف شخصا في بقية البقاع الأوروبية مشيرًا إلى أن قادة المحاكم الظالمة آنذاك كانوا من ممثلى الكنائس الكاثوليكية وليس من الحقوقيين أو القضاة المدنيين .

وأوضح بأنه وقع حوالى ٢٥ ألف من حالات الشنق والإعدام بالحرق للمتهمين فى الشعوذة فى " الامبراطورية الرومانية المقدسة " وحدها مؤكدا أن كل هذه الأرقام تعتبر سببًا كافيا لتتبع قضية ملاحقة الساحرات ، فهى تعبير عن الأحكام الظالمة التى صدرت عن الكنائس ضد البشر خلال العصور الوسطى فى أوروبا ، والتى شملت حوالى تسعة ملايين شخص .

وقال إن عدد الساحرات اللواتى أعدمن فى كانتونات سويسرا مثلا فى عام

١٧٨٢ قد وصل إلى حوالى مائة ساحرة.

وحسب الباحث الألماني فقد تجلت ملاحقة الساحرات فى الفترة الممتدة من عام ١٥٦٠ إلى عام ١٦٨٠ مؤكداً أن رجل الدين من الطائفة اليسوعية فريدريك شبي (١٥٩١ - ١٦٣٥) الذى كان يقف ضد ملاحقة الساحرات كان يفسر ظاهرة قتل الساحرات على أنها "نتيجة حتمية للتعصب الدينى وحب السلطة والخوف من فقدان حق الاحتفاظ بالحكم" الذى وصفه بما يطلق عليه "عدالة الدم".

ويستفاد من موجودات المعرض أن ٢٥ بالمائة من الساحرات هم من الذكور أى الرجال، وذلك خلافاً لما كان دارجاً وهو أن مفهوم السحر كان قاصراً على النساء.

كما يظهر أن ٨٠ إلى ٩٠ بالمائة ممن أعدموا فى القرون الوسطى بتهمة السحر فى كل من السويد والنرويج وانجلترا وهولندا كانوا من النساء.

وعجز ممثلو الكنائس خلال محاكمة المتهمين بالسحر فى لقرون الوسطى عن تقديم البراهين والأدلة الدامغة وما كان على الرعايا إلا أن يشجعوا ملاحقة الساحرات والساحرين وإلا خضعوا لعقوبات شديدة الأمر الذى يفسر التماذى فى ملاحقة الساحرات.

ونسب إلى المؤرخ اللوكسيمبورجى مارى - باول يونجبلوت قوله بأن الصورة التى تعلق فى أذهاننا بخصوص ما كان رجال الدين يطلقونه على المفكرات وصاحبات التجديد والتطور فى العصور الوسطى هى صورة فعلية من حيث المظهر إذ أن تلك الصورة قد تكونت بسبب التعذيب والعزلة التى كانت تفرض عليهن فى غياهب السجون المظلمة. (كونا)

الفصل السابع والتسعين

إغداق الرحمة عند الاعتراف :

وتحت عنوان "إغداق الرحمة عند كل اعتراف" ذكر اللاهوتي والكاتب الألماني الكبير كارل هاينتس ديشنر: كانت إحدى محاولات الإشباع الجنسي هي تلك الممارسات التي كانت تحدث في الأديرة منذ ممارسة الضرب ، والذي كان يهدف بصورة غريبة الشكل إلى التكفير عن الجرائم الجنسية ، لأن ما كان يفعله الراهب الذي يقوم بالعقاب مع المذنب كان يهدف فقط إلى إشباع رغبته الجنسية السادية ، والتي تنتهي بالقذف عند الرجل والانتعاض عند المرأة ، وكانوا يسمون هذا النوع من العقاب: النظام أو التربية أو الأخلاق. وكان بعض المربين يستمتعون بشد البنتال على الجسم أو الرقود على الركبة حتى لا يتمكنون من الجماع.

وقد اخترع الآباء اليسوعيون في هولندا جمعية دينية رسمية بين الطبقة الأرستقراطية وطبقة السيدات الأثرياء ، وكان العضو المشترك في هذه الجمعية يُجلّد بالسياط مرة في الأسبوع ، ولم يكن الجلد على الظهر العاري ، ولكنه على الجزء السفلي من الجسم مجردًا من الملابس تمامًا ، وعلى الساقين والفخذين والمؤخرة.

وقد اعتادت الفتيات والسيدات على هذا النوع من العقاب الممتع لهن ، حتى كنَّ يدفعن القساوسة لمواصلة المزيد من التأديب الأبوي.

وتحت نفس العنوان يقول نفس الكاتب: أما في إسبانيا فقد كانت الكفّارات الجسدية للسيدات بعد الاعتراف من الأشياء المعتادة ، كما كان الآباء اليسوعيون يلهون في الغرف الأمامية للملكة مع سيدات البلاط صغيرات السن وهن عرايا تمامًا ، وكذلك مع الأميرات الغريات ، وأيضًا مع زوجات وبنات رُسل القصر.

ويحكى G. Frusta أنه سمع من أناس أهل للثقة في القرن التاسع عشر

أنه لم يكن يستغنى بيت من البيوتات الكبيرة عن الآباء اليسوعيين والدومينيكان ، كما كانوا يتخذونهم أصدقاء للأسرة ، وقد اعتاد هؤلاء الآباء على اقتراف أشياء مثل التي ذُكرت أعلاه بصورة لا حصر لها . وحتى في الأديرة لم يتورعوا عن اقتراف مثل هذه لجرائم مع السيدات الجامحات أو المتهورات أو البنات الهائيات وأمثالهن ، فكانوا يحجزونهن (الأمر الذي يحدث مثله حتى اليوم) ويتلقين العقوبة المفروضة عن طريق إشارة متفق عليها من قبل ، وكان يتم عقابهن سرًا أو علانيةً ، أما السيدات اللاتي كن يتمتعن بقدر وافر من الجمال ، فكانوا يقومون بأنفسهم بتنفيذ العقوبة .

وكان الإنسان يتغزل في ضرب النساء بالسوط في الأديرة الروسية كذلك حتى جزء ما من القرن التاسع عشر ، وكان من أشهر الأديرة في ذلك دير إيفانوفيسكى ودير العذراء . حيث تمكن الرهبان فيها من توحيد القديم والجديد ، ودمج الدين بالمجون الجنسي ، وإلباس التصوف بالشهوة .

ولا ينفي الكاتب وجود بعض رجال الدين الذين كانوا يتمتعون بأخلاق عالية ، كما لم ينعدم وجودهم أيضا في الغرب ، وكانوا ينادون بفصل الرجال عن النساء في الأديرة .

ففي عام ١٥٥٢ أثبت إيفان الرابع (وهو صاحب قانون محاكمة رجال الدين ومراقبة أخلاق القساوسة) أن الرهبان يتصرفون كما لو كانوا خدما لله ، إلا أنهم لا يشوبهم حياء بالمرة ، لدرجة أنهم يُدخلون لسيدات إلى داخل الدير ، ويمارسون الرذيلة معهن ، ويُسرفون في ممتلكات الدير أيما سراف وفي النهاية أسلم البعض منهم نفسه للواط ، الأمر الذي يجلب غضب الرب على الشعب ، كما يتسبب في حروب وجوع ويؤدي إلى انتشار الطاعون . (ديشر ص ١٣٤)

وقد أخبر أحد السواح الألمان من روسيا : أن العمل الأساسي للقساوسة الأرثوذكس والراهبات أصبح المتاجرة بالخرافات والجرائم والفساد .

ونرى في الصور الفظيعة التي تنقلها لنا المؤمنة إليزابيث إحدى قيصرات

روسيا أن ما يحدث داخل الأديرة هي أحداث جنسية مأساوية مريعة ودموية لأقصى درجة ، حتى إنهم يمارسون المجون عند أرجل المذابح ، ويقتربون الزنى بأكثر الوسائل إغراءً بينما يمسون صور القديسين في أيديهم .

وقد اغتصب أحد رؤساء الأديرة فتاة هناك في عرض الشارع ، ولم يحدث له أدنى مُساءلة . كما كانت الراهبات يتخذن العشاق ويُنجبون الأطفال الذين يصبحون بدورهم أيضًا رهبانًا وراهبات . (ديشنر ١٣٤-١٣٥)

الفصل الثامن والتسعين

فساد راهب ورئيس دير أرثوذكسى :

وهذا ليس بعيدًا عن الأحداث التى نشرتها جريدة النبأ فى عددها رقم ٦٦٣ الصادر بتاريخ ١٧ يونيو ٢٠٠١ عن (واحد من أكبر قساوسة وأحبار دير المحرق بأسبوط) وهو الراهب المصرى برسوم المحرقى ، وما فعله فى دير المحرق : فقد كان يُسخر الجان للإيقاع بالسيدات اللاتى يرفضن رغبته ، وكان يستخدم عظام وجماجم الموتى فى تحضير الجن ، كما خالف تعاليم الكنيسة وكان يقيم مع أسرة بالقاهرة لأداء الطقوس الجنسية مع المراهقات فى مسكنها .

وفى ذلك تقول الجريدة : (ومن النوادر التى مارسها هذا الراهب ، الذى وجد كل هذا الكم من البنات والسيدات طوع يديه من أرقى الأسر إلى أفقرها ، أنه كان يعبث ويتسلل باللعب لهن فى المناطق الحساسة جدا جدا مدعيًا أنه يصلى لكل منهن على " " لكى يزداد بركة . . ويجد الزوج فى ذلك ما يدفعه للمعاشرة الزوجية ، أو تجد الفتاة من يطلب الزواج منها . . إلى هذا الحد استباح هذا القس الديانة المسيحية ، وجعل منها مادة لكل ما يتنافى مع تعاليمها السماوية السامية .)

يقول المحرر : (احتجْتُ إلى الكثير من الوقت ، حتى أفيق من هول الصدمة . . نعم . . هول الصدمة . . ليس فقط مم سمعت ولكن مما شاهدت . . خبر كبير . . واحد من كبار القساوسة . . هو بمثابة الرجل الثانى فى دير كبير . .

راهب ترك الحياة الدنيا واختار الكنيسة منذ نحو عشرين عامًا . . استحل لنفسه كل مسيحية يمكن أن تقع تحت يده ، يفعل بها في الحرام كل ما من شأنه إرضاء غرائزه وشهواته الجنسية بالكامل في وضع عار تمامًا ، ليس من غطاء الحياء . . أو غطاء المقدسات التي يُسئء إليها . . ولكن عار تمامًا من أى ملابس . . عار تمامًا كيوم ولدته أمه . . ولم تقف أسباب صدمتي عند هذا الحد!! بل وصل الأمر بهذا الراهب . والرهينة منه براء . إلى حد أن يرتكب الفاحشة بالكامل وهو عار تمامًا في قلب المذبح ، الذى هو واحد من أهم الأماكن المقدسة في الكنيسة . . هذا المذبح الذى تتجلى فيه روح السيد المسيح . عليه السلام . . ليس ذلك فقط ، ولكن يسمح أعضائه التناسلية بعد أن أرضى شهواته الدنيئة فى ستائر المذبح التى كان يجب عليه أن يقدسها ، ويقبلها ، والتى يتبارك كل من يسعده الحظ بدخول المذبح بالتمسح بها ، بل ويُقبلها الجميع فى الدير للتبرك بها .

وليست هذه هى كل جرائم هذا الراهب ، فهو متهم بسرقة ٤ كيلوجرام من الذهب من إحدى العائلات ، أهذى منها كيلو لرئيس الدير للتستر على انحرافاته ، كما اتهم هذا الراهب رئيس الدير بأنه كان يكشف عن سيقانه ويطلب من الرهبان تدليك أعضائه التناسلية . (رئيس دير شاذ ومرتشى وحرامى وزانى!! أين حُمرتكَ يا خجل؟

وعن الذهب أكد [جمال أسعد عبد الملاك" النائب القبطى السابق بالبرلمان المصرى لشبكة "إسلام أون لاين. نت" أن . . الأنبا برسوم تم التحقيق معه قبل ست سنوات بسبب العثور على ثمانية كيلوجرامات من الذهب بحوزته، كان قد استولى عليها من النساء المترددات عليه، وتم معاقبته بالنقل إلى دير آخر بسوهاج.]

<http://www.islamonline.net/Arabic/n...Article43.shtml>

ولم يكتف بهذا بل (استخدم مع السيدة العديد من الأساليب فى المزاوغة ، وحتى لا تقوم بالإبلاغ عن الذهب المسروق والذى أعطى منه رئيس الدير . الذى

تربطه به أقوى العلاقات ، والذي أصبح ساعده الأيمن . كيلو كاملاً رغم علمه بقصة سرقة هذا الذهب ومن أساليبه التي استخدمها مع السيدة تهديدها بأنه سيصوّر لها شريطاً جنسياً أثناء مواقعه لها ، وذلك لإجبارها على عدم الإبلاغ عنه . مما اضطرها لأن ترضخ له خوفاً منها على أسرتها ، خاصة بعد إصابة زوجها بالشلل ! . . . وقام هذا الراهب بالتجارة في هذا الذهب وتشغيله في الأسواق عن طريق شقيقه (جرجس سعد الله) وزوج شقيقته اللذين يمارسان عملهما في تجارة الذهب بالصاغة .)

(ولم يقف الأمر في هذه المهزلة الكبرى عند هذا الحد . . . ولكنه عاود . بالتنسيق مع شقيقه . الاتصال بهذه السيدة الضحية مرة أخرى ، وطالبها بمبالغ مالية كبيرة نظير تسليمها الشريط الجنسي الذي قام بتسجيله لها أثناء مواقعه لها في كل الأوضاع المخزية ، وإن لم تفعل فإنه سيقوم بفضح أمرها !! واستجابت السيدة المسكينة لهذا الابتزاز أكثر من مرة .)

(وحاولت الاستنجاد برجال الدين ، حتى أنها أسمعت صوتها للقيادات العليا في الكنيسة ، في محاولة منها لحل مشاكلها . ولكنها لم تجد من مستمع أو مجيب . . . ولم يسأل فيها أحد . . . رغم أن قيادات الكنيسة علمت بأمر هذا الراهب منه شخصياً ، حيث تقدم يطلب التوبة ، وتم نقله بالفعل إلى دير الشهداء بسوهاج والذي هو ملحق عليه حتى الآن . ولم تجد المسكينة أمام مأساتها التي لم تجد من القيادات الدينية من يسمعها بخصوصها إلا أن تتقدم إلى الأجهزة الأمنية .)

(عندما تمت مواجهة الراهب بما هو منسوب إليه اعترف بأن هناك خطأ في إدارة شئون الأديرة ، منها السماح للعوام بدخولها والاحتكاك بالرهبان فيها ، والإقامة لفترات طويلة بداخلها . ودلل على ذلك بأنه تمكن من أن يُلبس السيدة التي واقعها في المذبح الذي يتعبد فيه ملابس الرهبان ويصطحبها إلى حيث فعل بها ومعها دون أن يلفت ذلك نظر أحد .)

(وقال في اعترافاته: إن هناك راهباً يُدعى اسطفانوس المحرقى هرب

باحدى سيدات شعب الكنيسة بأسيوط بعد أن أغواها بترك زوجها ، وسافر بها إلى خارج البلاد.)

(ادعى الراهب فى اعترافاته على أسقف دير المحرق بأنه سبق له أن اصطحب السيدة المجنى عليها بمفردها إلى فيلا مملوكة له بمدينة القاهرة . . وأن خلافاً نشب بينه وبين "الأبنا أسقف" الدير بخصوص هذه السيدة التى كان كل منهما يريد لها لنفسه فقط! وألا تكون مشتركة بينهما. كما ادعى عليه بأنه كان ينام على أريكة ويطلب من الرهبان بعد أن يكشف ساقيه (التحسيس) له على عوراته.)

(وتناولت الاعترافات أن أحد الرهبان كان يمارس الشذوذ مع الأطفال وتم طرده من الدير بعد أن افترضت حقيقة أمره.)

(ويبدو أن إحدى السيدات اللاتى واقعهن تركت فى نفسه هوى . . وهو بدوره ترك فى نفسها هوى . . مما دفعها إلى أن تهديه صورتها مكتوبا عليها "إلى حبيبى كوكى" . . ومما دفعه إلى أن يحتفظ بهذه الصورة فى جيبه ، إلى أن تم ضبطها معه بالإضافة إلى 'العظام والجماجم والدم ، الذى تم إحالته للطب الشرعى . . وأنه يحتفظ بصورتها معه ليمارس بالاستمتاع بها عن طريق لعادة السرية التى اعتاد عليها!!)

كما نشرت الجريدة قائمة: (القس 'كوكى' يُشبع غرائزه مع الأطفال والمراهقات والزوجات ويستمتع بالعادة السرية على صورة محبوبته فى أوقات الفراغ بدير العذراء)

الفصل التاسع والتسعين

وما الأديرة إلا مواخير للدعارة :

وفى صفحة ١٣٧ يقول ديشنر: (وبسبب الانتشار الكبير للعاهرة التى يمارسها رهبان المسيحية وراهباته وتساوسته ، هدّد مَجْمَع ترينت كل من

يدخل دير النساء بدون تصريح كتابي من الأسقف بأنه سوف يُطرد من الكنيسة ويُحرّم منها . حتى الأسقف نفسه لم يُسمح له بالتواجد في دير النساء إلا في حالات إستثنائية ، وبمصاحبة بعض رجال الدين الأكبر سنًا منه .

وفي صفحة ١٤١ وتحت عنوان (وما الأديرة إلا مواخير للدعارة) يقول ديشنر: (لقد كان يوجد منذ عصر الملك كارل [شارل] الأكبر راهبات (محبجات) كُنَّ يتقاضين أجورًا نظير ممارسة الزنى [أى عاهرات] ، لدرجة أن القيصر حرّم على الراهبات التجوال والزنى ، وأمر بمراقبتهنّ .)

(وأمر مجمع آخر بعد ذلك بقليل أن أديرة النساء أصبحت أقرب ما تكون لبيوت الدعارة منها لأديرة ، وكان هذا التشبيه شائعًا في القرن التاسع .)

(وقد فاقت بعض الأديرة بيوت الدعارة في المجون ، فقد صرّح منسق الشؤون الخارجية للكنيسة الكاثوليكية جيرهو فون رايشرسبرج (١٠٩٣ - ١١٦٩) "إن ما يظهر في النهار لكافى ليوصف بالإنحطاط" .)

كما ترفّع أحد رجال الدين القريبين من البابا بينديكت الثالث عشر عن وصف ما يحدث داخل أديرة الراهبات ، إلا أنه قال: "إن حيائى ليمنعنى من وصف الحالة المردية التى وصلت إليها الراهبات ."

(وكانت ممارسة الجنس بين الأمراء والراهبات شائعًا فى إنجلترا . البلد التى كان معظم بنات الطبقة العليا ينخرطن فى سلك الرهبنة .)

ويواصل رجل الدين المعاصر للبابا بينديكت الثالث عشر قوله : (كما كان المسافرين يستمتعون بممارسة الجنس مع الراهبات فى أديرة الراهبات الرومانية ومازال يحدث هذا فى أيامنا هذه ، وهو حسن ضيافة ، تعارفت عليه بيوت الدعارة . بل أكثر من ذلك إن بيوت الراهبات قد تحولت منذ زمن بعيد إلى "أوكار رسمية لممارسة الرذيلة" وقد استُخدِمت فى أحيان أخرى كـ "مواخير للدعارة" ظاهرة للعيان .)

وُشير الأسقف فون تورناى قائلاً: (إن مثل هذه الفضائح لو نُشِرت فى كتب لوسعتها فقط مكتبة من المكتبات العامة.)

(وتشتكى القديسة السريديّة بريحيث (١٣٠٣ - ١٣٧٣) أن بوابة دير الراهبات مفتوح ليل نهار لرجال الدين والقساوسة الكاثوليك ، وكان يتم طرد الكثير من المؤمنات من أماكن عديدة إلى إيطاليا ، بسبب تحول ديرهم إلى بيت دعارة. الأمر الذى دعا الأسقف إيفو فون شارترز أن يقول عن دير سانت فارا St. Fara: "لا تقل عنه أماكن للراهبات المؤمنات ، ولكن قل بيت دعارة للشيطانات.)

وتقول القديسة (كاترين السينائية) كما نقله صاحب كتاب (قصة الحضارة ج ٢١ ص ٨٥): (إنك أينما وليت وجهك . سواء نحو القساوسة أو الأساقفة ، أو غيرهم من رجال الدين أو الطوائف الدينية المختلفة ، أو الأحرار من الطبقات الدنيا أو العليا ، سواء كانوا صغاراً فى السن أو كباراً . لم تر إلا شرّاً ورذيلة تزكم أنفك رائحة الخطايا الآدمية البشعة . إنهم كلهم ضيقوا العقل ، شرهون . . تخلوا عن رعاية الروح . . اتخذوا بطونهم إلهاً لهم ، يأكلون ويشربون فى الولائم الصاخبة ، حيث يتمرغون فى الأقدار ويقضون حياتهم فى الفسق والفجور.) (موقف الإسلام والكنيسة من العلم ص ١٠٣)

ويصف (ماستشو) الرهبان بأنهم (خدم الشيطان ، مُنغمسون فى الفسق واللواط والشره وبيع الوظائف الدينية ، والخروج عن الدين ، ويقر بأنه وجد رجال الجيش أرقى خُلُقاً من رجال الدين.)

ويذكر ديورانت: أن سجل الأديرة احتوت على عشرين مجلداً من المحاكمات بسبب الإتصال الجنسي بين الرهبان والراهبات.

الأمر الذى دفع لوثر فى إصلاحه لذى قام به وأسفر عن إنقسام الكاثوليكية إلى بروتستانتية وكاثوليكية إلى أن يقول: قد يكون الرجل المتزوج أكثر عفة

من الراهب، كما أن فرض التَّبَتُّل على الذين لم يُمنَحوا نعمة العفة . إنما هو بمثابة الحكم عليهم بجَهَنم ، أو بتذوق عذاب المطهر .

فلا يحق للبابا [والكلام مازال للوثر] بعد اليوم أن يمنع ذكرًا أو أنثى من التزاوج ، إلا إذا كان يحق له منع الطعام والشراب . بل إن الزواج بامرأتين قد يُسَمَّح به أيضًا ، كعلاج لاقتراف الإثم ، أى كبديل عن الاتصال الجنسي غير المشروع)

R. Bainton: Sex, Love and Marriage, pp. 83-85

(نقلًا عن تعدد نساء الأنبياء ص ١٥٨)

الفصل المائة

الرحمة والمحبة دفعت الرهبان والراهبات للزنا وقتل أطفالهم :

يقول ديشنر صفحة ١٣٩ : (كان يعيش فى المنازل التى تبرع بها جيلبرت فون سيمبرلنجهام عام ١١٤٨ عدد ٧٠٠ من الرهبان وعدد ١١٠٠ من الراهبات ، وقد تم الفصل بينهم بجدار به شبايك متحركة ، بلغ طول الشباك أصبع اليد وبلغ عرضه الإبهام ، وذلك حتى لا يتمكن الفرد منهم أن يرى الآخر ، عند تخاطبهم سويًا ، ومع ذلك قاموا أيضًا بحراسة المكان من الداخل بإثنين من الراهبات ، ومن الخارج بأحد الرهبان ، وتم الفصل بينهم وقت إلقاء المواعظ وأثناء الطواف بالصليب بمفارش تم تعليقها للحيلولة بينهم ، كما لم يُسَمَّح للراهبات بالغناء فى الكنيسة حتى يتجنبوا الخطر المحتمل من هذا الجانب ، وعلى الرغم من كل هذا أصبحت تقريبًا كل القديسات العذراوات من السيدات منتفخات البطن فى انتظار ولادة أطفال سفاح ، وبعد ذلك تخلصن من أجنتهن . . . وبهذا اتضح وقت الإصلاح الكنسى سبب وجود عظام أطفال صغيرة مدفونة فى أديرتهن وأحيانا فى تلك الأماكن اللآتى اعتدن فيها قضاء حوائجهم .)

الفصل الأول بعد المائة

نظرة الإسلام للحياة الزوجية والتبتل :

ذكرت المرأة في القرآن ٢٤ مرة ، وهو نفس العدد الذى ذكر فيه الرجل . ولم تعد المرأة فى ظل الإسلام كما كانت عند الآخرين دنسًا يجب التنزه عنه ، ولكن تسامى الإسلام بالمرأة إلى علياء السمو ، وجعل الزواج من نعمه سبحانه على عباده . فقد مدح الله فى كتابه الرسل السابقين لأنهم تزوجوا ، فقال : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾ الرعد ٣٨

ومدح عز وجل أولياء ، بأنهم يسألونه ذلك فى دعائهم ، فقال سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٧٤) أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مَنَاجِبَ وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا (٧٦) قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا (٧٧) الفرقان ٧٤-٧٧

كما نهى عن الرهبانية والتبتل : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَكَتَبْنَا عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ الحديد ٢٧

وقال رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام : «تزوجوا فإنى مكاثركم بالأمم يوم القيامة ، ولا تكونوا كرهبانية النصارى» . أخرجه البيهقى ولقد أنصف بمنعه الرهبانية المرأة والرجل وحقَّق الفطرة الإنسانية باعتباره دين الواقعية ودين الفطرة .

واعتبر الزواج من أسس الحياة الهنيئة : ﴿وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢١) الرود ٢١

ولم ير عيبًا فى الزواج ، وجماع الرجل لزوجته ، بل علم المسلمين الطريقة المثلى للجماع ، فلا يقع الرجل على زوجته مثل الحيوانات ، ويستمتع هو

دونها ، فأمر الرجل المسلم أن يُقدِّم لنفسه ويُهَيِّئَ زوجته ونفسه لهذا ، بل وأثاب عليه : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِنَفْسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ اللَّهُ أَنْتُمْ مُلْقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ البقرة ٢٢٣

فببزوغ فجر الإسلام تبددت الأوهام التي كانت تعد الرابطة الزوجية دناءة بهيمية ، ولم يقف الإسلام على ذلك ، بل تسامى بتلك الرابطة فوق طابع الشهوة إلى ممارسة سامية عالية ، فقد أرشد النبي ﷺ الزوجين إلى استصحاب التسمية ، وحضَّ على ذلك لما فيها من الخير الكثير : عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «لو أن أحداكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : "بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا" ، فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك اليوم ، لم يضره الشيطان أبداً» . متفق عليه

وعن أبى سعيد رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الرجل إذا نظر إلى امرأته ، ونظرت إليه ، نظر الله تعالى إليهما نظرة رحمة ، فإذا أخذ بكفها تساقطت ذنوبهما من خلال أصابعهما» . صححه السيوطي

وجعل الله على المرأة واجبات كما أعطاه حقوقاً ، وفرض على الرجل واجبات ، مثل ما فرض عليه من حقوق ، لو أخذ كل منهما واجباته ، وقام بها ، وأعطى الآخر حقوقه ، لاستقام أمر الحياة الزوجية والمجتمع .

لقد حثَّ الله سبحانه وتعالى على التعاون على البر والتقوى ، وحثَّ الرسول ﷺ على ذلك أيضاً بالبحث عن الزوجة الصالحة ، واعتبرها نصف الدين : «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه ، فليتق الله في الشطر الثاني» رواه الحاكم وصححه .

وقال ﷺ : «أربع من السعادة : المرأة الصالحة ، والمسكن الواسع ، والجار الصالح ، والمركب الهنيء ، وأربع من الشقاء : الجار السوء ، والمرأة السوء ، والمركب السوء ، والمسكن الضيق» .

فاعتبر الإسلام الزوجة الصالحة ربع سعادة الإنسان أو ربع شقائه .

الفصل الثانى بعد المائة

دنانسة الحياة الزوجية والدعوة للتبتل :

يقول ديشنر صفحة ١٤٨ : (إن سبب انتشار العزوبة والتبتل فى المسيحية العقيدة التى شاعت فى العالم القديم والتى تنادى بأن العلاقات الجنسية والعبادة لا يجتمعان ؛ وأن دنانسة الحياة الزوجية وقداسة الأعمال الدينية لا يمكن اتحادهما بحال من الأحوال . وهكذا تمّ تبرير هذه الأفكار المستوحاة من الوثنية عن طريق العهد القديم ، الذى حرّم كل ما ينتمى للجنس ، وهذا وهم طقسى لا يعرف عنه العهد الجديد شيئاً . ومع ذلك كانت تُطالب الكنيسة فى الشرق . التى كانت تُقيم قداساً أيام الأحد والأربعاء والجمعة . قساوستها بالزهد [فى جماع زوجاتهم] ، أما فى الغرب فقد تجنب القساوسة زوجاتهم أيام إقامة القداس فى بادئ الأمر فى روما ، والذى كان يُقام كل يوم ، ثم وصل الأمر إلى الإمتناع عن إتيان زوجاتهم كليةً . وكانوا يفعلون ذلك حتى تصبح صورتهم عند الشعب كالمؤمنين الأطهار ، مثل معبود يُشبه صورة الأب أو القائد .) ولا أعرف هل أرادوا بذلك أن يظهروا أمام شعبهم بصورة أقدس من أنبياء الله الذين تزوجوا واعدوا الزوجات .

يقول الدكتور على عبد لوحيد وافى : (فى القرن الثانى قبل الميلاد ظهر عند اليهود اتجاهات (للعزوبة والتبتل) يحمل لواءها جماعة الإسنيين . فقد كان أهم مبادئ هذه الفرقة ، حسب ما يحدثنا به المؤرخ الشهير يوسفوس "الرغبة عن جميع متع الجسم ، والنظر إليها على أنها شرور ، واعتبار التبتل والبعد عن النساء من أمهات الفضائل ، ومن ثمّ حرّموا على أنفسهم الزواج .)

(ولم يكن لهذه المبادئ الإنسانية أثر كبير فى الديانة اليهودية نفسها ، ولم تُطبّق إلا فى نطاق جماعة الإسنيين وحدهم وفى مواطن منعزلة عن الناس ، فإنها تركت آثاراً ذات بال فى الديانة المسيحية التى جاءت بعد ذلك .) (المرجع السابق ٣٦)

فقد ساد في المسيحية الاعتقاد بأن العزوبة أمثل من الزواج ، وأن الحصول أدنى إلى الله ممن يقرب النساء . وفي هذا يقول بولس :

(٣٨) إِذَا مَنْ زَوْجَ فَحَسَنًا يَفْعَلُ وَمَنْ لَا يُزَوِّجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ . (كورنثوس الأولى ٧ : ٣٨)

(١) وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْأُمُورِ الَّتِي كَتَبْتُ لِي عَنْهَا فَحَسَنٌ لِلرَّجُلِ أَنْ لَا يَمَسَّ امْرَأَةً . ٢ وَلَكِنْ لِسَبَبِ الزَّنا لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ امْرَأَتُهُ وَلِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ رَجُلُهَا (كورنثوس الأولى ٧ : ١-٢)

(٨) وَلَكِنْ أَقُولُ لِغَيْرِ الْمُتَزَوِّجِينَ وَلِلْأَرَامِلِ إِنَّهُ حَسَنٌ لَهُمْ إِذَا لَبِثُوا كَمَا أَنَا . ٩ وَلَكِنْ إِنْ لَمْ يَضْطُطُوا أَنْفُسَهُمْ فَلْيَتَزَوَّجُوا لِأَنَّ التَّزَوُّجَ أَصْلَحُ مِنَ التَّحْرِقِ . (كورنثوس الأولى ٧ : ٨-٩)

ويُعلقُ القديس ترتوليان على هذه الفقرة الأخيرة (كورنثوس الأولى ٧ : ٨-٩) فيقول: إن الأفضل من حالتين لا يلزم أن يكون خيراً في ذاته ، فلا إن يفقد الإنسان عيناً واحدة أفضل من أن يفقد كلتا عينيه . ولكن فقد عين واحدة ليس من الخير في شيء . فكَذلك الزواج : فهو لمن يقو على العفة أفضل من أن يُحرق بنار جهنم . ولكن الخير أن يتقى الإنسان الأمرين معاً : فلا يتزوج ؛ ولا يُعرض نفسه لعذاب النار . وإن قصارى ما يحققه الزواج أنه يعصم الفرد من الخطيئة ، على حين أن التبتل يروض المرء على أعمال القديسين ويذل له السبيل إلى منزلة الإشراق ، ويُتيح له أن يأتي بالمعجزات . فـجسم المسيح نفسه قد جاء من بتول عذراء .

(والقديس يوحنا المعمدان والرسول بطرس وجميع إخوانه الحواريين ، الذين سجلت أسماؤهم في سفر الخلود آثروا التبتل وحثوا الناس عليه .)

(وقد استطاعت مريم البتول أخت موسى أن تعبر البحر هي وجميع من كن يسرن خلفها من النساء فانشق لهن فيه طريق يبس وانتهين إلى الساحل الآخر سالمات .)

(والتقيسة البتول تكلا قد ألقى بها الكفار إلى الأسد الجائع فوجمت
الأسود أمامها ورقدت تحت قدميها دون أن تمسها بسوء.)

(وقد فتح السيد المسيح للخصبان أبواب السماء لأن حالتهم قد باعدت
بينهم وبين الإقتراب من النساء ولو أن آدم لم يعص ربه لعاش طاهرًا
حصورًا ولتكاثر النوع الإنساني بطرق أخرى غير هذه الطرق البهيمية ، ولعمرت
الجنة بفصيلة من الطاهرين الخالدين.)

(إلا أن توماس الإكويني يرى أنه منذ بدء الخليقة قد جعل الله بقاء النوع
وانتشاره متوقفين على الاتصال الجنسي ، الذي لم يكن في بدء الخليقة
منطويًا على اللذة الجنسية التي امتزجت به بعد أن هبط آدم من الجنة.)

يؤكد هذا كلام القديس جيروم الذي قال: (لنضرب بالبلطة شجرة الزواج
الجافة فإن الله إنما سمح بالزواج في بداية العالم ، ولكن المسيح ومريم لم
يتزوجا وبقيت مريم عذراء.) (حقوق المرأة ص ١٥٩)

(وينظر كثير من فقهاء الكنيسة المسيحية إلى هذه الحقائق على أنها من
الأمر المسلمة في الدين بالضرورة ، أي التي لا يجوز إنكارها ولا الشك
فيها ، حتى إن مجمع ميديولاننس المسيحي قد حكم في أواخر القرن الرابع
الميلادي على الراهب جوفينيان بالطرده من الكنيسة لأنه عارض المبدأ
المسيحي الذي يقرر أن التبثل خير من الزواج.)

(وينظر هؤلاء الفقهاء كذلك إلى الزواج على أنه مجرد ضرورة لبقاء النوع
الإنساني ولصيانة الفرد من الفاحشة . ومن ثم لا ينبغي في نظرهم للمسيحي
المتزوج أن يطلق لنفسه العنان في إشباع شهواته ، بل أن يفيد من ذلك بقصد
واعتماد وفي الحدود التي تحقق الذرية والنسل دون أن يلقي في الأرض
بذورًا أخرى.)

(وقد ذهبت فرقة المارسينيين (وهي فرقة مسيحية اعتنقت مذهب مرسيون)
إلى ما هو أبعد من ذلك ، فحرمت الزواج تحريمًا باتًا على جميع أفراد

نحلتها ، كما فعلت فرقة الإسنيين من اليهود ، وأوجبت على كل متزوج يرغب فى اعتناق مذهبها من الذكور والإناث أن يفرق عن زوجته ، وبدون ذلك لا يمكن قبوله ولا تعميده . (قصة الزواج والعزوبة فى العالم ص ٣٥-٣٩)

هذه على الرغم من تعاليم عيسى عليه السلام المشددة بتجنب الزنا ، ومن البديهي أنه لا يمكن للإنسان أن يحصن نفسه إلا بالزواج ، ولا يمكن أن يتجنب الزنا إلا بالزواج ، وقد رأينا ذلك فى تصرفات كبار رجال الدين من الرهبان والقساوسة والأساقفة ، بل والباباوات أنفسهم . وكذلك منع الطلاق (على حد قول متى) ، ومعنى ذلك أنه أمر باستمرار الحياة الزوجية ، وأن يحتفظ الإنسان بامرأته ويحاول إسعادها هى وأولادهم والعيش معهم فى سعادة ، وإلا لما استمرت الحياة الزوجية : (٢٧) «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقَدَمَاءِ : لَا تَزْنِ . وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ : إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ . ٢٩ فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ الْيُمْنَى تُعْزِرُكَ فَأَقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلَا يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ . ٣٠ وَإِنْ كَانَتْ يَدُكَ الْيُمْنَى تُعْزِرُكَ فَأَقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ لِأَنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلَا يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ . ٣١ وَقِيلَ : مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلَاقٍ ٣٢ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ : إِنْ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلَّا لِعِلَّةِ الزَّنى يَجْعَلُهَا تَزْنِي وَمَنْ يَتَزَوَّجْ مُطْلَقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي .) متى ٥ : ٢٧-٣٢

كذلك أمر أن تحتشم المرأة فى لباسها لئلا يودى ذلك إلى كوارث قلع العين وقطع اليد وتدمير الحياة الإقتصادية فى البلد .

الفصل الثالث بعد المائة

عيسى عليه السلام والعزوبة :

يقول ديشنر فى كتابه ص ٦١ تحت عنوان (لم يتكلم عيسى عن العزوبة) : هناك نص غريب فى الكتاب المقدس يقول : (١٢) «لأنه يوجد خَصِيَانٌ وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بَطْنِ أُمَّهَاتِهِمْ وَيُوجَدُ خَصِيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ وَيُوجَدُ خَصِيَانٌ

خَصَّوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكَوَاتِ السَّمَاوَاتِ. مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيُقْبَلْ».) [متى ١٩ : ١٢] ولا يوجد هذا النص الغريب الذى دفع النصارى إلى إخصاء أنفسهم إلا عند متى ، ولا يعرف عنه باقى كتبه الأناجيل شيئاً. وربما وضعها متى من عند نفسه وأضافها إلى كتابه ، ولم يكن النص معروفاً كذلك فى عصر بولس ، وإلا لكان بولس تجاهل قذف النساء والزواج ، كما فعل فى رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس الفصل السابع ، حيث أكد أن الرب لم يذكر شيئاً عن العذارى. [٢٥] وَأَمَّا الْعَذَارَى فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ وَلَكِنِّي أُعْطِيَ رَأْيًا كَمَنْ رَحِمَهُ الرَّبُّ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا. ٢٦ فَأَظُنُّ أَنَّ هَذَا حَسَنٌ لِسَبَبِ الضُّيقِ الْحَاضِرِ. أَنَّهُ حَسَنٌ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا: (كورنثوس الأولى ٧ : ٢٥-٢٦)

ويقول ديشنر فى كتابه ص ٦٢ : (ومن لعجيب أن عيسى [عليه السلام] لم يتكلم عن العذاب أو غير المتزوجين ، ولم يتكلم إلا عن المختونين ، أى المأهلين للزواج وليسوا أخصاء.) كما كان أخوة يسوع الذين انضموا فيما بعد للجماعة متزوجين ، وكذلك كان تلاميذه الأكبر سناً. بل إن بعضهم اصطحب زوجته معه فى الرحلات التبشيرية ، وكان بطرس أحدهم ، وبذلك يكون يسوع قد محى كل ما هو من شأنه الإساءة للمرأة أو للزواج.)

بل إن كل زوبعة تُثار حول الزواج فهى من المخالفات الغريبة على دين يسوع ، والتى أدخلها بولس وحده إلى المسيحية ، والتى كانت بدورها سبباً فى تلوّث سمعة النصرانية وتاريخها على مر العصور. ويتضح هذا من تعاليم عيسى عليه السلام التى تنادى بأن الزواج يجعل الرجل وزوجته جسداً واحداً. (مستنداً إلى ديشنر ص ٦٢)

الفصل الرابع بعد المائة

لماذا لم يتزوج عيسى؟ :

كان عيسى عليه السلام أول مولود من أمه ، فهو إذن أول فاتح رحم (أول بكر) ، وأول بكر يكون منذوراً لله : (٢٢) وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا حَسَبَ شَرِيعَةِ

مُوسَى صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ ٢٣ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ
الرَّبِّ: أَنْ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحٍ رَحِمٍ يَدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ. (لوقا ٢: ٢٣-٢٢)

والمنفرد لعبادة الرب: (١) وَأَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى: ٢ «قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: إِذَا انْفَرَزَ
رَجُلٌ أَوْ امْرَأَةٌ لِيَنْذَرَ نَذْرَ النَّذِيرِ لِيَنْتَذِرَ لِلرَّبِّ ٣ فَعَنِ الْخَمْرِ وَالْمُسْكِرِ يَفْتَرِزُ وَلَا
يَشْرَبُ خَلَّ الْخَمْرِ وَلَا خَلَّ الْمُسْكِرِ وَلَا يَشْرَبُ مِنْ نَقِيعِ الْعِنَبِ وَلَا يَأْكُلُ عِنَبًا
رَطْبًا وَلَا يَابِسًا. ٤ كُلَّ أَيَّامِ نَذْرِهِ لَا يَأْكُلُ مِنْ كُلِّ مَا يَعْمَلُ مِنْ جَفْنَةِ الْخَمْرِ مِنَ
الْعَجَمِ حَتَّى الْقَشْرِ. ٥ كُلَّ أَيَّامِ نَذْرِ افْتِرَازِهِ لَا يَمُرُّ مُوسَى عَلَى رَأْسِهِ. إِلَى
كَمَالِ الْأَيَّامِ الَّتِي انْتَذَرَ فِيهَا لِلرَّبِّ يَكُونُ مُقَدَّسًا وَيُرَبِّي خُصْلَ شَعْرِ رَأْسِهِ. ٦ كُلَّ
أَيَّامِ انْتِذَارِهِ لِلرَّبِّ لَا يَأْتِي إِلَى جَسَدِ مَيِّتٍ. ٧ أَبُوهُ وَأُمُّهُ وَأَخُوهُ وَأُخْتُهُ لَا يَتَنَجَّسُ
مِنْ أَجْلِهِمْ عِنْدَ مَوْتِهِمْ لِأَنَّ انْتِذَارَ إِلَهِهِ عَلَى رَأْسِهِ. ٨ إِنَّهُ كُلَّ أَيَّامِ انْتِذَارِهِ مُقَدَّسٌ
لِلرَّبِّ. (عدد ٦: ١-٨)

وعلى ذلك لم يكن له أن يتزوج النساء أو يشرب الخمر أو أى مسكر ولا
يلمس أى شىء نجس ولا يحلق شعره!

الفصل الخامس بعد المائة

لماذا لم تتزوج مريم؟

وكيف تقبل امرأة تتزوج بالإله العظيم مالك الملك، قاصم الجبابرة، أرحم
الراحمين، المعطى المانع، المعز المذل، الرافع الخافض، وتكون أمه فى نفس
الوقت ثم تتركه لتتزوج غيره من البشر؟ فهل غدر بها الإله وتركها؟ أم طلقها ولم
يعلن ذلك خوفا على سمعته؟ أم كان الشر أجدر وأظرف من الإله فتركت الإله
من أجله؟ وهل خطبت لاثنتين أم هذا خطأ من متى أو من لوقا؟ أم أخطأ الكاتبان
ولم تتزوج لأنها أول فاتحة رحم؟ فمن المعروف أن أول مولود من أمه (= أول
فاتح رحم) فيكون عمره كله منذور لله (١) وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: ٢ «قَدَّسْ لِي كُلَّ
بِكْرٍ كُلِّ فَاتِحٍ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ النَّاسِ وَمِنْ الْبَهَائِمِ. إِنَّهُ لِي.» (خروج
١٣: ٢-١، وكذلك لوقا ٢: ٢٢-٢٣،

فمعنى ذلك أنه ليس من حقها أن تتزوج. فلماذا خُطِبت؟ فى الحقيقة لم تكن أيضًا مخطوبة ولو كانت مخطوبة . لاعتبرت بشارة الملاك لها بشارة سعيدة يُنبئها فيها بإتمام زواجها من يوسف ، ولفهمت أن الإنجاب سيكون منه .

وقد ورد فى كتاب «بروت إفانجيوم» [أى إنجيل الخبز] ليعقوب الصغير (أصحاحات ٣-٥) «فرفعت حنة عينيها إلى السماء فرأت عشا عصفير فى شجرة غار، فتنهدت قائلة: يا أحاح يا أحاح، من ولدنى أح . . . ومن أشبه؟ فلستُ مثل طيور السماء لأن طيور السماء أيضًا هى ذات ثمار أمامك يا رب» . . وإذا بملاك الرب وقف بجانبها قائلاً لها: يا حنة، إن الرب استجاب طلباتك فستحبلين وتلدن ويذاع صيت نسلك فى جميع أنحاء العالم. فقالت حنة: حيّ هو الرب إلهي، إذا ولدت ذكرًا كان أو أنثى نذرته للرب إلهي وسيخدمه طول أيام حياته . . وتمت أشهرها وولدت حنة فى الشهر التاسع . . وأرضعت الطفلة وسمّتها مريم» .

وفى (الإصحاحات ٧ و ١١): أن مجلس الكهنة قالوا ليوسف: صار لك حق بواسطة القرعة أن تتخذ عذراء الرب ، فخذها وديعة عندك.) أى لم يعطوها له زوجة ولم يتزوجها ، بل كانت وديعة عنده .

يؤكد هذا الكلام القديس جيروم الذى قال: (لنضرب بالبلطة شجرة الزواج الجافة فإن الله إنما سمح بالزواج فى بداية العالم ، ولكن المسيح ومريم لم يتزوجا وبقيت مريم عذراء .) (حقوق المرأة ص ١٥٩)

ولكن كتبة الأنجيل ادعوا زواجها درءاً لتهمة ولادة يسوع بدون أب فقد كان اليهود يرمون أمه بالزنى ، ويبدو أنهم لم يصدقوا معجزة ولادته من عذراء أو تجنبوا الخوض فيها خوفاً من تهكم أحد عليهم .

الفصل السادس بعد المائة

تعدد الزوجات والخجل من العزوبة :

يقول عالم اللغات القديمة دى بغلى فى كتابه (الأحكام العبرية) نقلا عن (تعدد نساء الأنبياء للواء أحمد عبد لوهاب : (أما فى البلاد المتمدنة [الأوروبية] ، المحرم فيها تعدد الزوجات ، فإن الأسباب الداعية إلى تعدد الزوجات موجودة ، ولكن طرق الحصول على قضاء الشهوة عند الضرورة الداعية إليها تختلف عن طرق البلاد غير المتمدنة [بقية العالم] فى الاسم والصفة . فيتخذ بعض الرجال الأخدان سرا وعلانية إذ يقضون شهوتهم مع المومسات والعاهرات . وهما طريقتان مفضلتان عن تعدد الزوجات عند الناس ، إلا أن فيهما الضرر على النساء والأولاد ، فلا يُستحسنان من هذه الوجهة .

إن تعدد الزوجات مباح فى أغلب بلاد المعمورة ما عدا أوروبا ، ولكن لا تظن أن تحريمه فى أوروبا قديم جد ، فقد كان مباحا حتى عهد النصرانية ، وأعظم دليل عليه ، زواج الملك شارلمان بأكثر من واحدة ، وما كان يفعله القسس مدة انتشار تعدد الزوجات فى أوروبا ، أنهم كانوا يأمرؤن الناس المتزوجين بأكثر من واحدة ، أن يختاروا لهم من بينهم واحدة يُطلق عليها اسم زوجة ، وعلى غيرهن اسم خدن .

ونحن وإن كنا نسلم بأن أحسن زواج يُشرع هو الزواج بامرأة واحدة ، وأن أحسن نظام عائلى لا يتأتى إلا إذا اقتصر الزوج على زوجة واحدة ، ولكننا لا نرى فى تعدد الزوجات ما رآه فيه غيرنا من الفظاعة والمغايرة للطبيعة ، وما يصفه بعض بسطاء العقول ، بل نحن على خلافهم نجد فيه كثيرا من الفوائد الحسية والمعنوية ، ونراه أقرب إلى الطبيعة البشرية خصوصا طبيعة الرجال .

وأقل ما فى تعدد الزوجات من الفوائد الحسية تحسين النسل . وأما كون النسل يتحسن بهذه الوساطة فظاهر مشاهد فى الحيوانات جميعا ، لأن الناس يختارون القوى من الذكور للتلقيح ، ولا يختارون الضعيف ردى البذرة .

إن الاقتصار على زوجة واحدة لم يأت بالغرض المقصود منه حيث لم يمح أنواع الزيجات الأخرى. وغاية ما في الأمر أن الناس ينظرون إلى تلك الأنواع بعين غير العين التي ينظرون بها إلى الزواج، وأن النساء المتخذات أخدان بهذه النوعية صرن مغبونات بشريعة النكاح. لأن مضار التسرى واتخاذ الخدن غير المشروع عائدته عليهن وحدهن، كما أن عقاب الزنا والسفاح لا يصيب في الغالب غير النساء.

لقد قلنا إن أحسن شكل. وأكمل نظام للزواج هو اقتصار الرجل على نكاح امرأة واحدة، إلا أن الجارى في العالم يخالف هذه السنة الشريفة، فلا تجد بلدا يخلو من زيجات مغايرة لأحكام هذا الزواج، حتى المحرم فيها تعدد الزوجات تحريماً قطعياً (مثل المجتمعات المسيحية)، وذلك لأسباب جمّة تضطر الرجل أو المرأة إلى مخالفة شرع الزواج وحدوده، منها: ميل الذكر بفطرته إلى تعدد الزوجات، ومنها موانع بدنية تطرأ على المرأة فتحرم الرجل من الاجتماع بها، وتمنعه عنها مدداً بعضها قصيرة، وبعضها طويلة كالحيض والنفاس واشتغالها بالرضاع. ومنها غياب الرجال في الخدمة العسكرية واضطرارهم إلى ترك سائهم أثناءها لصعوبة الجمع بين معيشة الزوجية والخدمة العسكرية.

ولقد نسخ هذا التسرى الرومان بحكم النصرانية، ولكن الأوربيين لا يزالون يتخذون الأخدان ولم يتبعوا شرعهم الدينى فى تحريم تعدد الزوجات. . ولا يعاقبون على التسرى واتخاذ الأخدان، ويغضون الطرف عنه ولو أنه غير جائز شرعاً.)

بمنع تعدد الزوجات عند النصارى وانتشار الزنا فى الدول الأوروبية، ويكون كل من اقترف هذه الرذيلة من المحصنين والمحصنات يستحق القتل رجماً: (١٠) وَإِذَا زَنَى رَجُلٌ مَعَ امْرَأَةٍ فَإِذَا زَنَى مَعَ امْرَأَةٍ قَرِيبِهِ فَإِنَّهُ يُقْتَلُ الزَّانِي وَالزَّانِيَةُ. (لاويين ٢٠: ١٠ وتثنى ٢٢: ٢٤)

(٢٣) إِذَا كَانَتْ فَتَاةٌ عَذْرَاءً مَخْطُوبَةً لِرَجُلٍ فَوَجَدَهَا رَجُلٌ فِي الْمَدِينَةِ وَاضْطَجَعَ مَعَهَا ٢٤ فَأَخْرِجُوهُمَا كِلَيْهِمَا إِلَى بَابِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَارْجُمُوهُمَا

بِالْحِجَارَةِ حَتَّى يَمُوتَا . الْفَتَاةُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا لَمْ تَصْرُحْ فِي الْمَدِينَةِ وَالرَّجُلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَذَلَّ امْرَأَةً صَاحِبِهِ . فَتَنْزِعُ الشَّرَّ مِنْ وَسْطِكَ .) تثنية ٢٢ : ٢٣-٢٤

جاء في كتاب (الأحكام العبرية) الكتاب السابع فصل النكاح . المادة ٣٩٣ (كما يقول اللواء أحمد عبد الوهاب صفحة ١١٦ من كتابه (تعدد نساء الأنبياء ومكانة لمرأة) : (النكاح بنية التناسل ودوام حفظ النوع الإنساني فرض على كل يهودي ، ومن تأخر عن أداء هذا الفرض وعاش عزبا بدون زواج كان سببا في غضب الله على بني إسرائيل .)

ويقول نيوفيلد صاحب كتاب قوانين الزواج عند العبرانيين الأقدمين : (إن التلمود والتوراة معا قد أباحا تعدد الزوجات على إطلاقه ، وإن كان بعض الربانيين ينصحون بالقصد في عدد الزوجات . وإن قوانين البابليين وجيرانهم من الأمم التي اختلط بها بنو إسرائيل كانوا جميعا على مثل هذه الشريعة في اتخاذ الزوجات والإماء .) (في محكمة التاريخ ص ٩٨)

إن التناسل لا يتم إلا بالزواج ، وليس بالخصى واعتزال النساء (كما صرح متى قائلا : (١٢) لَأَنَّهُ يُوجَدُ خِصْيَانٌ وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمُ النَّاسُ وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَّوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ . مِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ .) متى ١٩ : ١٢

كذلك التكاثر لا يتم إلا بالحض على الزواج ، وإباحة تعدد الزوجات ، وليس بتجنب الزوجات والترغيب في العزوبة ، كما فعل بولس : (١) وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الْأُمُورِ الَّتِي كَتَبْتُمْ لِي عَنْهَا فَحَسَنُ لِلرَّجُلِ أَنْ لَا يَمَسَّ امْرَأَةً . ٢ وَلَكِنْ لِسَبَبِ الزَّنا لِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدٍ امْرَأَتُهُ وَلِيَكُنْ لِكُلِّ وَاحِدَةٍ رَجُلُهَا .) كورنثوس الأولى ٧ : ١-٢

(٣٨) إِذَا مِنْ زَوْجٍ فَحَسَنًا يَفْعَلُ وَمَنْ لَا يَزُوجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ . ٣٩ الْمَرْأَةُ مُرْتَبِطَةٌ بِالنَّامُوسِ مَا دَامَ رَجُلُهَا حَيًّا . وَلَكِنْ إِنْ مَاتَ رَجُلُهَا فَهِيَ حُرَّةٌ لِكَيْ تَتَزَوَّجَ بِمَنْ تُرِيدُ فِي الرَّبِّ فَقَطْ . ٤٠ وَلَكِنَّهَا أَكْثَرُ غَبْطَةً إِنْ لَبِثَتْ هَكَذَا بِحَسَبِ رَأْيِي . وَأَظُنُّ أَنِّي أَنَا أَيْضًا عِنْدِي رُوحُ اللَّهِ .) كورنثوس الأولى ٧ : ٣٨-٤٠

(١) وَعَادَ إِبْرَاهِيمُ فَأَخَذَ زَوْجَةً اسْمُهَا قُطُورَةُ (تكوين ٢٥ : ١)

(ويذكر الطبرى اسم زوجة أخرى له وهى حجور بنت ارهبر ، فولدت له خمسة بنين : كيسان ، وشورخ ، وأميم ، ولوطان ، ونافس) الجزء الأول ص ٣١١ (نقلا عن تعدد نساء الأنبياء ص ١١)

تزوج يعقوب من أربعة على الأقل : ليثة وراحيل وبلهة وزلفة :

(٢٣) وَكَانَ فِي الْمَسَاءِ أَنَّهُ أَخَذَ لَيْثَةً ابْنَتَهُ وَأَتَى بِهَا إِلَيْهِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا . (تكوين ٢٩ : ٢٣)

(٢٨) فَفَعَلَ يَعْقُوبُ هَكَذَا . فَأَكْمَلَ أَسْبُوعَ هَذِهِ فَأَعْطَاهُ رَاحِيلَ ابْنَتَهُ زَوْجَةً لَهُ (تكوين ٢٩ : ٢٨)

(٤) فَأَعْطَتْهُ بِلْهَةً جَارِيَّتَهَا زَوْجَةً فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَعْقُوبُ (تكوين ٣٠ : ٤)

(٩) وَلَمَّا رَأَتْ لَيْثَةً أَنَّهَا تَوَقَّفَتْ عَنِ الْوِلَادَةِ أَخَذَتْ زِلْفَةً جَارِيَّتَهَا وَأَعْطَتْهَا لِيَعْقُوبَ زَوْجَةً (تكوين ٣٠ : ٩)

(٢١) وَلَا تَنْسَهُ امْرَأَةً قَرِيبِكَ وَلَا تَنْسَهُ بَيْتَ قَرِيبِكَ وَلَا حَقْلَهُ وَلَا عَبْدَهُ وَلَا أَمَتَهُ وَلَا ثَوْرَهُ وَلَا جَمَارَهُ وَلَا كُلَّ مَا لِقَرِيبِكَ . (تثنية ٥ : ٢١)

كما تزوج موسى من اثنتين :

ابنة يثرون (١) وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْغَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيمِهِ كَاهِنِ مِديَانَ (خروج ٣ : ١)

وامرأة كوشية : (١) وَتَكَلَّمْتُ مَرْيَمَ وَهَارُونَ عَلَى مُوسَى بِسَبَبِ الْمَرْأَةِ الْكُوشِيَّةِ الَّتِي اتَّخَذَهَا (لأنه كان قد اتخذ امرأة كوشية) عدد ١٢ : ١

ويقول سفر القضاة : إنه كان لجدةون ٧٠ ولذا : (٣٠) وَكَانَ لِحَدْعُونَ سَبْعُونَ وَلَدًا خَارِجُونَ مِنْ صُلْبِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ . ٣١ وَسُرِّيَّتُهُ الَّتِي فِي شَكِيمٍ وَلَدَتْ لَهُ هِيَ أَيْضًا ابْنًا فَسَمَاهُ أَبِيمَالِكُ . (قضاة ٨ : ٣٠-٣١)

وفى استقراء لعدد نساء جدعون بمعلومية أولاده يقول اللواء أحمد عبد الوهاب :

أنجب ابراهيم ١٣ ولداً من ٤ نساء ، هن هاجر ، وسارة ، وقطورة ، وحجور

فيكون المتوسط ٣ أولاد لكل امرأة.

كذلك أنجب يعقوب ١٢ ولدا من ٤ نساء

فيكون المتوسط ٣ أولاد لكل امرأة.

وبما أن جدعون أنجب ٧٠ ولداً . فيكون عدد نساؤه إذاً لا يقل ٢٣ امرأة .

الأمر الذى يتفق مع قول الكتاب (لأنَّهُ كَانَتْ لَهُ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ)

(١٣) وَقَضَى بَعْدَهُ لِإِسْرَائِيلَ عَبْدُونَ بَنُو هَلِيلَ الْفَرْعَوْنِيِّ . ١٤ وَكَانَ لَهُ

أَرْبَعُونَ ابْنًا) قضاة ١٢ : ١٣-١٤

وبنفس عملية الإستقراء يكون عبدون قد تزوج ١٣ زوجة غير السرى

ونساء داود هن : ميكال ابنة شاول ، وأبيجايل امرأة نابال الكرملى ،

وأخينوعم اليزرعيلية ، ومعكة بنت تلماي ملك جشور ، وحجيث ، وأيصال ،

وعجلة ، وبشبع امرأة أوريا الحثى ، وأبيشج الشونمية .

وكان لداود زوجات أخريات من أورشليم ، سكنت الأسفار عن ذكرهن ،

وقدر عددهن بنحو ٢٠ زوجة . ويمكننا استقراء عددهم كالاتى :

ملك داود فى حبرون على سبط يهوذا حوالى ٧ سنين ، كانت معه ٦

زوجات ، أى بمعدل زوجة جديدة كل سنة .

ولما انتقل داود إلى أورشليم ملكاً على كل إسرائيل ، كان عمره نحو ٣٧

سنة . ومكث فى أورشليم حوالى ٣٣ سنة .

ويمكننا تقسيم مدة حياته فى أورشليم إلى ثلاث فترات ، تبلغ كل منها

إحدى عشر سنة ، ويكون المعدل المقبول هو زوجة جديدة كل سنة للفترة

الأولى ، وزوجة جديدة كل سنتين للفترة الثانية ، وزوجة جديدة للفترة الثالثة :

$$١١ + ٥ + ٤ = ٢٠ زوجة$$

وبذلك يكون عدد زوجات داود الجدد الثلاثى أخذهن فى أورشليم هو ٢٠

زوجة على الأقل ، غير زوجاته التسع الأخريات وبذلك يكون عنده ٢٩ زوجة

غير السرى الذين قدرهم اللواء مهديس أحمد عبد الوهاب ب ٤٠ زوجة ،

وبذلك كان عند داود ٦٩ زوجة .

فقد تزوج رحبعام من ١٨ امرأة و ٦٠ من السراري ، كما تزوج سليمان من ٧٠٠ امرأة و ٣٠٠ من السراي : (٢١) وَحَبَّ رَحْبَعَامُ بَنَتَ أَبْشَاوَمَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ نِسَائِهِ وَسَرَارِيهِ لِأَنَّهُ اتَّخَذَ ثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً وَسِتِّينَ سُرِّيَّةً وَوَلَدَ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ ابْنًا وَسِتِّينَ ابْنَةً .) أخبار الأيام الثاني ١١ : ٢١

(فَانْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهَوْلَاءَ بِالْمَحَبَّةِ . ٣ وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ . فَأَمَلَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ .) ملوك الأول ١١ : ٣ من الجدير بالذكر إذا أن تعدد الزوجات أباحته كل الأديان ولم تفرضه ، وكاننا الكنيسة والدولة تقرانه إلى منتصف القرن ١٨ . وكانت علة الإكتفاء بواحدة مهانة للمرأة ، إذ عللوا ذلك بالإكتفاء بشر واحد . لذلك كانت الرهبة عندهم وعدم الزواج من الأمور السامية التي يتخلصون فيها من الشر الذي هو الأنثى . أترون الآن أن تعدد الزوجات رفعة لشأن المرأة . فلو كان الرجل يحتقرها لاكتفى بواحدة أو زهد فيهن .

أضف إلى ذلك أقوال التوراة الصريحة بتعدد الزوجات :

(١٠) إِنْ اتَّخَذَ لِنَفْسِهِ أُخْرَى لَا يَنْقُصُ طَعَامُهَا وَكِسْوَتُهَا وَمُعَاشَرَتُهَا .) خروج

٢١ : ١٠

(١٥) «إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالْأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ فَوَلَدَتَا لَهُ بَيْنَ الْمَحْبُوبَةِ وَالْمَكْرُوهَةِ . فَإِنْ كَانَ لِابْنِ الْبِكْرِ لِلْمَكْرُوهَةِ ١٦ فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبْنِهِ مَا كَانَ لَهُ لَا يَجِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدَّمَ ابْنُ الْمَحْبُوبَةِ بِكْرًا عَلَى ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبِكْرِ ١٧ بَلْ يَعْرِفُ ابْنُ الْمَكْرُوهَةِ بِكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوْجَدُ عِنْدَهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ . لَهُ حَقُّ الْبِكُورِيَّةِ .) تكوين ٢٦ : ٣٤

(١٣) وَأَخَذَ دَاوُدُ أَيْضًا سَرَارِيَّ وَنِسَاءً مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنْ حَبْرُونَ ، فَوُلِدَ أَيْضًا لِدَاوُدَ بَنُونَ وَبَنَاتٌ .) صموئيل الثاني ٥ : ١٣

(٧) فَقَالَ نَاتَانُ لِدَاوُدَ : «أَنْتَ هُوَ الرَّجُلُ ! هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ : أَنَا

مَسَحْتُكَ مَلِكًا عَلَى إِسْرَائِيلَ وَأَنْقَذْتُكَ مِنْ يَدِ شَاوُلَ ٨ وَأَعْطَيْتُكَ بَيْتَ سَيِّدِكَ
وَنِسَاءَ سَيِّدِكَ فِي حِضْنِكَ، صموئيل الثاني ١٢ : ٧-٨

اسم النبي	عدد أولاده	عدد زوجاته	الشاهد
إبراهيم	٢ + ٦ + ٥	٤ - ٣ السرارى سارة وهاجر قطورة وحجور	تكوين ٢٠ : ١٢ تكوين ١٦ : ٤
يعقوب	٦ + ٢ + ٢ + ٢ = ١٢	٤ + السرارى ليئة وراحيل وبلهة وزلفة	تكوين ٢٩ : ٢٣، تكوين ٢٩ : ٢٨، تكوين ٣٠ : ٤، تثنية ٥ : ٢١
موسى		٢ + السرارى صفورة والكوشية	خروج ٣ : ١، عدد ١٢ : ١
جدعون	٧٠ ولداً	٢٣	قضاة ٨ : ٣٠-٣١
عبدون	٤٠ ولداً	١٣ + السرارى	قضاة ١٢ : ١٣-١٤
ابصان	٣٠ + ٣٠ ابنة	٢٠ + السرارى	قضاة ١٢ : ٩
يائير الجلعادى	٣٠ ولداً		قضاة ١٠ : ٣-٤
داود		٩ + ٢٠ + ٤٠ = ٦٩	
سليمان		٧٠٠ + ٣٠٠	ملوك الأول ١١ : ٣
رجعام	٢٨ + ٦٠	١٨ + ٦٠	أخبار الأيام الثاني ١١ : ٢١
محمد		٩ + ٣ زوجة	

وكانت الزوجة الأولى أسعد الزوجات حظاً ، فقد كانت تُستثنى من

الأعمال المرهقة ، ويحميها القانون ، أما الزوجات الأخريات اللاتي يتزوجن الرجل الروماني المسيحي بعد زوجته الأولى فقد كُنَّ يُعاملن معاملة العبيد ، ويعشن تحت رحمة أزواجهن ، وأهوائهن وميولهن وخواطرن ، فلهن الحق في بيعهن ، والتنازل عنهن لغيرهن ، وتأجيرهن لمن يرغب في استئجارهن .

وكان أطفال الزوجات غير الزوجة الأولى يوصفون بأقبح الصفات ، ويعاملون معاملة أبناء الزنى أو اللقطاء ، ويُحرمون أن يرثوا آباءهم أو يأخذوا أى نصيب من تركه آبائهم و ثروتهم ، ويعاملون في المجتمع كما يُعامل المنبوذون . هذا على الرغم من أن التوراة تعطي الابن البكر حق البكورية في الميراث ، سواء كان هذا الابن من الزوجة الأولى أم من غيرها : (١٥) «إِذَا كَانَ لِرَجُلِ امْرَأَتَيْنِ إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةً وَالْأُخْرَى مَكْرُوهَةً قَوْلَدْنَا لَهُ بَيْنَ الْمَحْبُوبَةِ وَالْمَكْرُوهَةِ . فَإِنْ كَانَ الْإِبْنُ الْبَكْرُ لِلْمَكْرُوهَةِ ١٦ فَيَوْمَ يَقْسِمُ لِبْنِهِ مَا كَانَ لَهُ لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَقْدَّمَ ابْنُ الْمَحْبُوبَةِ بِكْرًا عَلَى ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبَكْر ١٧ بَلْ يَعْرِفُ ابْنُ الْمَكْرُوهَةِ بِكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوْجَدُ عِنْدَهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ . لَهُ حَقُّ الْبِكُورِيَّةِ .) تثنية ٢١ : ١٥-١٧

وقد كان من أسباط بنى إسرائيل أربعة من زوجتين : اثنان منهما من الزوجة الثانية واثنان من الزوجة الرابعة : فقد كان (دان) و(نفثالي) ابني يعقوب من بلهة جارية راحيل ، وكذلك (جاد) و(أشير) ابني يعقوب من زلفة جارية ليهة من الأسباط الإثني عشر ذرية يعقوب عليه السلام : (١) فَلَمَّا رَأَتْ رَاحِيلُ أَنَّهَا لَمْ تَلِدْ لِيَعْقُوبَ غَارَتْ رَاحِيلُ مِنْ أُخْتِهَا وَقَالَتْ لِيَعْقُوبَ : «هَبْ لِي بَيْنَ وَإِلَّا فَأَنَا أَمُوتُ» . ٢ فَحَمِي غَضَبُ يَعْقُوبَ عَلَى رَاحِيلَ وَقَالَ : «أَلَعَلِّي مَكَانَ اللَّهِ الَّذِي مَنَعَ عَنْكَ ثَمَرَةَ الْبَطْنِ؟» ٣ فَقَالَتْ : «هُوَذَا جَارِيَّتِي بِلَهَةٍ . ادْخُلْ عَلَيْهَا فَتَلِدْ عَلَيَّ رُكْبَتِي وَارْزُقْ أَنَا أَيْضًا مِنْهَا بَيْنَ» . ٤ فَأَعْطَتْهُ بِلَهَةَ جَارِيَّتِهَا زَوْجَةً فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَعْقُوبُ ٥ فَحَبَلَتْ بِلَهَةٍ وَوَلَدَتْ لِيَعْقُوبَ ابْنًا ٦ فَقَالَتْ رَاحِيلُ : «قَدْ قَضَى لِيِ اللَّهُ وَسَمِعَ أَيْضًا لِصَوْتِي وَأَعْطَانِي ابْنًا» . لِذَلِكَ دَعَتْ اسْمَهُ «دَانًا» . ٧ وَحَبَلَتْ أَيْضًا بِلَهَةَ جَارِيَّةِ رَاحِيلَ وَوَلَدَتْ ابْنًا ثَانِيًا لِيَعْقُوبَ ٨ فَقَالَتْ رَاحِيلُ : «قَدْ صَارَعْتُ أُخْتِي مُصَارَعَاتِ اللَّهِ وَغَلَبْتُ» . فَدَعَتْ اسْمَهُ «نِفْثَالِي» . ٩ وَلَمَّا رَأَتْ لَيْتَةً أَنَّهَا تَوَقَّفَتْ عَنِ الْوِلَادَةِ أَخَذَتْ زِلْفَةَ جَارِيَّتِهَا وَأَعْطَتْهَا لِيَعْقُوبَ زَوْجَةً ١٠ فَوَلَدَتْ

زُلْفَةُ جَارِيَةٍ لَيْتَةَ لِيَعْقُوبَ ابْنًا . ١١ فَقَالَتْ لَيْتُهُ : «سَعِيدٌ» . فَدَعَتْ اسْمَهُ دَجَادًا .
 ١٢ وَوَلَدَتْ زُلْفَةُ جَارِيَةٍ لَيْتَةَ ابْنًا ثَانِيًا لِيَعْقُوبَ ١٣ فَقَالَتْ لَيْتُهُ : «بِغِبْطَى لِأَنَّهُ
 تَغْبِطُنِي بَنَاتٌ» . فَدَعَتْ اسْمَهُ «أَشِيرَ» . (تكوين ٣٠ : ١-١٣)

وفى العصور الحديثة نجد أن "تلمود أورشلیم" جعل تعدد الزوجات مقصوراً على الأزواج القادرين على الإنفاق على زوجاتهن عن سعة . وقد نصح علماء اليهود بأن الرجل اليهودى يجب ألا يتزوج أكثر من أربع زوجات ، وخالفتهم طائفة أخرى من اليهود فى هذا رأى (وهى طائفة القرائين) ولم يعترفوا بشرعية تحديد العدد، لأن ديانة بنى إسرائيل تبيح للرجل أن يتزوج أى عدد من الزوجات من غير تحديد أو حصر .

الفصل السابع بعد المائة

تعدد الزوجات بين التكریم والتجريم :

لم يأت الإسلام إذن بهذا التعدد ، بل كان موجوداً قبل الإسلام أيضاً فى الجزيرة العربية وفى اليهودية والمسيحية كما رأينا . وفى الوقت الذى كان فيه العرب فى صدر الإسلام وقبله يعددون زوجاتهم ، لدرجة أن بعضهم كان له عشر زوجات ، كان للرسول عليه الصلاة والسلام زوجة واحدة حتى جاوز الثالثة والخمسين . وكل ما أتى به الإسلام هو تنظيم هذه العملية ، وضماناً لحقوق الزوجات وأبنائهن . فأباح اتعدد ، ولم يفرضه على القادر على تحمل تبعات هذه الزوجات والعدل بينهن ، وإلا فعليه أن يكتفى بواحدة .

لقد أباح الإسلام تعدد الزوجات ولم يفرضه ، كما فعلت شريعة موسى ، وكما عدّد الأنبياء عليهم السلام من قبل ، واشترط فى التعدد : مقدرة الزوج على القيام بواجباته كاملة ، وأن يعدل بين زوجاته ، وإلا فعليه الإكتفاء بواحدة . ولم يفرق الإسلام بينهن ، فكلهن زوجاته ، ولهن نفس حقوق الزوجة الأولى من معيشة ومهر ومكانة ، حتى ولو كانت كتابية غير مسلمة .

والذى يراجع تعليمات بولس فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس لا يخفى

عليه أن استحسنه بوجود زوجة واحدة فقط للأسقف والشماس، حتى يمكنه تدبير بيته، وبالتالي يحسن تدبيره لكنيسته، ومعنى ذلك أنه يجوز على الأقل للآخرين أن يكون لهم أكثر من زوجة واحدة: (١٢) **لِيَكُنِ الشَّمَامِسَةُ كُلُّ بَعْلٍ امْرَأَةً وَاحِدَةً، مُدَبِّرِينَ أَوْلَادَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ حَسَنًا** تيموثاوس الأولى ٣: ١٢

(٢) **فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ الْأُسْقُفُ بِلَا لَوْمٍ، بَعْلَ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، صَاحِبًا، عَاقِلًا، مُحْتَشِمًا، مُضِيًّا لِلْغُرَبَاءِ، صَالِحًا لِلتَّعْلِيمِ، غَيْرَ مُدْمِنِ الْخَمْرِ، وَلَا ضَرَّابٍ، وَلَا ظَامِعٍ بِالرَّيْحِ الْقَبِيحِ، بَلْ حَلِيمًا، غَيْرَ مُخَاصِمٍ، وَلَا مُحِبِّ لِلْمَالِ، يُدَبِّرُ بَيْتَهُ حَسَنًا، لَهُ أَوْلَادٌ فِي الْخُضُوعِ بِكُلِّ وَقَارٍ. ٥ وَأَيْنَمَا إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْرِفُ أَنْ يُدَبِّرَ بَيْتَهُ، فَكَيْفَ يَعْتَنِي بِكَنِيسَةِ اللَّهِ؟** تيموثاوس الأولى ٣: ٢-٥

ولم تحرم المسيحية التعدد مطلقًا، وقد كان شارلمان الإمبراطور الروماني المسيحي متزوجًا بأكثر من زوجة. ومن زوجاته (سورات) و(هولجارو) إلى جانب عدد كبير من المحظيات.

وكان للإمبراطور (ليو السادس) في القرن العاشر الميلادي ثلاث زوجات وتسرى برابعة. وهي التي ولدت له ابنه الإمبراطور (قسطنطين)، الذي حكم الإمبراطورية الرومانية الشرقية.

وكان لملك إنجلترا (هنري الثامن) ثلاث زوجات، فقد تزوج (كاترين) و(آن بولين) و(حنا سيمور).

وقد قرر الإمبراطور فالنتيان الثاني، الذي ولى الحكم عام ٣٧٥ م أى في القرن الرابع الميلادي، أن الاختصار على زوجة واحدة إنما هو من آثار الوثنية الرومانية، ولذلك أصدر أمرًا بحواز الجمع بين أكثر من زوجة قائلاً إن المسيحية لم تمنع ذلك. وهذا الاتجاه في التعدد يتلاءم مع ما رآه مارتن لوتر زعيم طائفة البروتستانت، الذي قرر أن التعدد أمر لم يحرمه الرب، وضرب مثلاً بإبراهيم الذي كان له ثلاثة (أو أربعة زوجات).

لذلك سمح لوثر لأمير هيس الأمير فيليب أن يجمع بين زوجتين ، وقال إذا نظر الرجل إلى امرأة وحسنت في عينيه وأحبها وهو متزوج فخير له أن يتخذها زوجة من أن يتخذها خلية . الأمر الذي جعل طائفة (برسير) في إنجلترا أن تقرر أن من حق المسيحي أن يجمع بين عدة زوجات .

ومن علماء المسيحية أنفسهم من يقرر أن نظام الزوجة الواحدة نظام مصطنع ولا يتصل مطلقاً بالديانة لمسيحية في نشأتها الأولى ، وإنما هو نظام وضعته الكنيسة (كما قرر وول ديورانت ج (١) ص (٧٣) .

قال آرثر فيليبس في كتابه (دراسة الزواج والأسرة في أفريقيا): (كما أن بعضهم يرى أن منع التعدد إنما فرضه المسيحيون الأوروبيون على أنفسهم لينفذوه في البلاد التي استعمروها ليقبى لهم فائض خبرات هذه المستعمرات . والمنع لم يكن لسبب ديني وإنما كان لسبب استعماري) (نقلا عن حقوق المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى ص ١٥٥)

وبقى تعدد الزوجات مباحاً في العالم المسيحي إلى القرن الثامن عشر ، وبالتحديد إلى عام ١٧٥٠ م . أما قبل هذا التاريخ فلم يكن التعدد ممنوعاً ، وإنما كان مباحاً تقره الكنائس المسيحية وتباركه .

كما جاء في تواريخ الزواج بين الأوروبيين . يقول "وسترماك" في تاريخه:

(وفي الحق إن العهد الحديد اتخذ هذا النظام كمثل أعلى للزواج ، ولكن مع ذلك لم يحرم تعدد الزوجات تحريماً ظاهراً إلا للشمامس أو القسيس ، ويكفى أن نعلم أننا لم نجد مجلساً كنسياً واحداً عارض تعدد الزوجات أو وضع عقبات في سبيله عند الملوك أو الحكام الذين كانوا يمارسونه في الدول الوثنية في قرون المسيحية الأولى .)

(ثم قال: إن "ديارمنت" ملك إيرلندا كان له زوجتان وسريتان ، وتعدد زوجات الملوك الميروفنجيين غير مرة في القرون الوسطى ، وكان لشارلمان

زوجتان وكثير من السرارى ، كما يظهر فى بعض قوانينه أن تعدد الزوجات لم يكن مجهولاً بين رجال الدين أنفسهم ، وبعد ذلك بزمان كان فيليب أوف هيس ، وفريدريك وليام الثانى البروسى يرمان عقد الزواج مع اثنتين بموافقة القساوسة اللوثرين .

(وأقر مارتن لوثر نفسه تصرف الأول منهما ، كما أقره "ملانكتون" . وكان لوثر يتكلم فى شتى المناسبات عن تعدد الزوجات بغير اعتراض ، فإنه لم يُحَرِّم بأمر من الله ، ولم يكن إبراهيم يحجم عنه إذ كان له زوجتان [وهو هنا قد نسى أن إبراهيم قد تزوج بقطورة] نعم أن الله أذن بذلك لأناس من رجال العهد القديم فى ظروف خاصة ، ولكن المسيحى الذى يريد أن يقتدى بهم ، يحق له أن يفعل ذلك متى تيقن أن ظروفه تشبه تلك الظروف . فإن تعدد الزوجات على كل حال أفضل من الطلاق .)

(وعقب الحرب العالمية الأولى قام (جورج انكىتى) بالمطالبة بإلغاء النص فى القانون الذى يعاقب على الجمع بين زوجتين بالأشغال الشاقة المؤقتة ، وطالب بإتاحة تعدد الزوجات للقضاء على شيوع الفجور ، الذى كان نتيجة لوجود عدد كبير من النساء بدون رجال ، وحتى يكون لكل امرأة حقها الطبيعى فى تحقيق نزعة الأمومة المشروعة .) (نقلا عن حقوق المرأة ص ١٥٦-١٥٧)

(وفى سنة ١٨٣٠ قامت فرقة تسمى فرقة المورنتر التى أسسها جوزيف سمث تبيح التعدد وتقول: إن إفرادية الزوجة أمر غير طبيعى .)

(وفى سنة ١٦٥٠ ميلادية . بعد صلح وستفاليا ، وبعد أن تبين النقص فى عدد السكان من جراء حروب الثلاثين . أصدر مجلس الفرنكيين بنورمبرج قراراً يبيح للرجل أن يجمع بين زوجتين . بل ذهبت بعض الطوائف المسيحية إلى إيجاب تعدد الزوجات .)

(ففى سنة ١٥٣١ نادى اللامعمدانيون فى منستر صراحة بأن المسيحى . حق

'المسيحي . ينبغي أن تكون له عدة زوجات . ويعتبر المورمون كما هو معلوم أن تعدد الزوجات نظام إلهي مقدس . (في محكمة التاريخ ص ١٠٠)

ويواصل الدكتور عبد اودود شلبي قائلاً: (وقال جرجى زيدان: "فالنصرانية ليس فيها نصر صريح يمنع أتباعها من الزواج بامرأتين فأكثر ، ولو شاءوا لكان تعدد الزوجات جائز عندهم ، ولكن رؤساءها القدماء وجدوا الاكتفاء بزوجة واحدة أقرب لحفظ نظام العائلة واتحادها (وكان ذلك شائعاً في الدولة الرومانية) فلم يعجز تأويل آيات الزواج حتى صار الزواج بغير [بأكثر من] امرأة حراماً كما هو مشهور .)

(ونرى المسيحية المعاصرة تعترف بالتعدد في أفريقيا السوداء ، فقد وجدت الإرساليات التبشيرية نفسها أمام واقع اجتماعي وهو تعدد الزوجات لدى الأفريقيين الوثنيين ، ورأوا أن الإصرار على منع التعدد يحول بينهم وبين الدخول في النصرانية ، فنادوا بوجوب السماح للأفريقيين المسيحيين بالتعدد إلى غير حد محدود .)

وقد ذكر السيد تورجيه مؤلف كتاب: "الإسلام والنصرانية في أواسط أفريقية" (ص ٩٢-٩٨) هذه الحقيقة ثم قال: (فقد كان هؤلاء المرسلون يقولون إنه ليس من السياسة أن نتدخل في شؤون الوثنيين الاجتماعية التي وجدناهم عليها ، وليس من الكياسة أن نُحرّم عليهم التمتع بأرواحهم ماداموا نصارى يدينون بدين المسيح ، بل لا ضرر من ذلك مادامت التوراة وهي الكتاب الذي يجب على المسيحيين أن يجعلوه أساس دينهم تبيح هذا التعدد ، فضلاً على أن المسيح قد أقر ذلك بقوله: "١٧ «لَا تَطْطُوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ . مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لِأَكْمِلَ .» (متى ٥ : ١٧

وأخيراً أعلنت الكنيسة رسمياً السماح للأفريقيين النصارى بتعدد الزوجات إلى غير حد .

كما وجدت الشعوب الغربية المسيحية نفسها تجاه زيادة عدد النساء على

الرجال عندهم . بخاصة بعد الحربين العالميتين . إزاء مشكلة إجتماعية خطيرة ، لا تزال تتخبط فى إيجاد الحل المناسب لها .

وقد كان بين الحلول التى برزت ، إباحة تعدد الزوجات . فقد حدث أن مؤتمرًا للشباب العالمى عُقدَ فى "ميونيخ" بألمانيا عام ١٩٤٨ ، واشترك فيه بعض الدارسين المسلمين من البلاد العربية : وكان من لجانته لجنة تبحث مشكلة زيادة عدد النساء فى ألمانيا أضعافًا مضاعفة عن عدد الرجال بعد الحرب ، وقد استعرضت مختلف الحلول لهذه المشكلة وتقدم الأعضاء المسلمون فى هذه اللجنة باقتراح تعدد الزوجات . وقبِلَ هذا رأى أولاً بشيء من الدهشة والاشمئزاز ، ولكن أعضاء اللجنة اشتركوا جميعًا فى مناقشته فتبين بعد البحث الطويل أنه لا حل غيره ، وكانت النتيجة أن قررت اللجنة توصية المؤتمر بالمطالبة بإباحة تعدد الزوجات لحل المشكلة .

ويقول (هنرى هلام : Henri Hallam) إن المصلحين الألمان من علماء الدين المسيحى قد أقروا التزوج بزوجة ثانية ، وزوجة ثالثة مع الزوجة الأولى ، واستمر العمل بذلك حتى القرن السادس الميلادى .

وكذلك قال الألمانى (إدوارد فون هارتمان) آراء تشبه هذه الآراء ، فهو يرى أن الغريزة الطبيعية للرجل تميل إلى تعدد الزوجات .

وفى عام ١٩٤٩ تقدم أهالى "بون" عاصمة ألمانيا الاتحادية [فى ذلك الوقت] بطلب إلى السلطات المختصة يطلبون فيه أن يُنص فى الدسبور الألمانى على إباحة تعدد الزوجات .

بل ذكرت الصحف الألمانية فى هذا الوقت أن الحكومة الألمانية أرسلت إلى مشيخة الأزهر تطلب منها نظام تعدد الزوجات فى الإسلام ، لأنها تفكر فى الاستفادة منه كحل لمشكلة زيادة النساء . ثم أتبع ذلك وصول وفد من العلماء الألمان اتصلوا بشيخ الأزهر لهذه الغاية ، كما التحقت بعض الألمانيةات

المسلمات بالأزهر تُطَّلَع بنفسها على أحكام الإسلام فى موضوع المرأة عامة وتعدد الزوجات خاصة .

وقد حدثت محاولة قبل هذه المحاولات فى ألمانيا أيام الحكم النازى لتشريع تعدد الزوجات ، فقد حدثنا ('الكلام مازال للدكتور عبد الودود شلبى) (المرحوم الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين الأكبر) أن هتلر حدثه برغبته فى وضع قانون يُبيح تعدد الزوجات ، وطلب إليه أن يضع له فى ذلك نظاماً مُستمداً من الإسلام . ولكن قيام الحرب العالمية الثانية حالت بين هتلر وبين تنفيذ هذا الأمر .

وقد سبق أن حاول "ادوارد الساع" مثل هذه المحاولة ، فأعدَّ مرسومًا يبيح فيه التعدد ، ولكن مقاومة رجال الدين قضت عليه .

ثم إن المفكرين الغربيين الأحرار أثنوا على تعدد الزوجات ، وبخاصة عند اليهود والمسلمين ، فقد عرض "جروتويس" العَلم القانونى المشهور لموضوع تعدد الزوجات فاستصوب شريعة الآباء العبرانيين والأنبياء خاصة فى العهد القديم فى إقرارها تعدد الزوجات . وكذلك استحسَن القديس أوغسطين أن يتخذ الرجل إلى جانب زوجته سرية ، إذا ما كانت زوجته عقيمًا ، وثبت عقمها ، وإن كان لم يسمح بمثل ذلك للزوجة ، إذا ثبت أن زوجها هو العقيم ، وليس ذلك خوفًا من اختلاط الأنساب ، ولكن لأمن الأسرة . لأنه كما قال فى كتابه (الزواج الأفضل): لا يصح أن يكون بالأسرة سيدان .

وقال الفيلسوف الألمانى الشهير "شوبنهاور" فى رسالته "كلمة عن النساء": (إن قوانين أوروبا فسدة المبنى بمساواتها المرأة بالرجل ، فقد جعلتنا نقصر على زوجة واحدة فأفقدتنا نصف حقوقنا ، وضاعفت علينا واجباتنا ، على أنها مادامت أباحت للمرأة حقوقًا مثل الرجل ، كان من اللازم أن تمنحها أيضًا عقلًا مثل عقله ..)

إلى أن يقول: (ولا تعدم امرأة من الأمم التى تجيز تعدد الزوجات زوجًا يتكفل بشؤونها ، والمتزوجات عندنا نقر قليل . وغيرهن لا يُحصين عدداً ، تراهن بغير كفيل: بين بكر من الطبقات العليا قد شاخت وهى هائمة متحسرة ،

ومخلوقات ضعيفة من الطبقات السفلى ، يتجشمن الصعاب ويتحملن شاق الأعمال ، وربما ابتذلن فيعشن تعيشن متلبسات بالخزى والعار . ففى مدينة (لندن) وحدها ثمانون ألف بنت عمومية (هذا على عهد شوبنهاور) سفك دم شرفهن على مذبحه الزواج ضحية الإقتصار على زوجة واحدة، ونتيجة تعنت السيدة الأوروبية ، وما تدعيه لنفسها من أباطيل .

وهناك طائفة أخرى من الطوائف المسيحية فى أمريكا تُسمى طائفة المورمون (وقد أسسها جوزيف سميث سنة ١٨٣٠م) تحدث عنها الأستاذ زكى نجيب محمود فى كتابه (أيام فى أمريكا) ، وقد قال أحد أتباع هذه الطائفة عندما سُئل عما إذا كان يجب زواجه الخمس ، فقال : لقد سمعت هذا السؤال مراراً كأنه لغز لا حل له ، وجوابى دائماً على هذا السؤال هو الآتى : هل يمكن لرجل أن يحب خمسة من أبنائه دفعة واحدة؟ هل يمكن أن يحب خمسة من أصدقائه دفعة واحدة؟ هل يمكن أن يحب خمسة من اخوته دفعة واحدة؟ أرونى رجلاً واحداً ممن يدعون الالتزام بنظام الزوجة الواحدة ، لا تكون له امرأة . غير زوجته . يبادلها الحب وتبادلته . ثم قال : ونحن لا نعشق سراً . إننا لا نحب حباً يلفه العار ، بل نحب جهراً وعلانية ، حباً يزدان بالشرف ، ليس بيننا المرأة التى تحمل جنينها فى خفاء من القانون ، ثم تضع حملها اجهاضاً ، فنساؤنا جميعاً يحملن الأجنة من أزواج ويلدنهم أطفالاً ذوى نمو كامل .

ثم أسألك عزيزى القارىء : أين الحكمة فى إنسان (مثل سليمان) له ١٠٠٠ زوجة؟ تخيل أن لك ألف زوجة! متى ستعطى كل منهن حقها فى الفراش؟ وكيف ومتى ستحفظ أسمائهن؟ وكيف يتأكد لك أن الجنين فى بطن أى منهن هو منك؟ هل ستتذكر أنك جامعته هذه الزوجة يوماً ما؟

الفصل الثامن بعد المائة

رأى عيسى عليه السلام فى تعدد الزوجات :

فى الواقع لو راجعنا كتب الأناجيل والرسائل الحالية لن نجد فيها نصاً يحرم تعدد الزوجات إلا على القساوسة والشمامسة فقط ، وهى من رسائل

بولس . فلم يأتى فى أحاديث عيسى عليه السلام تصريح بتحريم تعدد الزوجات ، ونلمس إشارات لموافقة على تعدد الزوجات أو موافقة ضمناً من هذه النصوص :

(١٧) «لَا تَنْظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَانْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ . مَا جِئْتُ لَانْقُضَ بَلْ لِأَكْمَلَهُ . ١٨ فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : إِلَى أَنْ تَرَوْنَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ .» متى ٥ : ١٧-١٨

كذلك نفهم إقراره لتعدد الزوجات من مثل (العشر عذارى) الذى ضربه متى : (١) «جِيئَ بِشِبْهِ مَلَكُوتِ سَمَافَاتٍ عَشْرَ عَذَارَى أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ الْعَرِيسِ . ٢ وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ وَخَمْسٌ جَاهِلَاتٍ . ٣ أَمَّا الْجَاهِلَاتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتًا ٤ وَأَمَّا الْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتًا فِي آتِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحَهُنَّ . ٥ وَفِيمَا أَبْطَأَ الْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ . ٦ فَفِي نِصْفِ اللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ : هُوَذَا الْعَرِيسُ مُقْبِلٌ فَأَخْرُجْنَ لِقَائِهِ ! ٧ فَجَافَتْ جَمِيعُ أَوْلِيكِ الْعَذَارَى وَأَصْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ . ٨ فَقَالَتِ الْجَاهِلَاتُ لِلْحَكِيمَاتِ : أَعْطِينَا مِنْ زَيْتِكُنَّ فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْقَفِئُ . ٩ فَأَجَابَتِ الْحَكِيمَاتُ : لَعَلَّهُ لَا يَكْفِي لَنَا وَلَكِنَّ بَلْ أَذْهَبْنَ إِلَى الْبَدْعَةِ وَابْتَعْنَ لِكُرَى . ١٠ وَفِيمَا هُنَّ ذَاهِبَاتٌ لَبِثَتْ الْعَرِيسُ وَالْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ وَأَغْلِقَ الْبَابَ . ١١ أَخِيرًا جَاءَتْ بَقِيَّةُ الْعَذَارَى أَيْضًا قَائِلَاتٍ : يَا سَيِّدُ يَا سَيِّدُ افْتَحْ لَنَا . ١٢ فَأَجَابَ : الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : إِنِّي مَا أَعْرِفُكُمْ . ١٣ فَاسْهَرُوا إِذَا لَأَنْكُمْ لَا تَعْرِفُونَ الْيَوْمَ وَلَا السَّاعَةَ » متى ٢٥ : ١-١١

أى إن العريس قد اكتفى بخمس زوجات ، ولم تستطع العذارى الخمس الباقيات أن يلحقن بالعريس ، وضاعت أمامهن فرصة للزواج به .

مع التحفظ الشديد أن المثل قد ضربه يسوع إشارة إلى وجوب الاستعداد بالعلم والعمل لاستقبال المسيح (رسول الله والنبي الخاتم) .

وكان هذا التعدد شائعاً بين نصارى العالم كله ، ولم تحرمه الكنيسة إلا فى منتصف القرن الثامن عشر ، وبالتحديد فى عام ١٧٥٠م . إذن فالنصارى

الأقدمون لم يفهموا نصوص الكتاب وتعاليم يسوع بصورة خاطئة . ولو كانوا غير ذلك فما حكمهم إذا في الآخرة؟

الفصل التاسع بعد المائة

التسرى في اليهودية والمسيحية:

يقول الأستاذ محمود عبد الحميد فى كتابه حقوق المرأة بين الإسلام والديانات الأخرى ص ١٥٨-١٥٩: (لقد كان التسرى مباحاً فى اليهودية والمسيحية إلى جانب إباحة تعدد الزوجات . فقد قررت التوراة الحالية أن سليمان كان له إلى جانب زوجاته السبعمئة ثلاثمئة سرية [ملوك الأول ١١: ٣]، وكذلك كان لرحبعام ستين سرية [أخبار الأيام الثانى ١١: ٢١]، وكذلك كان لداود] وكذلك المسيحية لم تمنع التسرى بل إنه ظل قائماً فى المسيحية ، حتى بعد تقرير إفرادية الزوجة ، ولم يكن التسرى ممنوعاً إلا فى مصر المسيحية فقط دون البلاد المسيحية الأخرى . [وهذا من فضل الإسلام وأخلاقياته على المجتمعات التى ينتشر فيها] وكان ذلك ابتداءً من القرن العاشر الميلادى [السادس عشر الميلادى] حين أصدر البطريرك (إبرام السوربانى) سنة ٩٧٠ م أمراً بمنعه . أما فى غير مصر فقد ظل التسرى قائماً بعد هذا التاريخ فى بعض الأمم المسيحية مثل الحبشة ، كما استمر فيها تعدد الزوجات أيضاً ، مما يدل على أن المنع لم يكن تشريعاً سماوياً بل كان نتيجة قوانين وضعية .)

يواصل الكتاب قوله: (يقول اتين دينيه: لقد ترتب على إفرادية الزوجة ثلاثة نتائج شديدة الخطورة هى: شيوع الدعارة ، وكثرة العوانس من النساء ، ووفرة الأبناء غير الشرعيين وضرب مثلاً بقبيلة فى الجزائر فقال: "إن هذه القبيلة لم تعرف الدعارة إلا بعد ضمها لفرنسا سنة ١٨٣٣")

الفصل العاشر بعد المائة

التسرى فى الإسلام:

التسرى هو اتخاذ مالك الأمة منها سرية يعاشرها معاشرة الأزواج فى الشرع الإسلامى

إن التسرى هو فرع من فروع الرق والاسترقاق، وقد كان نظاماً قديماً ، ولم

يكن أيضًا مثل الرق والاسترقاق تشريعًا إسلاميًا مبتكرًا ، ولا خاصية شرقية تميزت به الحضارات الشرقية عن غيرها من الحضارات ، وإنما كان موروثًا اجتماعيًا واقتصاديًا إنسانيًا ، ذاع وشاع في كل الحضارات الإنسانية عبر التاريخ .

وقد جاء في التوراة أن أنبياء الله مثل داود وسليمان وغيرهم قد اتخذوا سراري لهم .

(٢١) وَأَحَبَّ رَحْبَعَامُ مَعَكَةَ بَنَتْ أَبْشَالُومَ أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ نِسَائِهِ وَسَرَارِيهِ لِأَنَّهُ اتَّخَذَ ثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً وَسِتِّينَ سُرِّيَّةً وَوَلَدَ ثَمَانِيَّةً وَعِشْرِينَ ابْنًا وَسِتِّينَ ابْنَةً .
أخبار الأيام الثاني ١١ : ٢١

(٣٠) وَكَانَ لِحَدَّعُونَ سَبْعُونَ وَلَدًا خَارِجُونَ مِنْ صُلْبِهِ ، لِأَنَّهُ كَانَتْ لَهُ نِسَاءٌ كَثِيرَاتٌ . ٣١ وَسُرِّيَّتُهُ آتَتْ فِي شَكِيمٍ وَلَدَتْ لَهُ هِيَ أَيْضًا ابْنًا فَسَمَّاهُ أَيْمَالِيكَ .
قضاة ٨ : ٣٠-٣١

(١٣) وَأَخَذَ دَاوُدُ أَيْضًا سَرَارِيَّ وَنِسَاءً مِنْ أُورُشَلِيمَ بَعْدَ مَجِيئِهِ مِنْ حَبْرُونَ ، فَوُلِدَ أَيْضًا لِدَاوُدَ بَنُونَ وَبَنَاتٌ . صموئيل الثاني ٥ : ١٣

(فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهَؤُلَاءِ بِالْمَحَبَّةِ . ٣ وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ ، وَثَلَاثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ . فَأَمَّا لَتِ نِسَاؤُهُ قَلْبُهُ .) ملوك الأول ١١ : ٣

وإذا كان التسرى ، هو اتخاذ مالك الأمة منها سرية ، أى جعله لها موضعًا للوطء ، واختصاصها بميل قلبى ومعاشرة جنسية ، وإحصان واستعفاف .. فلقد وضع الإسلام له ضوابط شرعية جعلت منه زواجًا حقيقيًا ، تشترط فيه كل شروط الزواج ، وذلك باستثناء عقد الزواج ، لأن عقد الزواج هو أدنى من عقد الملك ، إذ فى الأول تملك منفعة ، بينما الثانى يفضى إلى ملك الرقبة ، ومن ثم منفعتها ..

ولقد سميت الأمة التى يختارها مالكها سرية له سُميت "سُرِّيَّةً" لأنها

موضع سروره ، ولأنه يجعلها في حال تسرها " دون سواها ، أو أكثر من سواها .. فالغرض من التسرى ليس مجرد إشباع غرائز الرجل ، وإنما أيضًا الارتفاع بالأمة إلى ما يقرب كثيرًا من مرتبة الزوجة الحرة ..

والإسلام لا يبيح التسرى أى المعاشرة الجنسية للأمة بمجرد امتلاكها .. وإنما لابد من تهيئتها كما تهيأ الزوجة .. وفقهاء المذهب الحنفى يشترطون لتحقيق ذلك أمرين :

أولهما : تحصين السرية ، بأن يخصص لها منزل خاص بها ، كما هو الحال مع الزوجة .

وثانيهما : مجامعتها ، أى إشباع غريزتها ، وتحقيق عفتها .. طالما أنها قد أصبحت سرية ، لا يجوز لها الزواج من رقيق مثلها ، ولا أن يتسرى بها غير مالِكها ..

ولأن التسرى فى المعاشرة الجنسية أو التناسل مثله مثل الزواج من الحرائر .. فلقد اشترط الإسلام براءة رحم الأمة قبل التسرى بها ، فإباحة التسرى قد جاءت فى آية إباحة الزواج : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْبَيْنَةِ فَاُنْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنً وَثُلَّةً وَرُبْعً فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ٣٠﴾ النساء : ٣ .

والتكليف الإسلامى بحفظ الفروج عام بالنسبة لمطلق الرجال والنساء ، أحرارًا كانوا أم رقيقًا ، مسلمين كانوا أم غير مسلمين : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَفْوَاجِهِمْ حَفِظُونَ ٥ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٦﴾ المؤمنون : ٥ ، ٦ . ولقد قال رسول الله ﷺ فى سبايا "أوطاس" أى حنين : (لا توطأ حامل حتى تضع ، ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة ..) رواه أبو داود .

وكذلك الحال مع المقاصد الشرعية والإنسانية من وراء التسرى .. فهى

ذات المقاصد الشرعية والإنسانية من وراء الزواج: تحقيق الإحصان والاستعفاف للرجل والمرأة، وتحقيق ثبوت أنساب الأطفال لأبائهم الحقيقيين ..

ففى هذا التسرى كما يقول الفقهاء "استعفاف مالك الأمة .. وتحصين الإماء لكيلا يمثلن إلى الفجور، وثبوت نسب أولادهن" . وأكد ألمح فى التشريع القرآنى أمراً إلهياً بالإحصان العام للرجال والنساء، أحراراً كآوا أو أرقاء .. ففى سياق التشريع لغرض لبصر، وحفظ الفروج، جاء التشريع للاستعفاف بالنكاح الزواج للجميع . وجاء النهى عن إكراه الإماء على البغاء، لا بمعنى إجبارهن على الزنا فهذا داخل فى تحريم الزنا، العام للجميع وإنما بمعنى تركهن دون إحصان واستعفاف بالزواج أو التسرى أكاد ألمح هذا المعنى عندما تأمل سياق هذه الآيات القرآنية: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ (٢٤) وقُلْ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ وَلَا يُدْرِكُ زِينَتَهُمْ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خِصْرَهُنَّ عَلَى جُحُوبِهِنَّ وَلَا يُدْرِكُ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانَهُنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانَهُنَّ أَوْ إِسَاءِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّابِعِينَ غَيْرَ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِي تَرَى يُظْهَرُونَ عَلَى عَوْرَتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتَوْبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٢٥) وَأَنكِحُوا الْأَيْمَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦) عَلَيْهِمُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُعْهِمَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاثِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِى ءَاتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِنَتَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ نَحْصًا لِنَبْتِغُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٧) ﴿النور: ٣٠-٣٣ .

فالتشريع للاستعفاف والإحصان بالنكاح (الزواج) والتسرى عام وشامل للجميع ..

بل لقد جعل الإسلام من نظام التسرى سبيلاً لتحقيق المزيد من الحرية للأرقاء ، وصولاً إلى تصفية نظام العبودية والاسترقاق . . فأولاد السرية فى الشرع الإسلامى ، يولدون أحراراً بعد أن كانوا يظلون أرقاء فى الشرائع والحضارات غير الإسلامية والسرية ، بمجرد أن تلد ، ترتفع إلى مرتبة أرقى هى مرتبة " أم الولد " ثم تصبح كاملة الحرية بعد وفاة والد أولادها . .

وكما اشترط الشرع الإسلامى للتسرى استبراء الرحم ، كما هو الحال فى الزواج من الحرائر ، اشترط فى السرية ما يشترط فى الزوجة الحرة: أن تكون ذات دين سماوى ، مسلمة أو كاتبة . . وأن لا تكون من المحارم اللاتى يحرم الزواج بهن ، بالنسب أو الرضاة . . فلا يجوز التسرى بالمحارم ، بل ولا يحل استرقاقهم أصلاً ، إناثاً كانوا أم ذكوراً ، فامتلاكهم يفضى إلى تحريرهم بمجرد الامتلاك . . وفى الحديث النبوى الشريف: (من ملك ذا رحمٍ مُحَرَّمٍ فهو حر) رواه أبو داود .

وهذا من جمال العدل الإسلامى وحفاظه على العلاقات الأسرية ، الأمر الذى خالفته الكتب والشرائع الأخرى ، فالتوراة تدعى أن الرب أسلم نساء نبيه داود لأحد أقربائه للزنى: (١١) هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَأَأْخُذُ نِسَاءَكَ أُمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيَهُنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هَذِهِ الشَّمْسِ . ١٢ لَأَنَّكَ أَنْتَ فَعَلْتَ بِالسَّرِّ وَأَنَا أَفْعَلُ هَذَا الْأَمْرَ قُدَّامَ جَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَقُدَّامَ الشَّمْسِ ؛ .) صموئيل الثانى ١٢: ١١-١٢!!!

وكما هو الحال فى اختيار الزوجة الحرة ، استحسن الشرع الإسلامى تخير السرية ذات الدين ، التى لا تميل إلى الفجور ، وذلك لصيانة العرض . وأن تكون ذات عقل ، حتى ينتقل منها إلى الأولاد . وأن تكون ذات جمال يحقق السكينة للنفس والغض للبصر . فالتخير للنظف وفق حديث رسول الله ﷺ: [تخيروا لنطفكم] رواه ابن ماجة . هو تشريع عام فى الحرائر والإماء . (انظر: [الموسوعة الفقهية] مادة " التسرى " طبعة الكويت ١٤٠٨ هجرية ١٩٨٨ م .)

وكما لا يجوز الاقتران بأكثر من أربع زوجات حرائر ، اشترط بعض الفقهاء الالتزام بذات العدد فى السرارى ، أو فيهن وفى الزوجات الحرائر . . وإذا كان جمهور الفقهاء لا يقيدون التسرى بعدد الأربعة ، فإن الإمام محمد عبده فى فتواه عن تعدد الزوجات قد قال عند تفسيره لقول الله سبحانه وتعالى : ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ النساء : ٣ . " لقد اتفق المسلمون على أنه يجوز للرجل أن يأخذ من الجوارى ما يشاء بدون حصر ، ولكن يمكن لفاهم أن يفهم من الآية غير ذلك ، فإن الكلام جاء مرتبطاً بإباحة التعدد إلى الأربعة فقط . . (الأعمال الكاملة ، ج ٢ ، ص ٩١ ، طبعة القاهرة ١٩٩٣ م)

ويؤيد هذا الاجتهاد ما كن عليه العمل فى صدر الإسلام ، إذ لم يكن الرجل يتسرى بغير سرية واحدة . وكما يجب العدل بين الزوجات الحرث عند تعددهن . . قال بعض الفقهاء : إن ما يجب للزوجة يستحب للسرية ، وجعل الحنابلة الإحصان للأرقاء ذكوراً وإناثاً أمراً واجباً . .

هكذا رفع الإسلام ، بالشروط التى اشترطها فى التسرى ، من شأن السرارى ، وذلك عندما جمعهن فى الرافع العملى أقرب ما يكن إلى الزوجات الحرائر . وعندما جعل من نظام 'تسرى باباً من أبواب التحرير للإماء ولأولادهن ، بعد أن كان رفاً من روافد الاسترقاق والاستعباد . .

أما الواقع التاريخى ، الذى تراجع عن هذا النموذج الإسلامى للتسرى ، عندما كثرت السبايا ، وتعددت مصادر الاسترقاق . . فمن الخطأ البين بل والتجنى حمل هذا الواقع التاريخى على شرع الإسلام . .

فالإسلام كما قدمنا فى الحديث عن 'لرق قد ألغى وجفف كل روافد ومصادر الاسترقاق ولم يستثن من ذلك إلا الحرب الشرعية المشروعة . . ولذلك ، فإن تجارة الرقيق ، وأسواق الأرقاء ، وشيوع التسرى الذى جاء ثمرة لاختطاف الفتيات والفتيان ، وللحروب غير المشروعة ، وغيرها من سبل الاسترقاق التى حرمها الإسلام . . كل ذلك إن حُسب على "التاريخ الإسلامى" فلا يمكن أن يُحسب على "دين الإسلام" . . وعن هذه الحقيقة

الهامة يقول الإمام محمد عبده: "لقد ساء استعمال المسلمين لما جاء في دينهم من هذه الأحكام الجليلة ، فأفراطوا في الاستزادة من عدد الجوارى ، وأفسدوا بذلك عقولهم وعقول ذرائعهم بمقدار ما اتسعت لذلك ثرواتهم ..

أما الأسرى اللاتى يصح نكاحهن فهن أسرى الحرب الشرعية التى قصد بها المدافعة عن الدين القويم أو الدعوة إليه بشروطها ، ولا يَكُنَّ عند الأسر إلا غير مسلمات .. وأما ما مضى المسلمون على اعتياده من الرق ، وجرى عليه عملهم فى الأزمان الأخيرة ، فليس من الدين فى شىء ، فما يشترونه من بنات الجراكسة أو من السودانيات اللاتى يختطفهن الأسياء السَّلبَة المعروفون "بالأسيرجية" ، فهو ليس بمشروع ولا معروف فى دين الإسلام ، وإنما هو من عادات الجاهلية ، لكن لا جاهلية العرب بل جاهلية السودان والجرس .. " المصدر السابق: ج ٢ ص ٩١ ، ٩٢ .

وإذا كان من العبث الظالم حمل تاريخ الحضارة الغربية مع الرق والاسترقاق على النصرانية ، كدين ، فالأكثر عبثية والأشد ظلمًا هو حمل التاريخ الإسلامى فى هذا الميدان على شريعة الإسلام ! .. (أ . د . محمد عمارة)

الفصل الحادى عشر بعد المائة

عمر السيدة عائشة عند زواجها بالرسول ﷺ:

من المعروف أنه فى المناطق الحارة تنضج البنت ، وكذلك الولد ، أسرع من مثيلهما فى المناطق الباردة . فلو ذهبنا إلى جنوب إفريقيا مثلاً ، لوجدنا البنت ابنة تسع سنوات وعشر سنوات تحمل على يديها طفلها . إذن فقد نضجت قبل التاسعة . فهذه أشياء تخضع تمامًا للبيئة .

كذلك الولد فى البلاد العربية طفل ، لا تجد فيه تحمل المسئولية ، حتى يدخل الجامعة ، وهناك حالات شاذة ، بينما تجد أيام الرسول ﷺ ، كان على

بن أبي طالب ابن سبع سنوات حينما نام في فراش الرسول عليه الصلاة والسلام ليتمكن من الهرب من مكة إلى المدينة وليرد ودائع أهل مكة لأصحابها .

لقد ائتمن الرسول عليه الصلاة والسلام هذا الصبي في عمره هذا على هجرته ، وعلى حياته ، كما ائتمنه على رد ودائع أهل مكة ، كما قبل الصبي هذه المخاطرة ، وفهم أن هذا العمل قد يؤدي إلى مقتله هو نفسه . كم يساوى هذا الطفل من عدد من رجال اليوم؟ وهذا النضج المبكر نراه اليوم في أطفال فلسطين ، أطفال فلسطين الذين يقفون بالحجارة في وجه لدبابات والمصفحات .

كذلك كان عمر أسامة بن زيد قائد جيوش لمسلمين لقتال الروم بين الثامنة عشر والعشرين ، ولو تخيلت كم عمر أى قائد للجيش اليوم ستجده بين الخمسين والخامسة والخمسين . فالرجولة والأنوثة يخضعان إذن لعوامل النضج الجثمانى والبيئى .

ولدت السيدة عائشة بعد بعثة النبي ﷺ بأربع سنوات . أى أن الفارق في العمر بينهما ٤٤ سنة ، لأن الرسول صلوات الله وسلامه عليه بُعث على رأس الأربعين .

توفت أمنا خديجة رضى الله عنها وكان عمر نبينا الحبيب ٥٠ سنة ، ثم مكث الرسول عليه الصلاة والسلام فترة ٣ سنوات وسبعة أشهر بين كونه أرملا وزوجا للسيدة سودة بنت زمعة أى كان زوجا لواحدة فقط إلى أن تجاوز سن ٥٣,٧ عاما . ثم جاءته السيدة خولة بنت حكيم لتزوجه للمرة الثانية من عائشة ، فقد زوجته من قبل أيضا من السيدة سودة ، فخطبها واستمرت الخطوبة سنتان ، لأنه استصغر سنهما في هذا الوقت ، فقالت له : اخطبها وانتظرها حتى تنضج ، وكان الغرض من هذه الزيجة توطيد العلاقة بين الصديقين : بين الرسول عليه الصلاة والسلام وبين أبى بكر الصديق أبيها . ثم بنى بها بعد ذلك في السنة الثانية من الهجرة . أى تزوج السيدة عائشة وعمره ٥٣,٧ + ٢ = ٥٥,٧ سنة .

فإذا طرحت الفرق بين عمريهما وهو ٤٤ سنة يكون عمر السيدة عائشة ١١,٧ ،

سنوات عند زواج الرسول بها ، أى أشرفت على الثانية عشر . وهو العمر التقريبي الذى حملت فيه السيدة مريم العذراء بنى الله ورسوله عيسى عليه السلام .

وبحساب آخر :

بُعِثَ الرسول على رأس الأربعين ، وعلى فرض صحة أن السيدة عائشة وُلِدَتْ بعد البعثة بأربع سنوات ، فيكون الفارق فى العمر بينهما ٤٤ سنة ، وماتت السيدة خديجة رضى الله عنهما فى سنة ٣ قبل الهجرة ، وكان عمر الرسول عليه الصلاة والسلام ٥٠ سنة ، وبعد سنتين من الهجرة دخل بعائشة ، أى بعد ١٥ سنة من البعثة ، أى كان عمره ٥٥ سنة ، عندما بنى بالسيدة عائشة ، فإذا طرحنا فارق العمر بينهما ، يكون عمر السيدة عائشة وقتئذ ١١ سنة بالإضافة إلى فارق الأشهر الذى لم يدخل فى الحساب .

وبحساب آخر :

بُعِثَ الرسول على رأس الأربعين ، ومكث فى مكة يدعو الناس ١٣ سنة ثم هاجر إلى المدينة ، وبعد سنتين من الهجرة دخل بعائشة ، أى بعد ١٥ سنة من البعثة ، وهى وُلِدَتْ بعد أربع سنوات من البعثة ، فيكون عمرها قارب ال ١١ سنة وعدة أشهر .

هذا على فرض صحة أنها وُلِدَتْ بعد البعثة بأربع سنوات ، لأنهم كانوا لا يهتمون بحساب السنوات وأعمار الفتيات على الأخص ، فلم يكن الفتيات مرتبطات بتعليم أو تكليف سنى محدد ، وكان العامل الفاصل فى زواجهن هو النضج الجثمانى .

وبحساب آخر :

وُلِدَتْ السيدة عائشة فى السنة الرابعة قبل البعثة ، وبعد ٤ سنوات جاءت الدعوة ، واستمرت فى مكة ١٣ سنة ، ثم بنى بها الرسول عليه الصلاة والسلام بعد سنتين من الهجرة فى المدينة ، ولو جمعنا كل هذا العمر لوجدنا أن عمرها كان ١٩ سنة .

وأنا لا أميل لهذا الحساب ، لأن لرسول بنى بها بعد سنتين من الخطبة ، ومعنى ذلك أنه خطبها ابنة ١٧ سنة ، وهذا سن نضج للبنات ، فلو علمنا أن السيدة صفية بنت حيى بن أخطب (زعيم اليهود فى بنى النضير) تزوجت الرسول عليه الصلاة والسلام ابنة ١٨ سنة ، وكانت زيجتها الثالثة ، فقد تزوجت للمرة الأولى وهى ابنة تسع سنوات ، لعلمنا أن سن ١٧ سنة ، سن نضج كاف جدًا للزواج ، ولما قال عنها الرسول عليه الصلاة والسلام لخولة بنت حكيم إنها صغيرة السن . ولما قالت لها السيدة خولة (اخطبها وانتظر يا رسول الله!)

وبحساب آخر:

رفضت أم جبير وزوجها إتمام زواج ابنهما من عائشة بنت الصديق ، وذلك لعلم أبويه باعتناق أبى بكر الإسلام ومساعدته للرسول عليه الصلاة والسلام ودعوته . فيستحيل أن تكون السيدة عائشة قد ولدت فى السنة الرابعة قبل البعثة ، ثم خطبت بعد ذلك بست سنوات لجبير أى فى السنة العاشرة من البعثة . أى بعد سبع سنوات من المجاهرة بالدعوة!

وعلى ذلك تكون السيدة عائشة ولدت بعد البعثة أو قبلها بستين على الأقل ، وخطبت لجبير بن مطعم بن عدى وهى ابنة أربع سنوات أو خمس سنوات ، أى قبل المجاهرة بالدعوة مباشرة أو بسنة ، وانتظروا حتى تكبر الفتاة فيتم الزفاف . وعلى ذلك يكون الفارق بين عمرها وعمر الرسول ﷺ ٤٢ سنة .

ثم بعد ذلك علم مطعم بن عدى بإسلام أبى بكر ، (ومع ذلك لم ينكروا ذلك على جبير بن مطعم ، ولم ينكروا زواج الرسول عليه الصلاة والسلام من السيدة عائشة .) وفسح خطوبة ابنه بدافع شخصى من عنده ودون أن يبلغ أبى بكر بعمله هذا ، (أو لظنه أن أبو بكر قد يكون هو الذى فسخ الخطبة لأن جبير ليس على دينه ، وللمضايقات والتعذيب الذى لقيه المسلمون على أيدي المشركين) .

فقد خطبها الرسول عليه الصلاة والسلام وعمره ٥٣،٧ ، أى كان عمرها ١١،٧ ، ثم بنى بها بعد ذلك بستين ، أى تزوجت وهى ابنة ١٣،٧ سنة .

وأستبعد هذا الحل لأن الرسول بذلك يكون قد خطبها وهى ابنة ١٢ سنة تقريباً ، وهذا سن نضج للبنات ، فلو علمنا أن اليهود زوجوا ابنتهم صفية بنت حُيى بن أخطب وهى ابنة تسع سنوات ، لعلمنا أن سن ١٢ سنة ، سن نضج كاف جداً للزواج ، ولما قال عنها الرسول عليه الصلاة والسلام لخولة بنت حكيم أنها صغيرة السن . ولما قالت لها السيدة خولة (اخطبها وانتظري يا رسول الله!)

* وفى حديث للبخارى ذكرت السيدة عائشة أن الرسول قد تزوجها وهى ابنة تسع سنوات ، فقد يكون تزوجها فى التاسعة وانتظر سنتين ثم بنى بها بعد ذلك فى المدينة: أى المرجح أنه دخل بها وهى ابنة تسع سنوات أو احد عشر سنة . والأخير هو المرجح عندى ، ولو أنها لن تفرق كثيراً ، لأن سن التاسعة هو سن نضج ، تزوجت فيه فتيات كثيرات ، منهن صفية بنت حُيى بن أخطب رئيس يهود بنى النضير ، وعمرو بن العاص قبل إسلامه ، فقد كان الفارق فى العمر بينه وبين ابنه عبد الله ١١ سنة .

* فإذا كان الأب تزوج وعمره ١٠ سنة ، فكم كان عمر زوجته حينئذ؟ ومن المتعارف عليه (وهو ليس بقانون بدليل زواج الرسول عليه الصلاة والسلام من السيدة خديجة) أن يكون الرجل أكبر سناً من المرأة .

* فلو سلمنا جدلاً زواج الرسول عليه الصلاة والسلام بطفلة عمرها ٧ سنوات لم تنضج ، ما كان الكفار أو اليهود قد تركوها له دون أن يحاولوا النيل منه . لأن قريش التى كانت تتربص فى المقام الأول بالرسول ﷺ الدوائر لتأليب الناس عليه من فجوة أو هفوة أو زلة ، لم تُدهش حين أعلن نبأ المصاهرة بين أعزّ صاحبين وأوفى صديقين ، بل استقبلته كما تستقبل أي أمر طبعى .

فما كانت قريش لتنتظر حتى يأتى منصورون أو مستشرقون ليجدوا فى هذه النقطة مجالاً للطعن فيه عليه الصلاة والسلام .

هذا وقد أقرت أيضاً الدكتورة دوشنى - وهى طبيبة أمريكية - أن الفتاة البيضاء فى أمريكا قد تبدأ فى البلوغ عند السابعة أو الثامنة والفتاة ذات الأصل

الأفريقي عند السادسة .

<http://www.mercyportharon.com/news/january2003>

نقلًا عن موقع أهل الحديث:

<http://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?s=&threadid=18246>

الفصل الثاني عشر بعد المائة

عُمر السيدة مريم عند حملها بعيسى عليه السلام:

ورد في كتاب «قصة نياحة أينا القديس الشيخ النجار» (فصل ٣) بخصوص مريم: «قدمها أبواها إلى الهيكل وهي ابنة ثلاث سنين، وأقامت في هيكل الرب تسع سنين . ولما رأى الكهنة العذراء القديسة المثقبة الرب قد نشأت، خاطبوا بعضهم بعضًا قائلين: سلوا عن رجل يخاف الله لتودعوا عنده مريم إلى زمان العرس لئلا تبقى في الهيكل» . وتناول كتاب نصراني آخر بعنوان «حكاية رحلة يوسف» نفس تفاصيل هذه القصة .

ولكن قبل ذلك لما أحضر والد مريم ابنتيهما إلى الهيكل حدثت أشياء أخرى وردت في سياق القصة في (بروت إيفانجيليوم أى "إنجيل الخبز") ليعقوب الصغير (إصحاحات ٧ و ١١): «أن الكاهن قبلها وباركها قائلاً إن الرب الإله عظم اسمك بين جميع أجيال الأرض . وعليك في آخر الأيام يعلن الرب الإله فداء بني إسرائيل . . وربيت مريم كحمامة في هيكل الرب، وكانت تتناول الأكل من يد ملاك حتى ١٢ سنة من العمر

ثم التأم مجلس الكهنة فقالوا: إذا بلغت مريم اثنتى عشرة سنة من العمر في هيكل الرب، فما الذى يجب فعله بها؟ . . فوقف ملاك الرب بجانب زكريا وقال له: يا زكريا، اخرج واجمع أراامل القوم، وليأت كل واحد بقلم، ومن يريه الرب الإله علامة تكون زوجة له . فخرج المنادون في جميع نواحي اليهودية وبوقوا ببوق الله، فأتى الجميع مسرعين . فألقى يوسف قدومه أيضًا وولج في المجلس . ولما اجتمعوا توجهوا إلى الكاهن، فأخذ الكاهن أقلام

الجميع ودخل الهيكل وصلى . ولما تمت صلاته خرج وردّ لكل واحد قلمه، فلم تظهر علامة فيه، غير أن يوسف أخذ القلم الأخير، فخرجت من القلم حمامة وطارت على رأس يوسف . . فقال له الكاهن : صار لك حق بواسطة القرعة أن تتخذ عذراء الرب ، فخذها وديعة عندك .

ولما كان يوسف منزعاً أخذها وديعة عنده . . فأخذت مريم جرّة وخرجت لتملأها ماء، وإذا بصوت قائل : السلام لك أيتها المنعم عليها . الرب معك . مباركة أنت في النساء . فأخذت تلتفت يميناً ويساراً لترى من أين أتى هذا الصوت . ولما انزعجت توجهت إلى بيتها ولما وضعت الجرة . . جلست على الكرسي . . وإذا بملاك الرب قد وقف بجانبها وقال لها : لا تخافى يا مريم لأنك وجدتِ نعمة أمام الله ، وستحبلين بكلمته . ولما سمعت هذا قالت مريم فى نفسها : هل أحبل كما تلد كل امرأة؟ فقال لها الملاك : ليس كذلك يا مريم، لأن قوة العلى تظلللك، فلذلك أيضاً القدوس المولود منك يُدعى ابن الله وتسمينه يسوع» .

لاحظنا من سياق الكلام أنهم تشاوروا فى الذى يجب عمله إذا بلغت مريم الثانية عشر، أى لم تكن قد بلغت بعد!! ومع ذلك فقد بدأوا بالبحث لها عن زوج وهى فى هذا السن، الذى لم تبلغ فيه سن الثانية عشر من عمرها بعد!

إذن فقد كانت مريم عليها السلام قبل الثانية عشر أنسة ناضجة يمكنها الزواج والحمل!

الفصل الثالث عشر بعد المائة

سن الزواج فى بعض البلاد الأوروبية والأمريكية:

حددت الكنيسة الكاثوليكية فى إسبانيا أن من شروط صحة الزواج أن يبلغ الزوج من العمر ١٤ سنة ، والزوجة ١٢ سنة . فإذا كانت البنت فى إسبانيا تُعد صالحة للزواج فى سن ١٢ سنة ، فما بالكم بالبنت فى الجزيرة العربية؟ أو بالبنت فى جنوب إفريقيا؟

وفى الأرجنتين يُشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ١٤ سنة ، ولزوجة ١٢ سنة .

وفى ولاية فلوريدا وولاية إيداهو يُشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ١٤ سنة ، والزوجة ١٢ سنة .

وفى ولاية كونورادو الأمريكية يُشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ٢١ سنة ، والزوجة ١٢ سنة .

وفى يوغوسلافيا (فى الصرب ومونتيجرو) يُشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ١٥ سنة ، والزوجة ١٣ سنة .

وفى إيطاليا يجب أن يكون الزوج قد بلغ ١٦ سنة والزوجة ١٤ سنة

وفى ولاية ألاباما الأمريكية يجب أن يكون الزوج قد بلغ ١٧ سنة والزوجة ١٤ سنة .

وفى اليونان يُشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ١٨ سنة ، والزوجة ١٤ سنة .

وفى بلجيكا يُشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ١٨ سنة ، والزوجة ١٥ سنة .

- وفى اليابان يُشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ١٧ سنة ، والزوجة ١٥ سنة .
- وفى النمسا يُشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ٢١ سنة ، والزوجة ١٦ سنة .
- وفى الدنمارك يجب أن يبلغ الرجل من العمر ٢٠ سنة والزوجة ١٦ سنة على الأقل .
- وفى المجر وهولندا يُشترط أن يكون الزوج قد بلغ من العمر ١٨ سنة ، والزوجة ١٦ سنة .
- وفى السويد وسويسرا يجب أن يبلغ الرجل من العمر ٢١ سنة والزوجة ١٨ سنة على الأقل . (تقلا عن الزواج والطلاق فى جميع الأديان ص ٣٨٣-٤١٨)
- وقد كان اليهود يزوجون الولد فى سن ١٨ سنة والبنت بعد السبى فى سن ١٣ .

الفصل الرابع عشر بعد المائة

سن الزواج:

إن سن الزواج لا يخضع إلا لمعيار واحد هو اكتمال العروسين النضج الجسماني . فالسن الذى يُتعارف عليه فى البلدان الحارة بالنسبة للسيدات أقل بكثير منها فى البلاد الباردة .

وقد تزوجت السيدة صفية بنت حُيى بن الأخطب النضرى وهى على دين أبيها اليهودى زعيم بنى النضير ، وهى فى سن السيدة عائشة تقريباً ، فقد تزوجت الرسول ﷺ وهى ابنة ١٧ سنة ، وكانت قبله قد تزوجت مرتين : سلام بن مشكم القرظى ، ثم طلقها فتزوجها بعده كنانة بن الربيع .

ويكفيك أن تعلم أن البنت فى أمريكا وأوروبا تبدأ فى تناول أقراص منع الحمل ابتداءً من سن العاشرة .

فإذا كانت البنت فى الأماكن الباردة تصلح للزواج والإنجاب ابتداءً من

العاشرة ، فكيف سيكون الحال في البلاد الحارة مثل شبه الجزيرة العربية؟

وقد (رُصِدَت جائرة في بعض بلاد أوربا (أمسك عن ذكر اسمها) لكل فتاة بلغت الثانية والعشرين ومازالت عذراء . فلم تنجح واحدة ؛ فنزلوا بالسن سنة إثر سنة حتى وصلوا إلى الثامنة عشرة فكفوا حياءً واكتفاءً من الفضيحة بهذا القدر .) كما قال الأستاذ عبد المجيد صبح في كتابه: (الرد الجميل في المشككين في الإسلام ص ١٩٩)

* من المعلوم أن نضوج الفتاة في المناطق الحارة مبكر جداً ، وهو في سنّ الثامنة عادة ، وتتأخر الفتاة في المناطق الباردة إلى سنّ الواحد والعشرين . كما يحدث ذلك في بعض البلاد الباردة . ولكن هذا التحديد ليس معياراً للنضج الجنسي ، فهناك عوامل أخرى مثل الطعام تساعد على النضج الجنسي .

* ولم تكن السيدة عائشة رضى الله عنها أول صبيّة تُزوّج في تلك البيئة إلى رجل في سنّ أبيها ، ولن تكون كذلك أحرأهنّ . فقد تزوجت السيدة صفية بنت حيى بن الأخطب للمرة الأولى عندما كانت بنت ٩ سنوات . فقد كان هذا هو السائد في هذه البيئة الحارة بغض النظر عن الدين . بل كانت السيدة عائشة مخطوبة لجبير بن مطعم بن عدى وهى ابنة ٦ سنوات . ولم يعترض أحد من الناس على هذا العرف السائد بينهم .

* كان فارق العمر بين يوسف النجار والسيدة مريم تقريباً ٧٨ سنة ، فقد كان يوسف ابن ٩٠ سنة حينما خطب مريم ، ودخل بها بعد ذلك بستتين (على إحدى الروايات) ذكرتها دائرة المعارف الكاثوليكية على شبكة النت :

<http://www.newadvent.org/cathen/08504a.htm>

* لقد تزوّج عبد المطلب الشيخ عم الرسول عليه الصلاة والسلام من هالة بنت عمّ أمانة في اليوم الذى تزوّج فيه عبد الله أصغر أبنائه من صبيّة هى في سنّ هالة وهى أمانة بنت وهب .

* عرض عمر بن الخطاب ابنته بعد وفاة زوجها على أبى بكر وعمرها لا يتجاوز ال ١٨ سنة . معنى هذا أن هذه الزيجات كانت منتشرة وقتئذ .

* تزوج عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت على بن أبى طالب وبينهما فارق فى السن كان هو نفس الفارق فى العمر الذى بين الرسول ﷺ وأمنا عائشة رضى الله عنها .

* كان عمر نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما تزوج هاجر ٨٥ سنة ، وكان عمرها حوالى ١٥ سنة أو أصغر ، لأنها أعطيت له كجارية فى مصر ، ورجع أرض كنعان عندما كان عمره ٧٥ سنة وتزوجها بعد ١٠ سنوات . فكان الفارق الزمنى بينهما حوالى ٧٠ سنة أو أكثر . (تكوين ١٢ : ٤-٢٠) و(تكوين ١٦ : ٣-١٦)

* كان عمر نبي الله داود عليه السلام عندما مات ٧٠ سنة ، وقبلها بقليل تزوج بآخر زوجة له وكانت فتاة عذراء ، فمن الممكن أن يكون عمرها حوالى ١٣ سنة كما اعتاد اليهود تزويج بناتهم ، فيكون الفارق الزمنى بينهما هو ٥٧ سنة .
* بل إن الكتاب المقدس يذكر أن فارص تزوج وعمره خمس سنوات ، ودخل مصر فى الثامنة من عمره ومعه ابنه!

وبيان ذلك كالاتى :

من وقت رمى يوسف عليه السلام فى الجب حتى دخول يعقوب وأبنائه مصر ٢٢ سنة

وهى ١٧ عمر يوسف وقت رميه فى البئر (تكوين ٣٧ : ٢) + ١٣ سنة (المدة التى قضاها حتى وقف بين يدى فرعون (تكوين ٤١ : ٤٦) فقد وقف وهو ابن ٣٠ سنة + ٧ سنين رخاء (تكوين ٤١ : ٥٣) + ستين أتى فيهم يعقوب وأبناؤه (تكوين ٤٥ : ٦) * فيكون المجموع ٢٢ سنة كما أخبرت التوراة .

لنقرأ الذى حدث فى هذه ال ٢٢ سنة من أحداث :

يقول الكتاب فى (تكوين ٣٧ : ١ ، ٥) : إن يهوذا أخى يوسف تزوج من ابنة

شوع وحملت ثم أنجبت (غير)، وهذا لا يمكن ان يكون فى أقل من سنة ثم بعد ذلك تزوجت (أونان)، ثم بعد ذلك تزوجت (شيلة) ابنه عندما كبر . ثم من عدد (٦، ١٠) نرى أن (غير) تزوج (ثامار) ثم مات بعدها، ولا يمكن أن يكون تزوجها وهو أقل من ١٢ سنة، ولنفرض أنه كان ابن ١٢ سنة وأنه مات بعدما تزوجها بيوم، ولنحسب المدة الآن من وقت زواج يهوذا حتى ولادة غير سنة، زائد عمره فى سن الزواج ١٢ سنة فيصبح المجموع ١٣ سنة .

ثم تزوجها (أونان)، ثم مات أيضًا، ولنفرض أنه مات بعدما تزوجها بيوم .

ثم فى عدد (١١) انتظرت شيلة حتى يكبر، ولكنه أيضًا كبر ولم يتزوجها كما فى عدد (١٤) ولا يمكن أن يكون هذا فى أقل من سنة، لأن المانع من الزواج كان صغر سنه كما فى عدد (١١) فمنطقيًا لا يمكن أن تكون انتظرته أسبوع أو شهر أو شهرين بل على أقل تقدير سنة واحدة فنضيفها إلى ال ١٣ سنة فيصبح المجموع ١٤ سنة .

ثم يقول إنه بعد هذا الإنتظار زنى بها يهوذا نفسه وحملت منه ثم وضعت طفلين هما فارص وزارح وهذا تم فى تسعة أشهر أى ما يقرب السنة

ولنقل إنه سنة ونضيفها إلى ال ١٤ سنة فيصبح المجموع ١٥ سنة من ٢٢ سنة فيبقى ٧ إلى ٨ سنوات على الأكثر، وهذا هو عمر فارص عندما دخل مصر كما سيأتي.

وفى (تكوين ٤٦ : ١٢) يذكر لنا أسماء الذين دخلوا مصر مع يعقوب ويذكر من بينهم فارص وابناه (حصرون وحامير) وكيف يكون له طفلين وهو فى هذا العمر؟

فهذا يعنى أنه تزوج وهو أقل من ٧ سنوات أى ٦ سنوات هذا إذا فرضنا أنهما توأمين وإلا يكون تزوج وهو فى سن الخامسة!!

ويجب أن لا ننسى أننا حسب كل شئ على أقل تقدير والله المستعان (نقلا عن الأستاذ بلال من موقع barsoomyat.com)

* بل تزوج يهورام قبل أن يولد بثلاث سنوات: فقد كان يهورام (٢٠) كَانَ ابْنِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ وَمَلَكَ ثَمَانِي سِنِينَ فِي أُورُشَلِيمَ وَذَهَبَ غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْهِ وَدَفَنُوهُ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ وَلَكِنْ لَيْسَ فِي قُبُورِ الْمُلُوكِ . أخبار الأيام الثاني ٢١ : ٢٠

(١) وَمَلَكَ سَكَّانُ أُورُشَلِيمَ أَخْرَجَا ابْنَهُ الْأَصْغَرَ عَوْصًا عَنْهُ لِأَنَّ جَمِيعَ الْأَوَّلِينَ قَتَلَهُمُ الْعُرَاةُ الَّذِينَ جَاءُوا مَعَ الْعَرَبِ إِلَى الْمَحَلَّةِ . فَمَلَكَ أَخْرَجَا بْنُ يَهُورَامَ مَلِكٍ يَهُودًا . ٢ كَانَ أَخْرَجَا ابْنِ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً حِينَ مَلَكَ وَمَلَكَ سَنَةً وَاحِدَةً فِي أُورُشَلِيمَ وَاسْمُ أُمِّهِ عَثْلِيَا بِنْتُ عُمْرَى . أخبار الأيام الثاني ٢٢ : ١-٢

وفي هذه الكارثة تقول دائرة المعارف الكتابية: (وكان ابن اثنتين وعشرين سنة حين ملك ، وملك سنة واحدة (ملوك الثاني ٨ : ٢٦) . أما عبارة "اثنتين وأربعين سنة" (أخبار الأيام الثاني ٢٢ : ٢) فلا شك أنها خطأ من الناسخ حيث أننا نعلم من (أخبار الأيام الثاني ٢١ : ٥ و ٢٠) أن يهورام أباه كان ابن أربعين سنة عندما مات . كما أنها جاءت "ابن اثنتين وعشرين سنة" في النسختين السريانية والعربية ، "وابن عشرين سنة" في الترجمة السبعينية .

فعلى حساب الكتاب المقدس يكون يهورام قد بلغ وتزوج قبل أن تلده أمه بثلاث سنوات، ليتساوى مع عمر ابنه!

الفصل الخامس عشر بعد المائة

تعدد زوجات خاتم النبيين محمد عليه الصلاة والسلام :

تزوج النبي محمد ﷺ تسع زوجات: (١) السيدة خديجة ، (٢) والسيدة سودة بنت زمعة ، (٣) والسيدة عائشة بنت أبي بكر ، (٤) والسيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب ، (٥) والسيدة زينب بنت خزيمة (أم المساكين) ، (٦) والسيدة هند بنت أبي أمية (أم سلمة) ، (٧) والسيدة زينب بنت جحش ، (٨) والسيدة جويرية بنت الحارث ، (٩) والسيدة صفية بنت حيى بن أخطب ، (١٠) والسيدة

رملة أم حبيبة بنت أبي سميان . (١) والسيدة ماريّا بنت شمعون ، (١٢) والسيدة ميمونة بنت الحارث .

منهن أمنا السيدة جويرة بنت الحارث (٨) ، والسيدة صفية بنت حُيى بن أخطب (٩) كانتا من سبايا الحرب ولهن ظروفهن الخاصة ، التى تنم عن براعة النبى القائد السياسى الرحيم ، وكذلك كانت السيدة ماريّا بنت شمعون (١١) هدية من المقوقس عظيم القبط بى مصر ، ولم تكن السيدة ماريّا من زوجات الرسول ، وإنما كانت ملك يمين ، وبذلك لم يُطلق عليها اسم أم المؤمنين . وقد ذكرت بعض الروايات أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد تزوجها تكريماً لها وتشريفاً .

يلاحظ الآتى :

١- تزوج الرسول عليه الصلاة والسلام بأُمتنا جويرة بنت الحارث وأُمتنا صفية بنت حُيى بن أخطب وقد كانتا من السبايا ، فأكرمهن بعد إسلامهن ، وتزوجهن ، ولو كان دخل على أى من السبايا التى يملكها فهذا حقه ، وقد أقرته التشريعات السابقة ، كما كانت عارية المصرية جارية أهداها له المقوقس عظيم القبط بمصر . فقد كانت سرية من سراريه (مملوكة له) . وأعتقها بعد إسلامها وتزوجها .

٢- بدأ داود بتعدد الزوجات عندما كان عمره ٢٠ سنة وعلى مدار عمره كله ، أى ٥٠ سنة كان يعدد فيها الزوجات .

٣- ويمكنك أن تقارن بين تعدد زوجات النبى صلوات الله وسلامه عليه وبين تعدد زوجات باقى الأنبياء من الجدول الذى سبق وأن قدمته . وتحكم بنفسك : هل كان النبى محمد ﷺ شهوانى أو محب للنساء؟

- تزوج وعمره ﷺ ٢٥ سنة ، وظل ٢٥ سنة مع زوجة واحدة .

- توفت أمنا خديجة وكان عمر، ﷺ ٥٠ سنة

- ظل ﷺ من عمر ٥٠ إلى عمر ٥٢ بدون زواج .
- ظل من سنة ونصف إلى سنتين مع السيدة سودة بنت زمعة دون أن يتزوج عليها . وكان عمرها فوق الثمانين سنة .
- عدّد الرسول ﷺ الزوجات في مدة تُقدَّر بـ ٥,٩ سنوات .
- وظل ﷺ فترة تُقدَّر بـ ٣,٥ سنوات بدون زواج جديد .
- تزوّج الرسول صلوات الله عليه وسلم بطريقتين :
- محمد الرجل وقد تزوج السيدة خديجة فقط ، ومحمد الرسول تزوج الباقيات لدواعي النبوة والدعوة والإنسانية .

الفصل السادس عشر بعد المائة

لماذا لم يسمح الرسول ﷺ بزواج عليّ من امرأة أخرى على ابنته فاطمة :

هذه شبهة أثارها أناس لم يتحلوا بالموضوعية أو لم يفهموا الموضوع إلا بعين غشيتها التعصب . لقد أراد علي بن أبي طالب أن يتزوج ابنة عدو الله أبي جهل ، فلك أن تتخيل أن يكون عدو الله في خارج بيت النبوة يحاول قتل الرسول ﷺ والتخلص منه ومن دعوته ، ويحاول ذلك أيضًا عن طريق ابنته في الداخل ، حيث سكناهما هو نفس السكن ، مع ابنة رسول الله ﷺ ومع رسول الله ﷺ نفسه ! فلو فشل عدو الله في النيل من الرسول ﷺ نفسه ، فستكون هناك فرص كثيرة للنيل من الرسول ﷺ في شخص ابنته . أضف إلى ذلك كيف يدخل عدو الله بيت ابنة النبي ليزور ابنته على الأقل : ألن تسول له نفسه بالانتقام من رسول الله ﷺ في شخص ابنته السيدة فاطمة ؟

وهذا أحد الأسباب التي دفعت الرسول ﷺ إلى رفض هذه الزيجة : (أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذَلِكَ فَاطِمَةُ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ إِنَّ قَوْمَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ لَا تَعْصِبُ لِبَنَاتِكَ وَمَعَا عَلِيٍّ نَاكِحًا ابْنَةً أَبِي جَهْلٍ قَالَ الْمُسَوِّرُ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَمِعَتْهُ حِينَ تَشْهَدُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي فَصَدَّقَنِي وَإِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ بَضْعَةٌ مِنِّي وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ تَفْتِنُوهَا وَإِنَّهَا وَاللَّهِ لَا تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَدًا) قَالَ فَتَزَلَّ عَلَيَّ عَنِ الْخُطْبَةِ) أخرجه ابن ماجه فى سننه

السبب الثانى : هو أن فاطمة من أفضل النساء فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ (أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاجِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ) مسند أحمد ، ومسند هاشم .

فالإسلام لا يظلم أحد ، وغد بُنى الزواج على التكافؤ من جهتين : جهة الدين ، والجهة الاجتماعية ، فإذا كانت ابنة رسول الله السيدة فاطمة خير نساء أهل الأرض ، فليس من العدل إذن أن يتزوج عليها امرأة قط .

وللمرأة التى من أسرة لها وجهة اجتماعية عالية فى مجتمعها أن تطلب الطلاق للضرر إذا تزوج زوجها عليها امرأة البواب مثلاً ، أو الخادمة ، أو امرأة أقل منها فى الكفاءة الاجتماعية . وهذا ما حدث مع نبي الله إبراهيم ، فلم يتزوج خادمتها هاجر على زوجته سارة ، إلا بموافقتها واختيارها هى .

وهذا ما فعله أيضاً الرسول ﷺ أثناء حياة السيدة خديجة ، فلم يتزوج عليها امرأة ، لأنها خير نساء أهل الأرض يومئذ . فمن هذه المرأة التى تفوق خير نساء أهل الأرض؟

الفصل السابع عشر بعد المائة

إكراه المرأة على الزواج بشخص معين :

منح الإسلام المرأة الرشيدة الحق فى اختيار زوجها . وفى هذا اعتراف

بكرامة المرأة ، وتكريماً لها ، واعتراف بأن المرأة لها العقل المميز ، الذى من حقها بناءً على وجوده أن تختار شريك حياتها . قارن هذا بنص القانون المدنى الفرنسى (بعد الثورة الفرنسية) على أن القاصرين هم الصبى والمجنون والمرأة ، حتى غُدَل عام ١٩٣٨ .

قال ﷺ « لا تُنكَح الأيم حتى تُستأمر ، ولا البكر حتى تُستأذن »

وقال ﷺ « إن الثيب أحق بنفسها من وليها ، والبكر تُستأمر ، وإذنها سكوتها »

قالت عائشة رضى الله عنها : إن فتاة دخلت عليها ، فقالت : إن أبى زوجنى من ابن أخيه يرفع لى خسيصة [أى يرفع من شأنى] ، وأنا له كارهة . فقالت اجلسى حتى يأتى رسول الله ﷺ ، فجاء رسول الله ﷺ ، فأخبرته ، فأرسل إلى أبيها ، فدعاه ، فجعل الأمر إليها ، فقال : " يا رسول الله : قد أجزت ما صنع أبى ، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شيء " .

الفصل الثامن عشر بعد المائة

لا وجود للخطيئة الأزلية من الأساس :

وفى هذا الإصحاح تبرئة للمرأة والجنس البشرى كله من الخطيئة الأزلية ، وها هى نُخبة من أقوال الرب يستنكر فيها فرية الخطيئة الأزلية :

١- قال موسى وهارون للرب : («اللَّهُمَّ إِلَهَ أَرْوَاحِ جَمِيعِ الْبَشَرِ هَلْ يُخْطِئُ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَتَسْحَطَ عَلَى كُلِّ الْجَمَاعَةِ؟») العدد ١٦ : ٢٢ ، فهل يُعقل أن يكون عبيد الرب أحكم منه وأرحم منه على مخلوقاته؟

٢- (١٦) «لا يُقْتَلُ الْآبَاءُ عَنِ الْأَوْلَادِ وَلَا يُقْتَلُ الْأَوْلَادُ عَنِ الْآبَاءِ . كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيئَتِهِ يُقْتَلُ .» التثنية ٢٤ : ١٦

٣- (هَلْ قَصَرَتْ يَدَى عَنِ الْفِدَاءِ وَهَلْ لَيْسَ فِيَّ قُدْرَةٌ لِلْإِنْقَادِ؟ هُوَذَا بِزَجْرَتِي أَنْشَفَ الْبَحْرَ . أَجْعَلُ الْأَنْهَارَ قَفَرًا . يُنْتِنُ سَمَكُهَا مِنْ عَدَمِ الْمَاءِ وَيَمُوتُ

بِالْعَطَشِ . ٣ أُلْبِسُ السَّمَاوَاتِ ظِلَامًا وَأَجْعَلُ الْمَسْحَ غِطَاءَهَا . (إشعياء ٥٠ :
٣-٢

٤- (١٩) اِصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ هَذَا لَشُعْبٍ كَعَظَمَةِ نِعْمَتِكَ وَكَمَا غَفَرْتَ لِهَذَا
الشَّعْبِ مِنْ مِصْرَ إِلَى هَهُنَا . ٢٠ فَقَالَ الرَّبُّ : « قَدْ صَفَحْتُ حَسَبَ قَوْلِكَ .
عدد ١٤ : ١٩-٢٠

فالرب قد صفح وسامح وغفر دون أن ينزب أو يتجسد ويُهَان ليعدم صلبًا .

٥- (وَسَيُعَاقِبُ بَنِي يَعْقُوبَ عَلَى طُرُقِهِمْ وَيُجَازِيهِمْ بِحَسَبِ أَعْمَالِهِمْ .
هوشع ١٢ : ٣ الترجمة المشتركة

٦- (يَحْفَظُونَ شَعَائِرِي لِكَيْ لَا يَحْمِلُوا لِأَجْلِهَا خَطِيئَةً يَمُوتُونَ بِهَا) .
لاويين ٢٢ : ٩

إذن فالإنسان بالإيمان بالله وطاعته يموت نظيفًا بدون الخطيئة المتوارثة .

وهو نفس ما طلبه عيسى عليه السلام من بني إسرائيل أن يعترفوا أنه لا إله إلا
الله ، فهو الصالح ، ولا أحد غيره ، وأن يحفظوا شعائر الله وأوامره فيملكون
الحياة الخالدة في الجنة : (وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الرِّصَايَا .
قَالَ لَهُ : « آيَةُ الرِّصَايَا ؟ » فَقَالَ يَسُوعُ : « لَا تَقْتُلْ . لَا تَزْنِ . لَا تَسْرِقْ . لَا تَشْهَدْ
بِالرُّوْرِ . أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحِبَّ قَرِيْبَكَ كَنَفْسِكَ » .) متى ١٩ : ١٧-١٩

٧- وقال يسوع عند لوقا : (إِنْ لَمْ تَتُوبُوا فَجَمِيعُكُمْ كَذَلِكَ تَهْلِكُونَ .) لوقا
١٣ : ٣

إذن عدم الهلاك ودخول الجنة يتوقف على التوبة والرجوع إلى الله .
ومعنى ذلك أن الله يقبل التوبة من عباده ، لأنه إله المحبة والرحمة ، ولا يتوقف
هذا على صلبه .

وهو نفس قول إشعياء الذي دعا فيه قومه إلى التوبة ليرحمهم الله ، ورغبهم في

ذلك بأن أخبرهم أن الله غفور رحيم: (لِيَتْرَكَ الشَّرِيرُ طَرِيقَهُ وَرَجُلُ الْإِثْمِ أَفْكَارَهُ وَلِيُتَّبِعَ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ وَإِلَى إِلَهِنَا لِأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ .) إشعياء ٥٥ : ٧

وهو نفس قول يوحنا المعمدان ويسوع في بداية تنفيذ رسالتهم . فقد بدأ يوحنا المعمدان رسالته قائلاً: (١) وَفِي تِلْكَ الْأَيَّامِ جَاءَ يُوْحَنَّا الْمَعْمَدَانُ يَكْرِزُ فِي بَرِّيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ ٢ قَائِلًا: «تُوبُوا لِأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ .» متى ٣ : ١ وكذلك بدأ عيسى رسالته طالباً من قومه التوبة والرجوع إلى الله: (١٧) مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ ابْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ: «تُوبُوا لِأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ» . متى ١٧ : ٤

٨- (٢٣) فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «أَفْتَهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الْأَثِيمِ؟ ٢٤ عَسَى أَنْ يَكُونَ خَمْسُونَ بَارًّا فِي الْمَدِينَةِ . أَفْتَهْلِكُ الْمَكَانَ وَلَا تَصْفَحَ عَنْهُ مِنْ أَجْلِ الْخَمْسِينَ بَارًّا الَّذِينَ فِيهِ؟ ٢٥ حَاشَا لَكَ أَنْ تَفْعَلَ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الْأَثِيمِ فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالْأَثِيمِ . حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلُّ الْأَرْضِ لَا يَصْنَعُ عَدْلًا؟» (التكوين ١٨ : ٢٣-٢٥)

أُيَعْلَمُ النَّبِيُّ إِلَهُهُ كَيْفَ يَكُونُ حَكِيمًا وَرَحِيمًا مَعَ عِبَادِهِ؟ هَلْ كَانَ إِبْرَاهِيمَ أَرْحَمَ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ خَالِقِهِمْ؟ انظر إلى الفطرة القويمة للنبي التي ترفض أن يتساوى البار مع الأثيم! وانظر إلى تسميته لهذا الحكم بالظلم: (حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلُّ الْأَرْضِ لَا يَصْنَعُ عَدْلًا؟) فمن الذي ربى النبي وعلمه هذه الحكمة وهذا العدل؟ أليس هو إله الذي اصطفاه للنبوة وعلمه؟ فهل فاقد الشيء يعطيه؟

* هل تتخيل أن المخلوق أرحم بعبيد الله منه؟ فأبو الأنبياء يستنكر على الإله الخالق الذي أرسله أن يهلك مدينة قد يكون فيها عدد قليل من الأبرار حتى ولو خمسون باراً!! أى يستنكر أن يُعاقب برىء على ذنب إنسان آخر .

* لك أن تتخيل رحمة نبي ، يُتهم بأنه ديوث ، أكبر وأشمل من قسوة وبطش إلهه!! إله أضمر الشر والرغبة في الانتقام ألوفاً من السنوات

وفى النهاية قرر الانتقام من ابنه أقصد من نفسه!! نبي يشفع فى خمسين باراً من مدينة واحدة، وإله ينتقم من خلقه أجمعين حتى رسله الأبرار، حتى الذين عبدوه حق عبادته، وأطاعوه وشهد لهم بأنهم أرضوه، أدخلهم جحيمه فور موتهم حتى يحين وقت موته هو لينزل إلى الجحيم ليخلصهم!!

❖ ولماذا أراد الرب أن ينتقم منهم؟ ألم يعلم أنه سينزل فى صورة بشر، وأنه سيغفر لهم عن طريق صلبه وقيامته؟ وهل كان يعرف أنبياءه هذه الرسالة؟ أم ما هى طبيعة كل رسل الله قبل عيسى عليه السلام؟ ولماذا يختلف كتابكم المقدس عن كل أديان التوحيد السابقة واللاحقة؟ فهل غش الرب أنبياءه وأرسلهم برسالة مخالفة لرسالة الأنبياء السابقين ولرسالة التى جاء هو بها؟ هل غش خلقه وأوهمهم بالتوحيد ووحدانية الله دون ناسوت ولاهوت وروح قدس، ثم خالف كل هذه التعاليم؟ هل أوهمهم أنه لا يقتل الآباء عن الأبناء ولا الأبناء عن الآباء، ثم فاحأهم أنهم لا يحملون وزر أبيهم بل وزر أول رجل وامرأة خلقا؟

٩- (١٤) فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ وَصَلُّوا وَطَلَبُوا وَجْهِي وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِم الرَّدِيئَةِ فَإِنِّي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَغْفِرُ خَطِيئَتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ . (أخبار الأيام الثاني ٧: ١٤) فهذا قانون الله . فمن أتيتم بفرية الصلب والفداء من أجل خطيئة آدم؟

١٠- (٢٨) إِلَى الدَّهْرِ أَحْفَظْ لَهُ رَحْمَتِي . (المزمور ٨٩: ٢٨)

(٢٦) أَعْنَى يَا رَبِّ إِلَهَى . خَلَّصْنِي حَسَبَ رَحْمَتِكَ . (المزمور ١٠٩: ٢٦)

فأين تكمن هذه الرحمة فى أن يُضمر انتقامه طوال هذا العمر، ويُنهى هذه المسرحية بقتل ابنه!!

١١- ألم يأمر الرب بالعقاب الفورى لمن خالف تعاليمه، ولم يعظم السبت؟ فإذا كان هذا حاله مع عباده، فما الذى غير حاله مع آدم ولم يعاقبه من

فوره؟ وإن كان ما فعله مع آدم هو المألوف ، فلماذا تعجلَ بقتل هذا الرجل الذى خالف السبت ، ولم ينتظر حتى يجيء هو نفسه ليُصلب؟ (٣٢) وَلَمَّا كَانَ بُنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَجَدُوا رَجُلًا يَحْتَطِبُ حَطَبًا فِي يَوْمِ السَّبْتِ . ٣٣ فَقَدَّمَهُ الَّذِينَ وَجَدُوهُ يَحْتَطِبُ حَطَبًا إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ وَكُلِّ الْجَمَاعَةِ . ٣٤ فَوَضَعُوهُ فِي الْمَحْرَسِ لِأَنَّهُ لَمْ يُعْلَنْ مَاذَا يُفْعَلُ بِهِ . ٣٥ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «قَتْلًا يُقْتَلُ الرَّجُلُ . يَرْجُمُهُ بِحِجَارَةٍ كُلُّ الْجَمَاعَةِ خَارِجَ الْمَحَلَةِ» . ٣٦ فَأَخْرَجَهُ كُلُّ الْجَمَاعَةِ إِلَى خَارِجِ الْمَحَلَةِ وَرَجَمُوهُ بِحِجَارَةٍ فَمَاتَ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى .

خروج ١٥ : ٣٢-٣٦

ولماذا قرر معاقبة المخالفين لشريعته كلها؟ فقد قرر (٢١) حالة يقتل فيها المخالف لقوانينه ، هذا بالإضافة إلى العقوبات الأخرى:

(١) عبادة الأوثان: (تشية ١٣ : ١٠-١١) ولو ارتكبت مدينة بأكملها هذا الجرم (تشية ١٣ : ١٢-١٦) ، مع تحطيم الأوثان وكل ما يتصل بعبادتها ومذابحها وحرقتها بالنار (تشية ٧ : ٥ و ٢٥)

(٢) تقديم الأطفال ذبيحة: (لاويين ٢٠ : ٢)

(٣) السحر والعرافة ومخاطبة الأرواح: (تشية ١٨ : ١٠-١١) وخروج ٢٢ : ١٨ .

(٤) التجديف على الله وعلى الرؤساء: (لاويين ٢٤ : ١١-٢٣) ، (خروج ٢٢ : ٢٨ ، و رومية ١٣ : ١ و ٢) .

(٥) النبوة الكاذبة: (تشية ١٨ : ٢٠-٢٢) .

(٦) كسر السبت: (خروج ٣١ : ١٤-١٧) ، (عدد ١٥ : ٣٢-٣٦) .

(٧) الاستخفاف بناموس الله: أى عدم الخضوع له (عدد ١٥ : ٣٠ و ٣١)

(٨) عدم الخضوع لقرارات الكاهن فى خيمة الاجتماع أو الهيكل: (تشية ١٧ : ٨-١٢)

- (٩) القاتل متعمداً: (خروج ٢١: ١٢ وعدد ٣٥ : ٣١)
- (١٠) من اعتدى على أحد رلديه بالضرب أو السب: (خروج ٢١ : ١٥)
- (١١) الشذوذ الجنسي والسدومية: (لاويين ١٨ : ٢٢ و ٢٩ ولاويين ٢٠ : ٣)
- (١٢) الاضطجاع مع بهيمة: (لاويين ٢٠ : ١٥-١٦)
- (١٣) الزنا: (لاويين ٢٠ : ١٠، تثنية ٢٢ : ٢٤) .
- (١٤) اغتصاب فتاة مخطوبة أو إغوائها: (تثنية ٢٢ : ٢٥-٢٧)
- (١٥) زواج المحارم: (لاويين ٢٠ : ١١-١٤) (لاويين ٢٠ : ١١ و ١٢ و ١٧ و ١٩-٢١) (تثنية ٢٧ : ٢٣) و (لاويين ١٨ : ١٠) .
- (١٦) المعاشرة الزوجية في فترة الطمث: (لاويين ٢٠ : ١٨) .
- (١٧) معاندة الوالدين: (تثنية ٢١ : ١٨-٢١)
- (١٨) خطف الأشخاص: (خروج ٢١ : ١٦) و (تثنية ٢٤ : ٧)
- (١٩) ومن يتعدى على وصية بالتحريم كما حدث مع عخان بن كرمي (يشوع ٧ : ٢٥) وقد رجم استفانوس لاتهامه بالتجديف (أعمال ٧ : ٥٧ و ٥٨) .
- (٢٠) الإعدام بالحرق للرجل الذي يتخذ امرأة وأمها: (لاويين ٢٠ : ١٤) .
- (٢١) الإعدام بالحرق لابنة الكاهن إذا تدنست بالزنى: (لاويين ٢١ : ٩) .
- * كما كانت هناك عقوبات مثل البتر ، وكانت في حالة :
- (١) المرأة التي تتقدم لكي تخلص رجلها من يد ضاربها، فتمد يدها وتمسك بعورته، (تثنية ٢٥ : ١٢) .
- (٢) الاعتداء والتشويه: (خروج ٢١ : ٢٤-٢٥ وخروج ٢١ : ٢٦ و ٢٧)

* وهناك عقوبات أخرى مثل :

(١) الجلد: وكان وسيلة عقاب الرجل الذى يتهم زوجته باطلا بأنها لم تكن عذراء عندما تزوجها، (خروج ٢١ : ٢٠ و ٢٦ و ٢٧) .

(٢) والتعويض والغرامات: (خروج ٢٢ : ١-٤) .

(٣) والاستعباد: (خروج ٢٢ : ١-٣) . مثل عدم دفع الديون (ملوك الثانى ٤ : ١ ، نحميا ٥ : ٥ ، عاموس ٢ : ٦) ، و "إذا افتقر أخوك عندك وبيع لك فلا تستعبده استعباد عبد . كأجير كنزيل يكون عندك إلى سنة اليوبيل يخدم عندك " (لاويين ٢٥ : ٣٩-٤٣) .

* وهناك عقوبات غريبة لا معنى لها قام بها الرب نفسه أو أمر بها ، مثل :

(١) الضرب بالحذاء والبصق فى الوجه: (تشية ٢٥ : ٥-١٠)

(٢) الزنى: فقد أسلم رب الأرباب نساء نبيه داود للزنى (صموئيل الثانى ١٢ : ١١-١٢)

(٣) أكل الخراء: الرب يأمر نبيه حزقيال بأكل الخراء الآدمى: (حزقيال ٤ : ١٢)

(٤) القذف بالخراء: فقد أمسك الرب الخراء بيديه وقذفه فى وجوه الكهنة: (ملاخى ٢ : ٣)

(٥) المشى حافياً عارياً: الرب يأمر إشعياء أن يمشى عارياً حافياً لمدة ثلاث سنوات: (إشعياء ٢٠ : ٢-٤)

(٦) الرب يأمر بقتل كل امرأة عاشرت رجلاً من قبل والإبقاء على العذارى: عدد ٣١ : ١٧-١٨

(٧) الرب يعطى متعمداً فرائض غير صالحة: (حزقيال ٢٠ : ٢٥)

(٨) هدم المنزل المصاب بالبرص: (٤٥ قيهدم البيت: حجارته

وَأَخْشَابُهُ وَكُلَّ تَرَابِ الْبَيْتِ وَيُخْرِجُهَا إِلَى خَارِجِ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَانٍ نَجِسٍ .
لاويين ١٤ : ٤٥

(٩) حرق الملابس المصابة بالبرص: (٥٠) فَيَرَى الْكَاهِنُ الضَّرْبَةَ وَيَحْجِزُ الْمَضْرُوبَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ . ٥١ فَمَتَى رَأَى الضَّرْبَةَ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ إِذَا كَانَتْ الضَّرْبَةُ قَدْ امْتَدَّتْ فِي الثُّوبِ فِي السَّدى أَوْ اللَّحْمَةِ أَوْ فِي الْجِلْدِ مِنْ كُلِّ مَا يُصْنَعُ مِنْ جِلْدٍ لِلْعَمَلِ فَالضَّرْبَةُ بَرَصٌ مُفْسِدٌ . إِنَّهَا نَجِسَةٌ . ٥٢ فَيُحْرِقُ الثُّوبَ أَوْ السَّدى أَوْ اللَّحْمَةَ مِنَ الصُّوفِ أَوْ الْكَتَّانِ أَوْ مَتَاعِ الْجِلْدِ الَّذِي كَانَتْ فِيهِ الضَّرْبَةُ لِأَنَّهَا بَرَصٌ مُفْسِدٌ . بِالنَّارِ يُحْرِقُ . لاويين ١٣ : ٥٠-٥٢

(١٠) المعايرة والفضح على الملأ: (٤٥) وَالْأَبْرَصُ الَّذِي فِيهِ الضَّرْبَةُ تَكُونُ ثِيَابُهُ مَشْفُوفَةٌ وَرَأْسُهُ يَكُونُ مَكْشُورًا وَيَعْصَى شَارِبِيهِ وَيُنَادِي: نَجِسٌ نَجِسٌ .
لاويين ١٣ : ٤٥

(١١) الرب قتل ٥٠٠٧٠ رجلاً لأنهم نظروا تابوت الرب:
هل تخيل عقوبة القتل لمن ينظر تابوت الرب! أليس خير له أن تُقطع يده أو تُفقد أحد عينيه ويعيش؟ فلماذا لم ينتظر حتى يزل ويصلب، حتى لا يعاقبهم مرتين؟ أين رحمته؟ بل أين عدله؟ وأين محبته؟ (١٩) وَضَرَبَ أَهْلَ يَتَشَمْسُ لَأَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلَى تَابُوتِ الرَّبِّ . وَضَرَبَ مِنْ الشَّعْبِ خَمْسِينَ أَلْفَ رَجُلٍ وَسَبْعِينَ رَجُلًا . فَتَاحَ الشَّعْبُ لَأَنَّ الرَّبَّ ضَرَبَ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً . صموئيل الأول ٦ : ١٩

(١٢) الرب يعاقب الأشوديين بالبواسير: (٦) فَتَقَلَّتْ يَدُ الرَّبِّ عَلَى الْأَشْدُودِيِّينَ، وَأَخْرَبَهُمْ وَضَرَبَهُمْ بِالْبَوَاسِيرِ فِي أَشْدُودَ وَتُخُومِهَا . صموئيل الأول ٥ : ٦

(١٣) الرب حكم على الحية أن تأكل تراباً بقية عمرها جزاء إغوائها لأدم وحواء: فهل سمعتم عن حية تأكل التراب؟ (١٤) فَقَالَ الرَّبُّ لِلْحَيَّةِ: «لَأَنَّكَ فَعَلْتِ هَذَا مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وَحُوشِ الْبَرِّيَّةِ . عَلَى بَطْنِكَ تَسْعِينَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ .» تكوين ٣ : ١٤

(١٤) الرب يحكم على بنى آدم بالتعب عمره كله :

(١٦) وَقَالَ لِلْمَرْأَةِ : «تَكْثِيرًا أَكْثَرَ أَتَعَابَ حَبْلِكَ . بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلَادًا . وَإِلَى رَجُلِكَ يَكُونُ اسْتِيقَاكَ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكَ» . ١٧ وَقَالَ لِآدَمَ : «لَأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ الَّتِي أَوْصَيْتُكَ قَائِلًا : لَا تَأْكُلْ مِنْهَا مَلْعُونَةُ الْأَرْضِ بِسَبَبِكَ . بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ . ١٨ وَشَوْكًَا وَحَسَاكًا تُنْبِتُ لَكَ وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ . ١٩ بِعَرَقٍ وَجْهَكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا . لَأَنَّكَ تُرَابٌ وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» . (تكوين ٣ : ١٦-١٩)

(١٥) التمثيل بالموتى :

(١١) فَكَمْ بِالْحَرِيِّ إِذَا كَانَ رَجُلَانِ بَاغِيَانِ يَقْتُلَانِ رَجُلًا صَدِيقًا فِي بَيْتِهِ عَلَى سَرِيرِهِ ! فَالآنَ أَمَا أَطْلُبُ دَمَهُ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَأَنْزِعُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ؟» ١٢ وَأَمَرَ دَاوُدَ الْعِلْمَانَ فَقَتَلُوهُمَا ، وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمَا وَأَرْجُلَهُمَا وَعَلَقُوهُمَا عَلَى الْبِرْكَةِ فِي حَبْرُونَ . وَأَمَا رَأْسُ إِيشْبُوشَثَ فَأَخَذُوهُ وَدَفَنُوهُ فِي قَبْرِ أَبْنَيْهِ فِي حَبْرُونَ . (صموئيل الثاني ٤ : ١٢)

١٢- (٧) لِيَتْرَكَ الشَّرِيرُ طَرِيقَهُ وَرَجُلُ الْإِثْمِ أَفْكَارَهُ وَلِيُنْبِ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ وَإِلَى إِلَهِنَا لِأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ . (إشعياء ٥٥ : ٧)

١٣- (٢٩) فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ لَا يَقُولُونَ بَعْدُ : [الْآبَاءُ أَكَلُوا حَضْرَمًا وَأَسْنَانَ الْأَبْنَاءِ ضَرَسَتْ] . ٣٠ بَلْ : [كُلُّ وَاحِدٍ يَمُوتُ بِذَنْبِهِ] . كُلُّ إِنْسَانٍ يَأْكُلُ الْحَضْرَمَ تَضْرَسُ أَسْنَانُهُ . (إرمياء ٣١ : ٢٩-٣٠)

١٤- (١٩) [وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ : لِمَذَا لَا يَحْمِلُ الْإِبْنُ مِنْ إِثْمِ الْآبِ ؟ أَمَا الْإِبْنُ فَقَدْ فَعَلَ حَقًّا وَعَدْلًا . حَفِظَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَعَمِلَ بِهَا فَحَيَاةً يَحْيَا . ٢٠ النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ . الْإِبْنُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْآبِ وَالْآبُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْإِبْنِ . بَرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ الشَّرِيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ . ٢١ فَإِذَا رَجَعَ الشَّرِيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقًّا وَعَدْلًا فَحَيَاةً يَحْيَا . لَا يَمُوتُ . ٢٢ كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لَا تُذَكَّرُ عَلَيْهِ . فِي بَرِّهِ الَّذِي عَمِلَ يَحْيَا .

٢٣ هَلْ مَسَرَّةُ أَسْرٍ بِمَوْتِ الشَّرِيرِ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ؟ أَلَا بِرُجُوعِهِ عَنْ طُرُقِهِ فَيَحْيَا؟
حزقيال ١٨ : ١٩-٢٣

فقرار الله سبحانه وتعالى هو (لَا يَحْمِلُ الْإِبْنُ مِنْ إِثْمِ الْآبِ) ، وبسبب تعجب الناس ، أو لكي لا يتعجب الناس من هذا الحكم ، وضع الله لهم السبب: إنه إله رحيم وعادل ، لا يُسر بموت الشرير ، بل بتوبته وعودته إلى الله مرة أخرى ، ويقابل الله توبته وندمه على معاصيه السابقة بالغفران .

فلا وجود إذن لفرية الفداء والصلب ، التي اخترعها بولس ، ولا وجود لخطيئة حواء التي عانت فيها المرأة على مدى العصور النصرانية أشد أنواع التعسف والظلم والجور على كل حقوقها المدنية .

الأمر الذي جعلهم يتخلصون من المرأة ، لأنها الجسد الشرير ، ومصدر متاعب الحياة وغضب الرب: لذلك "تشكل مجلس اجتماعي في بريطانيا في عام ١٥٠٠ لتعذيب النساء ، وابتدع وسائل حديدة لتعذيبهن ، وقد أحرق الآلاف منهن أحياء ، وكانوا يصبون الزيت المغلي على أجسامهن لمجرد التسلية .

فقد عانت المرأة الويلات من جراء أقوال بولس هذه وغيرها لمدة قرون من الزمان ، فقد اعتبر رجال هذا الدين المنسوب للمسيح "أن المرأة دنس يجب الابتعاد عنه ، وأن جمالها سلاح إبليس .

وحرص آباء الكنيسة على التأكيد على أن المرأة مصدر الخطيئة والشر في هذا العلم ، ومن ثم يجب قهرها إلى أقصى حد واستهلاكها نفسيا تحت وطأة الشعور بالخزي والعار من طبيعتها وكيانها البشري .

وهذا الاعتقاد تسرب إلى النصرانية من بين معتقدات وعادات كثيرة انتقلت إليها من الديانات الوثنية القديمة. التي كانت تعتبر المرأة تجسيدا للأرواح الخبيثة ، والتي كانت متفقة على تحقيق الساء وإذلالهن ، بل وإبادتهن بأفظع الطرق والوسائل الوحشية ، ومن بينها إلزام المرأة التي يموت زوجها أن تحرق

نفسها بعد موته وإحراق جثته مباشرة "

يقول كارل هاينتس ديشنر فى كتابه (الصليب ذو الكنيسة . قصة الحياة الجنسية للمسيحية) فى الفصل التاسع عشر ص ٢٣٠ :

(قال سيمون دى بوفوار Simone de Beauvoir : لقد أسهمت العقيدة النصرانية فى اضطهاد المرأة ولم تقم بدور بسيط فى هذا)

كما قال ماركوس Marcuse : (إن فكرة أن تكون المرأة حاملة للخطيئة الأزلية ، والتي تتعلق بها عقائد الديانة النصرانية تعلقًا لا تكاد تنفك منه أبدًا ، هى التى أثرت أسوأ تأثيرًا على الناحية الإجتماعية والقانونية للمرأة)

وقال دينس ديديروت Denis Diderot : (إن فى كل عادات وتقاليد الحياة اتحد بطش القانون الشعبى مع بطش 'الطبيعة ضد المرأة' ، فقد عوملت المرأة فى ظل هذه القوانين ككائن فقد عقله)

لقد صنع تاريخ المرأة رجالًا كانوا يتخذون المرأة عدوا لهم منذ العصور الأولى للبابوية . وكان الرجل يعتبرها فى العصور المنصرمة للإمبراطورية الرومانية كأحد مواشيه ، وله أن يتصرف فيها بالبيع أو القتل إن شاء . ولو قتل ابنة رجل آخر أسلم لهم ابنته فيقتلونها أو يبيعونها أو يملكونها فلهم الحرية فى ذلك .

وقد ساد الرجل المرأة فى عصر الجيرمان ، وسُمِحَ له أن يؤدب زوجته بالضرب كما سُمِحَ له بقتل زوجته إذا خانت دون وقوع أدنى عقوبة عليه .

كما كانت مخلوق ثانوى وشريكة للشيطان فى الخطيئة الأزلية ، وهذا يجعلها تأتى دائما فى المرتبة الثانية بعد الرجل حتى على المستوى الكنىسى .

فأهل الكتاب يرون أن المرأة هى ينبوع المعاصى ، وأصل السيئة

والفجور ، ويروا أن المرأة لرجل باب من أبواب جهنم من حيث هي مصدر تحركه وحمله على الآثام ، ومنها انبجست عيون المصائب على الإنسانية جمعاء . وبهذا قتلوا شخصية المرأة فى مهدها واغتالوا شخصيتها ، ليس لذنب إلا لأنها امرأة!!

وإذا كان هذا هو قانون الله . فلماذا لم يغفر لآدم وحواء إذن ذنبيهما؟ وكيف يصلب نفسه (أو ابنه) وهو يقول **الْإِنِّى لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْآبِ وَالْآبُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْإِبْنِ**؟ فى أى ذنب كان وحى الرب كاذب؟ أم هل هو إله ذو نزوات ليوحى هنا بعقيد ويفسدها عقيدة أخرى مع نبى آخر؟

١٥- (١١) قُلْ لَهُمْ: حَيَّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّى لَا أُسَرُّ بِمَوْتِ الشَّرِيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجَعَ الشَّرِيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا . إِرْجِعُوا ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمْ الرَّدِيئَةِ . فَلِمَذَا تَمُوتُونَ يَا بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ؟ ١٢ وَأَنْتِ يَا ابْنِ آدَمَ قُلْ لِنَبِيِّ شَعْبِكَ: إِنَّ بَرَّ الْبَارِّ لَا يُنْجِيهِ فِى يَوْمِ مَعْصِيَتِهِ، وَالشَّرِيرُ لَا يَغْتَرُّ بِشَرِّهِ فِى يَوْمِ رُجُوعِهِ عَنْ شَرِّهِ . وَلَا يَسْتَطِيعُ الْبَارُّ أَنْ يَحْيَا بِرِّهِ فِى يَوْمِ خَطِيئَتِهِ . ١٣ إِذَا قُلْتُ لِلْبَارِّ حَيَاةً نَحْيَا، فَاتَّكَلَ هُوَ عَلَى بَرِّهِ وَأَثَمَ، فَبَرُّهُ كُنْهٌ لَا يُذَكَّرُ، بَلْ بِإِثْمِهِ الَّذِى فَعَلَهُ يَمُوتُ . ١٤ وَإِذَا قُلْتُ لِلشَّرِيرِ: مَوْتًا تَمُوتُ! فَإِنَّ رَجَعَ عَنْ خَطِيئَتِهِ وَعَمِلَ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ، ١٥ إِنْ رَدَّ الشَّرِيرُ لِرَهْنٍ وَعَوَّضَ عَنِ الْمُعْتَصَبِ وَسَلَكَ فِى فَرَائِضِ الْحَيَاةِ بِلَا عَمَلٍ إِنْهُم، فَإِنَّهُ حَيَاةً يَحْيَا . لَا يَمُوتُ . ١٦ كُلُّ خَطِيئَةٍ الَّتِى أَخْطَأَ بِهَا لَا تُذَكَّرُ عَلَيْهِ . عَمِلَ بِالْعَدْلِ وَالْحَقِّ فَيَحْيَا حَيَاةً . (حرقياى ٣٣ : ١١-١٦)

* فلماذا يدعوا الله خنقه لتوبة وعمل الصالحات لو كان هنا فداء عن طريق الصلب؟

* ولماذا يدعو الله الأبرار بعدم الاعتماد على برهم الذى عملوه ، بل يُحَثِّمهم على الزيادة ، إن كان البر ودخول الجنة فقط عن طريق الصلب واغداء؟

١٦- (فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة) (متى ٣ : ٨)

هذا كلام يوحنا (يحيى عليه السلام) أثناء وجود المسيح عليه السلام مما

يبطل القول بأن المسيح عليه السلام جاء ليفدى العالم . فمن غير المعقول ألا يعرف نبي إلهه أو يُخالف رسالة ربه . فهل ينزل الله نفسه ويقول بالصلب والفداء لغفران الخطايا ثم يقول نبيه لا تسمعوا له ، أنا أضمن لكم الجنة إذا فعلتم أثماراً تليق بالتوبة؟! أو يرسل الرب نبيه برسالة ما . ثم ينزل هو ليكذبه؟!!!

✽ إذن فقد كانت هناك توبة ، وأن الله غفور رحيم ، يقبل التوبة من عبده العاصي . فلماذا لم يقبل بالذات توبة عبده آدم وأُمَّتِهِ حواء؟

١٧- (لأنكم بالدينونة التى تدينون تُدانون) متى ٧ : ١

أى إن الإنسان يحاسب بنوع أعماله إن خيراً فخير وإن شراً فشر

١٨- (٢١) «لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ لِي: يَا رَبُّ يَا رَبُّ يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ . بَلِ الَّذِي يَفْعَلُ إِرَادَةَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ . ٢٢ كَثِيرُونَ سَيَقُولُونَ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمَ: يَا رَبُّ يَا رَبُّ أَلَيْسَ بِاسْمِكَ تَبَّأْنَا وَبِاسْمِكَ أَخْرَجْنَا شَيَاطِينَ وَبِاسْمِكَ صَنَعْنَا قَوَّاتٍ كَثِيرَةً؟ ٢٣ فَجِئْنِيذُ أَصْرُحْ لَهُمْ: إِنِّي لَمْ أَعْرِفْكُمْ قَطُّ! اذْهَبُوا عَنِّي يَا فَاعِلِي الْإِثْمِ) متى ٧ : ٢١-٢٣

أى إن طاعة الله سبحانه وتعالى مقدمة على اتباع المسيح عليه السلام ، وهى السبيل لدخول الجنة ، وليس كما قال بولس إن خلاصك ودخولك الجنة يتوقف على إيمانك بالصلب والفداء .

كذلك تدل هذه الفقرة على عدم إمكانية الاتحاد بين الخالق ونبيه إلا فى التعاليم وُصْلِبِ الرسالة . إذ أنه لا يتحد الراسل والمرسل إليه وإلا لقلنا أنه أرسل لنفسه . وإلا لقلنا كيف يكون الاتحاد إذا كان واحد على الأرض والآخر فى السماء؟! كيف يتم الاتحاد بين صاحب السيادة رب البيت وخادمه الذى ليس له فى الموضوع من أمر إلا إبلاغ أوامر سيده؟!!!

١٩- كيف قال: (ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً) (متى ١٠ : ٣٤) .

وقال: (جئت لألقى نارًا على الأرض) (لوقا ١٢ : ٤٩-٥١) لو كان صحيح قد أتى ليفدى الناس؟

٢٠- "وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآخر" (متى ١٢ : ٣٢) إذن فهناك غفران فى هذا العالم يتطلب ندمًا وإقلاعًا عن الذنوب، ورد المظالم إلى أصحابها وأثمارًا ليغفرها الله: (فاصنعوا أثمارًا تليق بالتوبة) (متى ٣ : ٨)، كما أن هناك غفران فى الآخرة. فما أهمية الفداء إذا كان هناك حساب فى العالم الآخر على أقوالنا وأفعالنا؟

٢١- وهذا ما أكد عليه بولس فى رسالته الثانية إلى كورنثوس: (لَا بُدَّ أَنْتَا جَمِيعًا تَنْظَهُرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ. لِنَبَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا.) كورنثوس الثانية ٥ : ١٠

٢٢- (لكى يأتى عليكم كل دم زكى سُفِكَ على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا لذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح) متى ٢٣ : ٣٥

فعيسى اعترف إذن ببر عباد الله الأتقياء من أول خلق البشرية إلى زمانه! فما حاجة الله إلى الصلب والفداء؟ ألم تتفكروا أية خطيئة أكبر: الأكل من شجرة معرفة الخير من الشر أم قتل الأخ لأخيه؟ فما بالكم بقتل الإله نفسه أو ابنه؟ ألا يُعَدُّ هذا انتحار من وجهة نظر العقل؟ ألا يُعَدُّ ذلك انتحار تبعًا لقوله:

(أنا هو الراعى الصالح) يوحنا ١٠ : ١١

(لأنه مكتوب أنى أضرب الراعى فتبتدد الخراف) متى ١٤ : ٢٧ ؟ فهو بذلك المضارب والمضروب!!

٢٣- سئل عيسى عليه السلام (١٦ وَإِذَا وَاحِدٌ تَقَدَّمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيُّهَا الْمُعَلِّمُ الصَّالِحُ أَيُّ صَلاَحٍ أَعْمَلُ لِنَتَّكُونَ لِي الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؟» ١٧ فَقَالَ لَهُ: «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ. وَلَكِنْ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا». ١٨ قَالَ لَهُ: «أَيَّةُ الْوَصَايَا؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «لَا

تَقْتُلُ . لَا تَزْنِ . لَا تَسْرِقُ . لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ . ١٩ أَكْرِمَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحِبَّ قَرِيْبَكَ كَنَفْسِكَ » . ٢٠ قَالَ لَهُ الشَّابُّ : « هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مِنْذُ حَدَاثَتِي . فَمَاذَا يُعْزِزُنِي بَعْدُ؟ » ٢١ قَالَ لَهُ يَسُوعُ : « إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ كَامِلًا فَادْهَبْ وَبِعْ أَمْلاكَكَ وَأَعْطِ الْفُقَرَاءَ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي » . ٢٢ فَلَمَّا سَمِعَ الشَّابُّ الْكَلِمَةَ مَضَى حَزِينًا لِأَنَّهُ كَانَ ذَا أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ . (متى ١٩ : ١٦-٢٢) و(لوقا ١٨ : ٢٣-٢٤)

ماذا قال له عيسى عليه السلام؟ هل قال له: تؤمن بعقيدة الصلب والفداء؟ لا . قال له تشهد أنه واحد فقط هو الإله الصالح (أى توحد الله) ثم تأتى بالأعمال الصالحة . فأين هنا عقيدة الصلب والفداء؟ وما أهمية حفظ الوصايا هنا لو كان الخلاص بالصلب؟

وأين هذا من أقوال بولس؟ ألم يقل بولس :

* (١٦) إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ، بَلْ بِإِيمَانٍ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، آمَنَّا نَحْنُ أَيْضًا بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، لِتَتَبَرَّرَ بِإِيمَانٍ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ . لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لَا يَتَبَرَّرُ جَسَدًا مَا . (غلاطية ٢ : ١٦)

* (٤) قَدْ تَبَطَّلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَتَّبِعُونَ بِالنَّامُوسِ . سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ . ٥ فَإِنَّا بِالرُّوحِ مِنَ الْإِيمَانِ نَتَوَقَّعُ رَجَاءَ بَرٍّ . ٦ لِأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَا الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلَا الْغُرْلَةُ، بَلِ الْإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ . (غلاطية ٥ : ٤-٦)

* (٢٠) لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ كُلِّ ذِي جَسَدٍ لَا يَتَبَرَّرُ أَمَامَهُ . لِأَنَّ النَّامُوسَ مَعْرِفَةُ الْخَطِيئَةِ . ٢١ وَأَمَّا الْآنَ فَقَدْ ظَهَرَ بَرُّ اللَّهِ بِدُونِ النَّامُوسِ مَشْهُودًا لَهُ مِنَ النَّامُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ ٢٢ بَرُّ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ إِلَى كُلِّ وَعَلَى كُلِّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ . لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ . ٢٣ إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَؤُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ ٢٤ مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًّا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ ٢٥ الَّذِي قَدَّمَهُ اللَّهُ كَفَّارَةً بِالْإِيمَانِ بِدَمِهِ لِإِظْهَارِ بَرِّهِ مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللَّهِ . (رومية ٣ : ٢٠-٢٥)

*(١٨) فَإِنَّهُ يَصِيرُ إِنْطَاطُ الْوَصِيَّةِ لِسَابِقَةٍ مِنْ أَجْلِ ضَعْفِهَا وَعَدَمِ نَفْعِهَا،
١٩ إِذِ النَّامُوسُ لَمْ يَكْمُلْ شَيْئًا . (عبرانيين ٧ : ١٨-١٩)

٢١- سنل عيسى عليه السلام : (٣٦) «يَا مُعَلِّمُ أَيَّةَ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟» ٣٧ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ : «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ . ٣٨ هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الْأُولَى وَالْعُظْمَى . ٣٩ وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا : تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ . ٤٠ بِهِاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالْأَنْبِيَاءُ . (متى ٢٢ : ٣٦-٤٠) فلماذا لم يَقُلْ إنه عليك أن تؤمن بعقيدة الصلب والفداء؟ وأين عقيدة الفداء والصلب هنا؟ ولماذا الفداء هنا؟ وأين هذا من أقوال بولس المذكورة أعلاه؟

٢٤- "إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره" (متى ٢١ : ٤٣)

*(٢٠) أَلْحَقَّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : الَّذِي يَقْبَلُ مَنْ أَرْسَلُهُ يَقْبَلُنِي وَالَّذِي يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ الَّذِي أَرْسَلَنِي . (يوحنا ١٣ : ٢٠)

*(١٥) «إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ ١٦ وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الْآبِ فَيُعْطِيَكُمْ مُعْزِيًا آخَرَ لِيَمَكِّنَ مَعَكُمْ إِلَى الْأَبَدِ ١٧ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي لَا يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لِأَنَّهُ لَا يَرَاهُ وَلَا يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لِأَنَّهُ مَآكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ . (يوحنا ١٤ : ١٥-١٧)

*(٢٦) وَأَمَّا الْمُعْزَى الرُّوحُ الْقُدُسُ الَّذِي سَيُرْسِلُهُ الْآبُ بِاسْمِي فَهُوَ يَعْلَمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ وَيَذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ . (يوحنا ١٤ : ٢٦)

*(٢٦) «وَمَتَى جَاءَ الْمُعْزَى الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الْآبِ رُوحَ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الْآبِ يَنْبِثُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي . ٢٧ وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لِأَنَّكُمْ مَعِيَ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ» (يوحنا ١٥ : ٢٦-٢٧)

*(٥) وَأَمَّا الْآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي أَيْنَ

تَمْضَى . لَكِنْ لِأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هَذَا قَدْ مَلَأَ الْحُزْنَ قُلُوبَكُمْ . ٧ لَكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ الْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيَكُمْ الْمُعْزَى وَلَكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أَرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ . ٨ وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيئَةٍ وَعَلَى بَرٍّ وَعَلَى دَيْبُونَةٍ . (يوحنا ١٦ : ٧-١١)

*(١٣) وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحَ الْحَقِّ فَهُوَ يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ . ١٤ ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِنِّي لِي وَيُخْبِرُكُمْ . (يوحنا ١٦ : ١٣-١٤)

فإذا كانت كل هذه أدلة على أن رسالته ليست هي الرسالة الأخيرة ولا الرسالة الخالدة وأنه أنبأ عن نبي آخر يأتي بعده مرسل من عند الله ، فلماذا الصلب والفداء؟ ولماذا لم تظهر هذه العقيدة إلا بعد اختفاء عيسى عليه السلام؟ ولو كان هو الله وقد نزل لإعلان هذه الرسالة للعالم ، فلماذا خاف من خلقه ولم يعلنها لهم صراحة؟ ولماذا ضحك على أنبيائه وعباده كل هذا العمر ولم يعلن رسالته لهم بصراحة؟ ولو صدقنا أنه إله رحمة وليس ذبيحة ، فأين رحمته بآبائه عندما دفعه للموت بسبب ذنب آخرين؟ وكيف نصدق أنه إله عادل إذا كان هذا هو عدله - يدخل أنبياءه ورسله وعباده الصالحين النار مع الأشرار والكفار في انتظار صلب ابنه (أقصد حتى يُصلب هو) ثم ينزل إلى الجحيم ليخلصهم!! (٩) وَأَمَّا أَنَّهُ صَعِدَ، فَمَا هُوَ إِلَّا إِنَّهُ نَزَلَ أَيْضًا أَوَّلًا إِلَى أَقْسَامِ الْأَرْضِ السُّفْلَى ١٠. الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ أَيْضًا فَوْقَ جَمِيعِ السَّمَاوَاتِ، لِكَيْ يَمْلَأَ الْكُلَّ . (أفسس ٤ : ٩-١٠)

٢٥- من صفات الله التي لا يختلف عليها العقلاء (العدل والرحمة والغفران).

* فأين الرحمة في صلب برىء تكفيراً عن شخص آخر؟

* وهل يُصلب إله تكفيراً عن خطيئة بشر؟ ولو قلتم إن الذي صُلب كان بشر أيضاً ، لقلنا لقد انفصل وقتئذ إذن لاهوته عن نسوته ، وبذلك ينتفى الاتحاد

التام والكامل فى القول والعمل الذى تنادون به .

* فما بالك إذا كان الآخر ابن الإله؟ فهل كان يريد أن يتخلص من ابنه؟ أم كان عاجزاً عن الغفران بدون هذه المسرحية؟

* وكيف يثق خلقه به إذا كن قد ضحى بالبار البريء من أجل غفران خطيئة مذنب آخر؟

* هل هو قاسى القلب لهذه الدرجة : يحب آدم وحواء وذريتهما أكثر من ابنه؟

* ولماذا لم ينتقم من يعقوب عندما ضحك عليه وسرق النبوة من أبيه؟ (تكوين ٢٧)

* ولماذا لم ينتقم من يعقوب الذى تصارع معه وقهره؟ (تكوين ٣٢ : ٢٢-٣٠)

* ولو كان الصلب والفداء لغفران خطيئة آدم وحواء - فكيف يكفر عن خطيئة الشيطان؟

وهل سيضطر إلى النزول مرة أخرى والزواج من شيطانة لينجب شيطاناً يصلب عن الشياطين؟ أليست خطيئة الشيطان أعظم وأجل؟ أم كان صلب ابنه (أقصد نفسه) هذا نياية عن 'الجن والإنس'؟

* ولماذا لم ينتقم من نبيه يهوذا الذى زنا بزوجة ابنه (تكوين ٣٨ : ١٢-٢٦)

* ولماذا لم ينتقم من لوط الذى تقولون إن زنى بابنتيه؟ (تكوين ١٩ : ٣٠-٣٨)

* ولماذا لم ينتقم من أمنون لذى تقولون عنه إنه زنى بأخته؟ (صموئيل الثانى ١٣)

* ولماذا لم ينتقم من داود الذى تتهمونه بالزنا مع امرأة جاره بعد ارتكابه خيانة عظمى فى حق جيشه وجنوده ليقتل زوجها؟ (صموئيل الثانى ١١)

* ولماذا لم ينتقم من سليمان الذى عبد الأوثان؟ (ملوك الأول ١١ : ٩-١٠)

* ولماذا لم ينتقم من بنى اسرائيل الذين عبدوا العجل بعد أن أنقذهم وأخرجهم من مصر؟ (خروج ٣٢ : ١-٦)

* ولماذا لم ينزل مرة أخرى ليصلب ليكفر عن خطيئة من قتلوا ابنه وحرفوا دينه؟

* ولماذا تعجلَ وأمر بقتل نفس ، برجم المرتد ، لو كان فى نيته أن يفديه ويغفر له خطاياه بموت ابنه على الصليب؟ (تثنية ١٣ : ٦-١٠)

* وهل من العدل أن يتساوى الكافر والمؤمن لمجرد صلب إنسان برىء؟ وهل بهذا قد تعلم شعب الصليب تحمل مسؤولية أعمالهم؟ لا .

إنهم يحملون ظهر إلههم بأثقال من الذنوب والإثام ، لا بد معها من ارسال ابنه مرة أخرى وربما ابنته وزوجته وكل أقرباه مرات ومرات حتى يرضيه منظر الدماء والضحايا ليتوب عليهم ويغفر لهم!! أليس من الأسهل لو أنه انتقم من الشيطان وأراح واستراح؟

* ولماذا لم ينتقم من بنى إسرائيل على سرقتهن حلى المصريين؟ (خروج ١٢ : ٣٥-٣٦)

* ولماذا لم ينتقم ممن أوقدوا نيران الحرب وقتلوا الأبرياء فى صبرا وشاتيل وفى جنين والبوسنة والهرسك والشيكان وكوسوفا والعراق؟

* أيهما أهم عند هذا الإله : الأكل من شجرة معرفة الخير والشر أم قتل النفس؟

* كيف يكون إله بار رحيم حنان متان وهو يُضمر كل هذا الشر فى نفسه؟ كل هذا العمر لينتقم من فلذة كبده؟ ثم تقولون الله محبة؟!!!

* ألم يقل إنه إله غيور يتفقد ذنوب الآباء فى الأبناء فى الجيل الثالث والرابع من مبغضيه؟ * فلماذا كذب وانتظر كل هذه الأجيال؟ (خروج ٢٠ : ٥)

* وإذا كان هذا حاله مع من أحب - مع ابنه - فماذا يكون حاله معنا نحن؟

* ولماذا لم ينتقم من الشيطان الذى قهره أربعين يوما يجربه فى البرية؟
(متى ٤ : ١ - ١١)

* ولماذا لم ينتقم من الشيطان الذى وسوس لآدم وحواء وتسبب فى هذه الخطيئة؟

* هل يُعجبه أن يصفه أحد خلقه بالقسوة وعدم الرحمة؟ (إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَنَا فَمَنْ عَلَيْنَا! ٣٢ الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَدَّلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ) رومية ٨ : ٣٢-٣١ .

* أم نزل هو ليصلب ليظل خلقه يلعنوه إلى يوم الدين ثم يخلدهم فى الجنة بهذا العمل الأسطورى الذى راح هو ضحية؟ (١٣) الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ» . (غلاطية ٣ : ١٣)

* لماذا قبل إلهكم أن يتحول إلى حيوان منوى لا يرى، ثم نقطة، ثم علقه، ثم مضغة، ويتوسخ بالدماء وينزل من فرج أمه، ويكون صغيراً رضيعاً لا يفقه شيئاً تعلمه أمه وهى فى نفس الوقت زوجته - أحد خلقه - ويكون متبولاً متبرزاً على نفسه؟ هل هذه هى صورة الإله لعظيم القدوس المنزه؟ لا . فما الذى يدفعنى لعبادته؟

* نحن نقول الله أكبر من كل شيء، نحن نقول الله العليم . ولا يمكن لإلهكم أن تكون له نفس هذه الصفات . فقد كانت بطن أمه التى حوته أكبر منه، وكانت أكبر منه ناهيك عن درية الأبقار التى ولدته فيها . فلماذا أعبد الضعيف؟ ولماذا أعبد الصغير؟

* لماذا قبل إلهكم أن يتحد جسده ودمه فى البشر عندما تأكلون الخبز المقدس وتشربون الخمر؟ أنه يعلم أن مصير هذا التحول سيؤول بعد الهضم إلى

المجارى؟ هل رضى لنفسه هذه الصورة المهينة؟

✽ هل لم يعرف رئيس الكهنة قيافا إلهه؟ وهل قبل الإله أن يحكم عليه أحد خلقه بالموت؟ إله لم يعرفه أنبيأؤه ولا رسله؟ (٤٩ قَقَالَ لَهُمْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ وَهُوَ قَيَافَا كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ : «أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَعْرِفُونَ شَيْئًا ٥٠ وَلَا تَفَكَّرُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَنَا أَنْ يَمُوتَ إِنْسَانٌ وَاحِدٌ عَنِ الشَّعْبِ وَلَا تَهْلِكَ الْأُمَّةُ كُلُّهَا» . ٥١ وَلَمْ يَقُلْ هَذَا مِنْ نَفْسِهِ بَلْ إِذْ كَانَ رَئِيسًا لِلْكَهَنَةِ فِي تِلْكَ السَّنَةِ تَنَبَّأَ أَنَّ يَسُوعَ مُزْمِعٌ أَنْ يَمُوتَ عَنِ الْأُمَّةِ) (يوحنا ١١ : ٤٩-٥٠)

انظر النبی أعلم من الإله!! النبی تنبأ بموت الإله!! انظر نبی الله العادل الذى يحكم على إلهه بالموت ويرى فى ذلك الخير للأمة!! فما حاجتى أن أصدق نبيا أو إلهًا بعد؟ أليس هذا هو الدافع لخروج الناس من الكنيسة ورفض تعاليمها؟ أليس هذا هو الدافع لإنكار وجود الله؟ أليست فكرة الصلب والفداء دافع لإكثار الخطايا والآثام واللامبالاة باقترافها؟

✽ إلهه يسلمه للصلب نبيه يهوذا الأسخريوطى؟ أتصدقون أنه رضى بتسليم إلهه ورجع منفعة ثلاثين درهما على إلهه ووعوده؟ (متى ٢٦ : ١٤-١٦)

✽ إله لا يساوى ثمنه ثمن حذاء رخيص؟ ثلاثين درهما فدية قتل الحمار خطأ فى ذلك الوقت!!

✽ لماذا لم يرحم باقى خلقه القادمين إلى العالم عندما يُفقدَهم الثقة فى رحمته؟ ماذا سيقولون عنه عندما يعلمون أنه ضحى بابنه؟ ألن يساورهم الشك ويحبطهم التشكك والأمل فى رحمته؟ ألا يفقدَهم ذلك الأمل فى أنه من الممكن ألا يعدل بينهم أو يحكم بالصلب على أحد منهم بسبب خطيئة شخص آخر؟

✽ ما بالكم لو اتبع أحد القضاة هذا النهج البولسى وحكم بقتل شخص برىء بذنب آخر؟ أأكل أنا وأسرتى فى أحد المطاعم وتُجبر أنت على دفع فاتورة الطعام؟

✽ قولوا لى بالله عليكم : ما هو الذنب الذى ارتكبه آدم وحواء؟ أن أكلا من شجرة معرفة الخير والشر؟ هل كن عليهما ألا يعرفا طريق الخير فينتهجا وألا يعرفا طريق الشر فيتجنباه؟ قد تقول لى إن ذنبهما هو عصيان أمر الله . أقول لك وما الحكمة أن يمنع الله خلقه من معرفة الخير من الشر؟ هل كان يريد أن يتركهما فى ظلام الجهل وعدم معرفة لخير من الشر ثم يحاسبهما فى الآخرة؟ ألسنت معى فى أنهما لو كانا قد عرفا ذلك لاقتضى علمهما بالخير أن يتبعا طريق الله القويم؟ ألسنت معى أنه فى جميع الشرائع لابد أن تتناسب العقوبة مع الجريمة نفسها؟ فهل يتناسب الصلب ، مع خطيئة آدم؟

✽ وهل كفّ الشيطان عن محاربة الله بعد أن وسوس لآدم وحواء؟ فلماذا يترك هذا الإله الحلول الجذرية فلا ينتقم من آدم وحواء ، ولا ينتقم من الشيطان ، بل ينتقم من ابنه البرىء الذى سُرّت به نفسه؟

✽ ألا تقولون إن الأنبياء لسابقين عصوا الله وزنوا؟ ألا تقولون إن سليمان ضلّ عن طريق الله القويم وعبد الأوثان؟ ألا تقولون إن إبراهيم رضى بعث فرعون بزوجته فى مقابل دراهم معدودة؟ هل كان كل هذا طاعة لأوامر الله أم عصيان له وإفساد فى الأرض؟ فلو كان طاعة ، لقلنا سبحان الله . كيف ترضون بإله ديوث لا يرضى إلا بالزنا والديانة؟ وإن قلتم عصيان ، لقلنا كيف تهمون الله سبحانه وتعالى بالجهل فى اختيار أنبيائه ولحكمتهم على كتابكم بأنه ليس عند الله . فهذا إله يستحق الصلب فعلاً ولكن ليس من أجل خطيئة عبيد من عباده أكلا من شجرة ، بل على جرائمه هو نفسه .

✽ أليس هذا ذنب الله الذى لم يترك لآدم وحواء الإكثار من الأكل من شجرة معرفة الخير والشر؟ فلماذا أراد منهم من معرفة الخير؟

✽ (فكونوا أنتم رحماء كما أن أباكم أيضاً رحيم) لوقا ٦ : ٣٦ . لك أن تتخيل أن نصارى العالم يرون فى قتل الأب لابنه رحمة وغفران! لك أن تتخيل أن نصارى العالم يرضون بقتل الأب لابنه من أجل خطية آدم وخطاياهم! أليس

هذا باعث للإستمرار فى الخطايا؟ وما قيمة قوله (من يقدر أن يغفر خطايا إلا الله وحده) لوقا ٥ : ٢١ ؟ فإذا كان هو إله غفار فلماذا لم يغفر خطيئة آدم وحواء؟ ألا يريد أن يكون قدوة يقتدى به خلقه؟

* وهل لم يستنكف الإله أن يتشبه باللصوص والقتلة والمرتين حتى يستحسن موته على الصليب؟

* هل يُعقل أن إلهكم يُصلب ويتعذب على الصليب ثم تحبون الصليب أداة تعذيب إلهكم؟

* أتسجدون للصليب لأنه عُلقَ عليه؟ فلماذا إذن لا تسجدون لجهنم التى قضى فيها ثلاثة أيام؟

* ولماذا لا تسجدون للشيطان الذى أزلّه ووضعهُ فى امتحانات وتجارب لمدة أربعين يوما ثم فارقه إلى حين؟

* لماذا لا تسجدون للشيطان الذى تسبب فى إخراجهِ من الجنة وتسبب فى إعدامهِ صلبًا ليغفر لكم ذنوبكم؟

* ولماذا لا تسجدون ليهوذا الإسخريوطى الذى دفع به إلى الصلب عندما رآه مترددًا ويصلى بأشد لجاجة ليذهب عنه إلهه كأس الموت؟ ألم يتسبب يهوذا بهذا العمل فى إنقاذ البشرية والأنبياء السابقين والأبرار والأشرار من الخطيئة الأزلية؟ ألا يكون بذلك من القديسين؟

* وهل أخرج الشياطين أيضًا من جهنم؟ أم لم تتركه الشياطين يغادرها كما فعل إبليس معه من قبل عندما أجبره على المكوث معه فى البرية ليجربه؟ وكيف يتأكد لكم أن الذى خرج من الجحيم هو عيسى عليه السلام وليس أحد الشياطين؟ أم هل حبسته الشياطين واستبدلوه بزعيمهم الذى كان يجربه وفارقه إلى حين؟

* وهل رضيتم أن تنعموا بالذنوب والآثام ويُصلب إلهكم ليغفر لكم؟

* ماذا كان رد فعلكم لو أنتم كنتم مكان التلاميذ؟ هل كنتم ستدفعون يسوع للصلب؟ أم كنتم ستدافعون عنه؟ فلو دافعتم عنه ، فلن تغفر لكم ذنوبكم ، ولو أسلمتموه للصلب ستكونون مثل يهوذا الإسخريوطي ، الذي تُطلقون عليه خائن ، وهو المحرر الحقيقي لكم من الخطيئة الأزلية ، لأنه لولا خيانتة ، لكان الإله قد تراجع عن تقديم نفسه للصلب!!

* هل يُعقل أن يأكل آدم وحواء من شجرة معرفة الخير ويعذب خالقهما مرتين مرة على الصليب ومرة في الجحيم؟

* هل يُعقل أن يسرق ابنك وتُسجن أنت مكانه؟ وهل لو سُجنت أنت مكانه لن يستمر هو في السرقة طالما أن ثمن جريمته هيّئ جدًا ولا يدفعه هو بل يدفعه غيره؟ ما أحلى هذه الحياة - بهذا المنطق وبهذا القانون - بالنسبة لكل الخارجين على القانون!!

* أب سبعة أولاد . واحد منهم فقط هو البار والآخرين عصاة . فهل يُعقل أن يقتل البار ليسامح الآخرين على إساءتهم؟ وهل هم بذلك قد انصلح حالهم؟ وهل بعد ذلك أطاعوا أبيهم الظالم؟ فكيف يثقون في عدله؟ وكيف يوقنون من رحمته الزائفة؟ ألا يذكر هذا بقول المسيح عن الكتبة الذين يفعلون خلاف ما يقولون؟ (١) جِينِيذْ خَاظَبْ يَسُوعُ لْجُمُوعَ وَتَلَامِيذَهُ ٢ قَائِلًا : «عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكُتْبَةُ وَالْفَرِيْسِيُّونَ ٣ فَكُلُّ مَ قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَأَفْعَلُوهُ وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لَا تَعْمَلُوا لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ .» متى ٢٣ : ١ - ٣ فهذا هو الإله يتكلم عن الرحمة والمحبة ولا يملك هو منها شيء!! ألم يفعل هو أيضًا نفس الذي فعله الكتبة والفريسيين؟

٢٦- (من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية) (يوحنا ٥ : ٢٤)

أى إن نيل الحياة الأبدية ودخول الجنة قد بنى على الإيمان بالله ورسوله

وطاعتها . فلماذا الصلب والفداء؟ ألم يكن من اللائق بنبي أو بأحد التلاميذ أن يُضحّي بنفسه بدلاً من إلهه؟

٢٧- كان عيسى عليه السلام يتضرع لله ويصلى بأشد لجاجة وصار عرقه قطرات دم نازلة على الأرض راجياً إلهه ألا يتركه يُصلب: (٤١) وَأَنْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ رَمِيَّةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى ٤٢ قَائِلاً: «يَا أَبَتَاهُ إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ . وَلَكِنْ لَتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» . ٤٣ وَظَهَرَ لَهُ مَلَأُكَ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيه . ٤٤ وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدَّ لَجَاجَةٍ وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الْأَرْضِ . (لوقا ٢٢: ٤١-٤٤)

* فهل يدل هذا على إنسان يتمنى أن يصلب عن غيره؟ ألم تسمعوا عن المجاهدين الذين يفجرون أنفسهم طواعية ، متلذذين بما سينعم الله به عليهم في الآخرة . والله لا يتراجع واحد فيهم ، كما تراجع من تطلقون عليه إله!!

* وهل استجاب الله لصلاته واستغاثته ودعائه أن يخلصه وينجيه من أعدائه؟

* فإن كان استجاب لدعائه فهذا يتعارض مع ادعائكم بالقبض عليه وإهانتة وقتله على الصليب ، وإن لم يستجب الله له ، فهو يتعارض مع نص بولس الآتي ويدل على أن يسوع لم يكن ابناً لله ولا رسولاً له ولا حتى من الأتقياء . حيث يحدد النص أن الله سمع له من أجل تقواه: (٧) الَّذِي ، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ ، إِذْ قَدَّمَ بِصُراخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعٍ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ ، وَسَمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ (عبرانيين ٥ : ٧)

٢٨- أخبرهم عيسى عليه السلام بانقاذ الله له ، وأنهم لن يقبضوا عليه ، ولن يصلبوه ، لأن الله سيبعده إلى السماء: (٣٣) فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا يَسِيرًا بَعْدُ ثُمَّ أَمْضِي إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي . ٣٤ سَتَطْلُبُونَنِي وَلَا تَجِدُونَنِي وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لَا تَقْدِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا» . ٣٥ فَقَالَ الْيَهُودُ فِيمَا بَيْنَهُمْ: «إِلَى أَيْنَ هَذَا مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ حَتَّى لَا نَجِدَهُ نَحْنُ؟ أَلَعَلَّهُ مُزْمِعٌ أَنْ يَذْهَبَ إِلَى شَتَاتٍ

الْيُونَانِيِّينَ وَيُعَلِّمُ الْيُونَانِيِّينَ؟ ٣٦ مَا هَذَا الْقَوْلُ الَّذِي قَالَ: سَتَطْلُبُونَنِي وَلَا تَحِدُونَنِي وَحَيْثُ أَكُونُ أَنَا لَا تَقْلِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟» (يوحنا ٧: ٣٣-٣٦)

*(٢١) قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا: «أَمَّا أَمْضِي وَسَتَطْلُبُونَنِي وَتَمُوتُونَ فِي خَطِيئَتِكُمْ. حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لَا تَقْلِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا» ٢٢ فَقَالَ الْيَهُودُ: «أَلَعَلَّهُ يَقْتُلُ نَفْسَهُ حَتَّى يَقُولَ: حَيْثُ أَمْضِي أَنَا لَا تَقْلِرُونَ أَنْتُمْ أَنْ تَأْتُوا؟» ٢٣ فَقَالَ لَهُمْ: «أَنْتُمْ مِنْ أَسْفَلٍ أَمَّا أَنَا فَمِنْ قَوْفٍ. أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ أَمَّا أَنَا فَلَسْتُ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ.» (يوحنا ٨: ٢١-٢٣)

*(٢٩) وَالَّذِي أَرْسَلَنِي هُوَ مَعِيَ وَلَمْ يَتْرُكْنِي الْآبُ وَحْدِي لِأَنِّي فِي كُلِّ حِينٍ أَفْعَلُ مَا يُرْضِيهِ.» (يوحنا ٨: ٢٩) فهل ضل عيسى عليه السلام ولم يرض الله بعد ذلك؟ أم هل تخلى عنه إلهه بعد أن وعده ووثق فيه؟ أم إنه أَرْضَى إلهه في كل حين وفَعَلَ كل ما يرضيه فأثقه الله؟ (٧ الذي، في أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِضُرَاخٍ شَدِيدٍ وَدُمُوعَ طِلْبَاتٍ وَتَضَرُّعَاتٍ لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ، وَسَمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ) عبرانيين ٥: ٧

٢٩- (ولكن ثقوا أني قد غلبت العالم) يوحنا ١٦: ٣٣

فكيف يكون قد غلب العالم لو قبض عليه وقهره وصلب؟

الفصل التاسع عشر بعد المائة

بولس مخترع الخطيئة الأزلية:

(٨) وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مَحَبَّتِهِ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدَ خُطَاةٍ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا. ٩ فَبِالْأُولَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الْآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْغَضَبِ. ١٠ لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ أَعْدَاءُ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ فَبِالْأُولَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالِحُونَ نَخْلُصُ بِحَيَاتِهِ. ١١ وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَخِرُ أَيْضًا بِاللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي نَلْنَا بِهِ الْآنَ الْمُصَالَحَةَ. ١٢ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ

الأولى ١ : ٢٩ ، غلاطية ٢ : ١٦ وأيضاً أفسس ٢ : ٨-٩ ويقول فيها : ^٨ «لَأَنْتُمْ بِالنَّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ، بِالْإِيمَانِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مِنْكُمْ . هُوَ عِطِيَّةُ اللَّهِ . لَيْسَ مِنْ أَعْمَالٍ كَيْلًا يَفْتَخِرَ أَحَدٌ . »

ولا يمكن أن يزول غضب الله (الذى يشمل أيضاً كل مولود) إلا بموت عيسى عليه السلام ودمه ، ولم يغفر الله الخطيئة الأولى - تبعاً لقول بولس - إلا بموت عيسى عليه السلام وسفك دمه (٢١) وَأَنْتُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا اجْنَبِيَيْنَ وَأَعْدَاءَ فِي الْفِكْرِ، فِي الْأَعْمَالِ الشَّرِيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمْ الْآنَ ٢٢ فِي جِسْمِ بَشَرِيَّتِهِ بِالْمَوْتِ، لِيُخْضِرَكُمْ قَدِيسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ وَلَا شَكْوَى أَمَامَهُ، انظر كولوسي ١ : ٢٢

و " وبدون سفك دم لا تحصل مغفرة " (عبرانيين ٩ : ٢٢) .

ولكى يتمكن الله من غفران هذا للذنوب (تبعاً لخطة أزلية) تجسد هو نفسه (أو جعل ابنه من صلبه انساناً) ثم نبهه لكى يستغفر للبشرية كلها عن الخطيئة الأزلية بموته ودمه : ٢١ «لَأَنَّهُ جَعَلَ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْ خَطِيئَةً، خَطِيئَةً لِأَجْلِنَا، لِنَصِيرَ نَحْنُ بِرَّ اللَّهِ فِيهِ . » (كورنثوس الثانية ٥ : ٢١) وأيضاً : (١٣) الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لَأَنَّهُ مَكْتُوبٌ : «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ» . (غلاطية ٣ : ١٣) .

وقد تمكن الإنسان بهذه الطريقة فقط من محو خطيئة إنسان آخر (آدم) . وأشهر الفقرات التى تكلمت فى ذلك - نذكر منها : رومية ٣ : ٢٤-٢٥ ، [وهو يقول فيها : "متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذى بيسوع المسيح الذى قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه لإظهار برِّه من أجل الصفح عن الخطايا السالفة بإمهال الله "] .

(٤) أَمَّا الَّذِي يَعْمَلُ فَلَا تُحْسَبُ لَهُ الْأَجْرَةُ عَلَى سَبِيلِ نِعْمَةٍ بَلْ عَلَى سَبِيلِ دَيْنٍ . هُوَ أَمَّا الَّذِي لَا يَعْمَلُ وَلَكِنْ يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبْرِرُ الْفَاجِرَ فإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا (رومية ٤ : ٤-٥)

(٦) لَأَنَّ الْمَسِيحَ إِذْ كُنَّا بَعْدُ ضَعَفَاءَ مَاتَ فِي الْوَقْتِ الْمُعَيَّنِ لِأَجْلِ الْفَجَّارِ .

٧ فَإِنَّهُ بِالْجَهْدِ يَمُوتُ أَحَدٌ لِأَجْلِ بَارٍّ . رَبَّمَا لِأَجْلِ الصَّالِحِ يَجْسُرُ أَحَدٌ أَيْضًا أَنْ يَمُوتَ .
 ٨ وَلَكِنَّ اللَّهَ بَيْنَ مُحَبَّتِهِ لَنَا لِأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لِأَجْلِنَا . ٩ فَبِالْأُولَى
 كَثِيرًا وَنَحْنُ مُتَبَرِّرُونَ الْآنَ بِدَمِهِ نَخْلُصُ بِهِ مِنَ الْعُصْبِ . ١٠ لِأَنَّهُ إِنْ كُنَّا وَنَحْنُ
 أَعْدَاءُ قَدْ صُولِحْنَا مَعَ اللَّهِ بِمَوْتِ ابْنِهِ فَبِالْأُولَى كَثِيرًا وَنَحْنُ مُصَالِحُونَ نَخْلُصُ
 بِحَيَاتِهِ . ١١ وَلَيْسَ ذَلِكَ فَقَطْ بَلْ نَفْتَحِرُ أَيْضًا بِاللَّهِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي نَلْنَا بِهِ
 الْآنَ الْمُصَالَحَةَ . ١٢ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَأَنَّمَا بِإِنْسَانٍ وَاحِدٍ دَخَلَتِ الْخَطِيئَةُ إِلَى الْعَالَمِ
 وَبِالْخَطِيئَةِ الْمَوْتُ وَهَكَذَا اجْتَازَ الْمَوْتُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ إِذْ أَخْطَأَ الْجَمِيعُ .
 رومية ٥ : ٦-١٤

(١٨) فَإِذَا كَمَا بِخَطِيئَةٍ وَاحِدَةٍ صَارَ الْحُكْمُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِلدَّيْنُونَةِ هَكَذَا
 بِبِرٍّ وَاحِدٍ صَارَتِ الْهَبَةُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ لِتَبْرِيرِ الْحَيَاةِ . ١٩ لِأَنَّهُ كَمَا بِمَعْصِيَةِ
 الْإِنْسَانِ الْوَاحِدِ جُعِلَ الْكَثِيرُونَ خُطَاةً هَكَذَا أَيْضًا بِإِطَاعَةِ الْوَاحِدِ سَيُجْعَلُ
 الْكَثِيرُونَ أَبْرَارًا . رومية ٥ : ١٨-١٩
 (٣٠) وَمِنْهُ أَنْتُمْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ الَّذِي صَارَ لَنَا حِكْمَةً مِنَ اللَّهِ وَبِرًّا وَقِدَاسَةً
 وَفِدَاءً . كورنثوس الأولى ١ : ٣٠ ؛

(١٦) لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْمَوْتَى لَا يَقُومُونَ فَلَا يَكُونُ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ . ١٧ وَإِنْ
 لَمْ يَكُنِ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ . أَنْتُمْ بَعْدُ فِي خَطَايَاكُمْ ! ١٨ إِذَا
 الَّذِينَ رَقَدُوا فِي الْمَسِيحِ أَيْضًا هَلَكُوا !! كورنثوس الأولى ١٥ : ١٦-١٨

(٤) وَلَكِنْ لَمَّا جَاءَ مِلْءُ الزَّمَانِ، أَرْسَلَ اللَّهُ ابْنَهُ مَوْلُودًا مِنْ امْرَأَةٍ، مَوْلُودًا
 تَحْتَ النَّامُوسِ، ٥ لِيَقْتَدِيَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ، لِنَتَّالِ التَّبَنِّي . غلاطية ٤ : ٤-٥
 (٧) الَّذِي فِيهِ لَنَا الْفِدَاءُ، بِدَمِهِ غُفْرَانُ الْخَطَايَا، حَسَبَ غِنَى نِعَمَتِهِ،
 أفسس ١ : ٧

(١٦) وَيُصَالِحِ الْإِثْنَيْنِ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ مَعَ اللَّهِ بِالصَّلِيبِ، قَاتِلًا الْعَدَاوَةَ
 (بِهِ) أفسس ٢ : ١٦

(٢٠) وَأَنْ يُصَالِحَ بِهِ الْكُلَّ لِنَفْسِهِ، عَامِلًا الصَّلَاحَ بِدَمِ صَلِيبِهِ، بِوَاسِطَتِهِ،
سَوَاءً كَانَ مَا عَلَى الْأَرْضِ أَمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ . (كورنثوس ١ : ٢٠)

(١٤) إِذْ مَحَا الصَّلْبَ الَّذِي عَلَيْنَا فِي الْفَرَائِضِ، الَّذِي كَانَ ضِدًّا لَنَا، وَقَدْ
رَفَعَهُ مِنَ الْوَسْطِ مُسَمَّرًا آيَاهُ بِالصَّلِيبِ، (كورنثوس ٢ : ١٤)

(١٠) وَتَنْتَظِرُوا ابْنَهُ مِنَ السَّمَاءِ، الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ، يَسُوعَ، الَّذِي
يُنْقِذُنَا مِنَ الْغَضَبِ الْآتِي . (تسالونيكي الأولى ١ : ١٠)

(٩) لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْنَا لِلْغَضَبِ، بَلْ لِاقْتِنَاءِ الْخَلَاصِ بِرَبَّنَا يَسُوعَ
الْمَسِيحِ، ١٠ الَّذِي مَاتَ لِأَجْلِنَا، حَتَّى إِذَا سَهَرْنَا أَوْ نِمْنَا نَحْيَا جَمِيعًا مَعَهُ
تسالونيكي الأولى ٥ : ٩-١٠

(٥) لِأَنَّهُ يُوجَدُ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ: الْإِنْسَانُ يَسُوعُ
الْمَسِيحُ، ٦ الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً لِأَجْلِ الْجَمِيعِ، الشَّهَادَةُ فِي أَوْقَاتِهَا
الْخَاصَّةِ، (تيموثاوس الأولى ٢ : ٥-٦)

(١٤) الَّذِي بَذَلَ نَفْسَهُ لِأَجْلِنَا، لِكَيْ يَفْدِينَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَيُظَهِّرَ لِنَفْسِهِ شَعْبًا
خَاصًّا غَيْرًا فِي أَعْمَالٍ حَسَنَةٍ . (تيطس ٢ : ١٤)

(١٧) مِنْ ثَمَّ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُشَبِّهَ إِخْوَتُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لِكَيْ يَكُونَ رَحِيمًا،
وَرَّيْسَ كَهَنَةٍ أَمِينًا فِي مَا لِلَّهِ حَتَّى يُكْفِّرَ خَطَايَا الشَّعْبِ . ١٨ لِأَنَّهُ فِي مَا هُوَ قَدْ
تَأَلَّمَ مُجَرَّبًا يَقْدِرُ أَنْ يُعِينَ الْمُجَرَّبِينَ . (عبرانيين ٢ : ١٧-١٨)

(١٧) الَّذِي، فِي أَيَّامِ جَسَدِهِ، إِذْ قَدَّمَ بِصَرَاحٍ شَدِيدٍ وَذُمُوعِ طَلَبَاتٍ وَنَضْرَعَاتٍ
لِلْقَادِرِ أَنْ يُخَلِّصَهُ مِنَ الْمَوْتِ. وَسَمِعَ لَهُ مِنْ أَجْلِ تَقْوَاهُ، ٨ مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ
الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ . ٩ وَإِذْ كَمُلَ صَارَ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُطِيعُونَهُ سَبَبَ خَلَاصٍ أَبَدِيٍّ،
١٠ مَدْعُوعًا مِنَ اللَّهِ رَّيْسَ كَهَنَةٍ عَلَى رُتْبَةِ مَلِكِي صَادِقٍ . (عبرانيين ٥ : ٧-١٠)

(٢٧) الَّذِي لَيْسَ لَهُ اضْطِرَارٌّ كُلِّ يَوْمٍ مِثْلَ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ أَنْ يُقَدِّمَ ذَبَائِحَ

٢- (١٩) وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لِمَاذَا لَا يَحْمِلُ الْإِبْنُ مِنْ إِثْمِ الْآبِ؟ أَمَّا الْإِبْنُ فَقَدْ فَعَلَ حَقًّا وَعَدْلًا . حَفِظَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَعَمِلَ بِهَا فَحَيَاةٌ يَحْيَا . ٢٠ النَّفْسُ الَّتِي تَخْطِيءُ هِيَ تَمُوتُ . الْإِبْنُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْآبِ وَالْآبُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْإِبْنِ . بَرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ الشَّرِيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ . ٢١ فَإِذَا رَجَعَ الشَّرِيرُ عَنْ جَمِيعِ خَطَايَاهُ الَّتِي فَعَلَهَا وَحَفِظَ كُلَّ فَرَائِضِي وَفَعَلَ حَقًّا وَعَدْلًا فَحَيَاةٌ يَحْيَا . لَا يَمُوتُ . ٢٢ كُلُّ مَعَاصِيهِ الَّتِي فَعَلَهَا لَا تُذَكَّرُ عَلَيْهِ . فِي بَرِّهِ الَّذِي عَمِلَ يَحْيَا . ٢٣ هَلْ مَسَرَّةٌ أَسْرُ بِمَوْتِ الشَّرِيرِ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ؟ أَلَا بِرُجُوعِهِ عَنْ طَرَفِهِ فَيَحْيَا؟ ٢٤ وَإِذَا رَجَعَ الْبَارُّ عَنْ بَرِّهِ وَعَمِلَ إِنْثِمًا وَفَعَلَ بِشَلْ كُلِّ الرَّجَاسَاتِ الَّتِي يَفْعَلُهَا الشَّرِيرُ، أَفَيَحْيَا؟ كُلُّ بَرِّهِ الَّذِي عَمِلَهُ لَا يُذَكَّرُ . فِي خِيَانَتِهِ الَّتِي خَانَهَا وَفِي خَطِيئَتِهِ الَّتِي أَخْطَأَ بِهَا يَمُوتُ . (حزقيال ١٨ : ١٩-٢٤)

الفصل العشرين بعد المائة

رأى الكتاب المقدس فى بولس :

ابتدأ (بولس) ينافق كل طائفة حسب عقيدتها، فقام بختان تابعه (تيموثاوس) لينافق اليهود (بعد أن كان يحارب الختان) (٣) فَأَرَادَ بُولُسُ أَنْ يَخْرُجَ هَذَا مَعَهُ فَأَخَذَهُ وَخَتَنَهُ مِنْ أَجْلِ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي تِلْكَ الْأَمَاكِينِ أعمال ١٦ : ٣

ثم نافق عبدة الأصنام فى أثينا عندما رأى صنما مكتوبا عليه (إله مجهول) فقال لهم لقد جئتكم لأبشركم بهذا الإله؟؟ (٢٣) لَأَتْنِي بَيْنَمَا كُنْتُ أَجْتَازُ وَأَنْظُرُ إِلَى مَعْبُودَاتِكُمْ وَجَدْتُ أَيْضًا مَذْبَحًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ: «لِلَّاهِ مَجْهُولٍ» . فَالَّذِي تَتَّقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ هَذَا أَنَا أَنَادِي لَكُمْ بِهِ . أعمال ١٧ : ٢٣

وكان هذا هو منهاج حياته فى الدعوة الذى أقر به ، وهو نفس منهاج حياة معظم المنصرين ومن نتناشر معهم على النت: (١٩) فَإِنِّى إِذْ كُنْتُ حُرًّا مِنَ الْجَمِيعِ اسْتَعْبَدْتُ نَفْسِي لِلْجَمِيعِ لِأَرْبَحَ الْكَثَرِينَ . ٢٠ فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيْهُودِيٍّ لِأَرْبَحَ الْيَهُودَ وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنَّى تَحْتَ النَّامُوسِ لِأَرْبَحَ

إِذْ صَارَ لَعْنَةً لِأَجْلِنَا، لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ عُلِقَ عَلَى خَشَبَةٍ». (غلاطية ٣ : ١٣)

كما سب الرب نفسه واتهمه بالجهل: (٢٥) لِأَن جَهَالَةَ اللَّهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَصَغَفَ اللَّهُ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ! (كورنثوس الأولى ١ : ٢٥)

كما سب الرب واتهمه بالهمجية وعدم الرحمة: (٣١) فَمَاذَا نَقُولُ لِهَذَا؟ إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَنَا فَمَنْ عَلَيْنَا! ٣٢ الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَا يَهْبِنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ؟ (رومية ٨ : ٣١-٣٢)

كيف هذا؟ هل يُطْلَق على صاحب هذا التصرف قديسًا؟ هل مثل هذا يؤتمن على كلمة الله؟ هل لم يجد الرب بشرًا آخرًا يصطفيه لنقل رسالته غير هذا الذى يهادن كل طائفة من طوائف الكفر ليكسبه؟ كيف يكون إنسانًا بهذه الشخصية شريكًا فى كتابكم الموحى به؟

إذن فرأى الكتاب المقدس فى بولس أنه منافق، كذاب، محتال، سب الله واتهمه بالجهل، سب الله واتهمه بالحمق، سب الله واتهمه بعدم الرحمة، سب يسوع ولعنه، علم أتباعه الردة عن تعاليم موسى، لم يوح إليه!!

أما عيسى لم يهادن اليهود، ولم ينافقهم كما فعل بولس:

فقد قام بشتم معلموا لشريعة قائلًا لهم: (يا أولاد الأفاعي) متى ٣ : ٧

كما شتمهم فى موضع آخر قائلًا لهم: (أيها الجهال العميان) متى ٢٣ : ١٧

بل شتم تلاميذه، إذ قال لبطرس كبير الحواريين: (يا شيطان) متى ١٦ : ٢٣

وشتم آخرين منهم بقوله: (أيها الغبيان والبطيثا القلوب فى الإيمان!)

لوقا ٢٤ : ٢٥

بل ان المسيح شتم أحد الذى استضافه ليتغدى عنده فى بيته: (٣٧) وَفِيمَا هُوَ

يَتَكَلَّمُ سَأَلَهُ فَرِيْسِيُّ أَنْ يَتَغَدَّى عِنْدَهُ فَدَخَلَ وَاتَّكَأَ . ٣٨ وَأَمَّا الْفَرِيْسِيُّ فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ تَعَجَّبَ أَنَّهُ لَمْ يَغْتَسِلْ أَوَّلًا قَبْلَ الْغَدَاءِ . ٣٩ فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ : « أَنْتُمْ الْآنَ أَيُّهَا الْفَرِيْسِيُّونَ تَنْقُونُ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالْقَصْعَةِ وَأَمَّا بَاطِنُكُمْ فَمَمْلُوءٌ اخْتِطَافًا وَخُبْنًا . ٤٠ يَا أَغْيَاءَ الْبَيْتِ الَّذِي صَنَعَ الْخَارِجَ صَنَعَ الدَّاخلَ أَيضًا ؟ ٤١ بَلْ أَعْطُوا مَا عِنْدَكُمْ صَدَقَةً فَهُوَ ذَا كُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ نَقِيًّا لَكُمْ . ٤٢ وَلَكِنْ وَبِئْسَ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيْسِيُّونَ لَأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّذابَ وَكُلَّ بَقْلٍ وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللَّهِ . كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هَذِهِ وَلَا تَتْرَكُوا تِلْكَ ! ٤٣ وَبِئْسَ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِيْسِيُّونَ لَأَنَّكُمْ تُحِبُّونَ الْمَجْلِسَ الْأَوَّلَ فِي الْمَجَامِعِ وَالتَّحِيَّاتِ فِي الْأَسْوَاقِ . ٤٤ وَبِئْسَ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيْسِيُّونَ الْمُرَاوُونَ لِأَنَّكُمْ مِثْلُ الْقُبُورِ الْمُخْتَفِيَةِ وَالَّذِينَ يَمْسُونُ عَلَيْهَا لَا يَعْلَمُونَ ! » (انجيل لوقا ١١ : ٣٧-٤٣)

وقال لهيرونودس : (قولوا لهذا الثعلب) لوقا ١٣ : ٣٢

بل أمر بإحضار مخالفه وذبحهم أمامه : (٢٧) أَمَّا أَعْدَائِي أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أُمْلِكَ عَلَيْهِمْ فَأَتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَادَّبَحُوهُمْ قُدَّامِي . (لوقا ١٩ : ٢٧)

قارن أيضًا أقوال بولس الذي يمدح اليهود والتوراة في رسالته إلى يهود روما وبين أقواله لأهل غلاطية ، يتضح لك كذبه وطريقه غير المستقيم الذي سار فيه لتدمير المسيحية :

١- إن خلاص الله ومجده لليهودي أولاً (طبعًا بالناموس) ، ثم لليوناني من بعده - لأنه ليس عند الله محاباة ؟ (١٦) لِأَنِّي لَسْتُ أَسْتَحِي بِإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ لِأَنَّهُ قُوَّةُ اللَّهِ لِلْخَلَاصِ لِكُلِّ مَنْ يُؤْمِنُ : لِلْيَهُودِيِّ أَوَّلًا ثُمَّ لِلْيُونَانِيِّ . (رومية ١ : ١٦ ، (١١) لِأَنَّ لَيْسَ عِنْدَ اللَّهِ مُحَابَاةً . (رومية ٢ : ١١)

٢- بأعمال الناموس لا يتبرر أي إنسان أمام الله (١٦) إِذْ نَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَتَبَرَّرُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ ، بَلْ بِإِيمَانٍ يَسُوعَ الْمَسِيحَ ، أَمَّا نَحْنُ أَيضًا بِسُوءِ الْمَسِيحِ ، لِنَتَبَرَّرَ بِإِيمَانٍ يَسُوعَ لَا بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ . لِأَنَّهُ بِأَعْمَالِ النَّامُوسِ لَا يَتَبَرَّرُ جَسَدٌ مَا . (غلاطية ٢ : ١٦)

٣- الذين يعملون بالناموس (ينفذون وصايا التوراة) يصيرون أبراراً (يدخلون الجنة): (١٢) لَأَنْ كُلَّ مَنْ أَخْطَأَ بِدُونِ النَّامُوسِ فَبِدُونِ النَّامُوسِ يَهْلِكُ وَكُلُّ مَنْ أَخْطَأَ فِي النَّامُوسِ فَبِالنَّامُوسِ يُدَانَ . ١٣ لَأَنْ لَيْسَ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ النَّامُوسَ هُمْ أَبْرَارٌ عِنْدَ اللَّهِ بَلِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِالنَّامُوسِ هُمْ يُبَرَّرُونَ . رومية ٢ : ١٢-١٣

٤- (١١) وَلَكِنْ أَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَتَّبِرُ بِالنَّامُوسِ عِنْدَ اللَّهِ فَظَاهِرٌ، لَأَنَّ «الْبَارَّ بِالْإِيمَانِ يَحْيَا» . (غلاطية ٣ : ١١)

٥- الإيمان يثبت بالناموس (أى بالعمل بشريعة التوراة): (٣١) أَفَنُبْطِلُ النَّامُوسَ بِالْإِيمَانِ؟ حَاشَا! بَلْ تُثَبَّتِ النَّامُوسُ رومية ٣ : ٣١

٦- ملعون من يكون تحت مظلة الناموس (أى يؤمن بالتوراة ويعمل بها): (١٠) لَأَنَّ جَمِيعَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَعْمَالِ النَّامُوسِ هُمْ تَحْتَ لَعْنَةٍ، (غلاطية ٣ : ١٠)

٧- (٢٨) إِذَا نَحْسِبُ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَتَّبِرُ بِالْإِيمَانِ بِدُونِ أَعْمَالِ النَّامُوسِ . ٢٩ أَمِ اللَّهُ لِلْيَهُودِ فَقَطْ؟ أَلَيْسَ لِلأُمَمِ أَيْضًا؟ بَلَى لِلأُمَمِ أَيْضًا؟ ٣٠ لَأَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ هُوَ الَّذِي سَيَبِرُّ الْخَتَانَ بِالْإِيمَانِ وَالْعُرْلَةَ بِالْإِيمَانِ . ٣١ أَفَنُبْطِلُ النَّامُوسَ بِالْإِيمَانِ؟ حَاشَا! بَلْ تُثَبَّتِ النَّامُوسُ رومية ٣ : ٢٨-٣١

٨- الناموس ليس من الإيمان: (١٢) وَلَكِنَّ النَّامُوسَ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ (غلاطية ٣ : ١٢)

٩- الناموس مقدس ووعاياه مقدسة وعادلة وصالحة: (١٢) إِذَا النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ . رومية ٧ : ١٢

١٠- الناموس جاء زيادة (بلا فائدة) لأجل التعدييات: (١٩) فَلِمَ آذَا النَّامُوسُ؟ قَدْ زِيدَ بِسَبَبِ التَّعْدِيَّاتِ، إِلَى أَنْ يَأْتِيَ النُّسْلُ الَّذِي قَدْ وُعِدَ لَهُ، مُرْتَبًا

بِمَلَايِكَةٍ فِي يَدٍ وَسِيطٍ . ٢٠ وَأَمَّا الْوَسِيطُ فَلَا يَكُونُ لِوَاحِدٍ . وَلَكِنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ .
 ٢١ فَهَلِ النَّامُوسُ ضِدٌّ مَوَاعِيدِ اللَّهِ؟ حَاشَا! لِأَنَّهُ لَوْ أُعْطِيَ نَامُوسٌ قَادِرٌ أَنْ
 يُخَيِّبَ، لَكَانَ بِالْحَقِيقَةِ الْبُرِّ بِالنَّامُوسِ . (غلاطية ٣ : ١٩-٢١)

١١- اليهود لهم عند الله التَّبَنَّى والمجد والعهود والتَّشْرِيع والعبادة ولهم
 الأنبياء ومنهم المسيح : (٤) الَّذِينَ هُمْ إِسْرَائِيلِيُّونَ وَلَهُمُ التَّبَنَّى وَالْمَجْدُ وَالْعُهُودُ
 وَالْإِشْتِرَاعُ وَالْعِبَادَةُ وَالْمَوَاعِيدُ) رومية ٩ : ٣ (ويقصد أنهم أبناء الله)

١٢- إن الذي ينفذ وصايا الله في التوراة فقد تكبر على المسيح : (٤) قَدْ
 بَطَلْتُمْ عَنِ الْمَسِيحِ أَيُّهَا الَّذِينَ تَبَرَّرُونَ بِالنَّامُوسِ . سَقَطْتُمْ مِنَ النِّعْمَةِ .
 غلاطية ٥ : ٤

كما شتم أهل غلاطية لأنهم يؤمنون بضرورة تنفيذ وصايا الله في التوراة :
 (١) أَيُّهَا الْغَلَاطِيُّونَ الْأَغْيَاءُ، مَنْ رَفَاكُم حَتَّى لَا تُدْعِنُوا لِلْحَقِّ؟ أَنْتُمْ الَّذِينَ أَمَامَ
 عُيُونِكُمْ قَدْ رُسِمَ يَسُوعُ الْمَسِيحُ بَيْنَكُمْ مَضْلُوبًا! ٢ أُرِيدُ أَنْ أَتَعَلَّمَ مِنْكُمْ هَذَا فَقَطْ :
 أَبَاعَمَالِ النَّامُوسِ أَخَذْتُمْ الرُّوحَ أَمْ بِخَبَرِ الْإِيمَانِ؟ (غلاطية ٣ : ١-٢)

المسيح لا ينفع المختون : (٢) هَا أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ إِنْ اخْتَسَمْتُمْ لَا
 يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئًا! (غلاطية ٥ : ٢)، (مع أن المسيح تم ختانه)

كما يحرض الناس على ترك الختان : (١٢) جَمِيعُ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَعْمَلُوا
 مَنَظَرًا حَسَنًا فِي الْجَسَدِ، هَؤُلَاءِ يُلْزِمُونَكُمْ أَنْ تَخْتِنُوا، لِئَلَّا يُضْطَهَدُوا لِأَجْلِ
 صَلِيبِ الْمَسِيحِ فَقَطْ . ١٣ لِأَنَّ الَّذِينَ يَخْتِنُونَ هُمْ لَا يَحْفَظُونَ النَّامُوسَ، بَلْ
 يُرِيدُونَ أَنْ تَخْتِنُوا أَنْتُمْ لِكَيْ يَفْتَخَرُوا فِي جَسَدِكُمْ . ١٤ وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي،
 فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي
 وَأَنَا لِلْعَالَمِ . ١٥ لِأَنَّهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَيْسَ الْخِتَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلَا الْغُرْلَةُ،
 بَلِ الْخَلِيقَةُ الْجَدِيدَةُ . (غلاطية ٦ : ١٢)

على الرغم من أن تلاميذ يسوع بقيادة رئيسهم يعقوب قد أدانوا بولس

وكفروا معتقداته، وأمروه بالإستتابه، وأرسلوا من يغير عقائده الفاسدة التي علمها الناس . ولكن كان بولس ومعتقداته هم المنتصرون في النهاية على معتقدات التلاميذ ودين يسوع (١٧) وَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى أُورُشَلِيمَ قَبِلْنَا الْإِخْوَةَ بِفَرَحٍ . ١٨ . وَفِي الْغَدِ دَخَلَ بُولُسُ مَعَنَا إِلَى يَعْقُوبَ وَحَضَرَ جَمِيعُ الْمَسَايِخِ . ١٩ . قَبَعَدَ مَا سَلَّمَ عَلَيْهِمْ طَفِيقٌ يُحَدِّثُهُمْ شَيْئًا فَشَيْئًا بِكُلِّ مَا فَعَلَهُ اللَّهُ بَيْنَ الْأُمَمِ بِوَأَسْطَةِ خِدْمَتِهِ . ٢٠ . فَلَمَّا سَمِعُوا كَانُوا يُمَجِّدُونَ الرَّبَّ . وَقَالُوا لَهُ : «أَنْتَ تَرَى أَيُّهَا الْأَخُ كَمْ يَوْجَدُ رُبُوعًا مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُمْ جَمِيعًا غَيْرُورُونَ لِلنَّامُوسِ . ٢١ . وَقَدْ أَخْبَرُوا عَنْكَ أَنَّكَ تَعْلَمُ جَمِيعَ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَيْنَ الْأُمَمِ الْارْتِدَادَ عَنْ مُوسَى قَائِلًا أَنْ لَا يَخْتِنُوا أَوْلَادَهُمْ وَلَا يَسْكُوكَ حَسَبَ الْعَوَائِدِ . ٢٢ . فَإِذَا مَاذَا يَكُونُ؟ لَا بُدَّ عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْ يَجْتَمَعَ الْجُمْهُورُ لِأَنَّهُمْ سَيَسْمَعُونَ أَنَّكَ قَدْ جِئْتَ . ٢٣ . فَافْعَلْ هَذَا الَّذِي نَقُولُ لَكَ : عِنْدَنَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ عَلَيْهِمْ نَذْرٌ . ٢٤ . خُذْ هَؤُلَاءِ وَتَطَهَّرْ مَعَهُمْ وَأَنْفِقْ عَلَيْهِمْ يَخْلُقُوا رُؤُوسَهُمْ فَيَعْلَمَ الْجَمِيعُ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا أَخْبَرُوا عَنْكَ بَلْ نَسْلُكُ أَنْتَ أَيْضًا حَافِظًا لِلنَّامُوسِ . ٢٥ . وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْأُمَمِ فَأَرْسَلْنَا نَحْنُ إِلَيْهِمْ وَحَكَمْنَا أَنْ لَا يَحْفَظُوا شَيْئًا مِثْلَ ذَلِكَ سِوَى أَنْ يَحَافِظُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِمَّا دُبِحَ لِلْأَصْنَامِ وَمِنْ الدَّمِ وَالْمَخْنُوقِ وَالزَّنَا» . (أعمد الرسل ٢١ : ٢٣-٢٥)

لذلك لا تتردد في تصديق كل ما قاله علماء الكتاب المقدس عن بولس! وهذا بعض منها :

أطلق علماء الكتاب لمقدس على هذه الديانة البوليسية (نسبة لمؤلفها بولس) : فقد لاحظ بولينجبروك Bolingbroke (١٦٧٨ - ١٧٥١) وجود ديانتين في العهد الجديد : ديانة عيسى عليه السلام وديانة بولس .

أما رجل الدين والفلسفة المربي باول هيرلين Paul Häberlin والتي ترتفع كل يوم قيمته العلمية، فلم يتردد في تعريف الديانة البوليسية بأنها قوة الشر نفسها . فقد كتب مثلاً في كتابه الإنجيل واللاهوت "Das Evangelium und die Theologie" صفحات ٥٧ - ٦٧ ما يلي :

" إن تعاليم بولس الشريرة المارقة عن المسيحية لتزداد سوءً بربطها موت المسيح [عيسى عليه السلام] فداءً برحمة الله التى إقتضت فعل ذلك مع البشرية الخاطئة . فكم يعرف الإنجيل نفسه عن ذلك !

"إن أفكار بولس عن الفداء لتصفع بشارة الإنجيل على وجهها . فمسيح الإنجيل هو الفادي، ولكن ليس له علاقة بذلك الفداء الذى يفهمه بولس والذى أصبح مفهومًا بسبب خصائصه المطلقة . أما مَنْ يعتنقها فيكون بذلك قد ابتعد عن رسالة المسيح [عيسى عليه السلام] .

أما الكاتب الكاثوليكي ألفونس روزنبرج Alfons Rosenberg مؤلف فى علم النفس واللاهوت - فقد تناول فى كتابه (تجربة المسيحية "Experiment Christentum" إصدار عام ١٩٦٩) موضوع بولس وأفرد له فصلاً بعنوان "من يقذف بولس إلى خارج الكتاب المقدس؟" وقد قال فيه : "وهكذا أصبحت مسيحية بولس أساس عقيدة الكنيسة، وبهذا أصبح من المستحيل تخيل صورة عيسى [عليه السلام] بمفرده داخل الفكر الكنسى إلا عن طريق هذا الوسيط .

"أما تعاليم بولس فتقضى بالنقيض من ذلك " (ولنا عودة فى هذا الموضوع) . وكتب كذلك رجل اللاهوت الذى يتمتع بشهرة خاصة أدولف هارنك فى كتابه تاريخ العقائد Die Dogmengeschichte صفحة (٩٣) موضحاً أن : "الديانة البولسية لا تتطابق مع الإنجيل الأساسى" .

كذلك انتهى رجل الدين إيمانويل هارتمان Emanuel Hartmann إلى أن مسيحية اليوم (وخاصة تعاليم الفداء) لا علاقة لها بالمسيح [عيسى ابن مريم عليهما السلام]، ولكن ترجع أصولها إلى مؤسسها بولس .

ويوضح بروفيسور اللاهوت هاوسرات Hausrat فى كتابه (بولس الحوارى) " Der Apostel Paulus " أنه لو كان بولس قد بشر فعلاً بتعاليم المسيح [عيسى عليه السلام]، لكان وضع أيضاً ملكوت الله فى مركز

بشارته . فهو يبدأ ديانته التي اخترعها بمفهوم كبش الفداء ، فهو يرى أن الله قد أنزل شريعته لتزداد البشرية إثماً على آثامها .

أما البروفسور دكتور كارل هيلتي Carl Hilty - فيلسوف ومحامي سويسري شهير قد لفظ تعاليم بولس عن الفداء الدموي نهائياً ، ووصف تعاليمه عن "اختيار الرحمة" أنها "أحد أكثر أجراء العقيدة المسيحية ظلاماً" ارجع إلى كتابه (السعادة : Glück الجزء الثالث صفحات ١٦٧ ، ٣٦٣) .

ويؤكد بروفسور اللاهوت الشهير يوليشر Julicher في كتابه (بولس وعيسى Paulus und Jesus إصدار عام ١٩٠٧ صفحات ٥٢ / ٧٢) أن الشعب البسيط لا يفهم تخريفات بولس الفنية (اقرأها "التحايل والسفسطة") ولا المتاهات التي تدخلنا في أفكاره ، فلم يعتبر يسوع نفسه مطلقاً أحد صور العبيد .

كذلك لاحظ يوليشر من القرائن التاريخية أن النقص كان موجهاً دائماً إلى بولس (ص ١٣) . ويضيف أيضاً - وهو مُحَقِّقٌ في ذلك - أنه كان من المتوقع أن تُعطى لعيسى [عليه السلام] الأولوية في ظل هذه التناقضات ، إلا أن الكنيسة قد فعلت العكس تماماً ، أي أنها فضلت بولس عن عيسى [عليه السلام] .

كذلك توصل سورين كيركيجار্দ Soren Kierkegaard إلى أن السيادة التي نالتها ديانة بولس ، ولم يتساءل عنها أحد (للأسف) هي التي غيرت العقيدة المسيحية الحققة من أساسها ، وجعلتها غير مؤثرة بالمرة (إقتباس من المرجع السابق ل Ragaz صفحة ١٩) .

كذلك وجد يواخيم كال Joachim Kahl - وهو أيضاً من رجال الدين - أن كل ما يسيء للمسيحية فترجع أصوله إلى بولس .

أما الكاتب يوحنا ليمان Johnnes Lehmann فقد قال في نهاية بحثه إن بولس

قد قلب تعاليم عيسى رأسًا على عقب (ص ١٥١ من كتابه Jesus Roport).

كما ذكر في كتيب (المسيحية ليست دينًا جديدًا Das Christentum war nichts Neues) أن تعاليم بولس عن الفداء بل وديانته نفسها ليست إلا نسخة متطابقة مع الأديان الوثنية التي سبقت المسيحية (مثل ديانات : أنيس، وديونيس، ومترا وغيرهم) . وتمثل تعاليمه هذه قلب رسالته .

والعارفون لهذه القرائن يرون أن عيسى [عليه السلام] قد رفض هذه الأفكار تمامًا، إلا أن نفس هذه الأفكار قد حول بولس بها المسيحية إلى أحد الأديان الوثنية الغامضة، وبذلك نتجت ديانة جديدة تمامًا، ولم يكن بإمكانه الابتعاد عن ديانة عيسى [عليه السلام] وتعاليمه بصورة تفوق ما اقترفه، ومن يُعارض ذلك فلن يلق من أمره إلا الحيرة التامة وسيكون غير موضوعي بالمرّة .

وأكثر الناس معرفةً لهذه القرائن هو رجل الدين الكاثوليكي السابق والباحث الديني ألفريد لوازي Alfred Loisy، وهو قد ساق لنا التناقض الصارخ بين رسالة عيسى [عليه السلام] وتعاليم الفداء البولسية في أعماله الشاملة : le sacrifice Essai historique sur إصدار باريس عام ١٩٢٠ وأيضًا Les mysteres paiens et le mystere chretien إصدار باريس عام ١٩٣٠ .

وقد صرح لوازي في أعماله المذكورة أن عيسى [عليه السلام] لم يكن لديه أدنى فكرة عن مثل هذا الدين الوثني الغامض، الذي أبدله بولس برسالته وعيسى [عليه السلام] منها بريء (وهو هنا يتكلم عن تحوّل، وإبعاد، وتغيير) .

فقد أقام بولس المسيحية على قاعدة تختلف تمامًا عن تلك التي بنيت عليها رسالة عيسى [عليه السلام]، لذلك تحولت رسالة عيسى [عليه السلام] إلى ديانة من ديانات الخرافات الأسطورية، فقد جعل بولس عيسى [عليه

[السلام] فى صورة المخلص الفادى التى تعرفها الأديان الأخرى الوثنية،
وفى ما بعد سيطرت أسطورة الفداء هذه على إنجيل عيسى [عليه السلام]
الذى لم يعتنقه العالم القديم. واعتنق بدلاً منه خرافة أخرى لا علاقة
لعيسى [عليه السلام] بها .

كذلك تحدث لوازى عن تحول بولس وإنسلاخه، وأكد أن فكرة هذه
الديانة الوثنية الغامضة لم تكن فكرة عيسى [عليه السلام]، الأمر الذى أبطل
روح الإنجيل بروح أخرى تمامًا .

وقال القس البروتستانى كورت مارتى Kurt Marti : إن بولس قد غير
رسالة عيسى [عليه السلام] تمامًا (Exlibris Heft إصدار ديسمبر ١٩٧٣ -
صفحة ٥) .

وقال بروفيسور اللاهوت النيبير فرانتس فون أوفريك Franz Von Overbeck :
"إن كل الجوانب الحسنة فى المسيحية ترجع إلى عيسى [عليه السلام]، أما كل
الجوانب السيئة فهى من عند بولس ' إقتباس من Ragaz من كتاب (هل هذا
الإصلاح تقدم أم تقهقر؟ "Reformation vorwärts oder rückwärts?" صفحة ١٨ .

ويرى بفيسترفى كتابه (المسيحية والخوف Das Christentum und die Angst
صفحة ٤٠٠) أن الإصلاح الدينى هذا فضّل التمسك بتعاليم
بولس عن الرسالة الحقة لعيسى [عليه السلام] .

كما لاحظ بروفيسور اللاهوت الشهير بفلايدرر Pfleiderer بجانب
العديد من الرسائل الأخرى المتعلقة بالموضوع - أن وجهة نظر بولس عن
عملية الفداء الأسطورية بموت عيسى [عليه السلام] كانت غريبة تمامًا عن
الأمة المسيحية الأولى (كما كانت غريبة أيضًا عن عيسى [عليه السلام])
(إرجع إلى نشأة المسيحية Die Entstehung des Christentums صفحة
١٤٦) . وقد ذكر أشياء كثيرة منها :

"إن وجهة النظر الغربية التى تتعلق بموت المسيح [عيسى عليه السلام] تقضى بموت المسيحيين ونشورهم بطريقة غامضة لم تكن معروفة عند الأمة المسيحية الأولى لذلك لم يَشْتَق مصطلح الفداء من كلمة التضحية .

الفصل الواحد والعشرين بعد المائة

بولس غير موحى إليه ويُخطئ فى التشريع :

لقد أخطأ بولس خطأً فاحشاً سجله على نفسه فى رسالته إلى العبرانيين :
(١٩) لَأَنَّ مُوسَى بَعْدَمَا كَلَّمَ جَمِيعَ الشَّعْبِ بِكُلِّ وَصِيَّةٍ بِحَسَبِ النَّامُوسِ ، أَخَذَ دَمَ الْعُجُولِ وَالتِّيَّوسِ ، مَعَ مَاءٍ وَصُوفٍ قِرْمِزِيَّاً وَزُوفاً ، وَرَشَّ الْكِتَابَ نَفْسَهُ وَجَمِيعَ الشَّعْبِ ، ٢٠ قَائِلاً : « هَذَا هُوَ دَمُ الْعَهْدِ الَّذِى أَوْصَاكُمُ اللَّهُ بِهِ » . ٢١ وَالْمَسْكَنَ أَيْضاً وَجَمِيعَ آتِيَةِ الْخِدْمَةِ رَشَّهَا كَذَلِكَ بِالدَّمِ . (عبرانيين ٩ : ١٩-٢١)

فكيف لم يعلم بولس بأصول الدين الإسرائيلى وفروعه لو كان فريسيًا كما ادعى؟ وكيف يوحى إليه غير ما فعله موسى؟ وكيف يخطئ فى العهد الذى أوصى به الله؟ ففى التوراة: (٣) فَجَاءَ مُوسَى وَحَدَّثَ الشَّعْبَ بِجَمِيعِ أَقْوَالِ الرَّبِّ وَجَمِيعِ الْأَحْكَامِ فَأَجَابَ جَمِيعُ الشَّعْبِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: «كُلُّ الْأَقْوَالِ الَّتِى تَكَلَّمَ بِهَا الرَّبُّ نَفْعُلُ» . ٤ فَكَتَبَ مُوسَى جَمِيعَ أَقْوَالِ الرَّبِّ . وَبَكَرَ فِي الصَّبَاحِ وَبَنَى مَذْبَحًا فِي أَسْفَلِ الْجَبَلِ وَاثْنَيْ عَشَرَ عَمُودًا لِأَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ الْإِثْنَيْ عَشَرَ . ٥ وَأَرْسَلَ فِتْيَانِ بَنَى إِسْرَائِيلَ فَأَضْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَذَبَحُوا ذَبَائِحَ سَلَامَةٍ لِلرَّبِّ مِنَ الثِّيَرَانِ . ٦ فَأَخَذَ مُوسَى نِصْفَ الدَّمِ وَوَضَعَهُ فِي الطُّسُوسِ . وَنِصْفَ الدَّمِ رَشَّهُ عَلَى الْمَذْبَحِ . ٧ وَأَخَذَ كِتَابَ الْعَهْدِ وَقَرَأَ فِي مَسَامِعِ الشَّعْبِ . فَقَالُوا: «كُلُّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ الرَّبُّ نَفْعُلُ وَنَسْمَعُ لَهُ» . ٨ وَأَخَذَ مُوسَى الدَّمِ وَرَشَّ عَلَى الشَّعْبِ وَقَالَ: «هُوَذَا دَمُ الْعَهْدِ الَّذِى قَطَعَهُ الرَّبُّ مَعَكُمْ عَلَى جَمِيعِ هَذِهِ الْأَقْوَالِ» .
خروج ٢٤ : ٣-٨

ومثال آخر يدل على أن بولس لم يوحى إليه ، وأنه كان ذو نفس غير سوية ،

إذ أوقع الناس في بعضها البعض ليخرج هو من مأزقه، ولعلم أن الذي يكلمه هو رئيس الكهنة، ولطبق التاموس ولم يشتم رئيس الكهنة: (١) فَتَفَرَسَ بُولُسُ فِي الْمَجْمَعِ وَقَالَ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِخْوَةُ إِنِّي بِكُلِّ غَمِيرٍ صَالِحٍ قَدْ عِشْتُ لِلَّهِ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ». ٢ فَأَمَرَ حَنَانِيَا رَئِيسُ الْكَهَنَةِ الْوَاقِفِينَ عِنْدَهُ أَنْ يَضْرِبُوهُ عَلَى فَمِهِ. ٣ حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ بُولُسُ: «سَيَضْرِبُكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْحَائِظُ الْمُبَيِّضُ! أَفَأَنْتَ جَالِسٌ تَحْكُمُ عَلَيَّ حَسَبَ النَّامُوسِ وَتَنْتَ تَأْمُرُ بِضَرْبِي مُخَالِفًا لِلنَّامُوسِ؟» ٤ فَقَالَ الْوَاقِفُونَ: «أَتَشْتِمُ رَئِيسَ كَهَنَةِ اللَّهِ؟» ٥ فَقَالَ بُولُسُ: «لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ أَيُّهَا الْإِخْوَةُ أَنَّهُ رَئِيسُ كَهَنَةٍ لِأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: رَئِيسُ شُعْبِكَ لَا تَقُلْ فِيهِ سُوءًا». ٦ وَلَمَّا عَلِمَ بُولُسُ أَنَّ قِسْمًا مِنْهُمْ صُدُوقِيُونَ وَالْآخَرُ فَرِيسِيُّونَ صَرَخَ فِي الْمَجْمَعِ: «أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِخْوَةُ أَنَا فَرِيسِيٌّ ابْنُ فَرِيسِيٍّ. عَلَى رَجَاءِ قِيَامَةِ الْأَمْوَاتِ أَنَا أَحَاكِمُ». ٧ وَلَمَّا قَالَ هَذَا حَدَثَتْ مُنَارَعَةٌ بَيْنَ الْفَرِيسِيِّينَ وَالصَّدُوقِيِّينَ وَانْشَقَّتِ الْجَمَاعَةُ (أعمال ٢٣: ٢-٥)

مثال آخر يدل على أن بولس غير موحى إليه: قال إن يسوع ظهر لتلاميذ الإثنى عشر (كورنثوس الأولى ١٥: ٥) ٥ وَأَنَّهُ ظَهَرَ لِمِصْفَا ثَمَّ لِإِلَاثْنِي عَشَرَ (١٠)، ونسى أن يهوذا قد مات (متى ٢٨: ١٦).

ومثال آخر على أخطائه أنه ادعى ظهور يسوع لـ ٥٠٠ أخ من أتباعه، ولم يقل أي من الأناجيل بذلك، فمن أين أتى بهذا العلم الذي لم يعرفه تلاميذ يسوع وكتبه الأناجيل الموحى إليهم؟ (٦) وَبَعْدَ ذَلِكَ ظَهَرَ دَفْعَةً وَاحِدَةً لِأَكْثَرِ مِنْ خَمْسِمِئَةِ أَخٍ أَكْثَرُهُمْ بَاقٍ إِلَى الْآنَ. وَلَكِنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ رَفَدُوا (١٠) كورنثوس الأولى ١٥: ٦

مثال آخر يدل على أنه غير موحى إليه وأنه كان كافرًا، هو اتهامه لله بالجهل والضعف والحقاقة، والجور، والظلم:

(٢٥) لِأَنَّ جَهَالََةَ اللَّهِ أَحْكَمُ مِنَ النَّاسِ! وَضَعْفَ اللَّهِ أَقْوَى مِنَ النَّاسِ! (كورنثوس الأولى ١: ٢٥)

(١١) وَلَاجِلْ هَذَا سَيُرْسِلُ إِلَيْهِمُ اللَّهُ عَمَلَ الضَّلَالِ، حَتَّى يُصَدِّقُوا
الْكَذِبَ، ١٢ لَكِنِّي يُدَانُ جَمِيعُ الَّذِينَ لَمْ يُصَدِّقُوا الْحَقَّ، بَلْ سُرُّوا بِالْإِثْمِ .
تسالونيكي الثانية ٢ : ١١

كيف يضلّهم الرب حتى يصدقوا الكذب ، ثم يحاسبهم؟ أليس هذا من
الجور والظلم من الرب على العباد؟ أين الرب محبة؟

(٣١) فَمَاذَا نَقُولُ لِهَذَا؟ إِنْ كَانَ اللَّهُ مَعَنَا فَمَنْ عَلَيْنَا! ٣٢ الَّذِي لَمْ يُشْفِقْ
عَلَى ابْنِهِ بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ كَيْفَ لَا يَهْبِنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلُّ شَيْءٍ؟ رومية ٨ :
٣٢-٣١

بالإضافة إلى آراء شخصية وخطابات شخصية كتبها بولس لأشخاص ما ،
فلماذا اعتبرت من وحي الله؟ وما الحكمة منها؟

١- (٣٨) إِذَا مِنْ زَوْجٍ فَحَسَنًا يَفْعَلُ وَمَنْ لَا يَزُوجُ يَفْعَلُ أَحْسَنَ . ٣٩ الْمَرْأَةُ
مُرْتَبِطَةٌ بِالنَّامُوسِ مَا دَامَ رَجُلُهَا حَيًّا . وَلَكِنْ إِنْ مَاتَ رَجُلُهَا فَهِيَ حُرَّةٌ لَكِنِّي تَتَزَوَّجُ
بِمَنْ تُرِيدُ فِي الرَّبِّ فَقَطْ . ٤٠ وَلَكِنَّهَا أَكْثَرُ غَبِطَةً إِنْ لَيْسَتْ هَكَذَا بِحَسَبِ رَأْيِي .
وَأُظَنُّ أَنِّي أَنَا أَيْضًا عِنْدِي رُوحُ اللَّهِ . (كورنثوس الأولى ٧ : ٣٨-٤٠)

٢- (٢٥) وَأَمَّا الْعَذَارَى فَلَيْسَ عِنْدِي أَمْرٌ مِنَ الرَّبِّ فِيهِنَّ وَلَكِنِّي أُعْطِيَ
رَأْيًا كَمَنْ رَحِمَهُ الرَّبُّ أَنْ يَكُونَ أَمِينًا . ٢٦ فَأُظَنُّ أَنَّ هَذَا حَسَنٌ لِسَبَبِ الضِّيقِ
الْحَاضِرِ . أَنَّهُ حَسَنٌ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَكُونَ هَكَذَا : (كورنثوس الأولى ٧ : ٢٥-٢٦)

٣- (١٢) وَأَمَّا الْبَاثُونَ فَأَقُولُ لَهُمْ أَنَا لَا الرَّبُّ : إِنْ كَانَ أَخٌ لَهُ امْرَأَةٌ غَيْرُ
مُؤْمِنَةٍ وَهِيَ تَرْضَى أَنْ تَسْكُنَ مَعَهُ فَلَا يَتْرُكْهَا . ١٣ وَالْمَرْأَةُ الَّتِي لَهَا رَجُلٌ غَيْرُ
مُؤْمِنٍ وَهُوَ يَرْضَى أَنْ يَسْكُنَ مَعَهَا فَلَا تَتْرُكْهُ . (كورنثوس الأولى ٧ : ١٢-١٣)

٤- (٢) أَنَا بُولُسُ أَقُولُ لَكُمْ : إِنَّهُ إِنْ اخْتَسَمْتُمْ لَا يَنْفَعُكُمُ الْمَسِيحُ شَيْئًا!
غلاطية ٥ : ٢ ، وهو نفس الأمر الذي أدانه فيه التلاميذ ، وكفروه بسببه .

٥- بولس ينوى أن يشقى فى نيكوبوليس! فهل هذا من وحى الله؟
(١٢) جِينَمَا أُرْسِلُ إِلَيْكَ أَرْتِمَاسَ أَوْ تِيخِيكُسَ بَادِرْ أَنْ تَأْتِيَّ إِلَيَّ إِلَى
نيكوبوليس، لأننى عَزَمْتُ أَنْ أَشْتِيَ هُنَاكَ (تيطس ٣ : ١٢)

٦- أيرسل بولس خطابًا شخصيًا كله سلامات على معارفه ، وتعتبرونه من
وحى الله؟ (١) أَوْصِي إِلَيْكُمْ بِأُخْتِنَا فَبِيَّ الَّتِي هِيَ خَادِمَةُ الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي كُنْخَرِيَا ٢ كَتَبْتُ
تَقَبَّلُوهَا فِي الرَّبِّ كَمَا يَحِقُّ لِلْقَدِيسِينَ وَتَقَوْمُوا لَهَا فِي أَيِّ شَيْءٍ أَحْتَاجَتْهُ مِنْكُمْ لِأَنَّهَا
صَارَتْ مُسَاعِدَةً لِكَثِيرِينَ وَبِى نَا أَيْضًا . ٣ سَلِّمُوا عَلَى بَرِسْكَلاَ وَأَكْبِلَا الْعَامِلِينَ مَعِيَ
فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ ٤ الَّذِينَ وَضَعَا عُقُوبَتَهُمَا مِنْ أَجْلِ حَيَاتِي الَّذِينَ لَسْتُ أَنَا
وَحْدِي أَشْكُرُهُمَا بَلْ أَيْضًا جَمِيعُ كَنَائِسِ الْأَنْمِ ٥ وَعَلَى الْكَنِيسَةِ الَّتِي فِي بَيْتِهِمَا .
سَلِّمُوا عَلَى أَبِيثُوسَ حَبِيبِي الَّذِي هُوَ بَاكُورَةُ أَخَائِيَّةٍ لِلْمَسِيحِ . ٦ سَلِّمُوا عَلَى
مَرْيَمَ الَّتِي تَعَبَتْ لِأَجْلِنَا كَثِيرًا . ٧ سَلِّمُوا عَلَى أَنْدْرُونِكُوسَ وَيُونْيَاسَ نَسِيبِي
الْمَأْسُورَيْنِ مَعِيَ الَّذِينَ هُمَا تَشْهُورَانِ بَيْنَ الرُّسُلِ وَقَدْ كَانَا فِي الْمَسِيحِ قَبْلِي .
٨ سَلِّمُوا عَلَى أَمْبِلْيَاسَ حَبِيبِي فِي الرَّبِّ . ٩ سَلِّمُوا عَلَى أَوْربَانُوسَ الْعَايِلِ مَعَنَا
فِي الْمَسِيحِ وَعَلَى إِسْتَاخِيَسَ حَبِيبِي . ١٠ سَلِّمُوا عَلَى أَبْلَسَ الْمُزَكِّي فِي الْمَسِيحِ .
رومية ١٦ : ١-١٠ . وأكتفى بهذا لأن الإصحاح كله سلامات .

٧- أينسى بولس رداءه وكتبه عند كاربس ، ثم يرسل إليه خطابًا يطالبه فيه
بمتعلقاته الشخصية وتعتبرونه من وحى الله؟ (١١) أَلَوْقَا وَحْدَهُ مَعِيَ . خُذْ مَرَقَسَ
وَأَحْضِرْهُ مَعَكَ لِأَنَّهُ نَافِعٌ لِي لِلْخِدْمَةِ . ١٢ مَا تِيخِيكُسُ فَقَدْ أُرْسَلَتْهُ إِلَى قَسَسَ .
١٣ الرِّدَاءُ الَّذِي تَرَكْتُهُ فِي تَرُواسَ عِنْدَ كَارْبُسَ أَحْضِرْهُ مَتَى جِئْتُ ، وَالْكِتَابُ أَيْضًا
وَلَا سِيَّامَا الرُّفُوقَ . ١٤ إِسْكَندَرُ النَّحَاسُ أَظْهَرَ لِي شُرُورًا كَثِيرَةً . لِيَجَازِهِ الرَّبُّ
حَسَبَ أَعْمَالِهِ .) ثيموثاوس لثنية ٤ : ١١-١٤

٨- استشهاد بولس بشر من أقوال الشاعر (أراتس) وهو: (٢٨) لَأَنَّا بِهِ
نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ . كَمَا قَالَ بَعْضُ شُعْرَائِكُمْ أَيْضًا : لَأَنَّا أَيْضًا ذُرِّيَّتُهُ .)
أعمال الرسل ١٧ : ٢٨ ، فما حاجة الرب لأقوال الشعراء لتأييد أقواله؟ أيستشهد

الرب بأقوال الشعراء ليقنع الناس بدينه؟

٩- استشهاد بولس بقول الشاعر (مناندو) وهى: (٣٣) لَا تَضِلُّوْا! فَإِنَّ
الْمُعَاشِرَاتِ الرَّدِيَّةَ تُفْسِدُ الْأَخْلَاقَ الْجَيِّدَةَ . (كورنثوس الأولى ١٥ : ٣٣

١٠- استشهاد بولس بقول الشاعر الكرىتى (أبيمانديس) وهو: (١٢) قَالَ وَاجِدٌ
مِنْهُمْ - وَهُوَ نَبِيٌّ لَهُمْ خَاصٌّ: «الْكِرِيْتِيُّونَ دَائِمًا كَذَّابُونَ . وَخُوشٌ رَدِيَّةٌ . بَطُونٌ
بَطَالَةٌ» . (تيطس ١ : ١٢

الفصل الثانى والعشرين بعد المائة

رأى التلاميذ والمعاصرين لعيسى عليه السلام فى بولس:

اتهم تلاميذ عيسى عليه السلام بولس بالخروج عن تعاليم عيسى وموسى
والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرؤه بالتوبة والعودة إلى دين آبائه وأجداده ،
كما اتهمه فستوس بالتخريف والهديان ، عندما سمعه يقول بالقيامة من الأموات ،
وأنه يغالط ويخدع الحاضرين بقوله إن هذا ليس إلا قول الأنبياء: (٢٢) فَإِذَا حَصَلْتُ
عَلَى مَعُونَةٍ مِنَ اللَّهِ بَقِيتُ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ شَهِيدًا لِلصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ . وَأَنَا لَا أَقُولُ شَيْئًا
غَيْرَ مَا تَكَلَّمَ الْأَنْبِيَاءُ وَمُوسَى أَنَّهُ عَتِيدٌ أَنْ يَكُونَ: ٢٣ إِنْ يُؤْلَمَ الْمَسِيحُ يَكُنْ هُوَ
أَوَّلُ قِيَامَةِ الْأَمْوَاتِ مُزْمِعًا أَنْ يُنَادِيَ بِنُورٍ لِلشَّعْبِ وَلِلْأُمَّمِ» . ٢٤ وَبَيْنَمَا هُوَ
يَخْتَجُّ بِهَذَا قَالَ فَسْتُوسُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «أَنْتَ تَهْذِي يَا بُولُسُ! الْكُتُبُ الْكَثِيرَةُ
تُحَوِّلُكَ إِلَى الْهَذْيَانِ» . (أعمال الرسل ٢٦ : ٢٢-٢٤

الأمر الذى رفضه كل المؤمنين بصور مختلفة:

* فقد منعه الرسل (التلاميذ) من التواجد بينهم: (أعمال الرسل ١٩ : ٣٠)
(٣٠) وَلَمَّا كَانَ بُولُسُ يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ بَيْنَ الشَّعْبِ لَمْ يَدْعُهُ التَّلَامِيذُ .

* ولم تتفق شكواهم ضده إلا على قوله بقيامة يسوع من الأموات:
(١٨) فَلَمَّا وَقَفَ الْمُشْتَكُونَ حَوْلَهُ لَمْ يَأْتُوا بِعِلَّةٍ وَاحِدَةٍ مِمَّا كُنْتُ أَظُنُّ . ١٩ لَكِنْ
كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِ مَسَائِلُ مِنْ جِهَةِ دِيَانَتِهِمْ وَعَنْ وَاحِدٍ اسْمُهُ يَسُوعُ قَدْ مَاتَ وَكَانَ

بُولُسُ يَقُولُ إِنَّهُ حَيٌّ . (أعمال الرسل ٢٥ : ١٨-١٩)

* ومنهم من استهزأ به (أعمال الرسل ١٧ : ٣٢) وَلَمَّا سَمِعُوا بِالْقِيَامَةِ
مِنَ الْأَمْوَاتِ كَانَ الْبَعْضُ يَسْتَهْزِئُونَ

* ومنهم من حكم عليه بالخبل والجنون (الهزي) (أعمال الرسل ٢٦ : ٢٤)
(٢٤) وَبَيْنَمَا هُوَ يَحْتَجُّ بِهَذَا قَالَ فَسْتَوْسُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ : «أَنْتَ تَهْذِي يَا بُولُسُ!
الْكُتُبُ الْكَثِيرَةُ تُحَوِّلُكَ إِلَى الْهَذْيَانِ» .

* ومنهم من ادعى أن أقواله كلها غريبة ، ولم يتبق له إلا أن يقول هذا
(سنسمع منك عن هذا أيضًا) : (٣١) لِأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ
الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ بِرَجُلٍ قَدْ عَيَّنَهُ مُقَدِّمًا يَلْجَمِيعَ إِيْمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الْأَمْوَاتِ .
٣٢ وَلَمَّا سَمِعُوا بِالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ كَانَ الْبَعْضُ يَسْتَهْزِئُونَ وَالْبَعْضُ
يَقُولُونَ : «سَنَسْمَعُ مِنْكَ عَنْ هَذَا أَيْضًا !» . ٣٣ وَهَكَذَا خَرَجَ بُولُسُ مِنْ وَسْطِهِمْ .
أعمال الرسل ١٧ : ٣١-٣٣

* ومنهم من ادعى عليه بالتخفيف أنه مهزار ، ولا يمكن أن يكون هذا
الهزل الذي يقوله حقيقة : (١٨) فَقَابَلَهُ قَرْمٌ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ الْأَيْكُورِيِّينَ وَالرَّوَاقِيِّينَ
وَقَالَ بَعْضُ : «تَرَى مَاذَا يُرِيدُ هَذَا الْمِهْذَارُ أَنْ يَقُولَ؟» وَبَعْضُ : «إِنَّهُ يَظْهَرُ
مُنَادِيًا بِالْهَةِ غَرِيبَةٍ» - لِأَنَّهُ كَانَ يُبَشِّرُهُمْ بِيَسُوعَ وَالْقِيَامَةِ . ١٩ فَأَخَذُوهُ وَذَهَبُوا بِهِ
إِلَى أَرِيُوسَ بَاغُوسَ قَائِلِينَ : «هَلْ يُمَكِّنُنَا أَنْ نَعْرِفَ مَا هُوَ هَذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ
الَّذِي تَتَكَلَّمُ بِهِ . ٢٠ لِأَنَّكَ تَأْتِي إِلَى مَسْمِعِنَا بِأُمُورٍ غَرِيبَةٍ قُرَيْدُ أَنْ نَعْلَمَ مَا عَسَى
أَنْ تَكُونَ هَذِهِ» . (أعمال الرسل ١٧ : ١٨-٢٠)

* وحكم الرسل عليه (التلاميذ) بالإستتابه والعودة إلى دين آبائه وأجداده ،
وصححوا عقائد الناس الذين هبط بهم بولس إلى هاوية الكفر : (أعمال الرسل
٢١ : ٢٣-٢٥) ٢٣ فَافْعَلْ هَذَا الَّذِي نَقُولُ لَكَ : عِنْدَنَا أَرْبَعَةُ رِجَالٍ عَلَيْهِمْ
نَذْرٌ . ٢٤ خُذْ هَؤُلَاءِ وَتَطَهَّرْ مَعَهُمْ وَأَنْفِقْ عَلَيْهِمْ لِيُخْلِقُوا رُؤُوسَهُمْ فَيَعْلَمَ

الْجَمِيعُ أَنْ لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا أُخْبِرُوا عَنْكَ بَلْ تَسْلُكُ أَنْتَ أَيْضًا حَافِظًا لِلنَّامُوسِ . ٢٥ وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْأَمَمِ فَأَرْسَلْنَا نَحْنُ إِلَيْهِمْ وَحَكَمْنَا أَنْ لَا يَحْفَظُوا شَيْئًا مِثْلَ ذَلِكَ سِوَى أَنْ يُحَافِظُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِمَّا ذُبِحَ لِلْأَصْنَامِ وَمِنَ الدِّمِ وَالْمَخْنُوقِ وَالزَّنَا . (

✽ ومنهم من أمسكوه وأرادوا قتله (أعمال الرسل ٢١ : ٢٧-٣٢) (٢٧) وَلَمَّا قَارَبَتِ الْأَيَّامُ السَّبْعَةَ أَنْ تَتِمَّ رَأَهُ الْيَهُودُ الَّذِينَ مِنْ أَسِيَّا فِي الْهَيْكَلِ فَأَهَاجُوا كُلَّ الْجَمْعِ وَأَلْقَوْا عَلَيْهِ الْأَيَادِي ٢٨ صَارِخِينَ : «يَا أَيُّهَا الرِّجَالُ الْإِسْرَائِيلِيُّونَ أَعِينُوا! هَذَا هُوَ الرَّجُلُ الَّذِي يُعَلِّمُ الْجَمِيعَ فِي كُلِّ مَكَانٍ ضِدًّا لِلشَّعْبِ وَالنَّامُوسِ وَهَذَا الْمَوْضِعُ حَتَّى أَدْخَلَ يُونَانِيِّينَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ وَدَنَسَ هَذَا الْمَوْضِعَ الْمُقَدَّسَ» . ٢٩ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ رَأَوْا مَعَهُ فِي الْمَدِينَةِ ثَرْوَيْمُسَ الْأَقْسِسِيِّ فَكَانُوا يَظُنُّونَ أَنَّ بُولُسَ أَدْخَلَهُ إِلَى الْهَيْكَلِ . ٣٠ فَهَاجَتِ الْمَدِينَةُ كُلُّهَا وَتَرَكَضَ الشَّعْبُ وَأَمْسَكُوا بُولُسَ وَجَرُّوهُ خَارِجَ الْهَيْكَلِ . وَلِلْوَقْتِ أُغْلِقَتِ الْأَبْوَابُ . ٣١ وَبَيْنَمَا هُمْ يَطْلُبُونَ أَنْ يَقْتُلُوهُ نَمَا خَبَرٌ إِلَى أَمِيرِ الْكَتِييَّةِ أَنَّ أُورُشَلِيمَ كُلَّهَا قَدْ اضْطَرَبَتْ ٣٢ فَلِلْوَقْتِ أَخَذَ عَسْكَرًا وَقَوَادِمَاتٍ وَرَكَضَ إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا رَأَوْا الْأَمِيرَ وَالْعَسْكَرَ كَفُّوا عَنْ ضَرْبِ بُولُسِ . (

✽ ومنهم من قدموه إلى المحاكمة (أعمال الرسل ٢٦ : ١-٢) (١) فَقَالَ أَغْرِيْبَاسُ لِبُولُسَ : «مَأْذُونٌ لَكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ لِأَجْلِ نَفْسِكَ» . حِينَئِذٍ بَسَطَ بُولُسُ يَدَهُ وَجَعَلَ يَخْتَجُّ : ٢ «إِنِّي أَحْسِبُ نَفْسِي سَعِيدًا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَغْرِيْبَاسُ إِذْ أَنَا مُزْمِعٌ أَنْ أَسْأَلَكَ الْيَوْمَ لَدَيْكَ عَنْ كُلِّ مَا يُحَاكِمُنِي بِهِ الْيَهُودُ . (

✽ فانظر إلى (الرسل) التلاميذ أنفسهم لم يعرفوا شيئاً عن الروح القدس ولا معمودية بولس : (١) فَحَدَّثَ فِيمَا كَانَ أَبْلُوسُ فِي كُورِنْثُوسَ أَنَّ بُولُسَ بَعْدَ مَا اجْتَارَ فِي النِّوَاجِ الْعَالِيَةِ جَاءَ إِلَى أَفُسُسَ . فَإِذْ وَجَدَ تَلَامِيذَ ٢ سَأَلَهُمْ : «هَلْ قَبِلْتُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ؟» قَالُوا لَهُ : «وَلَا سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ» .

٣ فَسَأَلَهُمْ: «فِيمَاذَا اعْتَمَدْتُمْ؟» فَقَالُوا «بِمَعْمُودِيَّةِ يُوَحْنَّا». ٤ فَقَالَ بُولُسُ: «إِنْ يُوَحْنًا عَمَدَ بِمَعْمُودِيَّةِ التَّوْبَةِ قَائِلًا لِلشَّعْبِ أَنْ يُؤْمِنُوا بِالَّذِي يَأْتِي بَعْدَهُ أَيْ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ». ٥ فَلَمَّا سَمِعُوا اعْتَمَدُوا بِاسْمِ لَرْتِ يَسُوعَ. ٦ وَلَمَّا وَضَعَ بُولُسُ يَدَيْهِ عَلَيْهِمْ حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْهِمْ فَصَبَقُوا يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَاتٍ وَيَتَنَبَّأُونَ. (أعمال الرسل ١٩ : ٦-١)

✽ واتهمه البعض بالكفر وبأنه يدعوا إلى آلهة غريبة ، فهم لم يسمعوا بها لا من موسى ولا من الأنبياء ولا من عيسى عليهم الصلاة والسلام (أعمال الرسل ١٧ : ١٨) (١٨) فَقَابَلَهُ قَوْمٌ مِنَ الْفَلَاسِفَةِ الْإِبِكُورِيِّينَ وَالرَّوَاقِصِينَ وَقَالَ بَعْضُ: «تُرَى مَاذَا يُرِيدُ هَذَا الْمَهْذَارُ أَنْ يَقُولَ؟» وَبَعْضُ: «إِنَّهُ يَظْهَرُ مُنَادِيًا بِالْهَةِ غَرِيبَةٍ» - لَأَنَّهُ كَانَ يُشْرَهُمُ بِيَسُوعَ وَلِقِيَامَةِ. ١٩ فَأَخَذُوهُ وَذَهَبُوا بِهِ إِلَى أَرِيُوسَ بَاغُوسَ قَائِلِينَ: «هَلْ يُمَكِّنُنَا أَنْ نَعْرِتَ مَا هُوَ هَذَا التَّعْلِيمُ الْجَدِيدُ الَّذِي تَتَكَلَّمُ بِهِ. ٢٠ لِأَنَّكَ تَأْتِي إِلَى مَسَامِعِنَا بِأُمُورٍ غَرِيبَةٍ فَتُرِيدُ أَنْ نَعْلَمَ مَا عَسَى أَنْ تَكُونَ هَذِهِ». (أعمال الرسل ١٧ : ١٨-٢٠)

الفصل الثالث والعشرين بعد المائة

قصة اعتناق بولس دين يسوع:

هل تعرف كيف اعتنق بولس ديانة عيسى عليه السلام؟

ذُكِرت قصة اتباع بولس لديانة عيسى عليه السلام في ثلاثة مواضع في سفر أعمال الرسل، الذي يُعزى تأليفه إلى بولس نفسه: (٩ : ٣-٩ و ٢٢ : ٦-١١ و ٢٦ : ١٢-١٧). وسأسوق ملخص القصص الثلاث في جدول ليسهل على القارئ متابعتها:

رقم الإصحاح	موقف المسافرين مع بولس	بولس نفسه
٩ : ٣-٩	سمعوا الصوت - ثم ينظروا النور - وقفوا صامتين	أمره يسوع بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة .
٢٢ : ٦-١١	لم يسمعوا الصوت - نظروا النور لا يوجد شيء عن كيفية وقوفهم	أمره يسوع بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة .
٢٦ : ١٢-١٧	لا يوجد شيء عن الصوت نظروا النور - سقطوا على الأرض	أعطاه يسوع الرسالة فوراً مع وعد بإنقاذه من اليهود والأمم الأخرى .

أولاً فقد جاء بكتاب ادعى أنه من عند يسوع نفسه ، وهو الذى أوحاه إليه ،
على الرغم أنه من الفريسيين الذين كان عيسى عليه السلام يمقتهم ، وكانوا
يناصبونه العدا ، وعلى الرغم أنه لم يرى عيسى ولم يسمع منه من قبل ، فقال :
(١١) وَأَعْرِفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ .
١٢ لَأَنْتَى لَمْ أَقْبَلُهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلَا عَلَّمْتُهُ . بَلْ بِإِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ .
غلاطية ١ : ١١-١٢

قارن هذا الكلام بكيفية اعتناقه دين عيسى عليه السلام !

ففى الإصحاح التاسع : سمع المسافرون صوتاً ، ولكنهم لم ينظروا نوراً ،
ووقفوا صامتين .

أما في الإصحاح الثاني والعشرين: فلم يسمع المسافرون معه صوتاً ، ولكنهم نظروا النور ، ولا يوجد ما يبين كيفية وقوفهم .

ألست معي أن هذا الكلام مخالف لبعضه؟ ألست معي أن مثل هذا الكلام لو قاله إنسان أمام قاضي أو محقق لقبض عليه على الأقل بتهمة الكذب والخداع والتدليس؟

وفي الإصحاح السادس والعشرين ، لم يذكر شيئاً عن الصوت ، والمسافرون معه رأوا النور .

نقطة خلاف أخرى في اعترافاته: أنه يدعى أن عيسى أمره بالذهاب إلى دمشق لتلقى الرسالة ، وكان هذا في الإصحاحين التاسع والثاني والعشرين ، وهذا كذب مبین! فمن الذي سيعلمه ريعطيه الرسالة في دمشق؟ وما حاجته للذهاب إلى دمشق؟ وما قيمة تلاميذ يسوع إذ إن لم يكن عندهم العلم الكافي لتعليمه بعد أن نزل عليهم الروح القدس؟

ثم انظر إلى قول بولس نفسه: (١١ وَأُعَرِّفُكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ الْإِنْجِيلَ الَّذِي بَشَّرْتُ بِهِ ، أَنَّهُ لَيْسَ بِحَسَبِ إِنْسَانٍ . ١٢ لِأَنِّي لَمْ أَقْبَلْهُ مِنْ عِنْدِ إِنْسَانٍ وَلَا عُلِّمْتُهُ . بَلْ بِإِعْلَانِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ .) غلاطية ١ : ١١-١٢ ، فهو يعترف إذن أن هذا العلم الذي أتى به لم يأخذه من عند إنسان ، بل بوحي من يسوع ، وتبعاً لأعمال الرسل قد أمره يسوع بالذهاب إلى دمشق ليعلم واجبه ورسالته هناك .

أما في الإصحاح السادس والعشرين فقد أعطاه الرسالة فوراً ، مع وعد بإنفاذه من اليهود والأمم الأخرى! وكان هذا أيضاً دون أن يعلمه أحد من التلاميذ! فلماذا رجع إليهم يبحثكم إليهم في خلافه مع برنابا؟ ولماذا خالفت تعاليمه تعاليم عيسى عليه السلام والتلاميذ؟ ولماذا أدانه التلاميذ وحكموا عليه بالهرطقة والكذب؟ (أعمال الرسل ٢١ : ١٧-٣٢)

فهل تلقى يسوع الرسالة في دمشق؟ ومن من؟ أم لم يتلقى الرسالة إلا من

يسوع فى فلسطين قبل سفره إلى دمشق؟

بأيهما أخذت فالإختيار مر والثانى أمرٌ منه!

أُست معى أن هذا يجعلنا نرفض قضية اتباعه لديانة عيسى عليه السلام برمتها؟ فالإختلاف فى قضية وقت وزمن تلقى الرسالة ، وبأحوال المسافرين معه: هل سمعوا صوت المتكلم أم نظروا الضوء فقط أم انكفأوا على الأرض دون سماع أو رؤية؟

أضف إلى ذلك أنه تبعًا لسفر أعمال الرسل (الإصحاح التاسع) تقابل بولس مع الحواريين الآخرين بعد قليل من إعتناقه لديانة يسوع أثناء رحلته إلى دمشق ، وكان ذلك فى أورشليم ، بينما لم يسافر إلى أورشليم تبعًا لسفر غلاطية (١) : (١٨) إلا بعد ذلك بثلاث سنوات: (١٨) ثُمَّ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ صَعِدْتُ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِأَتَعَرَّفَ بِبِطْرُسَ ، فَمَكَّثْتُ عِنْدَهُ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا .

(٢٧) فَأَخَذَهُ بَرْنَابَا وَأَحْضَرَهُ إِلَى الرُّسُلِ وَحَدَّثَهُمْ كَيْفَ أَبْصَرَ الرَّبَّ فِي الطَّرِيقِ وَأَنَّهُ كَلَّمَهُ وَكَيْفَ جَاهَرَ فِي دِمَشْقَ بِاسْمِ يَسُوعَ . ٢٨ فَكَانَ مَعَهُمْ يَدْخُلُ وَيَخْرُجُ فِي أُورُشَلِيمَ وَيُجَاهِرُ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ .) أعمال الرسل ٩ : ٨٢

(٢٢) وَلَكِنِّي كُنْتُ غَيْرَ مَعْرُوفٍ بِالْوَجْهِ عِنْدَ كَنَائِسِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ .) غلاطية ١ : ٢٢

لكن لماذا سافر بولس إلى أورشليم؟ وهل بتفويض من رئيس الكهنة؟ وما سلطة رئيس كهنة أورشليم على كنائس دمشق والبلدين كائنا تحت الحكم الرومانى؟ فهذه الأسئلة تظل غير مجاب عنها ، الأمر الذى جعل علماء اللاهوت يتنازعون فى شخصية بولس ، وهل هى شخصية خرافية نُسبت إليها هذه الرسائل ، أم أنه كتب سبعة رسائل منها فقط .

ومن هنا نرى أن بولس لم يكن نبيًا ولا رسولًا ، وعلى ذلك يجب إخراج كل ما كتبه عن المرأة من هذا الكتاب!

وقال: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ المائدة ٨

وقال: ﴿فَإِنْ جَاءُوكَ فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ المائدة ٤٢

وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النحل ٩٠

وقال: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾ النحل ١٢٦

وقال: ﴿وَأَقِيمُوا الزُّكُوفَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ الرحمن ٩

وهو نفس العدل الذي انتهجه الله في الأديان السابقة، وما خالف ذلك، فهو ليس كلام الله: (١) وَكَانَ إِلَهِي كَلَامَ الرَّبِّ: ٢ [مَا لَكُمْ أَنْتُمْ تَضْرِبُونَ هَذَا الْمَثَلُ عَلَى أَرْضِ إِسْرَائِيلَ، قَائِلِينَ: الْآبَاءُ أَكَلُوا الْحُضْرَمَ وَأَسْنَانُ الْأَبْنَاءِ ضَرَسَتْ؟ ٣ حَيَّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، لَا يَكُونُ لَكُمْ مِنْ بَعْدُ أَنْ تَضْرِبُوا هَذَا الْمَثَلُ فِي إِسْرَائِيلَ . ٤ هَا كُلُّ النَّفْسِ هِيَ لِي . نَفْسُ الْآبِ كَتَفْسِ الْإِبْنِ . كِلَاهُمَا لِي . النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ فَإِنَّهُ لَا يَمُوتُ بِإِثْمِ أَبِيهِ . حَيَاةُ يَحْيَا ١٩] وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لِمَاذَا لَا يَحْمِلُ الْإِبْنُ مِنْ إِثْمِ الْآبِ؟ أَمَّا الْإِبْنُ فَقَدْ فَعَلَ حَقًّا وَعَدْلًا . حَفِظَ جَمِيعَ فَرَائِضِي وَعَمِلَ بِهَا فَحَيَاةُ يَحْيَا . ٢٠ النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ . الْإِبْنُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْآبِ وَالْآبُ لَا يَحْمِلُ مِنْ إِثْمِ الْإِبْنِ . بَرُّ الْبَارِّ عَلَيْهِ يَكُونُ وَشَرُّ الشَّرِيرِ عَلَيْهِ يَكُونُ ٢٥] وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ: لَيْسَتْ طَرِيقُ الرَّبِّ مُسْتَوِيَّةً . فَاسْمَعُوا الْآنَ يَا بَنَاتِ إِسْرَائِيلَ . أَطَرِيقِي هِيَ غَيْرُ مُسْتَوِيَّةٍ؟ أَلَيْسَتْ طُرُقُكُمْ غَيْرَ مُسْتَوِيَّةٍ؟ ٢٦ إِذَا رَجَعَ الْبَارُّ عَنْ بَرِّهِ وَعَمِلَ إِثْمًا وَمَاتَ فِيهِ، فَيَأْتِيهِ الَّذِي عَمِلَهُ يَمُوتُ . ٢٧ وَإِذَا رَجَعَ الشَّرِيرُ عَنْ شَرِّهِ الَّذِي فَعَلَ، وَعَمِلَ حَقًّا

وَعَدْلًا، فَهَوَّ يُحْيِي نَفْسَهُ . ٢٨ رَأَى فَرَجَعَ عَنْ كُلِّ مَعَاصِيهِ الَّتِي عَمِلَهَا فَحَيَاةَ
يَحْيَا . لَا يَمُوتُ . ٢٩ وَبَيَّتْ إِسْرَائِيلُ يَقُولُ: لَيْسَتْ طَرِيقُ الرَّبِّ مُسْتَوِيَةً . أَطَرِقِي
غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ؟ أَلَيْسَتْ طَرَفُكُمْ غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ؟ ٣٠ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ
أَقْضِي عَلَيْكُمْ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ كُلِّ وَاحِدٍ كَطَرَفِهِ يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ . تَوْبُوا
وَارْجِعُوا عَنْ كُلِّ مَعَاصِيكُمْ، وَلَا يَكُونُ لَكُمْ الْإِثْمُ مَهْلَكَةً . ٣١ إِطْرَحُوا عَنْكُمْ
كُلَّ مَعَاصِيكُمْ الَّتِي عَصَيْتُمْ بِهَا، وَاعْمَلُوا لِأَنْفُسِكُمْ قُلُوبًا جَدِيدًا وَرُوحًا جَدِيدَةً .
فَلِمَذَا تَمُوتُونَ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ؟ ٣٢ لِأَنِّي لَا أَسْرُ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ يَقُولُ السَّيِّدُ
الرَّبُّ . فَارْجِعُوا وَاحْيُوا] . حزقيال ١٨ : ١-٣٢

ثم أنذر الله بنى إسرائيل ألا يقولوا هذا المثل مرة أخرى، لأنهم بهذا
يتهمون الله بالظلم، وأنه لا يحكم بين الناس بالعدل: (٢٥) [وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ:
لَيْسَتْ طَرِيقُ الرَّبِّ مُسْتَوِيَةً ٢٩ وَبَيَّتْ إِسْرَائِيلُ يَقُولُ: لَيْسَتْ
طَرِيقُ الرَّبِّ مُسْتَوِيَةً . أَطَرِقِي غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ؟ أَلَيْسَتْ صُرُفُكُمْ
غَيْرَ مُسْتَقِيمَةٍ؟] حزقيال ١٨ : ٢٤-٢٩

فى الحقيقة أنصح بقراءة هذ السفر كله ، فإنه يحتوى على معنى كلام الله
﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (٢٨) المدثر ٣٨، وقوله: ﴿أَلَا نَزَرُ وَزَرَةٌ وَزَرَ أُخْرَى﴾
(٢٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٢٩﴾ النجم ٣٨-٣٩

فالإسلام لا يُحْمَلُ عبء خطيئة الأكل من الشجرة المحرمة للمرأة وحدها ،
بل جعل الخطيئة شركة بينها وبين زوجها . لذلك نجد الخطاب فى القرآن
موجهًا إلى آدم وحواء:

﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ يَتَادُمُ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ
الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (٣٥) البقرة ٣٥

﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ البقرة ٣٦

﴿وَيَتَادُمُ أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا

مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِئِهِمَا وَسَوَّاهُمَا مَا نَهَاكَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِيَّيَ لَكُمَْا لَئِنْ التَّصَّيَّبْتَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّهُمَا يَبْغُورٍ فَلَمَّا ذَاكَ الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْتُ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾ فَلَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴿الأعراف ١٩-٢٤﴾

ولم يوجه الإسلام إلى المرأة هذا العقاب بالتعب في الحمل والولادة والإشتياق للزوج، الذي نراه في التوراة، بل إنه لما أفرد القرآن اللوم، وجهه إلى آدم وحده:

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ فَتَسَى وَلَمْ يَجِدْ لَهُ عَزْماً ﴿١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ﴿١٦﴾ فَقُلْنَا يَتَّخِذُكُمْ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْفَى ﴿١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَا تَجُوعُ فِيهَا وَلَا تَعْرِى ﴿١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ﴿١٩﴾ فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَتَّخِذُكُمْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴿٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴿٢١﴾ ثُمَّ اجْنَبَهُ رَبُّهُ فَأَبَى فَأَبَى وَهَدَى ﴿٢٢﴾ طه ١١٥-١٢٢﴾

﴿فَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٢٧﴾ البقرة ٣٧﴾

الفصل الخامس والعشرين بعد المائة

موقف الإسلام من المرأة كأم:

يقول القرآن الكريم في سورة لقمان: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفَصَّلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَلَدَيْكَ إِلَى الْوَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا فَلَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَى تُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾

وبهذا الوهن والضعف وآلام الحمل قدم رسول الله ﷺ حسن صحبتها على

حسن صحبة الوالد . . . فعن أبي هريرة - رضى الله عنه - قال: (جاء رجل فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك قال: ثم من قال: أمك قال: ثم من؟ قال أمك قال ثم من قال: أبوك)

بل حفظها الإسلام بأن جعل الجنة غاية كل مؤمن تحت أقدامها ، فأى شرف هذا الذى نالته المرأة فى الإسلام؟ فقال ﷺ: «الجنة تحت أقدام الأمهات» كما روى أن رجلاً جاء إلى النبى ﷺ فسأله النبى: (هل لك من أم؟) قال: نعم . فقال ﷺ: «الزمها ، فإن الجنة تحت رجلها» .

الفصل السادس والعشرين بعد المائة

خصوصية التشريع لبعض الأنبياء:

خصوصية التشريع تناولتها كل الأديان، والكثير من الأنبياء . وكذلك كانت خصوصية المعجزات، فعلى سبيل المثل رحلة الإسراء والمعراج لم يقم بهما نبى من الأنبياء غير رسول الله محمد ﷺ . وكذلك لم يأمر أحد الأنبياء أن يذبح ابنه إلا إبراهيم عليه السلام . ولم يصع أحد من الطين كهيئة طير، فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله إلا عيسى عليه السلام .

وعلى ذلك فمن خصوصيات عيسى عليه السلام كما جاء فى الإنجيل أن الشيطان أسره لمدة ٤٠ يوماً، وكان بدون أكل أو شرب: (١) أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الْأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ ٢ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجْرَبُ مِنْ إِبْلِيسَ . وَلَمْ يَأْكُلْ شَيْئًا فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ . وَلَمَّا تَمَّتْ جَاعٌ أَخِيرًا . (لوقا ٤ : ١-٢)

وولادته من امرأة عذراء لم يمسهما بشر، على خلاف الولادة الطبيعية، وكذلك تكلم عيسى عليه السلام فى المهد، وتبرئته لأمه من تهمة الزنا .

كذلك لم يتزوج، وما كان له أن يتزوج، لأنه أول فاتح رحم (أول مولود من أمه)، وتزوج غيره من التلاميذ أو من معاصريه: (٢) وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا

حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ ٢٣ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي نَامُوسِ الرَّبِّ: أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحٍ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ . (لوقا ٢: ٢٣-٢٢ ، وكذلك (١٥) كُلُّ فَاتِحٍ رَحِمٍ مِنْ كُلِّ جَسَدٍ يُقَدِّمُونَهُ لِلرَّبِّ مِنَ النَّاسِ وَمِنْ الْبَهَائِمِ يَكُونُ لَكَ .) عدد ١٨ : ١٥

ويؤمن النصارى بهذه الخصوصية ، فعندهم الرب تجسد فى صورة رجل ، كان من صفاته الجهل (عبرانيين ٥ : ٨) ، الخوف من أعدائه (يوحنا ٧ : ١ ويوحنا ١١ : ٥٣-٥٤) ، الهروب من أعدائه (يوحنا ٨ : ٥٩) ، يتبول ويتبرز ويحتاج للورق أو الخشب أو الماء ليطهر ، أى يحتاج الخالق عندهم للمخلوق ليتخلص من نجاسته ! جاء كذلك مدمراً للبيئة (مرقس ١١ : ١٢-١٤) ، ما إلى ذلك من الصفات التى نقرأها فى الأناجيل الأربعة ، ثم فى النهاية مات الرب . ولا يليق بأى إله حتى من آلهة المصريين القدماء أى صفة من هذه الصفات المخزية التى تنزل من قدر الإله وقداسته .

وعندهم الإله الخالق متحدًا مع الابن والروح القدس ، وبما أن الروح القدس هو الذى حبّل مريم (متى ١ : ١٨) ، فيكون الابن هو الذى حبّل أمه التى ولد منها . ولا تُطبّق هذه الخصوصية على أى إنسان ، وإلا قبض عليه بتهمة زنى المحارم . وعندهم العشاء الربانى ، الذى يتحول فيها الخبز الذى يتناولوه والخمر الذى يشربوه إلى جسد يسوع ودمه .

وكان من خصوصيات الرسول محمد عليه الصلاة والسلام :

١- الجمع بين أكثر من أربعة زوجات.

٢- ليس لنسائه أن يتزوجن من بعده.

٣- أمره الله فى مرحلته الأخيرة من الدعوة ألا يتزوج أية امرأة أخرى ، ولو طلق نساءه كلهن ، أو مُتَنَ قبله : ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ الْنِسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ

أَزْوَاجَ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا ﴿٥١﴾
الأحزاب ٥٢

٤- صومه ﷺ لعدة أيام متواصلة دون إفطار أو سحور .

٥- مُضاعفة الثواب أو العذاب لزوجات النبي: ﴿يُنْصَأُ النِّسَاءَ الَّذِي مَن يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعَّفَ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٦١﴾ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٦٢﴾﴾ الأحراب ٣٠-٣١

الفصل السابع والعشرين بعد المائة

الطلاق عند قدماء المصريين:

لم تكن هناك قيود على الطلاق عندهم، فقد كان للرجل أن يطلق زوجته متى شاء .

الفصل الثامن والعشرين بعد المائة

الطلاق في بابل القديمة:

نجد في قوانين حمورابي بعد أن قامت الروابط الزوجية على أسس غير مؤقتة أن القانون يجعل للزوج الحق المطلق في الطلاق، أما بالنسبة للزوجة فإنه قد جعل لها الحق في طلب الطلاق متى كان الخطأ من جانب الزوج . أما إذا طلبت الطلاق، وكان الخطأ من جانبها، فإنها تُعاقب بالموت لسوء عشرتها، وجرأتها على طلب الطلاق .

الفصل التاسع والعشرين بعد المائة

الطلاق في اليونان القديمة:

كان للرجل أن يطلق زوجته متى شاء ولأى سبب وبدون أية إجراءات، ولم يكن يصريح للمرأة أن تطلب الطلاق إلا في عصر متأخر وهو العصر الكلاسيكي .

الفصل الثلاثين بعد المائة

الطلاق عند الرومان:

وأما عند الرومان قبل عصر المسيحية ، فقد كان للرجل الحق فى أن يطلق زوجته بنفس الطريقة التى تم بها زواجه منها ، فإذا كان الزواج قد تم فى المعبد ، يتم الطلاق أيضًا فى المعبد ، وإن كان الزواج تم عن طريق شراء الزوجة ، فإن عليه أن يبيعها فىتم الطلاق .

وكان لا يجوز للرجل الذى تزوج فى المعبد فى أول الأمر أن يطلق زوجته إلا إذا أثبت عليها جريمة الزنا أو محاولة قتله بالسّم ، وإذا ثبت عليها تزيف مفاتيح داره . ولكن عندما صدر قانون الألواح الاثنى عشر سنة ٤١١ ق . م . أبيع للرجل حرية الطلاق ، حتى كثرت حالات الطلاق بطريقة جعلت المرأة تحسب عمرها بعدد مرات طلاقها ، وقد حدث الطلاق الكثير من القياصرة من أمثال يوليوس قيصر ، وأنطونيس ، وأغسطس .

ولكنه قبيل مجيء عيسى بن مريم عليهما السلام بدأ تقييد عملية الطلاق ، فأصبح من الضرورى لإتمام عملية الطلاق حضور سبعة من الشهود البالغين ، ثم تُعطى المرأة وثيقة طلاق ، ولم يكن الأمر قاصرًا على مجرد الطلاق ، بل كان للرجل أن يقتل امرأته على بعض الجرائم ، مثل جريمة السكر . كما أنه لم يكن من حقها طلب الطلاق ، إذ يعتبر ذلك الطلب سفاهة منها تقتضى توقيع العقوبة عليها .

وفى الحقيقة لم يكن الرجل الرومانى فى حاجة إلى قانون الألواح الاثنى عشر ، الذى لم يُعمل به إلا بعد خمسة قرون ، لأنه كان من حقه قتل زوجته إذا ارتكبت بعض الجرائم ، لا أن يكتفى بطلاقها ، إذ كانت المرأة عبارة عن أحد الرقيق ، ولم ينظر إلى المرأة نظرة تقدير إلا بعد زمن طويل .

الفصل الواحد والثلاثين بعد المائة

الكتاب المقدس يقضى على الأسرة كاملة بمنعه الطلاق :

(٣١) وَقِيلَ: مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلَاقٍ ٣٢ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنِ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلَّا لِعِلَّةِ الزَّنى يَجْعَلُهَا تَرْنِي وَعَنْ يَتَزَوَّجُ مُطْلَقَةً فَإِنَّهُ يَزْنِي . متى ٣٢-٣١ : ٥

فهل تخيل الرب بعلمه الأزى أن الزوجين المتنافرين المتصارعين سيكوّنان أسرة سعيدة وسيكوّنان رحمة على أطفالهما؟ ولو لم يكن عندهما أطفال فلماذا يصبر الرب على إفساد باقى حياتهما؟ وهل منع الرب المشاكل التى تحدث بين الزوجين؟ وهل مكّن الرب الحب فى قلب كل زوج وزوجة على وجه الأرض حتى لا تحتاج أسرة للطلاق؟

الفصل الثانى والثلاثين بعد المائة

الطلاق قبل الإسلام عند العرب فى جاهليتهم:

كان الطلاق عند العرب فى جاهليتهم شائعاً ، وكان من حق الرجل تطليق امرأته متى أراد ، وبأية صيغة تفيد الطلاق ، ولم يكن هناك تحديد لعدد الطلقات ، ولذلك كان الرجل إذا أراد تنكيلاً بزوجه: أن يطلقها ، ثم يسترجعها قرب نهاية عدتها ، ثم يطلقها مرة أخرى ، ثم يسترجعها ، وهكذا .

ولذلك وضع الإسلام حداً لعدد الطلقات حين قرر أن الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، أما إذا طلقها بعد ذلك فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره (أى تتزوج رجلاً آخر) .

الفصل الثالث والثلاثين بعد المائة

الطلاق فى اليهودية:

والطلاق شرعه الله تعالى من قبل كما فى كتابهم المقدس: (إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ

امْرَأَةً وَتَزَوَّجَ بِهَا فَإِنْ لَمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ لِأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ ٢ وَمَتَى خَرَجْتَ مِنْ بَيْتِهِ ذَهَبْتَ وَصَارَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ ٣ فَإِنْ أَبْغَضَهَا الرَّجُلُ الْأَخِيرُ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ أَوْ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ الْأَخِيرُ الَّذِي اتَّخَذَهَا لَهُ زَوْجَةً ٤ لَا يَقْدِرُ زَوْجُهَا الْأَوَّلُ الَّذِي طَلَقَهَا أَنْ يَعُودَ يَأْخُذَهَا لِتَصِيرَ لَهُ زَوْجَةً بَعْدَ أَنْ تَنْجَسَتْ . لِأَنَّ ذَلِكَ رِجْسٌ لَدَى الرَّبِّ . فَلَا تَجْلِبُ خَطِيئَةً عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَهُكَ نَصِيبًا . (تثنية ٢٤ : ١ - ٤)

(٢٨) إِذَا وَجَدَ رَجُلٌ فَتَاةً عَذْرَاءَ غَيْرَ مَخْطُوبَةٍ فَأَمْسَكَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا فَوَجِدَا ٢٩ . يُعْطَى الرَّجُلُ الَّذِي اضْطَجَعَ مَعَهَا لِأَبِي الْفَتَاةِ خَمْسِينَ مِنَ الْفِضَّةِ وَتَكُونُ هِيَ لَهُ زَوْجَةً مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ قَدْ أَذْلَهَا . لَا يَقْدِرُ أَنْ يُطْلَقَهَا كُلَّ أَيَّامِهِ . (تثنية ٢٢ : ٢٨ - ٢٩)

وكما هو واضح في هذا النص أن الله شرع لهم الطلاق وجعله في يد الرجل . ولا يحتاج الطلاق في اليهودية إلا إلى إثباته أمام القاضي ، وللرجل مطلق الحق في تطليق زوجته، إذا لم تحسن في عينيه، وإن كانت اليهودية تقرر أن من الأفضل أن يكون الطلاق لعذر .

يقول الأستاذ زكي على السيد: بل وأعطى الحق في الطلاق للأب!! فشاوول اليهودى زوج ابنته ميكال وكانت زوجة لداود ، ووالد زوجة شمشون طلقها منه لغيابه فترة .

ويقع الطلاق في شريعة التوراة بمجرد النية ، فإذا نوى الرجل أن يطلق زوجته، وجب عليه أن ينفذ ما نوى عليه فوراً . ومع ذلك فالطلاق في اليهودية مكروه كما هو في الإسلام: (فَاخْذَرُوا لِرُوحِكُمْ وَلَا يَغْدُرَ أَحَدٌ بِامْرَأَةٍ شَبَابِهِ . ١٦ [لَأَنَّهُ يَكْرَهُ الطَّلَاق] .) ملاخي ٢ : ١٥ - ١٦

وأشنع ما في الطلاق في الشريعة اليهودية ، أنها لم تفرض على المرأة بعد

الطلاق فترة تتربص فيها استبراء رحمها من الحمل ، ولذلك فإنها قد تتزوج وتكون حاملاً فيأتى الولد لغير اسم أبيه الحقيقى .

وقد جاء فى سفر التكوين : (٢٤) لِدَلِكْ يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونَانِ جَسَدًا وَاحِدًا .) تكوين ٢ : ٢٤ ، وذلك النص هو ما بنى عليه المسيحيون القول بأن ما جمعه الله ، لا يفرقه إنسان ، وقد قال علماء اليهود فى التلمود بأن هذا النص لا يناقض إباحة الطلاق ، فليس معنى الجسد الواحد هو الرجل والمرأة ، بل المقصود نتاجهما وهو الطفل .

وقد ظل الطلاق معمولاً به فى الشريعة اليهودية إلى أن قرر المجمع اليهودى فى عهد الرومان تقييد حرية الرجل فى الطلاق ، كما حصر حالات طلب المرأة للطلاق فى سبعة أسباب لا يزال معمولاً بها ليومنا هذا ، ولم توضع هذه القيود فى كتابهم المقدس بل وضعت فى المجامع البشرية :

١- عدم القدرة على مضاجعة الزوجة .

٢- تغيير الدين .

٣- إسراف الزوج .

٤- الامتناع عن الإنفاق .

٥- هروب الزوج من البلاد لحريمة ارتكبتها .

٦- سوء معاملة الزوجة لاستمرار .

٧- إصابة الزوج بمرض خبيث أو ممارسته عملاً أو تجارة محرمة .

الفصل الرابع والثلاثين بعد المائة

الطلاق فى المسيحية :

يجب أن نعرف أن عيسى عليه السلام لم يأت بتشريع جديد ، بل اتبع هو

وتلاميذه وأنصاره دين موسى وشريعته . بدليل وجوده الدائم فى المعبد ،
وتعليمه الناس دين موسى الحق ، ودليل استزادة اليهود من ثقتهم فيه عن طريق
أسئلتهم له واختبارهم إياه فى شريعة موسى .

وقد قرر هو نفسه ذلك بقوله : («لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ
الْأَنْبِيَاءَ . مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لَأُكْمِّلَ . ١٨ فَإِنِّي الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : إِلَى أَنْ
تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ
حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ . ١٩ فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغَرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ
هَكَذَا يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ . وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَاعْلَمَ فَهَذَا يُدْعَى
عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ .) متى ٥ : ١٧-١٩

وأمر الجموع من أتباعه أن يلتزموا به : (١) جِيئْتُ خَاطِبَ يَسُوعَ الْجُمُوعِ
وَتَلَامِيذَهُ ٢ قَائِلًا : «عَلَى كُرْسِيِّ مُوسَى جَلَسَ الْكِتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ ٣ فَكُلُّ مَا
قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَاحْفَظُوهُ وَافْعَلُوهُ وَلَكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لَا تَعْمَلُوا
لَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلَا يَفْعَلُونَ .) متى ٢٣ : ١-٣

وعلى الرغم من التزامه بالناموس ، والدعوة للعمل به والتمسك به ، فقد
نسب إليه نقض الناموس بتحريمه للطلاق إلا لعللة الزنا وحدها : (٣١) «وَقِيلَ : مَنْ
طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلَاقٍ ٣٢ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ : إِنْ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ
إِلَّا لِعِلَّةِ الزَّنى يَجْعَلُهَا تَزْنِي وَمَنْ يَتَزَوَّجُ مُطَلَّقةً فَإِنَّهُ يَزْنِي .) متى ٥ : ٣١-٣٢

ووجهة نظر المسيحية فى الطلاق أن ما جمعه الله لا يفرقه إنسان ، إنما
أُخِذَتْ من نظام الرومان فى وثنيتهن ، إذ كان يُشترط لأحداث الطلاق إقامة حفل
دينى بنفس الشروط والأوضاع التى أقيم بها حفل الزواج ، إذ أن الآلهة وحدها
هى التى تستطيع أن تفرق شمل ما جمعت .

واستقرت المسيحية على شرط واحد من الشروط الثلاثة التى شرعها
الرومان لإحداث الطلاق وهو الزنا . وإن كانت المرأة ليس لها حق الطلاق فى

حالة زنا الرجل ، لأنها لا يصح أن تتساوى معه . ومعنى ذلك أن المرأة التى تريد الطلاق فى المسيحية ليس مامها إلا الرضوخ للحياة الكثيرة التى تحياها مع رجل تكرهه ، تكيد له ويكيد لها ، ويتمنى كل منهما التخلص من الآخر ، أو على الأقل موت الآخر ، أو ينه تزنى فى بيت الزوجية ، ليضبطها زوجها فيقتلها أو يأتى بشهود عليها ليتخلص منها

وقد يأتى الرجل بشهود زور ليشهدوا على زوجته بالزنا دون وقوعه . ليتمكن من طلاقها ! فأين بناء الأسرة فى ظل جو امشاحنات والكيد والكره الذى يملأ البيت ؟ هل عدم الطلاق ، و تعليقه على شرط الزنا يُقيم أسرة قديمة نفسياً أو أخلاقياً ؟ وهل هذا من صائح المجتمع الذى يعيش فيه النصارى ؟

وهذا النص المنسوب لعيسى عليه السلام قد نَسَخَ ما قاله موسى فى الناموس ، وجعل الطلاق لدى شُرْع لموسى وقومه من أجل غلاظة قلوب بنى إسرائيل ، وأوقفه على الزنا فقط : (٣) وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِيسِيُّونَ لِيَجَرَّبُوهُ فَوَلَّيْنَاهُ : «هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطْلَقَ امْرَأَتُهُ لِكُلِّ سَبَبٍ؟» ٤ فَأَجَابَ : «أَمَّا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدَنِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟» ٥ وَقَالَ : «مِنْ أَجْلِ هَذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ وَيَكُونُ الْإِثْنَانُ جَسَدًا وَاحِدًا . ٦ إِذَا لَيْسَ بَعْدَ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدًا وَاحِدًا . فَالَّذِي جَمَعَهُ اللَّهُ لَا يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ» . ٧ فَسَأَلُوهُ : «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْصَى كِتَابُ طَلَاكِ فَتُطَلَّقُ؟» ٨ قَالَ لَهُمْ : «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ فَسَادِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلَّقُوا نِسَاءَكُمْ . وَلَكِنْ مِنَ الْبَدَنِ لَمْ يَكُنْ هَكَذَا . ٩ وَأَقُولُ لَكُمْ : إِنْ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ إِلَّا بِسَبَبِ الزَّانَا وَتَزَوَّجَ بِأُخْرَى يَزْنِي وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَقَةٍ يَزْنِي . ١٠ قَالَ لَهُ تَلَامِيذُهُ : «إِنْ كَانَ هَكَذَا أَمْرُ الرَّجُلِ مَعَ الْمَرْأَةِ فَلَا يُوَافِقُ أَنْ يَتَزَوَّجَ!» ١١ فَقَالَ لَهُمْ : «لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هَذَا الْكَلَامَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ ١٢ لِأَنَّهُ يُوَجَدُ خِصْيَانًا وَلِذَلِكَ هَكَذَا مِنْ بَطُولِ أَمْهَاتِهِمْ وَيُوَجَدُ خِصْيَانًا خَصَاهُمْ النَّاسُ وَيُوَجَدُ خِصْيَانًا خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ . مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ» . (متى ١٩: ٣-٩)

وبنظرة سريعة على ذلك النص نجد:

أن عيسى عليه السلام قال به على سبيل (الإستحسان) لا على سبيل الفرض
لذا قال (لَيْسَ الْجَمِيعُ يَقْبَلُونَ هَذَا الْكَلَامَ بَلِ الَّذِينَ أُعْطِيَ لَهُمْ) ثم قال (مَنْ
اسْتَطَاعَ أَنْ يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ) متى ١٩ : ١٠

ومقولة (أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدَنِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى) حجة على النصارى
لا لهم فهو يحكى خبر لا شريعة ، فالطلاق لم يكن موجوداً عندما كانت البشرية
رجل وامرأة لهما نفس الطباع والثقافة ولا يوجد بشر غيرهما ولكنه قد شرع
لزيادة أعداد الناس وتطور المجتمعات ، وهذا ينفي وجود الرهبة عندهم ،
ويناقض النص الذى يطالب الرجل المؤمن أن يخصى نفسه : (١٢) لَأَنَّهُ يُوجَدُ
خِصْيَانٌ وَلِدُوا هَكَذَا مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِهِمْ وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَاهُمْ النَّاسُ
وَيُوجَدُ خِصْيَانٌ خَصَوْا أَنْفُسَهُمْ لِأَجْلِ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ . مَنْ اسْتَطَاعَ أَنْ
يَقْبَلَ فَلْيَقْبَلْ) . متى ١٩ : ١٢

وهذا ما قرره القرآن حين قال سبحانه ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ
نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ
وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء ١

ولطالما خلق الله الإنسان كذكر وأنثى للتناسل ، فلا بد أن يكون الطلاق
مُحلل على الأقل فى حالة العقم . إلا أن الطلاق عندهم لا يقع أيضًا حالة عقم
الزوج أو الزوجة أو الإصابة بمرض يمنع من القيام بواجبات الزوجية أو للكرهية
أو سوء المعاشرة أو عدم الإنفاق أو عدم التوافق الجنى والعاطفى والأخلاقى
.. إلخ ولا يسمحون بالتعدد الذى قد يجبر هذا .

فأى جحيم هذا الذى يسمى بالزواج وما هذا التحكم فى حياة الإنسان من
إجباره على حياة كرهها أو كرهتها؟! وما الذى يجبر المرأة بالارتباط برجل لا
تعرفه ، أو قد تتغير حالته النفسية أو الأخلاقية فيما بعد دون وجود مخرج من
هذه الزيجة؟

وقد أدرك تلاميذ المسيح صعوبة تطبيق هذه التعاليم غير المثالية للبشر حتى إن الدكتور (هتسون) أسقف درهام قال فى حديث له عن الطلاق سنة ١٩٢٣م: إنه لو كان عيسى موجوداً فى هذه الأيام لكن أعقل مما كان عليه من قبل!

وكان الطلاق متفشياً فى لطوائف المسيحية الأولى ، بدليل أنه حين اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية سنة ٣٢٤م ، وجد الطلاق متفشياً ، كما كان قبل عهد السيد المسيح ، ولذلك اضطر إلى أن يصدر أمراً بتحديد الحالات التى يجوز فيها الطلاق ، ثم جاء بعده الإمبراطور جستنيان سنة ٥٢٩م فحصرها فى أربع حالات فقط .

ومعنى ذلك أن نص عدم الطلاق لم يكن موجوداً وقتها فى الأناجيل ، وإلا لما أقدم قسطنطين أو جستنيان على اتخاذ هذا القرار! وأين كان آباء الكنيسة الذين كانوا يقومون بالتطليق وقتها؟

بل ولاستحالة تطبيق تعاليم الأناجيل التى تفرض على النصارى من العصمة والملائكية ما لم تفرضه على الأنبياء أنفسهم فقد تحايل رجال الدين والفكر والقانون النصارى على هذه التعاليم وشرعوا رغم أنهم الطلاق المدنى أى الذى يتم بغير طريق الكنيسة وأسموه بالتطليق حتى لا يقال أنهم نسخوا وألفوا الطلاق فاستبدلوا لفظ الطلاق بالتطليق!

وكذلك تحايل النصارى ، ومن نتاج تحايلهم:

١- تغيير المذهب أو احملة للحصول على الطلاق وهو ما تسبب فى تغيير الكثير من أقباط مصر لملتهم ليتخلصوا من سجونهم .

٢- قد يتفق الزوجان على إثبات الزن بأن يتهم أحدهما الآخر فيقر أو بتدبير حيلة ما لإثباته! ولك أن تتخيل أن روجتك أم أولادك تقف فى المحكمة وتشهد على نفسها بالزنا لتُطْلَق من زوجها! وكيف تصبح صورة الأولاد فى مجتمعهم بعد ذلك؟

ومن الحيل التى تتخذ فى ذلك فى البلاد الأوروبية أن تذهب المرأة مع عشيق لها إلى أحد الفنادق ، وتثبت اسمها واسم عشيقها فى سجلات الفندق ، وتمكث مع عشيقها المدة التى تريدها ، ثم تذهب هى بعد ذلك إلى المحكمة لتبلغ عن جريمتها ، حتى توافق المحكمة على طلاقها . وبهذا قتلوا حياء المرأة ، الذى هو شعبة من الإيمان ، بسبب وقف الطلاق على الزنا فقط .

٣- القتل للتخلص من الزوج حتى يصبح القاتل أرملاً فيجوز له الزواج مرة أخرى .

٤- الهجرة وترك البلد بما فيها . وبالتالي تخلص الزوج من كل مسؤولياته تجاه الزوجة وأولاده . فأين نفقتها؟ وأين مؤخر صداقها؟ وإلى أن تثبت أنه هاجر أو اختفى ولن يعود، فلا بد من مرور أربع سنوات ، حتى يعترف القانون أن الرجل قد فُقد .

٥- الانفصال التام ولو بدون طلاق وكل طرف يمارس حياته الاجتماعية والشخصية ويقيم علاقات جنسية من معاشرة كاملة وخلافه مع عدم اعتراض الطرف الآخر!

وبذلك يلاحظ أن الزواج الفاشل عند النصارى هو سجن إجبارى لا فكاك منه إلا بارتكاب جرائم كالقتل والزنى والقذف لذا ظهرت فكرة ال boy friend فى الغرب ليختبر الأحبة حياتهم قبل الدخول فى سجن لا مخرج منه .

فالنصرانية لم ترعَ يوماً واقع البشر . ويتغنى النصارى بتعاليم المسيح التى لا يمكن أن تكون من عند الله ولا نطق بها المسيح فهى تبدو مثالية فى الظاهر ولكن فى حقيقة الأمر هى تعاليم خربة لا تزيد أتباعها إلا شقاء .

فالمراة لو طُلِّقت ليس لها الحق فى الزواج مرة أخرى ولتحيا هكذا كالأموات حتى لو طُلِّقت بلا ذنب!

يقول بولس : (٩) لِنُكْتَبْ أَرْمَلَةً إِنْ لَمْ يَكُنْ عُمْرُهَا أَقَلَّ مِنْ سِتِّينَ سَنَةً، امْرَأَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ، ١٠ مَشْهُودًا لَهَا فِي أَغْنَالٍ صَالِحَةٍ، إِنْ تَكُنْ قَدْ رَبَّتِ الْأَوْلَادَ، أَضَافَتِ الْغُرَبَاءَ، غَسَلَتْ أَرْجُلَ الْقَدِيسِينَ، سَاعَدَتِ الْمُتَضَائِقِينَ، اتَّبَعَتْ كُلَّ عَمَلٍ صَالِحٍ . ١١ أَمَّا الْأَرَايِلُ الْحَدَثَاتُ فَارْفُضُهُنَّ، لِأَنَّهُنَّ مَتَى بَطِرْنَ عَلَى الْمَسِيحِ يُرَدْنَ أَنْ يَتَزَوَّجْنَ، ١٢ وَلَهُنَّ دَيْنُونَةٌ لِأَنَّهُنَّ رَفُضْنَ الْإِيمَانَ الْأَوَّلَ . تيموثاوس الأولى ٥ : ٩-١٢

فها هو لا يبيع للأرملة لحق في الزوج إذا كانت أقل من الستين ويهينها ويتهجم عليها!

أما يسوع عندهم فقد حرّم على المطلقة الزواج مرة أخرى حتى لو كان طلاقها بسبب الزنا كما أمر واعتبر كل من يتزوج بها زاني! (وَالَّذِي يَتَزَوَّجُ بِمُطَلَّاقَةٍ يَزْنِي) متى ١٩ : ٩

وأيضاً فالمطلقة كانت تعامل دائماً في الكتاب المقدس على أنها حقيرة شأنها شأن الزانية والمدنسة ولننظر بما أمر رجال الدين المقربين وفق التوراة : (٦) مُقَدَّسِينَ يَكُونُونَ لِلِإِلَهِمْ وَلَا يَدْسُونَ اسْمَ إِلَهِمْ لِأَنَّهُمْ يَقْرَبُونَ وَقَائِدَ الرَّبِّ طَعَامَ إِلَهِمْ فَيَكُونُونَ قُدْسًا . ٧ امْرَأَةٌ زَانِيَةٌ أَوْ مُدْنَسَةٌ لَا يَأْخُذُوا وَلَا يَأْخُذُوا امْرَأَةً مُطَلَّاقَةً مِنْ زَوْجِهَا . لِأَنَّهُ مُقَدَّسٌ لِلِإِلَهِ . ٨ فَتَحْسِبُهُ مُقَدَّسًا لِأَنَّهُ يَقْرَبُ خُبَرَ إِلَهِكَ . مُقَدَّسًا يَكُونُ عِنْدَكَ لِأَنِّي قُدُّوسٌ أَنَا الرَّبُّ مُقَدَّسُكُمْ) لاويين ٢١ : ٦-٨

(١٤) أَمَّا الْأَرْمَلَةُ وَالْمُطَلَّاقَةُ وَالْمُدْنَسَةُ وَالزَّانِيَةُ فَمِنْ هَؤُلَاءِ لَا يَأْخُذُ بَلٌّ يَتَّخِذُ عَذْرَاءَ مِنْ قَوْمِهِ امْرَأَةً . ١٥ وَلَا يَدْسُ زَرْعَهُ بَيْنَ شَعْبِهِ لِأَنِّي أَنَا الرَّبُّ مُقَدَّسُهُ) لاويين ٢١ : ١٤-١٥

وهكذا نستوعب وضع المطلقات والأرامل عند أهل الكتاب وهو حلقة في سلسلة إهانة المرأة في هذا الدين بينما أنصف الإسلام المرأة فجاء سيد الأولين والآخرين وعلمنا أن طلاق امرأة أو موت زوجها لا يقدر فيها أبداً فكانت كل

زوجاته أرامل ومطلقات باستثناء عائشة رضي الله عنها فالحمد لله على نعمة الإسلام .

الفصل الخامس والثلاثين بعد المائة

الطلاق في الإسلام:

يقول الرسول ﷺ: (ما زال جبريل يوصيني بالنساء حتى ظننت أنه سيُحرّم طلاقهن) .

يأخذ الكثير من الغربيين على الإسلام أنه أباح الطلاق، ويعتبرون ذلك دليلاً على استهانة الإسلام بقدر المرأة، وبقدسية الزواج، وقلدهم في ذلك بعض المسلمين الذين جهلوا أحكام شريعتهم، مع أن الإسلام، لم يكن أول من شرع الطلاق، فقد جاءت به الشريعة اليهودية من قبل، وعرفه العالم قديماً كما ذكرت .

وقد نظر هؤلاء العائبون إلى الأمر من زاوية واحدة فقط، هي تضرر المرأة به والأولاد، ولم ينظروا إلى الموضوع من جميع جوانبه، وحكّموا في رأيهم فيه العاطفة غير الواعية، وغير المدركة للحكمة منه ولأسبابه ودواعيه، متناسين أنه قد يكون من مصلحة الأسرة أو المرأة أو الرجل أن يتم الطلاق بينهما .

إن الإسلام يفترض أولاً، أن يكون عقد الزواج دائماً، وأن تستمر الزوجية قائمة بين الزوجين، حتى يفرق الموت بينهما، ولذلك لا يجوز في الإسلام تأقيت عقد الزواج بوقت معين .

غير أن الإسلام وهو يحتم أن يكون عقد الزواج مؤبداً يعلم أنه إنما يشرع لأناس يعيشون على الأرض، لهم خصائصهم، وطباعهم البشرية، لذا شرع لهم كيفية الخلاص من هذا العقد، إذا تعثر العيش، وضاعت السبل، وفشلت الوسائل للإصلاح، وهو في هذا واقعي كل الواقعية، ومنصف كل الإنصاف لكل من الرجل والمرأة .

فكثيراً ما يحدث بين الزوجين من لأسباب والدواعي، ما يجعل الطلاق ضرورة لازمة، ووسيلة متعينة لتحقيق الخير، والاستقرار العائلي والاجتماعي لكل منهما، فقد يتزوج الرجل والمرأة، ثم يتبين أن بينهما تبايناً في الأخلاق، وتنافراً في الطباع، فيرى كل من الزوجين نفسه غريباً عن الآخر، نافراً منه، وقد يطلع أحدهما من صاحبه بعد الزواج على ما لا يحب، ولا يرضى من سلوك شخصي، أو عيب خفي، وقد يظهر أن المرأة عقيم لا يتحقق معها أسمى مقاصد الزواج، وهو لا يرغب التعدد، أولاً يستطيعه، إلى غير ذلك من الأسباب والدواعي، التي لا تتوفر معها المحبة بين الزوجين ولا يتحقق معها التعاون على شؤون الحياة، والقيام بحقوق زوجية كما أمر الله، فيكون الطلاق لذلك أمراً لا بد منه للخلاص من رابطة الزواج التي أصبحت لا تحقق المقصود منها، والتي لو ألزم الزوجان بالبقاء عليها، لأكلت الضغينة قلوبهما، ولكاد كل منهما لصاحبه، وسعى للخلاص منه بما يتهيأ له من وسائل، وقد يكون ذلك سبباً في انحراف كل منهما، ومنفذاً لكثير من الشرور والآثام، لهذا شرع الطلاق وسيلة للقضاء على تلك المفساد، وللتخلص من تلك الشرور، وليستبدل كل منهما بزوجه زوجاً آخر، قد يجد معه ما فقدته مع الأول، فيتحقق قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَفْرَقَا يَغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ .

وعلى هذا فالطلاق في الإسلام قد يكون أشبه بالبر الذي يلجأ إليه الجراح مضطراً ومكرهاً، للإحتفاظ بسلامة الجسم كله، وإزالة الآلام التي تلازم العضو الذي فسد، ولحماية باقى أعضاء الجسم من التلف وتفشى المرض والألم فيها . كذلك حياة الأسرة إذا دب إليها الفساد، ثم استشرى بحيث تعجز وسائل الإصلاح المختلفة عن تقويمه، يكون من الخير للأسرة والمجتمع معاً، أن يتغير الوضع بفصم رابطة الزوجية لعلها تنعقد مع شخص آخر يمكن معه أن تهناً، وتتكون أسرة جديدة مستقرة، تحقق الثمار المرجوة من تكوين الأسرة كما تحقق المجتمع السليم .

وهذا هو الحل لتلك المشكلات المستحكمة المتفق مع منطق العقل والضرورة، وطبائع البشر وظروف الحياة .

ولا بأس أن نورد ما قاله رجل القانون الإنجليزي (بيتام)، للدلل للاهثين خلف انحضارة الغربية ونظمها أن ما يستحسنونه من تلك الحضارة، يستقبحه أبناؤها العالمون بخفاياها، والذين يعشون نتائجها .

يقول (بيتام):

(لو وضع مشروع قانوناً يحرم فض الشركات، ويمنع رفع ولاية الأوصياء، وعزل الوكلاء، ومفارقة الرفقاء، لصالح الناس أجمعين، لكان فى غاية الظلم، واعتقد الناس صدوره من معتوه أومجنون، فيا عجباً أن هذا الأمر الذى يخالف الفطرة، ويجافى الحكمة، وتأباه المصلحة، ولا يستقيم مع أصول التشريع، الذى تقرره القوانين بمجرد التعاقد بين الزوجين فى أكثر البلاد المتمدنة، وكأنها تحاول إبعاد الناس عن الزواج، فإن النهى عن الخروج من الشيء نهى عن الدخول فيه، وإذا كان وقوع النفرة واستحكام الشقاق والعداء، ليس بعيد الوقوع، فأيهما خير: . . ربط الزوجين بحبل متين، لتأكل الضغينة قلوبهما، ويكيد كل منهما للآخر؟ أم حل ما بينهما من رباط، وتمكين كل منهما من بناء بيت جديد على دعائم قوية؟ أوليس استبدال زوج بآخر، خيراً من ضم خلية إلى زوجة مهملة أو عشيق إلى زوج بغض) .

والإسلام عندما أباح الطلاق، لم يغفل عما يترتب على وقوعه من الأضرار التى تصيب الأسرة، خصوصاً الأطفال، إلا أنه لاحظ أن هذا أقل خطراً، إذا قورن بالضرر الأكبر، الذى تصاب به الأسرة والمجتمع كله إذا أبقي على الزوجية المضطربة، والعلائق الواهية التى تربط بين الزوجين على كره منهما، فأثر أخف الضررين، وأهون الشرين .

فالإسلام إذن كان فى تشريعه حريصاً كل الحرص على استقرار الحياة الأسرية . فهو كما أباح التعدد فى الزوجات استثناءً من القاعدة وهى قاعدة

إفرادية الزوجة ليُتحقق له الشمول لدى أشرنا إليه من قبل، أباَح كذلك الطلاق استثناءً من القاعدة العامة وهي قاعدة استمرار الحياة الزوجية . وقد أحله الإسلام قبل المعاشرة الزوجية، كما أحله بعد المعاشرة . فأما قبل المعاشرة فقد أباحه الإسلام لدفع ضرر متوقع، وقد يستفحل أمره إذا ما تمت المعاشرة الزوجية وترتب عليها حمل أو إنجاب . وأما بعد المعاشرة فلصعوبة استمرارية الحياة الزوجية إلى الدرجة التي تجعل حياة كل من الزوجين أو أحدهما جحيماً لا يُطاق .

وفي الوقت نفسه، شرع من التشريعات ما يكون علاجاً لآثاره ونتائجها، فأثبت للأم حضانة أولادها اصغاراً، ولقربياتها من بعدها، حتى يكبروا، وأوجب على الأب نفقة أولاده وأجور حضانتهم ورضاعتهم، ولو كانت الأم هي التي تقوم بذلك، ومن جب آخر، نفر من الطلاق وبغضه إلى النفوس: فقال ﷺ: «أبغض الحلال إلى الله عز وجل الطلاق» رواه أبو داود وابن ماجه،

وقال ﷺ: «ما أحل الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق» رواه أبو داود

وقال ﷺ: «أيما امرأة سألت زوجها انطلاق في غير بأس، فحرام عليها رائحة الجنة» رواه الخمسة إلا النسائي

وحذر من التهاون بشأه فقال ﷺ: «م بال أحدكم يلعب بحدود الله، يقول: قد طلقت، قد راحعت»

وقال ﷺ: «لعن الله كل مزواج مطلق»

وقال ﷺ: «أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم»، قاله في رجل طلق زوجته بغير ما أحل الله .

وقال ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة، إن كره منها خُلُقاً رضى منها آخر»

ولمنع الطلاق نبه النبي ﷺ إلى أن ينظر الرجل إلى من سيتزوجها، فإنه أخرى أن يؤدم بينهما، كما أمر أن يُحسن الرجل اختيار الزوجة قبل الزواج، فيختارها ذات دين، ومن بيت طيب، وألا يغريه الحسن المظهري عن الحسن المعنوي: «تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، ولجمالها، ولدينها». فاظفر بذات الدين، ترَبَّت يدك»

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا غاب عنها حفظته، وإذا أمرها أطاعته»

واعتبر الطلاق آخر العلاج، بحيث لا يلجأ إليه إلا عند تفاقم الأمر، واشتداد الداء، وحين لا يجدى علاج سواه، وأرشد إلى اتخاذ الكثير من الوسائل قبل أن يصار إليه، فرغب الزوج في الصبر والتحمل على الزوجات، وإن كانوا يكرهون منهن بعض الأمور، إبقاء للحياة الزوجية، ومع ذلك نجده ينبه إلى أن مجرد الكره قد يكون كرهاً عارضاً لا يقتضى فسخ عرا الزوجية، فيقول تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ النساء ١٩

ويقول ﷺ: «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضى منها آخر» رواه أحمد ومسلم، وقوله «ليس منا من خيب امرأة على زوجها»

وقال على بن أبى طالب: (تزوجوا ولا تطلقوا فإن الرجل إذا طلق زوجه اهتز عرش الرحمن) أى غضب الله سبحانه وتعالى غضباً شديداً .

وأرشد الزوج إذا لاحظ من زوجته نشوراً إلى ما يعالجها به من التأديب المتدرج: الوعظ ثم الهجر، ثم الضرب غير المبرح: ﴿وَاللَّيْ تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً كَبِيرًا﴾ . النساء ٣٤

وإذا أحس بأن كل هذه الأساليب لم تؤدي إلى نتائج مرضية، فأمره بالجوء إلى

تحكيم ذوى العدل من الأسرتين ضمان استمرار الحياة أمنة مستقرة سعيدة كما أرادها الله: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا وَحَكَمًا أَهْلِيَّاءَ إِنْ يُرِيدَ إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ ﴿٣٥﴾ النساء ٣٥

وأرشد الزوجة إذا ما أحست فتوراً في العلاقة الزوجية، وميل زوجها إليها إلى ما تحفظ به هذه العلاقة، ويكون له الأثر الحسن في عودة النفوس إلى صفائها، بأن تتنازل عن بعض حقوقها الزوجية، أو المالية، ترغيباً له بها وإصلاحاً لما بينهما. وشرع التحكيم بينهما، إذا عجزا عن إصلاح ما بينهما، بوسائلهما الخاص.

كل هذه الإجراءات والوسائل تتخذ وتجرب قبل أن يلجأ إلى الطلاق، ومن هذا يتضح ما للعلاق والحياة الزوجية من شأن عظيم عند الله. فلا ينبغي فصم ما وصل الله وأحكمه، ما لم يكن ثم من الدواعي الجادة الخطيرة الموجبة للافتراق، ولا يصار إلى ذلك إلا بعد استنفاد كل وسائل الإصلاح.

ومن هدى الإسلام في الطلاق، ومن تتبع الدواعي والأسباب الداعية إلى الطلاق يتضح أنه كما يكون لطلاق لصالح الزوج، فإنه أيضاً يكون لصالح الزوجة في كثير من الأمور، فقد تكون هي الطالبة للطلاق، الرغبة فيه، فلا يقف الإسلام في وجه رغبتها وفي هذا رفع لشأنها، وتقدير لها، لا استهانة بقدرها، كما يدعى المدعون، وإما الاستهانة بقدرها، بإغفال رغبتها، وإجبارها على الارتباط برباط نكرهه وتتأذى منه.

وليس هو استهانة بقدسية ازواج كما يزعمون، بل هو وسيلة لإيجاد الزواج الصحيح السليم، الذي يحقّر معنى الزوجية وأهدافها السامية، لا الزواج الصوري الخالي من كل معنى الزوجية ومقاصدها.

إذ ليس مقصود الإسلام الإبقاء على رباط الزوجية كيفما كان، ولكن الإسلام جعل لهذا الرباط أهلاً ومقاصد، لا بد أن تتحقق منه، وإلا فليغ،

ليحل محله ما يحقق تلك المقاصد والأهداف .

لذلك قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَبَسْنَ أَجْلَهُنَّ فَأُمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرَّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا . . . ﴾ البقرة ٢٣١

ولذلك وضع الإسلام حداً لعدد الطلاقات حين قرر أن الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ، أما إذا طلقها بعد ذلك فلا تحل له حتى تنكح زوجاً غيره (أى تتزوج رجلاً آخر زواجاً إسلامياً على كتاب الله وسنة رسوله ، ليس لمدة محددة ، ولو كانت هذه المدة يضمهرها فى نفسه . فإذا مات أو طلقها تحل لزوجها الأول مرة أخرى)

﴿الطَّلَاقُ الطَّلَاقُ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ البقرة ٢٢٩-٢٣٠

الفصل السادس والثلاثين بعد المائة

أليس جعل الطلاق فى يد الرجل ما ينقص من شأن المرأة؟ :

إن إيقاع الطلاق يترتب عليه تبعات مالية، يُلزم بها الأزواج: فيه يحل المؤجل من الصداق إن وجد، وتجب النفقة للمطلقة مدة العدة، وتجب المتعة لمن تجب لها من المطلقات، كما يضيع على الزوج ما دفعه من المهر، وما أنفق من مال فى سبيل إتمام الزواج، وهو يحتاج إلى مال جديد لإنشاء زوجية جديدة، ولا شك أن هذه التكاليف المالية التى تترتب على الطلاق، من شأنها أن تحمل الأزواج على التروى، وضبط النفس، وتدبر الأمر قبل الإقدام على إيقاع الطلاق، فلا يقدم عليه إلا إذا رأى أنه أمر لا بد منه ولا مندوحة عنه .

أما الزوجة فإنه لا يصيبها من مغارم الطلاق المالية شيء، حتى يحملها على التروى والتدبر قبل إيقاعه - إن استطاعت - بل هى تريح من ورائه مهرًا جديدًا، وبيتًا جديدًا، وعريسًا جديدًا .

والثابت الذى لا شك فيه أن الرجل أكثر إدراكًا وتقديرًا لعواقب هذا الأمر، وأقدر على ضبط أعصابه، وكبح جماح عاطفته حال الغضب والثورة، وذلك لأن المرأة خلقت بطباع وغرائز تجعلها أشد تأثرًا، وأسرع انقيادًا لحكم عاطفة من الرجل؛ لأن وظيفتها التى أعدت لها تتطلب ذلك، فهى إذا أحببت أو كرهت، وإذا رغبت أو غضبت اندفعت وراء العاطفة، لا تبالى بما ينجم عن هذا الاندفاع من نتائج ولا تدبر عاقبة ما تفعل، فلو جعل الطلاق بيدها، لأقدمت على فصم عرى الزوجية لأتفه الأسباب، وأقل المنازعات التى لا تخلو منها الحياة الزوجية، وتصبح لأسرة مهددة بالانهيار بين لحظة وأخرى .

وهذا لا يعنى أن كل النساء كذلك، بل إن من النساء من هن ذوات عقل وأناة، وقدرة على ضبط أنفسهن حين الغضب من بعض الرجال، كما أن من الرجال من هو أشد تأثرًا وأسرع انفعالًا من بعض النساء، ولكن الأعم لأغلب والأصل أن التشريع كما ذكرنا، إنما يبنى على الغالب ولا يعتبر النوادر والشواذ.

وعلى ذلك نقول: فإن فصم رابطة الزوجية أمر خطير، يترتب عليه آثار بعيدة المدى فى حياة الأسرة والفرد والمجتمع، فمن الحكمة والعدل ألا تعطى صلاحية البت فى ذلك، وإنهاء الرابطة تلك، إلا لمن يدرك خطورته، ويقدر العواقب التى تترتب عليه حق قدرها، ويزن الأمور بميزان العقل، قبل أن يقدم على الإنفاذ، بعيدًا عن النروات الطائشة، والعواطف المندفعة، والرغبة الطارئة.

فمن الخير للحياة الزوجية، وللزوجة نفسها أن يكون البت فى مصير الحياة الزوجية فى يد من هو أحرص عليها وأضن بها .

والشريعة لم تهمل جانب المرأة فى إيقاع الطلاق، فقد منحتها الحق فى

الطلاق، إذا كانت قد اشترطت في عقد الزواج شرطًا صحيحًا، ولم يف الزوج به، وأباح لها الشريعة الطلاق بالاتفاق بينها وبين زوجها، ويتم ذلك في الغالب بأن تتنازل للزوج أو تعطيه شيئًا من المال، يتراضيان عليه، ويسمى هذا بالخلع أو الطلاق على مال، ويحدث هذا عندما ترى الزوجة تعذر الحياة معه، وتخشى إن بقيت معه أن تخل في حقوقه، وهذا ما بينه الله تعالى في قوله: ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمُ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ البقرة ٢٢٩.

ولها طلب التفريق بينها وبينه، إذا أُعسر ولم يقدر على الإنفاق عليها، وكذا لو وجدت بالزوج عيبًا، يفوت معه أغراض الزوجية، ولا يمكن المقام معه مع وجوده، إلا بضرر يلحق الزوجة، ولا يمكن البرء منه، أو يمكن بعد زمن طويل، وكذلك إذا أساء الزوج عشرتها، وآذاها بما لا يليق بأمثالها، أو إذا غاب عنها غيبة طويلة.

كل تلك الأمور وغيرها، تعطى الزوجة الحق في أن تطلب التفريق بينها وبين زوجها، صيانة لها أن تقع في المحذور، وضنًا بالحياة الزوجية من أن تعطل مقاصدها، وحماية للمرأة من أن تكون عرضة للضيم والتعسف.

منقول من منتدى barsoomyat.com ل (IIIIsquareIII) نقلًا عن موقع islamunveiled.com

وبذلك يكون في الإسلام خمس طرق للطلاق:

- (١) الطلاق بيد الرجل
- (٢) الطلاق بيد المرأة بأن تُطلق نفسها من زوجها
- (٣) الطلاق بالإتفاق
- (٤) الطلاق عن طريق القضاء
- (٥) الخلع

وكما رأينا فإن الإسلام أعطى المرأة ثلاثة طرق لتطبيق نفسها من الرجل ، وأعطى الرجل طريقة واحدة ، وجعل صريقة واحدة للإتفاق فيما بينهما . فهل أنصف الإسلام بذلك المرأة أد هضم حقها؟

الفصل السابع والثلاثين بعد المائة

معظم أهل النار من النساء :

روى البخارى ومسلم وأحمد عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال : «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها فقراء ، واطلعت فى النار ، فرأيت أكثر أهلها النساء» . وفى رواية أحمد فى مسنده : «اطلعت فى النار ، فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء» .

ومن يعتمد فى فهمه اخصاء على الشق الأول من أن الأغنياء أهل النار ، يرى فيه دعوة لترك العمل ، ومحاربة المال ، وتحقير الأغنياء . لكن الأمر غير ذلك ، فقد بينا كيف حوّل الإسلام المسمين إلى خلية نحل من العمل ، والعلم ، واحترام المرأة ، واحترام شعور الناس حتى الميت ، فلم يسمح لأحد من الأحياء بالتقدم لخطبة أرملته إلا بعد مرور العدة .

وكذلك لو فهمنا كلام عيسى عليه السلام للرجل الغنى ، الذى سأله عن كيفية الخلود فى الجنة : (١١) وَسَأَلَهُ رَيْسٌ : «أَيُّهَا الْمَعْلَمُ الصَّالِحُ مَاذَا أَعْمَلُ لِأَرِثَ الْحَيَاةَ الْأَبَدِيَّةَ؟» ١٩ فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ : «لِمَاذَا تَدْعُونِي صَالِحًا؟ لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ وَهُوَ اللَّهُ ٢٠ أَنْتَ تَعْرِفُ الْوَصَايَا : لَا تَزْنِ . لَا تَقْتُلْ . لَا تَسْرِقْ . لَا تَشْهَدْ بِالزُّورِ . أَتَرْتَمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ » . ٢١ فَقَالَ : «هَذِهِ كُلُّهَا حَفِظْتُهَا مُنْذُ حَدَائِثِي» . ٢٢ فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ ذَلِكَ قَالَ لَهُ : «يُعْزُوكَ أَيْضًا شَيْءٌ . بَعْ كُلَّ مَا لَكَ وَوَزَّعْ عَلَى الْفُقَرَاءِ فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي السَّمَاءِ وَتَعَالَ اتَّبِعْنِي» . ٢٣ فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ حَزَنَ لِأَنَّهُ كَانَ غَنِيًّا جِدًّا . ٢٤ فَنَظَرَ رَأَى يَسُوعُ قَدْ حَزَنَ قَالَ : «مَا أَعْسَرَ دُخُولَ ذَوِي الْأَمْوَالِ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ ! ٢٥ لِأَنَّ دُخُولَ جَمَلٍ مِنْ ثَقْبٍ إِبْرَةٍ أَيْسَرُ مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ إِلَى مَلَكُوتِ اللَّهِ !» . (لوقا ١٨ : ١٨-٢٥)

فلو فهمنا أن عيسى عليه السلام لا يقصد العطف على الفقراء فقط من تعبيره هذا، ولو أخذنا الكلام على محمله، لكان كل منهم يدعوا إلى تدمير الأمة وإهلاك البشر .

وكذلك الأمر بالنسبة للنساء، فهو شحذ لهنم النساء للعمل الصالح، وتجنب الشيطان، وألا يكونوا أداة في يد الشيطان لإغواء الرجال وإفساد البنات، والتحالف مع الشيطان لإهلاك المجتمع بأكمله . فجاء الحديث بمثابة تحذير لهن عن الابتعاد عن تقوى الله .

ثم لم يُحدِّد الحديث أن كل أهل النار من النساء، ومعنى ذلك أن فيها الكثير من الرجال، ومرجع ذلك إلى عدل الله بينهم: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِفَتَهُ فِي عَهْدِهِ وَنُخْرِجُهُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مِنْشُورًا ۝١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤ مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ الإسراء ١٣-١٥

وقال: ﴿أَلَا نَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ۝١٤ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝١٥ سَعِيَّهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۝١٦ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ۝١٧﴾ النجم ٣٨-٤١

وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنِ وَالِدِهِ شَيْئًا ۚ ۝٣٣﴾ لقمان ٣٣

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ۝١٥﴾ الجاثية ١٥

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ النحل ٩٧

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِرِزْقٍ فِيهَا بَغِيرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ غافر ٤٠

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ ﴿١٢٤﴾ النساء ١٢٤

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ آل عمران ١٩٥

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٧٢﴾ التوبة ٧٢

﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وَكَانَ ذَلِكَ عِدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٤١﴾ الفتح ٥

﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَانُكَ يَوْمَ جَنَّاتٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿١٢﴾ الحديد ١٢

ويُعضد ذلك مقدمة الحديث: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها فقراء». فهو أيضًا مواساة لفقراء، وتصبراً لهم، إن آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الصالحات، فلهم جنات الخلد. فليس معنى ذلك أن كل فقير سيدخل الجنة، أو كل امرأة ستدخل النار

وفي بعض روايات حديث «ما أفلح قوم ولّوا أمرهم لإمرأة» وخاصة رواية ابن عباس رضى الله عنهما ما يقطع بأن المقصود به إنما هي حالات خاصة لنساء لهن صفات خاصة، هي التي جعلت منهن أكثر أهل النار، لا لأنهن نساء، وإنما لأنهن كما تنص وتعلل هذه لرواية "يكفرن العشير"، ولو أحسن هذا العشير إلى إحداهن الدهر كله، ثم رأت منه هبةً أو شيئاً لا يعجبها، كفرت بكل النعم التي أنعم عليها بها، وقالت بسبب النزق أو الحمق أو غلبة العاطفة التي

تنسيها ما قدمه لها هذا العشير من إحسان: "ما رأيت منك خيراً قط!" رواه البخارى ومسلم والنسائى ومالك فى الموطأ . . (أ . د . محمد عمارة)

الفصل الثامن والثلاثين بعد المائة

لا مكان لنساء النصارى فى الجنة ، ولا لرجالها :

يقول كتاب رؤيا يوحنا : (٤) وَسَمِعْتُ عَدَدَ الْمَخْتُومِينَ مِئَةً وَأَرْبَعَةً وَأَرْبَعِينَ أَلْفًا، مَخْتُومِينَ مِنْ كُلِّ سِبْطٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ . (رؤيا يوحنا ٧ : ٤ ، ثم حدد النص بعدها أنه سيكون من كل سبط اثنى عشر ألفاً .

ويحدد الإصحاح الرابع عشر هؤلاء بأنهم الذين لم يتنجسوا مع امرأة :
(١) ثُمَّ نَظَرْتُ وَإِذَا خُرُوفٌ وَقِفَتْ عَلَى جَبَلٍ صِهْيُونَ ، وَمَعَهُ مِئَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَأَرْبَعُونَ أَلْفًا ، لَهُمْ اسْمُ أَبِيهِ مَكْتُوبًا عَلَى جَبَاهِهِمْ هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ لَمْ يَتَنَجَّسُوا مَعَ النِّسَاءِ لِأَنَّهُمْ أَطْهَارٌ . هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْخُرُوفَ حَيْثُمَا ذَهَبَ . هَؤُلَاءِ اشْتَرَوْا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ بَاكُورَةَ لِلَّهِ وَلِلْخُرُوفِ .
٥ وَفِي أَفْوَاهِهِمْ لَمْ يَوْجَدْ غِشٌّ ، لِأَنَّهُمْ بِلَا عَيْبٍ قُدَّامَ عَرْشِ اللَّهِ . (رؤيا يوحنا ١٤ : ١-٥

إن فكرة دخول الجنة ل ١٤٤ ٠٠٠ شخص فقط ، لفكرة غير منطقية بالمرّة ، حيث سيدخل الأنبياء الأطهار أولاً ، ثم الأبرار من أتباعهم ، وإن تبقى عدد آخر فسيدخل الباباوات ، وأعتقد أنه لن يتبقى مكان لا للأساقفة ولا للقساوسة ، فما هو مصير باقى النصارى على مر العصور؟

والمحئل لهذا النص يجد أنه لن يدخل الجنة غير الرجال ، الذين لم يتنجسوا مع امرأة (لأنهم) أطهار ، و(لأنهم) بلا عيب .

وهى نفس الفكرة التى طُرِحت على لسان عيسى عليه السلام ، عندما سُئِلَ عن المرأة التى كانت زوجة لسبعة رجال ، فلم يقل بزواج أهل الجنة ، والسبب؟ أنه يوجد فى الجنة رجال فقط : (وَهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ الْقِيَامَةِ):

(٢٧) وَحَضَرَ قَوْمٌ مِنَ الصَّدُوقِيِّينَ الَّذِينَ يَمَاقُؤُونَ أَمْرَ الْقِيَامَةِ وَسَأَلُوهُ: ٢٨ «يَا مُعَلِّمُ كَتَبَ لَنَا مُوسَى: إِنْ مَاتَ لِأَخِي أَخٌ وَإِذَا امْرَأَةٌ وَمَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ يَأْخُذُ أَخُوهُ الْمَرْأَةَ وَيُقِيمُ نَسْلًا لِأَخِيهِ . ٢٩ فَكَانَ سَبْعَةُ إِخْوَةٍ . وَأَخَذَ الْأَوَّلُ امْرَأَةً وَمَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ ٣٠ فَأَخَذَ الثَّانِي الْمَرْأَةَ وَمَاتَ بِغَيْرِ وَلَدٍ ٣١ ثُمَّ أَخَذَهَا الثَّالِثُ وَمَكَذَا السَّبْعَةُ . وَلَمْ يَتْرَكُوا وَلَدًا وَمَاتُوا . ٣٢ وَآخِرَ كُلِّ مَاتَتِ الْمَرْأَةُ أَيْضًا . ٣٣ فَفِي الْقِيَامَةِ لِمَنْ مِنْهُمْ تَكُونُ زَوْجَةٌ؟ لِأَنَّهَا كَانَتْ زَوْجَةً لِلْسَّبْعَةِ!» ٣٤ فَأَجَابَ يَسُوعُ: «أَتَأْتِي هَذَا الدَّهْرَ يَزَوِّجُونَ وَيَزَوِّجُونَ ٣٥ وَلَكِنَّ الَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلًا لِلْحُصُولِ عَلَى ذَلِكَ الدَّهْرِ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الْأَمْوَاتِ لَا يَزَوِّجُونَ وَلَا يَزَوِّجُونَ ٣٦ إِذْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَمُوتُوا أَيْضًا لِأَنَّهُمْ مِثْلُ الْمَلَائِكَةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ إِذْ هُمْ أَبْنَاءُ الْقِيَامَةِ .» لوقا ٢٠: ٢٧-٣٦

وقد يكون هذا هو السبب الذي دعا رجال الكنيسة في البحث عما إذا كان بالمرأة الروح الناجية ، وعما إذا كانت ستكون من أهل الجنة ، وكان ذلك في القرن الخامس الميلادي جتمع مجمع باكون وكانوا يتباحثون: (هل المرأة جثمان بحت أم هي جسد ذو روح يُنَاطُ به الخلاص والهلاك؟) وقرر أن المرأة خالية من الروح الناجية ، التي تنجيها من جهنم ، وليس هناك استثناء بين جميع بنات حواء من هذه الوصمة إلا مريم عليها السلام .

كما قرر مجمع آخر، أن المرأة حيوان نجس ، يجب الابتعاد عنه ، وأنه لا روح لها ولا خلود ، ولا تُلقن مبادئ الدين لأنها لا تقبل عبادتها ، ولا تدخل الجنة ، والملوكوت ، ولكن يجب عليها الخدمة والعبادة ، وأن يكتم فمها كالبعير ، أو كالكلب العقور ، لمنعها من الضحك ومن الكلام لأنها أحبولة الشيطان " .

الفصل التاسع والثلاثين بعد المائة

المُحَلَّل والمُحَلَّل له :

يعيب أعداء الإسلام على الإسلام وجود نظام المحلل ، الذي يؤخذ من قوله تعالى :

﴿الطَّلَاقُ الطَّلَاقُ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا حِلَّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾﴾ البقرة ٢٢٩-٢٣٠

زاد فى فهمهم الخاطيء ما يقوم به بعض الناس من التحايل على الشرع ، ويفهمون كما نرى فى بعض الأفلام ، أن الرجل الذى طلق زوجته ثلاث طلاقات ، ولم تعد تحل له حتى تتزوج رجلاً غيره ، يأتى برجل يدفع له أجر هذه العملية ، ويعقد له على زوجته ، ويحبسه بعيداً عنها ليلية أو أكثر ، ثم يجعله يطلقها فى اليوم التالى . وبهذه الطريقة يمكنه أن يتزوجها مرة أخرى .

هذا الرجل الذى يفعل ذلك فهو دُيُوث ، لعنه الله وطرده من رحمته ، وزواجه الثانى من زوجته باطل ، لأن زواجها من زوجها الثانى (المحلل) باطل ، لأنها وزوجها حددا مدة الزواج بفترة زمنية محددة ، وهذا هو الزنى بعينه ، لو دخل عليها .

لذلك قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْمُحْلِلَّ وَالْمُحَلَّلَ لَهُ» .

وقال : «أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِالتَّيْسِ الْمُسْتَعَارِ؟» قالوا : ما هو يا رسول الله؟ قال : «هو المحلل»

وعلى ذلك لو فهم أحد الناس ما يُعَرَّضُ فى الأفلام أن هذا هو الدين ، فهو مُخطيء فى فهمه ، مصيب فى تحليله العقلى والفطرى الذى يأبى هذا التحايل .

لكن العالم ، الفاهم ، المنصف منهم يعلم تماماً أن وجود هذا المحلل من الموانع الكبيرة للطلاق .

لكن السؤال البديهي: لماذا يُهَضَم حق المطلقة في الزواج مرة ثانية أو ثالثة؟ فلو أخذ الزوجان فرصهم انثامة لإنجاح الحياة الزوجية وفشلا ، فإذا لم يحاول كل منهما بداية حياة جديدة مع شخص آخر . فهل هذا أفضل أم تترك المرأة بعد طلاقها بدون زواج كما تشرع المسيحية؟ فالمسيحية تتركها تتحرق لرجل ولا تجده إلا في الحرام ، فهي لا تعترف بزواج المطلقة ، ولو فعلت لكانت عندهم زانية .

وإذا طلقت المرأة للمرة الثالثة ، وتزوجت بآخر ، فمات أو طلقت منه بعد استحالة العشرة بينهما ، فلمدا لا تتزوج طليقها (الذي كان زوجها) الأول ، إن شعرا بالندم على ما كان بينهما من سوء العشرة ، وقررا أن يقيما حياة سعيدة مرة أخرى؟ فأى نجاسة تراها التوراة في هذه الزيجة؟ فهل معاشرة الرجل لزوجته من النجاسة؟

(١) «إِذَا أَخَذَ رَجُلٌ امْرَأَةً وَتَزَوَّجَ بِهَا فَإِنْ لَمْ تَجِدْ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْهِ لِأَنَّهُ وَجَدَ فِيهَا عَيْبَ شَيْءٍ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ ٢ وَمَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهِ ذَهَبَتْ وَصَدَرَتْ لِرَجُلٍ آخَرَ ٣ فَإِنْ أَبْغَضَهَا الرَّجُلُ الْأَخِيرُ وَكَتَبَ لَهَا كِتَابَ طَلَاقٍ وَدَفَعَهُ إِلَى يَدِهَا وَأَطْلَقَهَا مِنْ بَيْتِهِ أَوْ إِذَا مَاتَ الرَّجُلُ الْأَخِيرُ الَّذِي اتَّخَذَهَا لَهُ زَوْجَةً ٤ لَا يَقْدِرُ زَوْجُهَا الْأَوَّلُ الَّذِي طَلَقَهَا أَنْ يَعُودَ يَأْخُذَهَا لِتَصِيرَ لَهُ زَوْجَةً بَعْدَ أَنْ تَتَجَسَّسَتْ . لِأَنَّ ذَلِكَ رِجْسٌ لَدَى الرَّبِّ . فَلَا تَجْلِبْ خَطِيئَةً عَلَى الْأَرْضِ الَّتِي يُعْطِيكَ لَرَّبِّ إِلَهُكَ نَصِيبًا . (تثنية ٢٤ : ١-٤)

الفصل الأربعين بعد المائة

النساء ناقصات عقل ودين:

لم يفهم الإسلام أو لمسلمون سليمى العقيدة دونية المرأة عن الرجل كما فهمها اليهود ، ونادى بها الصارى:

فلم يدع مسلم أن الكائن البشرى والمرأة يبدوان نقيضين عنيدين " كما

أعلن البابا (اينوسنسيوس الثامن) فى براءة (١٤٨٤)

ولم يقل مسلم: (أن كل النساء بلا استثناء مومسات ، وهن مثل حواء سبب كل الشرور فى العالم) كما قال أسقف فرنسى عاش فى القرن الثانى عشر

ولم ينادِ مسلم أن (الذكر هو الأنموذج أو المعيار ، وكل امرأة إنما هى رجل معيب) كما قال أرسطو .

ولم يفكر مسلم: (أنه لا توجد امرأة طيبة على وجه الأرض) كما قال الراهب البندىكتى برنار دى موريكس دون مواربة فى أشعاره .

ولم يشعر مسلم أن المرأة خالية من الروح الناجية ، التى تنجىها من نيران جهنم ، كما شعرت الكنيسة ورجالها ، فعقدوا لها مجمع باكون العالمى فى القرن الخامس الميلادى يبحثون فيه : هل المرأة جثمان بحث أم هى جسد ذو روح يُناط به الخلاص والهلاك؟

ولم يندد مسلم أن المرأة حيوان نجس ، يجب الابتعاد عنه ، وأنه لاروح لها ولا خلود ، ولاتُلقن مبادئ الدين لأنها لاتقبل عبادتها ، ولاتدخل الجنة ، والملكوت ، ولكن يجب عليها الخدمة والعبادة ، وأن يكتم فمها كالبعير ، أو كالكلب العقور ، لمنعها من الضحك ومن الكلام لأنها أحبولة الشيطان ، كما قرر مجمع آخر .

ولم يصرح مسلم أن (المرأة أرذل من العبد بدليل أن عبودية العبد ليست فطرية بينما المرأة مأمورة فطرياً من قبل الأب والابن والزوج) كما قال توماس الإكوينى .

ولم يحقر مسلم المرأة بقوله : (إن المرأة إذا ارتقت أصبحت بقرة . وقلب المرأة عنده مكمّن الشر ، وهى لغز يصعب حله ، ويُنصَحُ الرجل بألا ينسى السوط إذا ذهب إلى النساء) كما فعل الفيلسوف نتشه .

ولم يسنّه مسلم المرأة بقوله: (إن معانقة امرأة تعنى معانقة كيس من الزبالة) كما سففها أودو الكانى فى القرن الثانى عشر

ولم يشوه مسلم المرأة بقوله: (إن المرأة مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، ناقضة لنواميس الله ، مشوهة للرجل) كما شوها القديس ترتوليان .

المصدر الحقيقى لهذه الشبهة هو العادات والتقاليد الموروثة (سوء من الأديان الأخرى أو من جهل المسلمين بدينهم) ، والتي تنظر إلى المرأة نظرة دونية . . وهى عادات وتقاليد جاهلية ، حرر الإسلام المرأة منها . . لكنها عادت إلى الحياة الاجتماعية ، فى عصور التراجع الحضارى مستندة كذلك إلى رصيد التمييز ضد المرأة الذى كانت عليه مجتمعات غير إسلامية ، دخلت فى إطار الأمة الإسلامية والدولة الإسلامية ، دون أن تتخلص تمامًا من هذه الموارد . . فسرعة الفتوحات الإسلامية التى اقتضتها معالجة القوى العظمى المناوئة للإسلام قوى الفرس والروم وما تبعها من سرعة امتداد الدولة الإسلامية ، قد أدخلت فى الحياة الإسلامية شعوبًا وعادات وتقاليد لم تتح هذه السرعة للتربية الإسلامية وقيسها أن تتخلص تلك الشعوب من تلك العادات والتقاليد ، والتى تكون عادة أشد رسوخًا وحاكمية من القيم الجديدة . . حتى لتغالب فيه هذه العادات الموروثة العقائد والأنساق الفكرية والمثل السامية للأديان والدعوات الجديدة والوليدة ، محاولة التغلب عليها !

ولقد حاولت هذه العادات والتقاليد بعد أن ترسخت وطال عليها الأمد ، فى ظل عسكرة الدولة الإسلامية فى العهدين المملوكى والعثمانى أن تجد لنظرتها الدونية للمرأة "غطاء شرعيًا" فى التفسيرات المغلوطة لبعض الأحاديث النبوية وذلك بعد عزل هذه الأحاديث عن سياقها ، وتجريدها من ملابسات ورودها ، وفصلها عن المنطق الإسلامى منطلق تحرير المرأة كجزء من تحريره للإنسان ، ذكرًا كان أو أنثى هذا الإنسان فلقد جاء الإسلام ليضع عن الناس إصرهم والأغلال التى كانت عليهم ، وليحيى ملكات وطاقات الإنسان - مطلق

جنس ونوع الإنسان - وليشارك الإناث والذكور جميعًا في حمل الأمانة التي حملها الإنسان ، وليكون بعضهم أولياء بعض في النهوض بالفرائض الاجتماعية ، الشاملة لكل ألوان العمل الاجتماعى والعام ..

لكن العادات والتقاليد الجاهلية في احتقار المرأة ، والانتقاص من أهليتها ، وعزلها عن العمل العام ، وتعطيل ملكاتها وطاقتها الفطرية قد دخلت في حرب ضروس ضد القيم الإسلامية لتحرير المرأة .. وسعت إلى التفسيرات الشاذة والمغلوطة لبعض الأحاديث النبوية والمأثورات الإسلامية كي تكون "غطاءً شرعياً" لهذه العادات والتقاليد ..

فبعد أن بلغ التحرير الإسلامى للمرأة إلى حيث أصبحت به وفيه :

طليعة الإيمان بالإسلام .. والطاقة الخلاقة الداعمة للدين ورسوله ﷺ
كما كان حال أم المؤمنين خديجة بنت خويلد [٦٨-٣٠ هجرية / ٥٥٦-٦٢٠م]
رضى الله عنها .. حتى لقد كان عام وفاتها عام حزن المسلمين ورسول الإسلام ودعوة الإسلام ..

وطليعة شهداء الإسلام .. كما جسدتها شهادة سمية بنت خياط [٧٠ هجرية ٦١٥م] ، أم عمار بن ياسر [٥٧ ق هجرية ٣٧ هجرية / ٥٦٧-٦٥٧م] ..

وطليعة المشاركة فى العمل العام السياسى منه ، والشورى ، والفقهى ، والدعوى ، والأدبى ، والاجتماعى . بل والقتالى - كما تجسدت فى كوكبة النخبة والصفوة النسائية التى تربت فى مدرسة النبوة .. بعد أن بلغ التحرير الإسلامى للمرأة هذه الآفاق .. أعادت العادات والتقاليد المرأة أو حاولت إعادتها إلى أسر وأغلال منظومة من القيم الغربية عن الروح الإسلامية .. حتى أصبحت المفارقة والمباهاة بأعراف لا علاقة لها بالدين :

* أن المرأة الكريمة لا يليق بها أن تخرج من مخدعها إلا مرتان :
أولاهما : إلى مخدع الزوجية .. وثانيتهما : إلى القبر الذى تُدفن فيه ! ..

❖ فهي عورة ، لا يسترها إلا ' القبر ' !

والأكثر خطورة من هذه الأعراف والعادات والتقاليد ، التي سادت أوساطا ملحوظة ومؤثرة في حياتنا الاجتماعية ، إبان مرحلة التراجع الحضارى ، هي التفسيرات المغلوطة لبعض المرويات الإسلامية بحثًا عن مرجعية إسلامية وغطاء شرعى لقيم التخلف والانحطاط لتي سادت عالم المرأة فى ذلك التاريخ . . لقد كان الحظ الأوفر فى هذا المقام للتفسير الخاطيء الذى ساد وانتشر لحديث رسول الله ﷺ الذى رواه لبخارى ومسلم عن نقص النساء فى العقل والدين . . وهو حديث رواه الصحابى الجليل أبو سعيد الخدرى رضى اله عنه فقال : " خرج رسول الله ﷺ فى أضحى أو فطر إلى المصلى فمرّ على النساء ، فقال :

- " يا معشر النساء ، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن " .

- قلن : وما نقصان ديننا وعقلنا يا رسول الله ؟ .

- قال : " أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل " ؟ .

- قلن : بلى .

- قال : " فذلك من نقصان عقليها أليس إذا حاضت لم تصل ولم تصم ؟ " .

- قلن : بلى .

- قال : " فذلك من نقصان دينها " .

ذلكم هو الحديث الذى اتّخذ تفسيره الملغوظ ولا يزال " غطاء شرعياً " للعادات والتقاليد التى تنتقص من أهلية المرأة . . والذى ينطلق منه نفر من غلاة الإسلاميين فى " جهادهم " ضد إنصاف المرأة وتحريرها من أغلال التقاليد

الراكدة .. وينطلق منه المتغربون وغلاة العلمانيين فى دعوتهم إلى إسقاط الإسلام من حسابات تحرير المرأة ، وطلب هذا التحرير فى النماذج الغربية الوافدة ..

الأمر الذى يستوجب إنقاذ المرأة من هذه التفسيرات المغلوطة لهذا الحديث .. بل إنقاذ هذا الحديث الشريف من هذه التفسيرات! ..

وذلك من خلال نظرات فى "متن" الحديث و "مضمونه" نكتفها فى عدد من النقاط:

أولها: أن الذاكرة الضابطة لنص هذا الحديث قد أصابها ما يطرح بعض علامات الاستفهام .. ففى رواية الحديث شك من الرواة حول مناسبة قوله .. هل كان ذلك فى عيد الأضحى؟ أم فى عيد الفطر؟ .. وهو شك لا يمكن إغفاله عند وزن المرويات والمأثورات .

وثانيها: أن الحديث يخاطب حالة خاصة من النساء ، ولا يشرع شريعة دائمة ولا عامة فى مطلق النساء .. فهو يتحدث عن "واقع" والحديث عن "الواقع" القابل للتغير والتطور شئ ، والتشريع "للثوابت" عبادات وقيمًا ومعاملات شئ آخر ..

فعندما يقول الرسول ﷺ "إنا أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب" . رواه البخارى ومسلم والنسائى وأبو داود والإمام أحمد فهو يصف "واقعًا" ، ولا يشرع لتأييد الجهل بالكتابة والحساب ، لأن القرآن الكريم قد بدأ بفريضة "القراءة" لكتاب الكون وكتابات الأقلام: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ الْإِنْسَانَ لَمْ يَعْلَمْ ⑤﴾ العلق: ١-٥

ولأن الرسول ﷺ الذى وصف "واقع" الأمية الكتابية والحسابية ، وهو الذى غير هذا الواقع ، بتحويل البدو الجهلاء الأميين إلى قراء وعلماء وفقهاء ،

وذلك امتثالاً لأمر ربه ، فى القرآن الكريم ، الذى علمنا أن من وظائف جعل الله سبحانه وتعالى القمر منازل أن نتعلم عدد السنين والحساب ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿٥٠﴾ يونس : ٥ . فوصف " الواقع " - كما نقول الآن مثلاً : " نحن مجتمعات متخلفة " لا يعنى شرعة هذا " الواقع " ولا تأييده بأى حال من الأحوال .

وهو نفس الواقع الذى وصفه الرسول ﷺ فى حديثه عن رؤية معظم أهل النار من النساء فى رواية ابن عباس رضى الله عنهما ما يقطع بأن المقصود به إنما هى حالات خاصة لنساء لهن صفات خاصة ، هى التى جعلت منهن أكثر أهل النار ، لا لأنهن نساء ، وإنما لأنهن كما تنص وتعلل هذه الرواية " يكفرن العشير " ، ولو أحسن هذا العشير إلى إحداهن الدهر كله ، ثم رأت منه هبةً أو شيئاً لا يعجبها ، كمرت كفر نعمة بكل النعم التى أنعم عليها بها ، وقالت بسبب النزق أو الحمز أو غلبة العاطفة التى تنسيها ما قدمه لها هذا العشير من إحسان : " ما رأيت منك خيراً قط " ! رواه البخارى ومسلم والنسائى ومالك فى الموطأ . . فهذا الحديث إذن وصف لحالة بعينها ، وخاص بهذه الحانة . . وليس تشريعاً عاماً ودائماً لجنس النساء . .

وثالثها : أن مناسبة الحديث ترشح ألفاظه وأوصافه لأن يكون المقصود من ورائها المدح وليس الذم . . فالذين يعرفون خلق من صنعه الله على عينه ، حتى جعله صاحب الخلق العظيم ﴿وَإِنَّكَ عَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿١﴾ القلم : ٤ .

والذين يعرفون كيف جعل الرسول ﷺ من " العيد " الذى قال فيه هذا الحديث " فرحة " أشرك فى الاستمتاع بها مع الرجال كل النساء ، حتى الصغيرات ، بل وحتى الحيض والنساء ! . . الذين يعرفون صاحب هذا الخلق العظيم ، ويعرفون رفيقه بالقرير ، ورصاياه بهن حتى وهو على فراش المرض يودع هذه الدنيا : . لا يمكن أن يتصوروه ﷺ ذلك الذى يختار يوم الزينة

والفرحة ليجابه كل النساء ومطلق جنس النساء بالذم والتقريع والحكم المؤبد عليهن بنقصان الأهلية ، لنقصانهن في العقل والدين! ..

وإذا كانت المناسبة يوم العيد والزينة والفرحة لا ترشح أن يكون الدم والغم والحزن والتبكيك هو المقصود .. فإن ألفاظ الحديث تشهد على أن المقصود إنما كان المديح ، الذي يستخدم وصف "الواقع" الذي تشترك في التحلى بصفاته غالبية النساء .. إن لم يكن كل النساء ..

فالحديث يشير إلى غلبة العاطفة والرقّة على المرأة ، وهي عاطفة ورقة صارت "سلاحًا" تغلب به هذه المرأة أشد الرجال حزمًا وشدة وعقلًا .. وإذا كانت غلبة العاطفة إنما تعنى تفوقها على الحسابات العقلية المجردة والجامدة ، فإننا نكون أمام عملة ذات وجهين ، تمثلها المرأة .. فعند المرأة تغلب العاطفة على العقلانية ، وذلك على عكس الرجل ، الذي تغلب عقلانيته وحساباته العقلانية عواطفه .. وفي هذا التمايز فقرة إلهية ، وحكمة بالغة ، ليكون عطاء المرأة في ميادين العاطفة بلا حدود وبلا حسابات .. وليكون عطاء ارجل في مجالات العقلانية المجردة والجامدة مكملًا لما نقص عند "الشق اللطيف والرفيق!" ..

فنقص العقل الذي أشارت إليه كلمات الحديث النبوى الشريف هو وصف لواقع تتزين به المرأة السوية وتفخر به ، لأنه يعنى غلبة عاطفتها على عقلانيته المجردة .. ولذلك ، كانت "مداعة" صاحب الخلق العظيم الذى آتاه ربه جوامع الكلم للنساء ، فى يوم الفرحة والزينة ، عندما قال لهن: "إنهن يغلبن بسلاح العاطفة وسلطان الاستضعاف أهل الحزم والألباب من عقلاء الرجال ، ويخرقن بالعواطف الرقيقة أمنع الحصون!:" "ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن"

لك أن تتخيل أن هذا الرجل يوصف بأنه من أعقل الناس وأكثرهم حزمًا ، ولك أن تتخيل أن هذه المرأة التى امتدحها الرسول ﷺ بهذه الصفات ، هى التى تتمكن من الأخذ بلب هذا الرجل ، والتخفيف من حزمه (فى الأمور التى لا

يغضب فيها الله ولا رسوله). فما نصف هذه المرأة التي تفوقت على الرجل ، وعلى عقله وحزمه ، بسلاحه هي ؟ أليس هذا مدح للمرأة بإمكانياتها العالية التي تفوقت على كل إمكانيات الرجل ، وتحذير للرجل أن تذهب امرأة بعقله وحزمه فيما يغضب الله ورسوله ؟!

فهو مدح للعاطفة الرقيقة التي تذهب بحزم ذوى العقول والألباب .. ويا لبؤس وشقاء المرأة التي حرمت من شرف امتلاك هذا السلاح الذى فطر الله النساء على تقلده والتزين به فى هذه الحياة! بل وأيضًا يا لبؤس أهل الحزم والعقلانية من الرجال الذين حرموا فى هذه الحياة من الهزيمة أمام هذا السلاح .. سلاح العاطفة والاستضعاف! ..

وإذا كان هذا هو المعنى المناسب واللائق بالقائل وبالمخاطب وبالمناسبة وأيضًا المحبب لكل النساء والرجال معًا الذى قصدت إليه ألفاظ "نقص العقل" فى الحديث النبوى الشريف .. فإن المراد "بنقص الدين" هو الآخر وصف الواقع غير المذموم ، بل إنه الواقع لمحمود والممدوح! ..

فعندما سألت النسوة رسول الله ﷺ عن المقصود من نقصهن فى الدين ، تحدث عن اختصاصهن 'برخص' فى العبادات تزيد على 'الرخص' التى يشاركن فيها الرجال .. فالنساء يشاركن الرجال فى كل 'الرخص' التى رخص فيها الشارع .. من إفطار الصائم فى المرض والسفر .. إلى قصر الصلاة وجمعها فى السفر .. إلى إباحة المحرمات عند الضرورات .. إلخ .. إلخ .. ثم يزدن عن الرجال فى 'رخص' خاصة بالإناث ، من مثل سقوط فرائض الصلاة وصيام رمضان عن الحيض والنفساء .. وكذلك إفطار المرضع ، عند الحاجة ، فى شهر رمضان .. إلخ .. إلخ ..

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يحب أن تُؤتى رخصه كما يحب أن تُؤتى عزائمه ، فإن التزام النساء بهذه 'الرخص' الشرعية هو الواجب المطلوب والمحمود ، وفيه لهن الأجر والثواب .. ولا يمكن أن يكون بالأمر المردول

والمذموم .. ووصف واقعه فى هذا الحديث النبوى مثله كمثل وصف الحديث لغلبة العاطفة الرقيقة الفياضة على العقلانية الجامدة ، عند النساء ، هو وصف لواقع محمود .. ولا يمكن أن يكون ذمًا للنساء ، ينتقص من أهلية المرأة ومساواتها للرجال ، بأى حال من الأحوال .

إن العقل ملكة من الملكات التى أنعم الله بها على الإنسان ، وليس هناك إنسانًا رجلًا كان أو امرأة يتساوى مع الآخر مساواة كلية ودقيقة فى ملكة العقل ونعمته .. ففى ذلك يتفاوت الناس ويختلفون .. بل إن عقل الإنسان الواحد وضبطه ذكرًا كان أو أنثى يتفاوت زيادة ونقصًا بمرور الزمن ، وبما يكتسب من المعارف والعلوم والخبرات .. وليست هناك جيلة ولا طبعة تفرق بين الرجال والنساء فى هذا الموضوع ..

وإذا كان العقل فى الإسلام هو مناط التكليف ، فإن المساواة بين النساء والرجال فى التكليف والحساب والجزاء شاهدة على أن التفسيرات المغلوطة لهذا الحديث النبوى الشريف ، هى تفسيرات ناقصة لمنطق الإسلام فى المساواة بين النساء والرجال فى التكليف .. ولو كان لهذه التفسيرات المغلوطة نصيب من الصحة لنقصت تكاليف الإسلام للنساء عن تكليفاته للرجال ، ولكانت تكاليفهن فى الصلاة والصيام والحج والعمرة والزكاة وغيرها على النصف من تكاليف الرجال!

ولكنها "الرخصة" ، التى يُؤجر عليها الملتزمون بها والملتزمات ، كما يُؤجرون جميعًا عندما ينهضون بعزائم التكاليف .. إن النقص المذموم فى أى أمر من الأمور هو الذى يمكن إزالته وجبره وتغييره ، وإذا تغير وانجبر كان محمودًا .. ولو كانت "الرخص" التى شرعت للنساء بسقوط الصلاة والصيام للحائض والنفساء مثلاً نقصًا مذمومًا ، لكان صيامهن وصلاتهن وهن حُيِّض ونفساء أمرًا مقبولًا ومحمودًا ومأجورًا .. لكن الحال ليس كذلك ، بل إنه على العكس من ذلك .

وأخيرًا ، فهل يعقل عاقل .. وهل يجوز فى أى منطق ، أن يعهد الإسلام ، وتعهد الفطرة الإلهية بأهم الصناعات الإنسانية والاجتماعية صناعة الإنسان ، ورعاية الأسرة ، وصياغة مستقبل الأمة إلى ناقصات العقل والدين ، بهذا المعنى السلبي ، الذى ظلم به غلاة الإسلاميين وغلاة العلمانيين لإسلام ورسوله الكريم ، الذى حرر امرأة تحريره للرجل ، عندما بعثه الله بالحياة والإحياء لمطلق الإنسان ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ .. الأنفال: ٢٤

فوضع بهذا الإحياء ، عن الناس كل الناس ما كانوا قد حُمّلوا من الآصار والأغلال ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ ابْنَ أُمِّيِّ الَّذِي يُحْدِثُ لَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ .. الأعراف: ١٥٧

إنها تفسيرات مغلوطة ، وساقطة ، حاول بها أسرى العادات والتقاليد إضفاء الشرعية الدينية على هذه العادات والتقاليد التى لا علاقة لها بالإسلام .. والتى يبرأ منها هذا الحديث النبوى الشريف ..

وإذا كان لنا فى ختام إرلة هذه الشبهة أن نركى المنطق الإسلامى الذى صوبنا به معنى الحديث النبوى الشريف ، وخاصة بالنسبة للذين لا يطمنون إلى المنطق إلا إذا دعمته وزكته "النصوص" ، فإننا نذكر بكلمات إمام السلفية ابن القيم ، التى تقول: "إن المرأة العدل كالرجل فى الصدق والأمانة و لديانة " [الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ص ٢٣٦]

وبكلمات الإمام محمد عبده ، التى تقول:

"إن حقوق الرجل والمرأة متبادلة ، وإنهما أكفاء .. وهما متماثلان فى الحقوق والأعمال ، كما أنهما متماثلان فى الذات والإحساس والشعور والعقل ، أى إن كلا منهما بشر تاد له عقل يتفكر فى مصالحه ، وقلب يحب

ما يلائمه ويُسرُّ به ، ويكره ما لا يلائمه وينفر منه . . [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده ، ج ٤ ص ٦٠٦ دراسة وتحقيق د . محمد عمارة . طبعة القاهرة ١٩٩٣م]

وبكلمات الشيخ محمود شلتوت ، التى تقول:

"لقد قرر الإسلام الفطرة التى خلقت عليها المرأة . . فطرة الإنسانية ذات العقل والإدراك والفهم . . فهى ذات مسئولية مستقلة عن مسئولية الرجل ، مسئلة عن نفسها ، وعن عبادتها ، وعن بيتها ، وعن جماعتها . . وهى لا تقل فى مطلق المسئولية عن مسئولية أخيها الرجل ، وإن منزلتها فى المثوبة والعقوبة عند الله معقودة بما يكون منها من طاعة أو مخالفة، وطاعة الرجل لا تنفعها وهى طالحة منحرفة ، ومعصيته لا تضرها ، وهى صالحة مستقيمة:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ النساء: ١٢٤

﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أَضِيعُ عَمَلَ عَمِلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ آل عمران: ١٩٥

وليقف المتأمل عند هذا التعبير الإلهي "بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ" ، ليعرف كيف سما القرآن بالمرأة حتى جعلها بعضاً من الرجل ، وكيف حدّ من طغيان الرجل فجعله بعضاً من المرأة . وليس فى الإمكان ما يُؤدّى به معنى المساواة أوضح ولا أسهل من هذه الكلمة التى تفيض بها طبيعة الرجل والمرأة ، والتى تتجلى فى حياتهما المشتركة ، دون تفاضل وسلطان ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ النساء ٣٢

وإذا كانت المرأة مسئلة مسئولية خاصة فيما يختص بعبادتها ونفسها ، فهى فى نظر الإسلام أيضاً مسئلة مسئولية عامة فيما يختص بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والإرشاد إلى الفضائل ، والتحذير من الرذائل . وقد صرح القرآن بمسئوليتها فى ذلك الجانب ، وقرن بينها وبين أخيها الرجل فى تلك المسئولية ،

كما قرن بينها وبينه في مسئولية الانحراف عن واجب الإيمان والإخلاص لله وللمسلمين:

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ يَآمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْتُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٧١﴾ التوبة: ٧١

﴿الْمُنْفِقُونَ وَالْمُنْفِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَآمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ سُوا اللَّهِ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ٧٧﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنْفِقِينَ وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ٧٨﴾ التوبة: ٦٧ - ٦٨

فليس من الإسلام أن يبقى المرأة حظها من تلك المسئولية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهى أكبر مسئولية فى نظر الإسلام على الرجل وحده ، بحجة أنه أقدر منها عليها ، أو أنها ذات طابع لا يسمح لها أن تقوم بهذا الواجب ، فللرجل دائرته ، وللمرأة دائرتها ، والحياة لا تستقيم إلا بتكاتف النوعين فيما ينهض بأمتهما ، فإن تخاذلاً أو تخاذل أحدهما انحرفت الحياة الجادة عن سبيلها المستقيم ..

والإسلام فوق ذلك لم يتف بالمرأة عند حد اشتراكها مع أخيها الرجل فى المسئوليات جميعها خاصتها وعامها بل رفع من شأنها ، وكرر تلقاء تحملها هذه المسئوليات احترام رأيها فيما تبدو وجاهته ، شأنه فى رأى الرجل تماماً سواء بسواء . وإذا كان الإسلام جاء باختيار آراء بعض الرجال ، فقد جاء أيضاً باختيار رأى بعض النساء .

وفى سورة المجادلة احترم الإسلام رأى المرأة ، وجعلها مجادلة ومحاورة للرسول ، وجمعها وإياه فى خطاب واحد ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ المجادلة: ١ . وقرر رأيها ، وجعله تشريعاً عاماً خالداً . . فكانت سورة المجادلة أثراً من آثار الفكر النسائى ، وصفحة إلهية خالدة نلمح فيها على مر الدهور صورة احترام

الإسلام لرأى المرأة ، فالإسلام لا يرى المرأة مجرد زهرة ، ينعم الرجل بشم رائحتها ، وإنما هى مخلوق عاقل مفكر ، له رأى ، وللرأى قيمته ووزنه .

وليس هناك فارق دينى بين المرأة والرجل فى التكليف والأهلية ، سوى أن التكليف يَلَحَقُها قبل أن يلحق الرجل ، وذلك لوصولها - بطبيعتها - إلى مناط التكليف ، وهو البلوغ ، قبل أن يصل إليه الرجل [الإسلام عقيدة وشرعية ، ص ٢٢٣-٢٢٨ . طبعة القاهرة سنة ١٤٠٠ هجرية - ١٩٨٠م]

تضافرت الحجج المنطقية مع نصوص الاجتهاد الإسلامى على إزالة شبهة الانتقاص من أهلية المرأة ، بدعوى أن النساء ناقصات عقل ودين . . وهكذا وضحت المعانى والمقاصد الحقة لحديث رسول الله ﷺ ، الذى اتخذت منه التفسيرات المغلوطة " غطاءً شرعياً " للعادات والتقاليد الراكدة ، تلك التى حملها البعض من غلاة الإسلاميين على الإسلام ، زوراً وبهتاناً . . والتى حسبها غلاة العلمانيين ديناً إلهياً ، فدعوا - لذلك - إلى تحرير المرأة من هذا الإسلام ! . لقد صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (٥٣) فصلت : ٥٣

إننا نلح منذ سنوات طوال وقبلنا ومعنا الكثيرون من علماء الإسلام ومفكريه على أن هذا الدين الحنيف إنما يمثل ثورة كبرى لتحرير المرأة ، لكن الخلاف بيننا وبين الغرب والمتغربين هو حول "نموذج" هذا التحرير . . فهم يريدون المرأة نداءً مساوياً للرجل . . ونحن مع الإسلام نريد لها "مساواة الشقين المتكاملين ، لا الندين المتماثلين" . . وذلك ، لتحرر المرأة ، مع بقائها أنثى ، ومع بقاء الرجل رجلاً ، كى يثمر هذا التمايز الفطرى بقاء ، ويجدد القبول والرغبة والجاهزية والسعادة بينهما سعادة النوع الإنسانى .

ونلح على أن هذا "التشابه . . والتمايز" بين النساء والرجال ، هو الذى

أشار إليه القرآن الكريم عندما قرن المساواة بالتمايز ، فقالت آياته المحكمات : ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ سورة البقرة: ٢٢٨ . ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ سورة آل عمران: ٣٦ .

نلح على ذلك المنهاج في التحرير الإسلامي للمرأة . . ولقد شئت إرادة الله سبحانه وتعالى أن يشهد شاهد من أهلها على صدق هذا المنهاج الإسلامي ، فتتشر صحيفة [الأهرام] تقريراً علمياً عن نتائج دراسة علمية استغرقت أبحاثها عشرين عاماً ، وقام بها فريق من علماء النفس في الولايات المتحدة الأمريكية ، وإذا بها تكشف عن مصداقية حقائق هذا المنهاج القرآني في تشابه الرجال والنساء في اثنتين وثلاثين صفة . . وتميز المرأة عن الرجل في اثنتين وثلاثين صفة . . وتميز الرجل عن المرأة كذلك في اثنتين وثلاثين صفة .

فهناك التشابه: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ ، ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ سورة الأعراف: ١٨٩ . ﴿بَعْضُكُمْ مِنْ نَعِصٍ﴾ سورة آل عمران: ١٩٥ .

وهناك التمايز الفطري: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ . . فهما يتشابهان في نصف الصفات ، ويتميزان في نصفها الآخر . . فالنموذج الأمثل لتحررهم معاً هو "مساواة الشقين المتكاملين ، لا الندين المتماثلين" . . ولذلك ، أثرت أن أقدم للقارئ خلاصة هذه الدراسة العلمية ، كما نشرتها [الأهرام] تحت عنوان [اختلاف صفات الرجل عن المرأة لمصلحة كليهما] - ونصها: "في دراسة قام بها علماء النفس في الولايات المتحدة الأمريكية ، على مدى عشرين عاماً ، تم حصر عدد الصفات الموجودة في كل من الرجل والمرأة ، ووجد أن هناك ٣٢ صفة مشتركة في كل منهم ، وأن ٣٢ صفة أخرى موجودة في الرجل ، و ٣٢ صفة أخرى موجودة عند المرأة ، بدرجات مختلفة في الشدة ، ومن هنا جاءت الفروق بين صفات الرجولة والأنوثة .

وتوصل العلماء من خلال هذه التجارب إلى أن وجود نصف عدد الصفات

مشتركة فى كل من الرجل والمرأة يعمل على وجود الأسس المشتركة بينهما ،
لتسهيل التفاهم والتعامل مع بعضهما البعض . .

أما وجود عدد آخر من الصفات متساوياً بينهما ومختلفاً عند كل منهما فى
الدرجة والشهرة فمعناه تحقيق التكامل بينهما . كما توصلوا إلى أنه كى يعيش
كل من الرجل والمرأة فى انسجام وتناغم تام ، لابد أن يكون لدى كل
منهما الصفات السيكولوجية المختلفة ، فمثلاً الرجل العصبى الحاد المزاج
لا يمكنه أن يتعايش مع امرأة عصبية حادة المزاج ، والرجل البخيل عليه ألا
يتزوج امرأة بخيلة ، والرجل المنطوى ، الذى لا يحب الناس ، لا يجوز أن
يتزوج من امرأة منطوية ولا تحب الناس . وهكذا .

وكان من نتائج هذه الدراسات الوصول إلى نتيجة مهمة ، ألا وهى أن كل
إنسان يحب ألا يعيش مع إنسان متماثل معه فى الصفات وكل شئ ، أى صورة
طبق الأصل من صفاته الشخصية ، ومن هنا جاءت الصفات المميزة للرجولة
متمثلة فى : قوة العضلات وخشونتها والشهامة ، والقوة فى الحق ، والشجاعة فى
موضع الشجاعة ، والنخوة ، والاهتمام بمساندة المرأة وحمايتها والدفاع عنها
وجلب السعادة لها . كما تتضمن أيضاً صفات الحب ، والعطاء ، والحنان ،
والكرم ، والصدق فى المشاعر وفى القول وحسن التصرف . . إلخ .

أما عن صفات الأنوثة ، فهى تتميز بالدفء ، والنعومة ، والحساسية ،
والحنان ، والتضحية ، والعطاء ، وحب الخير ، والتفانى فى خدمة أولادها ،
والحكمة ، والحرص على تماسك الأسرة وترابطها ، وحب المديح ،
والذكاء ، وحسن التصرف ، وغير ذلك من الصفات . .

ولذلك ، فمن المهم أن يكون لدى كل من الرجل والمرأة دراية كافية بطبيعة
الرجل وطبيعة المرأة ، وبذلك يسهل على كل منهما التعامل مع الطرف الآخر
فى ضوء خصائص كل منهما . . فعندما يعرف الرجل أن المرأة مخلوق مشحون
بالمشاعر والأحاسيس والعواطف ، فإنه يستطيع أن يتعامل معها على هذا

الأساس . وبالمثل ، إذا عرفت المرأة طبيعة الرجل ، فإن هذا سيساعدها أيضًا على التعامل معه .. [الأهرم] في ٢٩ - ٤ - ٢٠٠١ - ص ٢ .

تلك هي شهادة الدراسة العلمية ، التي قام بها فريق من علماء النفس في الولايات المتحدة الأمريكية والتي استغرق البحث فيها عشرون عامًا .. والتي تصدق على صدق المنهاج السرآني في علاقة النساء بالرجال : الاشتراك والتماثل في العديد من الصفات .. والتمايز في العديد من الصفات ، لتكون بينهما "المساواة" و "التمايز" في ذات الوقت ..

ومرة أخرى لا أخيرة صدق الله العظيم إذ يقول: ﴿سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآلَافِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣﴾ فصلت: ٥٣

أ . د محمد عمارة: حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين

الفصل الواحد والأربعين بعد المائة

شهادة المرأة نصف شهادة الرجل في الإسلام:

أما الشبهة الثانية والزئفة التي تثار حول موقف الإسلام من شهادة المرأة .. التي يقول مشيروها: إن الإسلام قد جعل للمرأة نصف إنسان ، وذلك عندما جعل شهادتها نصف شهادة الرجل ، مستدين على ذلك بآية سورة البقرة: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَعْتُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَىٰ أَجْلِ مُسْكًىٰ فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا كَمَا اللَّهُ ۖ فَلْيَكْتُب وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشَّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَفْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا

تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا وَلَا وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٨٢﴾ . البقرة: ٢٨٢ .

ومصدر الشبهة التي حسب مشروها أن الإسلام قد انتقص من أهلية المرأة ، بجعل شهادتها على النصف من شهادة الرجل : ﴿ فَإِنْ لَمْ يَكُنَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ ﴾ هو الخلط بين " الشهادة " وبين " الإِشهاد " الذي تتحدث عنه هذه الآية الكريمة . . فالشهادة التي يعتمد عليها القضاء في اكتشاف العدل المؤسس على البينة ، واستخلاصه من ثنايا دعاوى الخصوم ، لا تتخذ من الذكورة أو الأنوثة معياراً لصدقها أو كذبها ، ومن ثم قبولها أو رفضها . . وإنما معيارها تحقق اطمئنان القاضى لصدق الشهادة بصرف النظر عن جنس الشاهد ، ذكراً كان أو أنثى ، وبصرف النظر عن عدد الشهود . . فالقاضى إذا اطمأن ضميره إلى ظهور البينة أن يعتمد شهادة رجلين ، أو امرأتين ، أو رجل وامرأة ، أو رجل وامرأتين ، أو امرأة ورجلين ، أو رجل واحد أو امرأة واحدة . . ولا أثر للذكورة أو الأنوثة فى الشهادة التى يحكم القضاء بناءً على ما تقدمه له من البينات . .

أما آية سورة البقرة ، التى قالت : ﴿ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضَلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ﴾ فإنها تتحدث عن أمر آخر غير " الشهادة " أمام القضاء . . تتحدث عن " الإِشهاد " الذى يقوم به صاحب الدين للاستيثاق من الحفاظ على دينه ، وليس عن " الشهادة " التى يعتمد عليها القاضى فى حكمه بين المتنازعين . . فهى (الآية) موجهة لصاحب الحق الدَّين وليس إلى القاضى الحاكم فى النزاع . . بل إن هذه الآية لا تتوجه إلى كل صاحب حق دَّين ولا تشترط ما اشترطت من مستويات الإِشهاد وعدد الشهود فى كل حالات الدَّين . . وإنما توجهت بالنصح والإرشاد . فقط النصح والإرشاد إلى دائن خاص ، وفى

حالات خاصة من الديون ، لها ملابس خاصة نصت عليها الآية . . فهد دين إلى أجل مسمى . . ولا بد من كتابته . . ولا بد من عدالة الكاتب . ويحرم امتناع الكاتب عن الكتابة . . ولا بد من إملاء الذى عليه الحق . . وإن لم يستطع فليمثل وليه بالعدل . . والإشهاد لا بد أن يكون من رجلين من المؤمنين . . أو رجل وامرأتين من المؤمنين . . وأن يكون الشهود ممن ترضى عنهم الجماعة . . ولا يصح امتناع الشهود عن الشهادة . . وليست هذه الشروط بمطلوبة فى التجارة الحاضرة . . ولا فى المبيعات . . ثم إن الآية ترى فى هذا المستوى من الإشهاد الوضع الأقسط والأقوم . . وذلك لا ينفى المستوى الأدنى من القسط . .

إذن فهذه الآية تتحدث عن 'الإشهاد' فى دَين خاص ، وليس عن الشهادة . . وإنها نصيحة وإرشاد لصاحب الدَين ذى المواصفات والملابس الخاصة وليست تشريعاً موجهاً إلى القاضى الحاكم فى المنازعات . وهذا ما فهمه العلماء المجتهدون .

ومن هؤلاء العلماء الفقهاء الذين فقهوا هذه الحقيقة ، وفصلوا القول فيها شيخ الإسلام ابن تيمية [٦١-٧٢٨ هجرية / ١٢٦٣-١٣٢٨] وتلميذه العلامة ابن القيم [٦٩١-٧٥١ هجرية / ١٢٩٢-١٣٥٠م] من القدماء والأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٥-١٣٢٣ هجرية] ومن المُحدثين والمعاصرين الإمام الشيخ محمود شلتوت [٣١٠-١٣٨٣ هجرية / ١٨٩٣-١٩٦٣م] فقال ابن تيمية فيما يرويه عنه ويؤكد عليه ابن القيم:

قال عن "البينة" التى يحكم القاضى بناء عليها . . والتى وضع قاعدتها الشرعية والفقهية حديث رسول الله ﷺ. «البينة على المدعى ، واليمين على المدعى عليه» رواه البخارى، والترمذى وابن ماجه:

فقوله ﷺ: "البينة على المدعى" ، أى عليه أن يظهر ما يبين صحة دعواه ، فإذا ظهر صدقه بطريق من اطرق حُكم له . .

فطرق الإشهاد، في آية سورة البقرة التي تجعل شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد هي نصيحة وإرشاد لصاحب الدين ذي الطبيعة الخاصة .. وليست التشريع الموجه إلى الحاكم القاضى والجامع لطرق الشهادات والبيانات .. وهى أيضًا خاصة بدين له مواصفاته وملابساته، وليست التشريع العام فى البيانات التى تظهر العدل فيحكم به القضاة ..

وقد قبل النبى ﷺ شهادة الأعرابى وحده على رؤية هلال رمضان ، وأجاز ﷺ شهادة الشاهد الواحد فى قضية السَّلب (السَّلب بفتح السين مشددة ، وفتح اللام - : هو متاع القتل وعدته ، يأخذه قاتله .. وفى الحديث : "من قتل قتيلاً فله سَلْبُهُ " .) ، ولم يطالب القاتل بشاهد آخر ، واستحلفه ، وهذه القصة [وروايتها فى الصحيحين] صريحة فى ذلك .. وقد صرح الأصحاب : أنه تُقبل شهادة الرجل الواحد من غير يمين عند الحاجة ، وهو الذى نقله الخِرَقى [٣٣٤ هجرية ٩٤٥ م] فى مختصره ، فقال : وتقبل شهادة الطيب العدل فى الموضحة (الموضحة : هى الجراحات التى هى دون قتل النفس .) إذا لم يقدر على طبيين ، وكذلك البيطار فى داء الدابة .. " (الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية ، ص ٩٨ ، ١١٣ ، ١٢٣ .)

وكما تجوز شهادة الرجل الواحد فى غير الحدود .. وكما تجوز شهادة الرجال وحدهم فى الحدود ، تجوز عند البعض شهادة النساء وحدهن فى الحدود .. وعن ذلك يقول ابن تيمية ، فيما نقله ابن القيم : "وقد قبل النبى ﷺ شهادة المرأة الواحدة فى الرضاع ، وقد شهدت على فعل نفسها ، ففى الصحيحين عن عقبة بن الحارث : " أنه تزوج أم يحيى بنت أبى إهاب ، فجاءت أمةً سوداء ، فقالت : قد أرضعتكما . فذكرت ذلك للنبي ﷺ ، فأعرض عني ، قال : فتنحيث فذكرت ذلك له ، قال : فكيف؟ وقد زعمت أن قد أرضعتكما! " .

وقد نص أحمد على ذلك فى رواية بكر بن محمد عن أبيه ، قال : فى المرأة تشهد على مالا يحضره الرجال من إثبات استهلال الصبى ،

(استهلال الصبي : هو أن يحدث منه ما يدل على حياته ساعة الولادة من رفع صوت ، أو حركة عضو أو عين ، وهو شرط لتمتعته بحقوق الأحياء .) وفي الحَمَام يدخله النساء ، فتكون بنهن جراحات .

وقال إسحاق بن منصور قُلْتُ لأحمد في شهادة الاستدلال: "تجوز شهادة امرأة واحدة في الحيض والعدة والسقط والحَمَام ، وكل ما لا يطلع عليه إلا النساء" .

فقال: "تجوز شهادة امرء إذا كانت ثقة ، ويجوز القضاء بشهادة النساء منفردات في غير الحدود والقصاص عند جماعة من الخلف والسلف" . وعن عطاء [٢٧-١١٤ هجرية / ٦٤٧-٧٣٢ م] أنه أجاز شهادة النساء في النكاح . وعن شريح [٧٨ هجرية / ٦٩٧ م] أنه أجاز شهادة النساء في الطلاق . وقال بعض الناس : تجوز شهادة النساء في الحدود . وقال مهنا : قال لى أحمد بن حنبل : قال أبو حنيفة : تجوز شهادة القابلة وحدها ، وإن كانت يهودية أو نصرانية . . " . (الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية ، ص ١١٥-١١٧)

ذلك أن العبرة هنا في الشهادة إنما هي الخبرة والعدالة ، وليست العبرة بجنس الشاهد ذكراً كان أو أنثى ففي مهن مثل الطب . . والبيطرة . . والترجمة أمام القاضي . . تكون العبرة "معرفة أهل الخبرة" (المصدر السابق ، ص ١٨٨ ، ١٩٣) .

بل لقد ذكر ابن تيمية في حديثه عن الإشهاد الذى تحدثت عنه آية سورة البقرة أن نسيان المرأة . ومن ثم حاجتها إلى أخرى تذكرها ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ (ليس طبعاً ولا جبلة في كل النساء ، وليس حتماً في كل أنواع الشهادات . . وإنما هو أمر له علاقة بالخبرة والمران ، أى أنه مما يلحقه التطور والتغير . . وحكى ذلك عنه ابن القيم فقال : "قال شيخنا ابن تيمية ، رحمه الله تعالى : قوله تعالى ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَأَتَانِ مِمَّنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ فيه دليل على

أن استشهاد امرأتين مكان رجل واحد إنما هو لإذكار إحداهما للأخرى ، إذا ضلت ، وهذا إنما يكون فيما فيه الضلال في العادة ، وهو النسيان وعدم الضبط .. فما كان من الشهادات لا يُخافُ فيه الضلال في العادة لم تكن فيه على نصف الرجل .. " .

فحتى في الإشهاد ، يجوز لصاحب الدِّين أن يحفظ دينه وفق نصيحة وإرشاد آية سورة البقرة بإشهاد رجل وامرأة ، أو امرأتين ، وذلك عند توافر الخبرة للمرأة في موضوع الإشهاد .. فهي في هذا الإشهاد ليست شهادتها دائماً على النصف من شهادة الرجل ..

وهذا الذي قاله ابن تيمية وابن القيم في حديثهما عن آية سورة البقرة هو الذي ذكره الإمام محمد عبده ، عندما أرجع تميز شهادة الرجال على هذا الحق الذي تحدثت عنه الآية على شهادة النساء ، إلى كون النساء في ذلك التاريخ كن بعيديات عن حضور مجالس التجارات ، ومن ثم بعيديات عن تحصيل التحمل والخبرات في هذه الميادين .. وهو واقع تاريخي خاضع للتطور والتغير ، وليس طبيعة ولا جبلة في جنس النساء على مر العصور .. ولو عاش الإمام محمد عبده إلى زمننا هذا ، الذي زخر ويزخر بالمتخصصات في المحاسبة والاقتصاد وإدارة الأعمال ، وبـ " سيدات الأعمال " اللاتي ينافسن " رجال الأعمال " لأفاض وتوسع فيما قال ، ومع ذلك ، فحسبه أنه قد تحدث قبل قرن من الزمان في تفسيره لآية سورة البقرة هذه رافضاً أن يكون نسيان المرأة جبلة فيها وعاماً في كل موضوعات الشهادات .

ولقد سار الشيخ محمود شلتوت الذي استوعب اجتهادات ابن تيمية وابن القيم ومحمد عبده مع هذا الطريق ، مضيفاً إلى هذه الاجتهادات علماً آخر عندما لفت النظر إلى تساوى شهادة الرجل في " اللعان " .. فكتب يقول عن شهادة المرأة وكيف أنها دليل على كمال أهليتها ، وذلك على العكس من الفكر المغلوط الذي يحسب موقف الإسلام من هذه القضية انتقاصاً من إنسانيتها ..

كتب يقول :

إن قول الله سبحانه وتعالى : ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ ليس وارداً في مقام الشهادة التي غضى به القاضى ويحكم ، وإنما هو فى مقام الإرشاد إلى طرق الاستيثاق والاطمئنان على الحقوق بين المتعاملين وقت التعامل ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدَى وَلَا يُبْ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا كَمَا اللَّهُ﴾ إلى أن قال : ﴿وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَدَاءِ أَنْ تَضْمَنَ إحدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إحدَاهُمَا الْآخَرَى﴾ . البقرة : ٢٨٢ .

فالمقام مقام استيثاق على الحقوق ، لا مقام قضاء بها . والآية ترشد إلى أفضل أنواع الاستيثاق الذى يضمن به نفوس المتعاملين على حقوقهم

وليس معنى هذا أن شهادة المرأة لواحده أو شهادة النساء اللاتى ليس معهن رجل ، لا يثبت بها الحق ، ولا يحكم بها القاضى ، فإن أقصى ما يطلبه القضاء هو "البينة" .

وقد حقق العلامة ابن النسيم أن البينة فى الشرع أعم من الشهادة ، وأن كل ما يتبين به الحق ويظهره ، هو بينة يفضى بها القاضى ويحكم . ومن ذلك : يحكم القاضى بالقرائن القععية ، ويحكم بشهادة غير المسلم متى وثق بها واطمأن إليها .

واعتبار المرأتين فى الاستيثاق كلرجل الواحد ليس لضعف عقلها ، الذى يتبع نقص إنسانيتها ويكون أثر له ، وإنما هو لأن المرأة كما قال الشيخ محمد عبده "ليس من شأنها الاشتغال بالمعاملات المالية ونحوها من المعاولات ، ومن هنا تكون ذاكرتها فيها ضعيفة ، ولا تكون كذلك فى الأمور المنزلية التى هى شغلها ، فإنها فيها أقوى ذاكرة من الرجل ، ومن طبع البشر عامة أن يقوى

تذكرهم للأمور التي تهمهم ويمارسونها ، ويكثر اشتغالهم بها .

والآية جاءت على ما كان مألوفاً في شأن المرأة ، ولا يزال أكثر النساء كذلك ، لا يشهدن مجالس المداينات ولا يشتغلن بأسواق المبيعات ، واشتغال بعضهن بذلك لا ينافي هذا الأصل الذي تقضى به طبيعتها في الحياة .

وإذا كانت الآية ترشد إلى أكمل وجوه الاستيثاق ، وكان المتعاملون في بيئة يغلب فيها اشتغال النساء بالمبيعات وحضور مجالس المداينات ، كان لهم الحق في الاستيثاق بالمرأة على نحو الاستيثاق بالرجل متى اطمأنوا إلى تذكرها وعدم نسيانها على نحو تذكر الرجل وعدم نسيانه .

هذا وقد نص الفقهاء على أن من القضايا ما تقبل فيه شهادة المرأة وحدها ، وهى القضايا التي لم تجر العادة بإطلاع الرجال على موضوعاتها ، كالولادة والبركة ، وعيوب النساء والقضايا الباطنية .

وعلى أن منها ما تقبل فيه شهادة الرجل وحده ، وهى القضايا التي تثير موضوعاتها عاطفة المرأة ولا تقوى على تحملها ، على أنهم قدروا قبول شهادتها في الدماء إذا تعينت طريقاً لثبوت الحق واطمئنان القاضى إليها . وعلى أن منها ما تقبل شهادتهما معاً .

ومائتا نذهب بعيداً ، وقد نص القرآن على أن المرأة كالرجل سواء بسواء في شهادات اللعان ، وهو ما شرعه القرآن بين الزوجين حينما يقذف الرجل زوجه وليس له على ما يقول شهود : ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ يَكُنْ شَهِدًا إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ٦﴾ وَالْخَمْسَةُ أَنْ لَعَنْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ ٧ وَيَذَرُونَهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ٨ وَالْخَمْسَةُ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ٩﴾ .
النور: ٦-٩ .

أربع شهادات من الرجل ، يعقبا استمطار لعنة الله عليه إن كان من

الكاذبين ، ويقابلها ويبطل عملها ، أربع شهادات من المرأة يعقبها استمطار غضب الله عليها إن كان من انصافين . . فهذه عدالة الإسلام في توزيع الحقوق العامة بين الرجل والمرأة ، وهى عدالة تحقق أنهما فى الإنسانية سواء . . (الإسلام عقيدة وشريعة ، ص ٢٣٩-٢٤١ . طبعة القاهرة سنة ١٤٠٠ هجرية سنة ١٩٨٠م)

هكذا وضحت صفحة الإسلام . . وصفحات الاجتهاد الإسلامى فى قضية مساواة شهادة المرأة وشهادة رجل ، طائما امتلك الشاهد أو الشاهدة مقومات ومؤهلات وخبرة هذه الشهادة . . لأن الأهلية الإنسانية بالنسبة لكل منهما واحدة ، ونابعة من وحدة اخلاق ، والمساواة فى التكليف ، والتناصر فى المشاركة بحمل الأمانة التى حملها الإنسان ، أمانة استعمار وعمران هذه الحياة .

وأخيراً وليس آخرًا فإن بن القيم يستدل بالآية القرآنية: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ . البقرة: ١٤٣ . على أن المرأة كالرجل فى هذه الشهادة على بلاغ الشريعة ورواية السنة النبوية . . فالمرأة كالرجل فى "رواية الحديث" ، التى هى شهادة على رسول الله ﷺ .

وإذا كان ذلك مما أجمعت عليه الأمة ، ومارسته راويات الحديث النبوى جيلاً بعد جيل "والرواية شهادة" فكيف تقبل الشهادة من المرأة على رسول الله ﷺ ولا تقبل على واحد من الناس؟ . . إن المرأة العدل [بنص عبارة ابن القيم] كالرجل فى الصدق ولأمانة والديانة . (الطرق الحكمية فى لسياسة الشرعية ، ص ٢٣٦ ، ٢٤٤)

فقد اعترف المسلمون والتاريخ الإسلامى بالكثير من السيدات المحدثات .
مثل:

السيدة عائشة بنت أبى بكر المؤمن

السيدة فاطمة الزهراء بنت المصطفى ﷺ

السيدة زينب بنت عبد الله بن عبد الحليم بن تيمية الحنبلية
وكانت أم عبد الواحد عالمة فاضلة من أحفظ الناس للفقه على مذهب
الشافعي ، وحفظت القرآن وغير ذلك من العلوم ، وكانت مُحَدِّثة .

ووقاية امرأة عالمة فاضلة ، كانت بإحدى مدن ليبيا ، وكان يلجأ إليها أفاضل
العلماء ، ويقولون : (تعالوا بنا نستشير وقاية ، فعصابتها خير من عمائمنا) .

زينب ابنة الكمال ومن تلاميذها الإمام محمد بن حمزة الحسيني .
ووزيرة بنت عمر بن المنجى ومن تلاميذها الإمام محمد بن سوار السبكي .

ست القضاة بنت الشيرازي ومن تلاميذها الحافظ بن ناصر الدين
الدمشقي ، والقاضي الإمام أحمد بن فضل الله العمري . وغيرهن المئات
الكثيرة .

وكانت أم المؤيد زينب بنت الشعري تمنح الإجازات العلمية للرجال ،
التي منحت العالم ابن خلكان إجازة علمية كتبها له في سنة ٦١٠ هـ .

وقطر الندي كانت من العالمات بالشرعية الإسلامية والقضاء . فقدمت
بالوصاية على ابنها المقتدر قبل أن يبلغ سن الرشد وأدارت الأحكام ، وقضت
بنفسها بين الناس .

بل تولت امرأة القضاء في العصر العباسي ، واطمأن الناس إلى عدالتها في
الحكم ، واعترفوا بفضلها ، ومقدرتها القضائية .

ويوجد غيرهن المئات والمئات من المحدثات ، الملاتي اطمأن إليهن الكثير
من العلماء ، وتعلمن على أيديهن .

فهل سمع الناس في عصر من العصور أو عن أمة من الأمم فيها عالم من
أوثق رواة الحديث عقدة وأصدقهم حديثاً وهو الحافظ بن عساكر (توفي ٥٧١

هـ) الملَّقب بـ (حافظ الأمة) كان له من شيوخه وأساتذته بضع وثمانون من النساء؟ عالم واحد يتلقى العلم عن بضع وثمانين امرأة؟ فكيف ترى منه من لم يلحقها أو يأخذ عنها؟ مع الأخذ في الاعتبار أن الرجل لم يجاوز الجزء الشرقي من الدولة الإسلامية ، فلم تطأ قدمه أرض مصر ، ولا بلاد المغرب ، ولا الأندلس وهي أحفل ما تكون بالعالمات وذوات الرأي من النساء .

فإنصاف المرأة ، وكمال واكتمال أهليتها هو موقف الإسلام ، الذي نزل به الروح الأمين على قلب الصادق الأسين . . وهو موقف كل تيارات الاجتهاد الإسلامي ، على امتداد تاريخ الإسلام .

ونفس الشيء نلمسه في الإنجيل ، فعلى الرغم من قيام الشهادة في التوراة والإنجيل على فم شاهدين أو أكثر ، لم يحكم عيسى عليه السلام برجم المرأة التي اتهمها جماعة من اليهود وهم تهود عليها ؛ لأنه لم يستوثق من شهادتهم إضافة إلى أنه ما كان له أن يتولى القضاء : (٢) ثُمَّ حَضَرَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الضُّحَى وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ . ٣ وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكْتَ فِي زِنَا . ٤ لَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسْطِ ٥ قَالُوا لَهُ : يَا مُعَلِّمُ هَذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكْتَ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ ٥ وَمُوسَى فِي التَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هَذِهِ تُرْجَمُ . ٦ فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ ؟ ٦ قَالُوا هَذَا لِيُجَرَّبُوهُ لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ . ٧ وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبَعِهِ عَلَى الْأَرْضِ . ٨ ثُمَّ انْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الْأَرْضِ . ٩ وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبْكِيهِمْ خَرَجُوا وَاحِدًا وَاحِدًا مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُخِ إِلَى الْآخِرِينَ . ١٠ وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْوَسْطِ . ١١ فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ قَالَتْ لَهَا : يَا امْرَأَةُ أَيْنَ هُمُ أَوْلَئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكَ ؟ أَمَا دَانِكَ أَحَدٌ ؟ ١١ فَقَالَتْ : لَا أَحَدٌ يَا سَيِّدُ . ١٢ فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ : وَلَا أَنَا أَدِينُكَ . اذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا . (يوحنا ٨ : ٢-١١)

الفصل الثانى والأربعين بعد المائة

ما أفلح قوم ولّوا أمرهم لإمرأة:

إن "الولاية" بكسر الواو وفتحها هي "النُصرة" .. وكل من ولى أمر الآخر فهو وليه .

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ البقرة: ٢٥٧ . ﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ﴾ الأعراف: ١٩٦ .
﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ٦٨ . ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ
أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾ الجمعة: ٦ . ﴿مَا لَكُمْ مِّن وَلِيَّتِهِم مِّن
شَيْءٍ﴾ الأنفال: ٧٢ .

وإذا كانت "النصرة" هي معنى "الولاية" ، فلا مجال للخلاف على أن
للمرأة نصرة وسلطاناً ، أى ولاية ، فى كثير من ميادين الحياة ..

فالمسلمون مجمعون على أن الإسلام قد سبق كل الشرائع الوضعية
والحضارات الإنسانية عندما أعطى للمرأة ذمة مالية خاصة ، وولاية وسلطاناً
على أموالها ، ملكاً وتنمية واستثماراً وإنفاقاً ، مثلها فى ذلك مثل الرجل
سواء بسواء .. والولاية المالية والاقتصادية من أفضل الولايات
والسلطات فى المجتمعات الإنسانية ، على مر تاريخ تلك المجتمعات ..
وفى استثمار الأموال ولاية وسلطان يتجاوز الإطار الخاص إلى النطاق العام
.. والمسلمون مجمعون على أن للمرأة ولاية على نفسها ، تؤسس لها حرية
وسلطاناً فى شئون زواجها ، عندما يتقدم إليها الراغبون فى الاقتران بها ،
وسلطانها فى هذا يعلو سلطان وليها الخاص والولى العام لأمر أمة الإسلام ..

والمسلمون مجمعون على أن للمرأة ولاية ورعاية وسلطاناً فى بيت
زوجها ، وفى تربية أبنائها .. وهى ولاية نص على تميزها بها وفيها حديث
رسول الله ﷺ الذى فضّل أنواع وميادين الولايات: «كلكم راع وكلكم مسئول
عن رعيته ، فالأمير الذى على الناس راع عليهم وهو مسئول عنهم ،

والرجل راع على أهل بيته وهو مسئول عنهم ، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده وهى مسئولة عنهم ، ألا فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته» .
رواه البخارى ومسلم والإمام أحمد ..

لكن قطاعا من الفقهاء قد وقف بالولايات المباحة والمفتوحة ميادينها أمام المرأة عند "الولايات الخاصة" ، واختاروا حجب المرأة عن "الولايات العامة" ، التى تلى فيها أمر غيرها من الناس ، خارج الأسرة وشئونها ..

ويعتقد بعض العلماء منهم الإمام ابن حزم أنه يُسَمَح لها بالولاية العامة وهذا يستمد من وقائع تطبيقات وممارسات مجتمع النبوة والخلافة الراشدة لمشاركات النساء فى العمل العام بدءاً من الشورى فى الأمور العامة .. والمشاركة فى تأسيس الدولة الإسلامية الأولى . وحتى ولاية الحسبة والأسواق والتجارات ، التى ولّاها عمر بن الخطاب رضى الله عنه " للشفاء بنت عبد الله ابن عبد شمس [٢٠ هجرية / ٦٤١م] .. وانتهاء بالقتال فى ميادين الوغى .. كذلك وأيضاً الآيات القرآنية الدالة على أن الموالاة والتناصر بين الرجال والنساء فى سائر ميادين العمل العام وهى التى تناولها القرآن الكريم تحت فريضة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ . التوبة : ٧١ .

أما الإضافة التى نقدمه فى هذا القسم من هذه الدراسة قسم إزالة الشبهات فهى خاصة بمناقشة الفهم المغلوط لحديث النبوى الشريف : [ما أفلح قوم يلى أمرهم امرأة] .. إذ هو الحديث الذى يستظل بظله كل الذين يحرمون مشاركة المرأة فى الولايات العامة ونعمل العام ..

ولقد وردت لهذا الحديث روايات متعددة ، منها : «لن يفلح قوم تملكهم امرأة» .. «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» .. «ولن يفلح قوم أسندوا أمرهم إلى امرأة» رواها البخارى والترمذى والنسائى والإمام أحمد ..

وإذا كانت صحة الحديث من حيث "الرواية" هي حقيقة لا شبهة فيها . . فإن إغفال مناسبة ورود هذا الحديث يجعل "الدراية" بمعناه الحقيقي مخالفة للاستدلال به على تحريم ولاية المرأة للعمل العام . .

ذلك أن ملابسات قول الرسول ﷺ ، لهذا الحديث تقول: إن نفرًا قد قدموا من بلاد فارس إلى المدينة المنورة ، فسألهم رسول الله ﷺ:

- "من يلي أمر فارس" ؟

- " قال [أحدهم]: امرأة .

- فقال ﷺ «ما أفلح قوم ولوا أمرهم امرأة» .

فملابسات ورود الحديث تجعله نبوءة سياسية بزوال ملك فارس وهي نبوءة نبوية قد تحققت بعد ذلك بسنوات- أكثر منه تشريعًا عاما يحرم ولاية المرأة للعمل السياسي العام . .

ثم إن هذه الملابسات تجعل معنى هذا الحديث خاصًا "بالولاية العامة" أى رئاسة الدولة وقيادة الأمة . . فالمقام كان مقام الحديث عن امرأة تولت عرش الكسروية الفارسية ، التى كانت تمثل إحدى القوتين العظمتين فى النظام العالمى لذلك التاريخ . . فقد اشترط جمهور الفقهاء "الذكورة" فيمن يلي "الإمامة العظمى" والخلافة العامة لدار الإسلام وأمة الإسلام . . إلا أن الإمام ابن حزم قال بجواز أن تتولى المرأة الحكم ، وهذا هو أيضًا رأى الإمام أبى حنيفة صاحب المذهب الفقهى المشهور ، كما أجاز الإمام ابن جرير الطبرى أن تتولى المرأة القضاء فى كل شئ يجوز للرجل أن يقضى فيه دون استثناء . فقد روى أن الخليفة الثانى عمر بن الخطاب قد ولى الشفاء بنت عبد الله المخزومية قضاء الحسبة على سوق المدينة ، وهى وظيفة دينية مدنية تتطلب الخبرة والصرامة .

أما ماعدا هذا المنصب بما فى ذلك ولايات الأقاليم والأقطار والدول القومية ولقطرية والوطنية فإنها لا تدخل فى ولاية الإمامة العظمى لدار الإسلام وأمتة . . لأنها ولايات خاصة وجزئية ، يفرض واجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر المشاركة فى حمى أماناتها على الرجال والنساء دون تفريق . .

فالشبهة إنما جاءت من خط مثل هذه الولايات الجزئية والخاصة بالإمامة العظمى والولاية العامة لدار الإسلام وأمتة وهى الولاية التى اشترط جمهور الفقهاء 'الذكورة' فىمن يليها' . . ولا حديث للفقهاء المعاصرين عن ولاية المرأة لهذه الإمامة العظمى ، لأن هذه الولاية قد غابت عن متناول الرجال ، فصلاً عن النساء ، منذ سقوط الخلافة العثمانية [١٣٤٢ هجرية ١٩٢٤م] وحتى الآن! .

وأمر آخر لابد من الإشارة إليه ، ونحن نزيل هذه الشبهة عن ولاية المرأة للعمل العام ، وهو تغير مفهوم الولاية العامة فى عصرنا الحديث ، وذلك بانتقاله من : "سلطان الفرد" إلى "سلطان المؤسسة" ، والتى يشترك فيها جمع من ذوى السلطان والاختصاص . .

لقد تحوّل "القضاء" من قضاء القاضى الفرد إلى قضاء مؤسسى ، يشترك فى الحكم فيه عدد من لقضاء . . فإذا شاركت المرأة فى "هيئة المحكمة" فليس بوارد الحديث عن ولاية المرأة للقضاء ، بالمعنى الذى كان وارداً فى فقه القدماء ، لأن الولاية هنا لأن لمؤسسة وجمع ، وليست لفرد من الأفراد ، رجلاً كان أو امرأة . . بل لقد أصبحت مؤسسة التشريع والتقنين مشاركة فى ولاية القضاء ، بتشريعها القوانين التى ينفذها القضاء . . فلم يعد قاصى اليوم ذلك الذى يجتهد فى استنباط الحكم واستخلاص القانون ، وإنما أصبح "المنفذ" للقانون الذى صاغته وقتنته مؤسسة ، تمثل الاجتهاد الجماعى والمؤسسى لا الفردى فى عياغة القانون . .

وكذلك الحال مع تحول التشريع والتقنين من اجتهاد الفرد إلى اجتهاد مؤسسات الصياغة والتشريع والتقنين . . فإذا شاركت المرأة فى هذه

المؤسسات ، فليس بوارد الحديث عن ولاية المرأة لسلطة التشريع بالمعنى التاريخي والقديم لولاية التشريع ..

وتحولت سلطات صنع "القرارات التنفيذية" فى النظم الشورية والديمقراطية عن سلطة الفرد إلى سلطان المؤسسات المشاركة فى الإعداد لصناعة القرار .. فإذا شاركت المرأة فى هذه المؤسسات ، فليس بوارد الحديث عن ولاية المرأة لهذه السلطات والولايات ، بالمعنى الذى كان فى ذهن الفقهاء الذين عرضوا لهذه القضية فى ظل "فردية" الولايات، وقبل تعقد النظم الحديثة والمعاصرة ، وتميزها بالمؤسسية والمؤسسات ..

لقد تحدث القرآن الكريم عن ملكة سبأ - وهى امرأة - فأثنى عليها وعلى ولايتها للولاية العامة ، لأنها كانت تحكم بالمؤسسة الشورية لا بالولاية الفردية ﴿قَالَتْ يَتَىٰئَنَّا أَلْمَلُؤُا أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ . النمل : ٣٢ .

وذم القرآن الكريم فرعون مصر - وهو رجل لأنه قد انفرد بسلطان الولاية العامة وسلطة صنع القرار ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ . غافر : ٢٩ . فلم تكن العبرة بالذكورة أو الأنوثة فى الولاية العامة وإنما كانت العبرة بكون هذه الولاية "مؤسسة شورية" أم "سلطانا فرديا مطلقا" ؟

أما ولاية المرأة للقضاء .. والتي يثيرها البعض كشبهة على اكتمال أهلية المرأة فى الرؤية الإسلامية .. فإن إزالة هذه الشبهة يمكن أن تتحقق بالتنبيه على عدد من النقاط :

أولها : أن ما لدينا فى تراثنا حول قضية ولاية المرأة لمنصب القضاء هو "فكر إسلامي" و "اجتهادات فقهية" أثمرت "أحكاما فقهية" .. وليس "دينا" وضعه الله سبحانه وتعالى وأوحى به إلى رسوله ﷺ ، فالقرآن الكريم لم يعرض لهذه القضية ، كما لم تعرض لها السنة النبوية ، لأن القضية لم تكن

مطروحة على الحياة الاجتماعية والواقع العملى لمجتمع صدر الإسلام، فليس لدينا فيها نصوص دينية أصلاً، ومن ثم فإنها من مواطن ومسائل الاجتهاد ..

ثم إن هذه القضية هي من "مسائل المعاملات" وليست من "شعائر العبادات" .. وإذا كانت "العبادات توقيفية" تلتزم من النص وتقف عند الوارد فيه، فإن "المعاملات" تحكمها المقاصد الشرعية وتحقيق المصالح الشرعية المعبرة .. والموازنة بين المصالح والمفاسد فيها .. ويكفى فى "المعاملات" أن لا تخالف ما ورد فى النص، لا أن يكون قد ورد فيها نص ..

ومعلوم أن "الأحكام لفقهية" التى هى اجتهادات الفقهاء، مثلها كمثلى الفتاوى، تتغير بتغير الزمان والمكان والمصالح الشرعية المعبرة .. فتولى المرأة للقضاء قضية فقهية، لم ولن يُغلق فيها باب الاجتهاد الفقهي الإسلامى ..

وثانيها: أن اجتهادات الفقهاء القدماء حول تولى المرأة لمنصب القضاء هى اجتهادات متعددة ومختلفة باختلاف وتعدد مذاهبهم واجتهاداتهم فى هذه المسألة، ولقد امتد زمن اختلافهم فيها جيلاً بعد جيل .. ومن ثم فليس هناك "إجماع فقهي" فى هذه المسألة حتى يكون هناك إلزام للخلف بإجماع السلف، وذلك فضلاً عن أن إلزام الخلف بإجماع السلف هو أمر ليس محل إجماع .. ناهيك عن أن قضية إمكانية تحقق الإجماع أى اجتماع سائر فقهاء عصر ما على مسألة من مسائل فقه الفروع كهذه لمسألة هو مما لا يتصور حدوثه حتى لقد أنكر كثير من الفقهاء إمكانية حدوث الإجماع فى مثل هذه الفروع أصلاً .. ومن هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل [١٦٤-٢٤١ هجرية ٧٨٠-٨٥٥ م] لذى قال: "من ادعى الإجماع فقد كذب!" ..

فباب الاجتهاد الجديد والمعاصر والمستقبلى فى هذه المسألة وغيرها من فقه الفروع مفتوح .. لأنها ليست من المعلوم من الدين بالضرورة أى المسائل التى لم ولن تختلف فيها مذاهب الأمة ولا الفطر السليمة لعلماء وعقلاء الإسلام

وثالثها: أن جريان "العادة" في الأعصر الإسلامية السابقة ، على عدم ولاية المرأة لمنصب القضاء لا يعنى "تحريم" الدين لولايتها هذا المنصب ، فدعوة المرأة للقتال ، وانخراطها في معاركه هو مما لم تجر به "العادة" في الأعصر الإسلامية السابقة ، ولم يعن ذلك "تحريم" اشتراك المرأة في الحرب والجهاد القتالى عند الحاجة والاستطاعة وتعيّن فريضة الجهاد القتالى على كل مسلم ومسلمة . . فهي قد مارست هذا القتال وشاركت في معاركه على عصر النبوة والخلافة الراشدة . . من غزوة أحد [٣ هجرية ٦٢٥م] إلى موقعة اليمامة [١٢ هجرية ٦٣٣ م] ضد ردة مسيلمة الكذاب [١٢ هجرية ٦٣٣ م] . . وفي "العادة" مرتبطة "بالحاجات" المتغيرة بتغير المصالح والظروف والملابسات ، وليست هي مصدر الحلال والحرام . .

رابعها: أن علة اختلاف الفقهاء حول جواز تولي المرأة لمنصب القضاء ، فى غيبة النصوص الدينية - القرآنية والنبوية - التى تتناول هذه القضية ، كانت اختلاف هؤلاء الفقهاء فى الحكم الذى "قاسوا" عليه توليها للقضاء . فالذين "قاسوا" القضاء على : "الإمامة العظمى" التى هى الخلافة العامة على أمة الإسلام ودار الإسلام مثل فقهاء المذهب الشافعى قد منعوا توليها للقضاء ، لاتفاق جمهور الفقهاء باستثناء بعض الخوارج على جعل "الذكورة" شرطاً من شروط الخليفة والإمام ، فاشتروا هذا الشرط "الذكورة" - فى القاضى ، قياساً على الخلافة والإمامة العظمى .

ويظل هذا "القياس" قياساً على "حكم فقهى" - ليس عليه إجماع وليس "قياساً" على نص قطعى الدلالة والثبوت . .

والذين أجازوا توليها القضاء ، فيما عدا قضاء "القصاص والحدود" مثل أبى حنيفة " [٨٠-١٥٠ هجرية / ٦٩٩-٧٦٧ م] وفقهاء مذهبه قالوا بذلك "لقياسهم" القضاء على "الشهادة" ، فأجازوا قضاءها فيما أجازوا شهادتها فيه ، أى فيما عدا "القصاص والحدود"

فالقياص هنا أيضًا على 'حكم فقهي' وليس على نص قطعي الدلالة والنبوت . . وهذا الحكم الفقهي المقيس عليه، وهو شهادة المرأة في القصاص والحدود . . أى فى الدماء ليس موضع إجماع . . فلقد سبق وذكرنا فى رد شبهة أن شهادة المرأة هى على 'الصف من شهادة الرجل إجازة بعض الفقهاء لشهادتها فى الدماء ، وخاصة إذا كانت شهادتها فيها هى مصدر البينة الحافظة لحدود الله وحقوق الأولياء .

أما الفقهاء الذين أجازوا قضاء المرأة فى كل القضايا مثل الإمام محمد بن جرير الطبرى [٢٢٤-٣١٠ هجرية / ٨٣٩-٩٢٣ م] فقد حكموا بذلك "لتياسهم" القضاء على "الفتيا" . . فلمسلمون قد أجمعوا على جواز تولي المرأة منصب الإفتاء الدينى "فى التبليغ عن رسول الله ﷺ وهو من أخطر المناصب الدينية وفى توليها للإفتاء سنة عملية مارستها نساء كثيرات على عهد النبوة من أمهات المؤمنين وغيرهن فقايس هؤلاء الفقهاء قضاء المرأة على فتياها ، وحكموا بجواز توليها كل أنواع القضاء . لممارستها الإفتاء فى مختلف الأحكام .

وهم قد عللوا ذلك بتقريرهم أن الجوهرى والثابت فى شروط انقاضى إنما يحكمه ويحدده الهدف والقصد من القضاء ، وهو : ضمان وقوع الحكم بالعدل بين المتقاضين . . وبعبارة أبى الوليد بن رشد 'الحفيد' [٥٢٠-٥٩٥ هجرية / ١١٢٦-١١٩٨ م] : فإن "من رأى حكم المرأة نافذا فى كل شئ قال : إن لأصل هو أن كل من يأتى منه الفصل بين الناس فحكمه جائز ، إلا ما خصصه الإجماع من الإمامة الكبرى " . (بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج ٢ ص ٤٩٤ . طبعة القاهرة سنة ١٩٧٤م) ؛ و(الماوردي ، أدب القاضى ، ج ١ ص ٦٢٥-٦٢٨ طبعة بغداد سنة ١٩٧١م) ؛ و(الأحكام السلطانية ص ٦٥ طبعة القاهرة سنة ١٩٧٣ م .)

وخامسها : أن "الذكورة" لم تكن الشرط الوحيد الذى اختلف حوله الفقهاء من بين شروط من يتولى القضاء . . فهم مثلاً اختلفوا فى شرط

"الاجتهاد" فأوجب الشافعى (١٥٠-٢٠٤ هجرية / ٧٦٧-٨٢٠م) وبعض المالكية أن يكون القاضى مجتهداً . . على حين أسقط أبو حنيفة هذا الشرط ، بل وأجاز قضاء "العامى" أى الأمى فى القراءة والكتابة وهو غير الجاهل ووافقه بعض الفقهاء المالكية قياساً على أمية النبى ﷺ . (بداية المجتهد ونهاية المقتصد ، ج ٢ ص ٤٩٣، ٤٩٤ .)

واختلفوا كذلك فى شرط كون القاضى "عاملاً" وليس مجرد "عالم" بأصول الشرع الأربعة: الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس . . فاشتراطه الشافعى، وتجاوز عنه غيره من الفقهاء (أدب القاضى ، ج ١ ص ٦٤٣)

كما اشترط أبو حنيفة ، دون سواه أن يكون القاضى عربياً من قريش . (محمد محمد سعيد ، كتاب دليل السالك لمذهب الإمام مالك ص ١٩٠ طبعة القاهرة سنة ١٩٢٣ م .)

فشرط " الذكورة " فى القاضى ، هو واحد من الشروط التى اختلف فيها الفقهاء ، حيث اشترطه البعض فى بعض القضايا دون البعض الآخر ، وليس فيه إجماع . . كما أنه ليس فيه نصوص دينية تمنع أو تقيد اجتهادات المجتهدين . .

وسادسها: أن منصب القضاء وولايته قد أصابها هى الأخرى ما أصاب الولايات السياسية والتشريعية والتنفيذية من تطور انتقل بها من "الولاية الفردية" إلى ولاية "المؤسسة" فلم تعد "ولاية رجل" أو "ولاية امرأة" ، وإنما أصبح "الرجل" جزءاً من المؤسسة والمجموع ، وأصبحت "المرأة" جزءاً من المؤسسة والمجموع . . ومن ثم أصبحت القضية فى "كيف جديد" يحتاج إلى "تكييف جديد" يقدمه الاجتهاد الجديد لهذا الطور المؤسسى الجديد الذى انتقلت إليه كل هذه الولايات . . ومنها ولاية المرأة للقضاء .

الفصل الثالث والأربعين بعد المائة

المسيحية والعبيد:

الرق نظام قديم قدم المظالم والاستعباد والطبقية والاستغلال فى تاريخ الإنسان . وفى الحضارات القديمة كان الرق عماد نظام الإنتاج والاستغلال ، وفى بعض تلك الحضارات كالتروغونية المصرية والكسروية الفارسية كان النظام الطبقي المغلق يحول دون تحرير لأرقاء ، مهما توفرت لأى منهم الرغبة أو الإمكانيات . . وفى بعض تلك الحضارات كالحضارة الرومانية كان السادة هم الأقلية الرومانية ، وكانت الأغلبية فى الامبراطورية برابرة أرقاء ، أو فى حكم الأرقاء . . وللاأرقاء فى تلك الحضارات ثورات من أشهرها ثورة "اسبارتاكوس" [٧٣-٧١ ق م] .

كان الرقيق فى عرف الرومان تُصدرى (مُبتَئِنًا) لا بشرًا . شيئًا لا حقوق له البتة ، وإن كان عليه كل ثقل من لواجبات فكانوا يعملون فى الحقول وهم مصفدون فى الأغلال الثقيلة، التى تكفى لمنعهم من الفرار . ولم يكونوا يُطعمون الا القليل الذى يبقى على وجودهم ليعملوا، وكانوا أثناء العمل يُساقون بالسوط ، لغير شئ إلا اللذة المفاجئة التى يحسها السيد أو وكيله فى تعذيب هذه المخلوقات . وفى الليل ينامون فى (زنزانات) مظلمة كريهة الرائحة ، تعيش فيها الحشرات والفئران ، فيلقون فيها بأعداد كبيرة ، فلا يتاح لهم حتى الفراغ الذى يتاح بين بقرة وبقرة فى حظيرة الحيوانات .

وكانت حلقات المبارزة مع الحيوانات المفترسة من الأشياء التى يُضرب لها فؤاد السيد ، وكان من أحب المهرجانات إليهم أن يشاهدوا الرقيق وهم يتبارزون مبارزة حقيقية ، توجه فيها طعنات السيوف والرماح إلى أى مكان فى الجسم بلا تحرز ولا احتياط من القتل . بل كان المرح يصل إلى أقصاه ، وترتفع الحناجر بالهتاف ، الأتف بالتصفيق، وتنطلق الضحكات السعيدة العميقة الخالصة حين يقضى أحد المتبارزين على زميله قضاءً كاملاً ، فيلقى

طريقًا على الأرض ، فاقد الحياة .

ذلك كان الرقيق فى العالم الرومانى ، ولا نحتاج أن نقول شيئًا عن الوضع القانونى للرقيق عندئذ ، وعن حق السيد المطلق فى قتله وتعذيبه ، و استغلاله دون أن يكون له حق الشكوى ، ودون أن تكون هناك جهة تنظر فى هذه لشكوى أو تعترف بها .

ولم تكن معاملة الرقيق فى فارس والهند وغيرها تختلف كثيرًا عما ذكرناه من حيث إهدار إنسانية الرقيق إهدارًا كاملاً ، وتحمله بأثقال الواجبات دون إعطائه حقًا مقابلها ، وإن كانت تختلف فيما بينها قليلًا أو كثيرًا فى مدى قسوتها وبشاعتها .

وكانت للمظالم الاجتماعية والتمييز العرقى والطبقى منابع وروافد عديدة تغذى "نهر الرق" فى كل يوم بالمزيد من الأرقاء .. وذلك من مثل :

١- الحرب ، بصرف النظر عن حفظها من الشرعية والمشروعية ، فالأسرى يتحولون إلى أرقاء ، والنساء يتحولن إلى سبايا وإماء ..

٢- والخطف ، يتحول به المخطوفون إلى رقيق ..

٣- وارتكاب الجرائم الخطيرة كالقتل والسرقة والزنا كان يحكم على مرتكبيها بالاسترقاق ..

٤- والعجز عن سداد الديون ، كان يحوّل الفقراء المدينين إلى أرقاء لدى الأغنياء الدائنين ..

٥- وسلطان الوالد على أولاده ، كان يبيح له أن يبيع هؤلاء الأولاد ، فينتقلون من الحرية إلى العبودية .

٦- وسلطان الإنسان على نفسه ، كان يبيح له بيع حريته ، فيتحول إلى رقيق ..

٧- وكذلك النسل المولود من كل هؤلاء الأرقاء يصبح رقيقًا ، حتى ولو كان أباه حرا ..

فقد وردَ في العهد القديم في أخلاق الحرب عند اليهود شرعية استرقاق الناس: رجالاً ونساءً وأطفالاً ، ولا نجد فيها محاولة لتجفيف هذا النهر المتدفق من استرقاء الناس: (١٠) «حِينَ تَقْرُبُ مِنْ مَدِينَةٍ لِتُحَارِبَهَا اسْتَدْعِهَا لِلصُّلْحِ ١١ فَإِنْ أَجَابَتْكَ إِلَى الصُّلْحِ وَفَتَحَتْ لَكَ فَكُلُّ الشَّعْبِ الْمَوْجُودِ فِيهَا يَكُونُ لَكَ لِلتَّخِيرِ وَيُسْتَعْبَدُ لَكَ . ١٢ وَإِنْ لَمْ تُسَالِمَكَ بَلْ عَمِلْتَ مَعَكَ حَرْبًا فَحَاصِرُهَا . ١٣ وَإِذَا دَفَعَهَا الرَّبُّ إِلَيْكَ إِلَى يَدِكَ فَاصْرِبْ جَمِيعَ ذُكُورِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ . ١٤ وَأَمَّا النِّسَاءُ وَالْأَطْفَالُ وَالْبَهَائِمُ وَكُلُّ مَا فِي الْمَدِينَةِ كُلُّ غَنِيمَتِهَا فَتَغْنِمُهَا لِنَفْسِكَ وَتَأْكُلُ غَنِيمَةَ أَعْدَائِكَ الَّتِي أَعْطَاكَ الرَّبُّ إِلَيْكَ . ١٥ هَكَذَا تَفْعَلُ بِجَمِيعِ الْمُدُنِ الْبَعِيدَةِ مِنْكَ جِدًّا الَّتِي لَيْسَتْ مِنْ مُدُنِ هَؤُلَاءِ الْأُمَمِ هُنَا . ١٦ وَأَمَّا مُدُنُ هَؤُلَاءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلَيْكَ نَصِيبًا فَلَا تُسَبِّقُ مِنْهَا نَسَمَةً مَا ١٧ بَلْ تُحَرِّمُهَا تَحْرِيمًا: الْحَيَّيْنَ وَالْمُورِبِينَ وَالْكَنْعَانِيِّينَ وَالْفِرْزِيِّينَ وَالْحَوِثِيِّينَ وَالْيُوسِيِّينَ كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلَيْكَ ١٨ الْيَحْيَى لَا يُعْلَمُوكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا حَسَبَ جَمِيعِ أَرْجَاسِهِمُ الَّتِي عَمِلُوا لِأَلِهَتِهِمْ فَتُخْطِئُوا إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكُمْ .) تشية ٢٠ : ١٠ - ١٨

(١٠) فَلَمْ يَظْهَرُوا الْكَنْعَانِيِّينَ اسَّاكِينِ فِي جَارَزَ . فَسَكَنَ الْكَنْعَانِيُّونَ فِي وَسْطِ أَفْرَايِمَ إِلَى هَذَا الْيَوْمِ ، وَكَانُوا عِبِيدًا تَحْتَ الْجَزْيَةِ .) يشوع ١٦ : ١٠

(٩) هَتَّذَا أُرْسِلُ فَأَخْذُ كُلَّ عَشَائِرِ الشَّمَالِ يَقُولُ الرَّبُّ وَإِلَى نَبُوخَذَنْصَرِ عَبْدِي مَلِكِ بَابِلَ وَآتِي بِهِمْ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ وَعَلَى كُلِّ سُكَّانِهَا وَعَلَى كُلِّ هَذِهِ الشُّعُوبِ حَوَالِيهَا فَأَحْرِمُهُمْ وَأَجْعَلُهُمْ دَهْشًا وَصَفِيرًا وَخَرَبًا أَبَدِيَّةً . ١٠ وَأَيِّدُ مِنْهُمْ صَوْتَ الظَّرَبِ وَصَوْتَ الْفَرْحِ صَوْتَ الْعَرِيسِ وَصَوْتَ الْعُرُوسِ صَوْتَ الْأَرْحِيَةِ وَنُورَ السَّرَاجِ . ١١ وَتَصْبِرُ كُلُّ هَذِهِ الْأَرْضِ خَرَابًا وَدَهْشًا وَتَخْدُمُ هَذِهِ الشُّعُوبُ مَلِكَ بَابِلَ سَبْعِينَ سَنَةً . ١٢ [وَيَكُونُ عِنْدَ تَمَامِ السَّبْعِينَ سَنَةً أَنِّي أُعَاقِبُ مَلِكَ بَابِلَ وَتِلْكَ الْأُمَّةَ يَقُولُ الرَّبُّ عَلَى إِيْمِهِمْ وَأَرْضَ الْكِلْدَانِيِّينَ وَأَجْعَلُهَا خَرَبًا أَبَدِيَّةً .) إرمياء ٢٥ : ٩ - ١٢

ووافقتهم رسائل بولس وصرس على الإبقاء على هذه العبودية ولم يحاول

تجفيف منابعها على الأقل ، فيها هو بولس يأمر العبيد بطاعة أسيادهم كطاعة المسيح (الله فى زعمهم): (٥) أَيُّهَا الْعَبِيدُ، أَطِيعُوا سَادَتَكُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ بِخَوْفٍ وَرَعْدَةٍ، فِي بَسَاطَةِ قُلُوبِكُمْ كَمَا لِلْمَسِيحِ - ٦ لَا بِخِدْمَةِ الْعَيْنِ كَمَا يُرْضَى النَّاسَ، بَلْ كَعَبِيدِ الْمَسِيحِ، عَامِلِينَ مَشِيئَةَ اللَّهِ مِنَ الْقَلْبِ، ٧ خَادِمِينَ بِنِيَّةٍ صَالِحَةٍ كَمَا لِلرَّبِّ، لَيْسَ لِلنَّاسِ . ٨ عَامِلِينَ أَنْ مَهْمَا عَمِلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَيْرِ فَذَلِكَ يَنَالُهُ مِنَ الرَّبِّ، عَبْدًا كَانَ أَمْ حُرًّا) أفسس ٦ : ٥-٨

وها هو بطرس يأمر الخدم بالخضوع بكل احترام وهيبة لسادتهم ، سواء أكانوا صالحين مترفين مشفقين فى معاملتهم ، أم قاسين فى التعامل معهم: (١٨) أَيُّهَا الْخُدَّامُ، كُونُوا خَاضِعِينَ بِكُلِّ هَيْبَةٍ لِلسَّادَةِ، لَيْسَ لِلصَّالِحِينَ الْمُتَرَفِّقِينَ فَقَطْ، بَلْ لِلْعُنْفَاءِ أَيُّضًا .) بطرس الأولى ٢ : ١٨

ولقد اقترن عصر النهضة الأوروبية بزحفها الاستعماري على العالمين القديم والجديد ، وبعد أن استعبد المستعمرون الأسبان والبرتغاليون والإنجليز والفرنسيون سكان أمريكا الأصليين ، وأهلكوهم فى سخرة البحث عن الذهب وإنشاء المزارع ، مارسوا أكبر أعمال القرصنة والخطف فى التاريخ ، تلك التى راح ضحيتها أكثر من أربعين مليوناً من زنوج إفريقيا ، سلسلوا بالحديد ، وشحنوا فى سفن الحيوانات ، لتقوم على دمائهم وعظامهم المزارع والمصانع والمناجم التى صنعت رفاهية الرجل الأبيض فى أمريكا وأوروبا . . ولا يزال أحفادهم يعانون من التفرقة العنصرية فى الغرب حتى الآن .

وبالنسبة للمرأة كان من حق سيدها أن يعاشرها معاشرة الأزواج لزوجاتهم ، أو يدفع بها إلى أحد أصدقائه ، أو يتقاضى أجراً على هذا . وتكون هى ومن تنجبهم ملكاً لسيدها .

الفصل الرابع والأربعين بعد المائة

الإسلام وتحرير العبيد:

ومع كثرة واتساع هذه الروافد التي تمتد نهر الرقيق في كل وقت بالمزيد والمزيد من الأرقاء ، كانت أيراب العتق والحرية إما موصدة تماما ، أو ضيقة عسيرة على التلوج منها ..

وأمام هذا الواقع ، اتخذ الإسلام ، إبان ظهوره ، طريق الإصلاح الذي يهدف إلى تحرير الأرقاء ، ولغاء نظام العبودية ، وطى صفحته من الوجود ، لكن في "واقعية ثورية" إذا جزالتعبير .. فهو لم يتجاهل الواقع ولم يقفز عليه .. وأيضا لم يعترف به على النحو الذي يبقيه ويكرسه ..

لقد بدأ الإسلام فأغلق وألغى وحرّم أغلب الروافد التي كانت تمتد نهر الرقيق بالمزيد من الأرقاء . لم يبق منها إلا أسرى الحرب المشروعة والشرعية ، والنسل إذا كان أجاء من الأرقاء ..

وحتى أسرى الحرب المشروعة فتح الإسلام أمامهم باب العتق والحرية باليمن أو الفداء: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ الرِّقَابِ إِذَا أَخَذْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا أَلْوَاكَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَصْعَ أَرْزَاقُهَا﴾ محمد: ٤ . فعندما تضع الحرب أوزارها ، يتم تحرير الأسرى ، إم باليمن عليهم الحرية وإما بمبادلتهم بالأسرى المسلمين لدى الأعداء ..

ومع إغلاق روافد الاستِفاق ومصادره التفت الإسلام إلى واقع الأرقاء ، فسعى إلى تصفيتها بالتحرير . وذلك عندما عدد ووسع مصاب نهر الرقيق .. ولقد سلك الإسلام إلى ذلك الحقص سبيل منظومة القيم الإسلامية . وسبيل العدانة الاجتماعية الإسلامية فحجب إلى المسمين عتق الأرقاء تطوعا . إذ في عتق كل عضو من أعضاء الرقيق عتق عضو من أعضاء سيده من النار ، فتحرير الرقيق سبيل لتحرير الإنسان عن عذاب النار يوم القيامة .. كما جعل الإسلام

عتق الأرقاء كفارة للكثير من الذنوب والخطايا . . وجعل للدولة والنظام العام مدخلاً في تحرير الأرقاء عندما جعل هذا التحرير مصرفاً من المصارف الثمانية لفريضة الزكاة فهو جزء من أحد أركان الإسلام ﴿ إِنَّمَا أَصَدَقْتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٦٠ .

كما جعل الحرية هي الأصل الذي يولد عليه الناس ، والرق هو الاستثناء الطارئ الذي يحتاج إلى إثبات ، فمجهولوا الحكم هم أحرار ، وعلى مدعى رقهم إقامة البينات ، وأولاد الأمة من الأب الحر هم أحرار و " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟! "

وبعد أن كان الرق من أكبر مصادر الاستغلال والثراء لملاك العبيد ، حوّلته الإسلام بمنظومة القيم التي كادت أن تسوى بين العبد وسيدّه إلى ما يشبه العبد المالى على ملاك الرقيق . . فمطلوب من مالك الرقيق أن يطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس ولا يكلفه من العمل ما لا يطيق . . بل ومطلوب منه أيضاً إلغاء كلمة " العبد والأمة " واستبدالها بكلمة " الفتى والفتاة " .

فقد جاء الإسلام ليرد لهؤلاء البشر إنسانيتهم ، فيقول نبي الرحمة ومحرر العبيد محمد ﷺ : « مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُّسْلِمَةً ، أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ مِنَ النَّارِ حَتَّىٰ فَرَجَهُ بِفَرَجِهِ » رواه البخارى ومسلم

ولم يكتف الإسلام بالحث على العتق وتحرير الأرقاء ، بل دعا إلى الإحسان إلى المملوك والخادم: ﴿ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ النساء ٣٦

بل قرر أن العلاقة بين السادة والرقيق ليست علاقة الاستعلاء والاستعباد ،

أو التسخير أو التحقير ، وإنم هي علاقة القربى والأخوة . فالسادة أهل الجارية يُستأذنون في زواجها : ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَفُوحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ﴾ النساء ٢٥

بل رفعهم إلى مرتبة الأخيرة لأسيادهم : فعن المعرور بن سُوَيْد قال : رأيتُ أبا ذرٍّ . رضى الله عنه . وعله خُلَّةٌ ، وعلى غلامه مثلُها ، فسألته عن ذلك ، فذكر أنه ساءَ رجلاً على عهد رسول الله ﷺ ، فغيره بأمه ، فقال النبي ﷺ : «إنك امرؤٌ فيك جاهلية هم إخوانكم ، وخولُكم» [أى خدمكم وحشمكم] ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، ويلبسه مما يلبس ، ولا تكتفوهما ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم» رواه البخارى ومسلم

وزيادة فى رعاية مشاعر الرقيق يقول الرسول ﷺ : «لا يقل أحدكم : هذا عبدى وهذه أمتى ، وليقل فتاى وفتاتى» رواه أبو هريرة . ويستند أبو هريرة على ذلك فيقول لرجل رتب وخلفه عبده يجرى : «احمله خلفك ، فإنه أخوك ، وروحه مثل روحك» .

وقال النبي ﷺ : «إذا أوى أحدكم خادمه بطعامه ، فإن لم يجلسه معه ، فليناول له لقمة أو لقمتين ، أو أكلةً أو أكلتين ، فإنه وليّ علاجه» [أى قام بعمله] رواه البخارى .

وقال ﷺ : «إنَّ العبدَ إذا نصَحَ لسيِّده ، وأحسن عبادة الله ، فله أجره مرتين» .

وقال ﷺ : «ثلاثة لهم أجران : رجل من أهل الكتاب آمن بنبية وآمن بمحمد ، والعبد المملوك إذا أدى حقَّ الله وحقَّ مواليه ، ورجل كانت له

أمة فأدبها ، فأحسن تأديبها ، وعلمها ، فأحسن تعليمها ، ثم أعتقها ، فتزوجها ، فله أجران» رواه البخارى ومسلم .

فلم يعد الرقيق (شيئًا) ، وإنما صار بشرًا له روح كروح السادة . وقد كانت الأمم الأخرى تعتبر الرقيق جنسًا غير جنس السادة ، خُلِقَ لِيُسْتَعْبَدَ وَيُسْتَذَلَّ ، ومن هنا لم تكن ضمائرهم تتأثم من قتله وتعذيبه وكيه بالنار ، وتسخيره فى الأعمال القذرة والأعمال الشاقة . ومن هنالك رفعه الإسلام إلى مستوى الأخوة الكريمة ، لا فى عالم المثل والأحلام ، بل فى عالم الواقع . ويشهد التاريخ . الذى لم ينكره أحد ، حتى المتعصبون من كتّاب أوروبا . بأن معاملة الرقيق فى صدر الإسلام بلغت حدًا من الإنسانية الرفيعة لم تبلغه فى أى مكان آخر . حدًا جعل الرقيق المحرّرين يأبون مغادرة سادتهم السابقين . مع أنهم يملكون ذلك بعد أن تحرروا اقتصاديًا ، وتعودوا على تحمل تبعات أنفسهم . لأنهم يعتبرونهم أهلاً لهم ، يربطهم بهم ما يشبه روابط الدم!

لقد أصبح الرقيق فى ظل الإسلام كائنًا إنسانيًا له كرامة يحميها القانون ، ولا يجوز الاعتداء عليها بالقول ولا بالفعل .

فأما القول : فقد نهى الرسول ﷺ السادة عن تذكير أرقائهم بأنهم أرقاء . وأمرهم أن يخاطبوهم بما يشعرونهم بمودة الأهل ، وينفى عنهم صفة العبودية ، وقال لهم فى معرض هذا التوجيه : «إن الله ملككم إياهم ولو شاء لملكهم إياكم» . فهى إذن مجرد ملابسات عارضة جعلت هؤلاء رقيقًا ، وكان من الممكن أن يكونوا سادة لمن هم اليوم سادة! وبذلك يغض من كبرياء هؤلاء ، ويردهم إلى الآصرة البشرية التى تربطهم جميعًا ، والمودة التى ينبغى أن تسود علاقات بعضهم ببعض .

وأما الاعتداء الجسدى : فعقوبته الصريحة هى المعاملة بالمثل : «ومن قتل عبده قتلناه» . وهو مبدأ صريح الدلالة على المساواة الإنسانية بين الرقيق

والسادة ، وصريح في بيان الضمانات التي يحيط بها حياة هذه الطائفة من البشر . التي لا يخرجها وضعها العارض عن صفتها البشرية الأصلية . وهي ضمانات كاملة ووافية ، تبلغ حدًا عجيبًا لم يصل إليه قط تشريع آخر من تشريعات الرقيق في التاريخ البشرى كله ، إذ جعل مجرد لطم العبد في غير تأديب مبررًا شرعيًا لتحرير الرقيق . (وللتأديب حدود مرسومة لا يتعداها ولا يتجاوز على أى حال ما يؤدب به السيد أبنائه) .

هكذا كان الإسلام إحياء وتحريرًا للإنسان ، مطلق الإنسان ، يضع عن الناس إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، ويحرر الأرقاء ، لأن الرق في نظره "موت" ، والحرية "حياة وإحياء" . . . ولقد أبصر هذه الحكمة الإسلامية الإمام النسفي [٧١٠ هـ / ٣١٠ م] وهو يعلل جعل الإسلام كفارة القتل الخطأ تحرير رقبة: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ٩٢﴾ النساء: ٩٢ .

فقال: إن القاتل "لما حرج نفسًا مؤمنة من جملة الأحياء لزمه أن يدخل نفسًا مثلها في جملة الأحرار ، لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها ، من قبل أن الرقيق ملحق بالأموال ، إذ 'لرق أثر من آثار الكفر ، والكفر موت حكمًا . . . [تفسير النسفي] طبعة القاهرة ، لأولى .

فالإسلام قد ورث نظام الرق عن المجتمعات الكافرة فهو من آثار الكفر ، ولأنه موت لروح وملكات الأرقاء ، وسعى الإسلام إلى إلغائه ، وتحرير أى إحياء موات هؤلاء الأرقاء ، كجزء من الإحياء الإسلامى العام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ الأنفال: ٢٤

بل لقد مضى الإسلام في هذا السبيل إلى ما هو أبعد من تحرير الرقيق ، فلم يتركهم في متاهة عالم الحرية الجديد دون عصبية وشوكة وانتماء ، وإنما سعى إلى إدماجهم في القبائل والعشائر والعصبيات التي كانوا فيها أرقاء ، فأكسبهم عزتها وشرفها ومكانتها ومنعتها وما لها من إمكانات ، وبذلك أنجز إنجازاً عظيماً وراء وفوق التحرير عندما أقام نسيجاً اجتماعياً جديداً التحم فيه الأرقاء السابقون بالأحرار ، فأصبح لهم نسب قبائلهم عن طريق "الولاء" ، الذي قال عنه الرسول «الولاء لُحْمَةٌ كُلُّحْمَةِ النِّسَبِ» رواه الدارمي .

حتى لقد غدا أرقاء الأمس "سادة" في أقوامهم ، بعد أن كانوا "عبيداً" فيهم . . وقال عمر بن الخطاب وهو من هو في الحسب والنسب عن بلال الحبشي ، الذي اشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه : "سيدنا أعتق سيدنا" ! . . كما تمنى عمر أن يكون سالم مولى أبي حذيفة حياً فيختاره لمنصب الخلافة . . فالمولى ، الذي نشأ رقيقاً ، قد حرره الإسلام ، فكان إماماً في الصلاة وأهلاً بخلافة المسلمين .

ولقد ساعد على هذا الاندماج في النسيج العربي فضلاً عن الإسلامى ذلك المعيار الذي حدده الإسلام للعروبة وهو معيار اللغة وحدها ، فباستبعاد "العرق" والدم" غدت الرابطة اللغوية والثقافية انتماءً واحداً للجميع ، بصرف النظر عن ماضى الاسترقاق وعن هذا المعيار للعروبة تحدث الرسول (في معرض النقد والرفض للذين أرادوا إخراج الموالى ، ذوى الأصول العرقية غير العربية ، من إطار العروبة ، فقال : [أيها الناس ، إن الرب واحد ، والأب واحد . . وليست العربية بأحدكم من أب أو أم ، وإنما هى اللسان ، فمن تكلم العربية فهو عربى . .] . .

ثم ننتقل إلى المرحلة التالية : مرحلة التحرير الواقعى

فبعد أن حرّر الإسلام الرقيق روحياً ، وردّه إلى الإنسانية ، وطالب بمعاملته

معاملة الأهل والولد ، وأشعره أنه إنسان مثل سيده ، وذلك بأنه ساوى بين العبد والحر فى كل الحقوق الدينية ، وفى أغلب الحقوق المدنية ، وكان التمييز فقط ، فى أغلب حالاته بسبب التخفيف عن الأرقاء مراعاة للاستضعاف والقيود التى يفرضها الاسترقاق على الإرادة والتصرف . . فالمساواة تامة فى التكاليف الدينية ، وفى الحساب والجِراء . . وشهادة الرقيق معتبرة فى بعض المذاهب الإسلامية عند الحنابلة وله حق الملكية فى ماله الخاص ، وإعانته على شراء حرته بنظام المكاتب والتدبير مرغوب فيها دينياً ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِى ءَاتَاكُمْ﴾ النور: ٣٣ . والدماء متكافئة فى القصاص . .

لكن لم يكتف الإسلام بذلك ، لأن قاعدته الأساسية هى المساواة الكاملة بين البشر ، وهى التحرير الكامل لكل البشر . ولذلك عمل فعلاً على تحرير الأرقاء بوسيلتين كبيرتين: هما 'عتق والمكاتبه' .

فأما العتق فهو التطوع من جانب السادة بتحرير من فى يدهم من الأرقاء ، وقد شجع الإسلام على ذلك تشجيعاً كبيراً ، وكان الرسول الكريم ﷺ القدوة الأولى فى ذلك ، إذ أعتق من عنده من الأرقاء ، وتلاه فى هذا أصحابه ، وكان أبو بكر ينفق أموالاً طائلة فى شراء العبيد من سادة قريش الكفار ، ليعتقهم ويمنحهم الحرية ، وكان بيت المال يشتري العبيد من أصحابهم ويحررهم ، كلما بقيت لديه فضلة من مال .

قال يحيى بن سعيد: (عثنى عمر بن عبد العزيز على صدقات إفريقية ، فجمعتها ، ثم طلبت فقراء نعطيها لهم ، فلم نجد فقيراً ، ولم نجد من يأخذها منا ، فقد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشتريت بها عبيداً فأعتقتهم) .

وكان النبی ﷺ يعتق من الأرقاء من يعلم عشرة من المسلمين القراءة والكتابة ، أو يؤدي خدمة مماثلة للمسلمين . ونص القرآن على أن كفارة بعض

الذنوب هي عتق الرقاب . كما كان النبي ﷺ يُحث على العتق تكفيراً عن أى ذنب يأتیه الإنسان ، وذلك للعمل على تحرير أكبر عدد ممكن منهم ، فالذنوب لا تنقطع ، وكل ابن آدم خطاء كما يقول الرسول .

ويذكر التاريخ أن عدداً ضخماً من الأرقاء قد حُرّرَ بطريق العتق ، وأن هذا العدد الضخم لا مثيل له في تاريخ الأمم الأخرى ، لا قبل الإسلام ، ولا بعده بقرون عدة حتى مطلع العصر الحديث . كما أن عوامل عتقهم كانت إنسانية بحتة ، تنبع من ضمائر الناس ابتغاء مرضاة الله ، ولا شيء غير مرضاة الله .

أما المكاتبه: فهي منح الحرية للرقيق متى طلبها بنفسه ، مقابل مبلغ من المال يتفق عليه السيد والرقيق . والعتق هنا إجباري ، لا يملك السيد رفضه ولا تأجيله بعد أداء المبلغ المتفق عليه ، وإلا تدخلت الدولة (القاضي أو الحاكم) لتنفيذ العتق بالقوة ، ومنح الحرية لطالبها .

وبتقرير المكاتبه فتح الإسلام باب التحرير لمن أحس في نفسه برغبة التحرر ، ولم ينتظر أن يتطوع سيده بتحريره في فرصة سانحة أو لا تسنح على مر الأيام . فمئذ اللحظة الأولى التي يطلب فيها المكاتبه يصبح عمله عند سيده بأجر ، أو يُتاح له . إذا رغب . أن يعمل في الخارج بأجر ، حتى يجمع المبلغ المتفق عليه .

وإن لم يستطع جمع المبلغ المتفق عليه من كسبه الخاص ، فيجب على الدولة (بيت المال) أن يساعده ، ويدفع عنه: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَدِرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ (التوبة ٦٠)

ولكن قد يتساءل أحدكم: لماذا لم يخطو الإسلام الخطوة الحاسمة في إعلان صراحة كاملة إلغاء الرق من حيث المبدأ؟

وللإجابة على هذا السؤال ينبغي أن ندرك حقائق اجتماعية ونفسية وسياسية

أحاطت بموضوع الرق ، وجعلت الإسلام يضع المبادئ الكفيلة بتحرير الرقيق دون إفساد لشعورهم ، وأحوالهم النفسية التى تجعلهم يأبون التحرر ، ويفضلون العبودية عليه ، كما حدث فى حركة لىكولن .

وعلى ذلك يجب أن نتذكر أن الحرية لا تُمنح وإنما تؤخذ . وتحرير الرقيق بإصدار مرسوم كما يتخيل البعض لم يكن ليحرر الرقيق! والتجربة الأمريكية فى تحرير الرقيق بجرة قلم على يد أبراهام لنكولن خير شاهد لما نقول ، فالعبيد الذين حررهم لنكولن . من الخارج . بالتشريع ، لم يطبقوا الحرية ، وعادوا إلى ساداتهم يرجونهم أن يقبلونهم عبيداً لديهم كما كانوا ، لأنهم . من الداخل . لم يكونوا قد تحرروا بعد .

والمسألة على غرابتها ليست غريبة حين يُنظر إليها على ضوء الحقائق النفسية . فالحياة عادة ، والملابس التى يعيش فيها الإنسان هى التى تكيف مشاعره ، وتصوغ أحاسيسه وأجهزته النفسية . والكيان النفسى للعبد يختلف عن الكيان النفسى للحر ، لا لأنه جنس آخر كما ظن القدماء ، ولكن لأن حياته فى ظل العبودية الدائمة جعلت أجهزته النفسية تتكيف بهذه الملابس ، فتتمو أجهزته الطاعة إلى أقصى حد ، وتضمحل أجهزة المسؤولية واحتمال التبعات إلى أقصى حد .

فتجد العبد يحسن القيام بكثير من الأمور التى يأمره بها سيده ، فلا يكون عليه إلا الطاعة والتنفيذ ، ولا تقع عليه شيئاً من المسؤولية على نفسه أو على ما يقوم به . وهذا التكيف النفسى للعبد هو الذى يستعبده . ولا يذهب به إعلان تصدره الدولة بإلغاء الرق ، بل ينبغي أن يُغيّر من الداخل ، بوضع ملابس جديدة تكيف المشاعر على نحو آخر ، وتنمى الأجهزة الضامرة فى نفس العبد ، وتضع كياناً بشرياً من كيانه لمتوه لممسوخ . وهذا هو ما صنعه الإسلام .

فقد بدأ أولاً بالمعاملة الحسنة للرقيق . ولا شئ كحسن المعاملة يعيد توازن النفس المنحرفة ، ويرد إليها اعتبارها ، فتشعر بكيانها الإنسانى ،

وكرامتها الذاتية ، وحين ذلك تحس طعم الحرية فتذوقه ، ولا تنفر منه ، كما نفر عبيد أمريكا المحررون .

وقد وصل الإسلام فى حسن المعاملة للرقيق ورد الاعتبار الإنسانى لهم إلى درجة عجيبة ، فقد كان الرسول ﷺ يؤاخى بين بعض الموالى وبعض الأحرار من سادة العرب : فأخى بين بلال بن رباح وخالد بن رويحة الخثعمى ، وبين مولاه زيد وعمه حمزة ، وبين خارجة بن زيد وأبى بكر ، وكانت هذه المؤاخاة صلة حقيقية تعدل رابطة الدم ، وتصل إلى حد الاشتراك فى الميراث .

ولم يكتف بهذا الحد . . فقد زوج بنت عمه زينب بنت جحش من مولاه زيد . وكان يهدف الرسول ﷺ من كل ذلك معنى أسمى من الزواج نفسه وهو رفع الرقيق من الوهدة التى دفعته إليها البشرية الظالمة إلى مستوى أعظم سادة العرب من قريش .

ولم يكتف بذلك . . فقد أرسل مولاه زيداً على رأس جيش فيه الأنصار والمهاجرون من سادات العرب ، فلما قُتل ولى ابنه أسامة بن زيد قيادة الجيش ، وفيه أبو بكر وعمر ووزير الرسول وخليفته من بعده ، فلم يعط المولى بذلك مجرد المساواة الإنسانية ، بل أعطاه حق القيادة والرئاسة على "الأحرار" . ووصل فى ذلك إلى أن يقول : «اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد حبشى كأن رأسه زبيبة ، ما أقام فيكم كتاب الله تبارك وتعالى» . فأعطى المولى بذلك الحق فى أرفع مناصب الدولة ، وهو ولاية أمر المسلمين .

ويضرب عمر مثلاً آخر من الأمثلة الرائعة على احترام الموالى ، إذ يعرضه بلال بن رباح فى مسألة الفىء ، فيشتد فى معارضته ، فلا يجد سبيلاً فى رده إلا أن يقول : "اللهم اكفنى بلالاً وأصحابه ! ذلك وهو الخليفة الذى كان يملك . لو أراد . أن يأمر فيطاع !

هذه النماذج التى وضعها الإسلام كان المقصود بها تحرير الرقيق من

الداخل ، لكى يحس بكيانه فيطلب الحرية ، وهذا هو الضمان الحقيقى للتحرير .

وصحيح أنه شجع على العتق وحث عليه بكل الوسائل ، ولكن هذا نفسه كان جزءاً من التربية النفسية للرقائق ، لكى يشعروا أن فى إمكانهم أن يحصلوا على الحرية ويتمتعوا بكل ما يتمتع به السادة من حقوق ، فتزداد رغبتهم فى الحرية ويتقبلوا احتمال التبعات فى سبيلها ، وهنا يسارع فى منحها لهم ، لأنهم حينئذ مستحقون لها ، قادرون على صيانتها .

وفرق كبير بين النظام الذى يشجع الناس على طلب الحرية ويهوى لها الوسائل ، ثم يعطيها لهم فى اللحظة التى يطلبونها بأنفسهم ، وبين النظم التى تدع الأمور تتعد وتخرج ، حتى تقوم الثورات الاقتصادية والاجتماعية وتزهق الأرواح بالمئات والألوف ، ثم لا تعطى الحرية لطلابها إلا مجبرة كارهة .

وقد كان من فضائل الإسلام الكبرى فى مسألة الرقيق ، أنه قد حرص على التحرير الحقيقى له من الداخل والخارج ، فلم يكتف بالنية الطيبة كما فعل لنكولن بإصدار تشريع لا رصيد له فى داخل النفوس ، مما يثبت عمق إدراك الإسلام للطبيعة البشرية، وفطنته إلى خير الوسائل لمعالجتها .

وهذا إلى جانب تصوعه بإعطاء الحقوق لأصحابها ، مع تربيتهم على التمسك بها واحتمال تبعاتها . على أسس الحب والمودة بين جميع طوائف المجتمع . قبل أن يتصارعوا من أجل هذه الحقوق ، كما حدث فى أوروبا ، ذلك الصراع البغيض الذى يجفف المشاعر ويورث الأحقاد ، فيفسد كل ما يمكن أن تصيبه البشرية من الخير فى أثناء الطريق .

أما العامل الأكبر فى عدم تحريم الإسلام الرق تماماً ، هو وجود رق الحرب ، وكان استرقاق أسرى الحرب أو قتلهم من العرف السائد منذ فجر التاريخ . إلا أن الرسول ﷺ قد أطلق بعض أسرى بدر من المشركين مئاً بغير فداء ، وأطلق بعضهم لقاء فدية ، وأخذ من نصارى نجران جزية ورد إليهم

أسراهم ، ليضرب بذلك المثل لما يريد أن تهتدى إليه البشرية في مستقبلها .
ومما هو جدير بالإشارة هما أن الآية الوحيدة التي تعرضت لأسرى الحرب
لم تذكر الرق ولا الإسترقاء ، وإنما ذكرت الفداء وإطلاق السراح دون مقابل ،
حتى لا يكون الإسترقاق تشريعاً دائماً للبشرية ولا ضربة لازب ، إنما هو أمر
يلجأ إليه الجيش الإسلامى المحارب إذا اقتضته الظروف والملابسات : ﴿فَإِمَّا مَنًّا
بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ محمد : ٤ .

يُضاف إلى ذلك أن معظم الأسرى الذين كانوا يقعون فى يد المسلمين هم
من الرقيق الذين استرقهم الفرس والروم ودفعوهم للقتال . فكأن الإسلام يهدف
إلى تحرير الرقيق الأسرى من الأعداء أيضاً من الداخل ، أضف إلى ذلك أن
وجودهم بين المسلمين يجعلهم يتعرفون على الإسلام عن كثب ، ويبصرون صور
العدل الربانى مطبقاً على الأرض قبل أن يمن عليه بالحرية ويطلق سراحه أو يبادل
بأسرى المسلمين أو يكاتبهم إن تافت نفوسهم إلى الحرية وسعوا إليها .

وبذلك تصبح الفترة التى يقضونها فى الأسر وفى الرق فى الحقيقة فترة
علاج نفسى وروحى ، وكذلك دعوة إلى الإسلام ، قوامه إحسان المعاملة لهم ،
وإشعارهم بآدميتهم المهددة ، وتوجيه أرواحهم إلى النور الربانى بغير إكراه . .
ثم فى النهاية يكون التحرير .

أما بالنسبة للنساء فقد كرمهن الإسلام . حتى فى رهن . عما كن يلقين فى
غير بلاد الإسلام ، فلم تعد أعراضهن نهباً مباحاً لكل طالب على طريقة البغاء ،
حيث كان هذا مصير أسيرات الحروب فى أغلب الأحيان ، وإنما جعلهن ملكاً
لصاحبهن وحده ، لا يدخل عليهن أحد غيره ، وجعل لهن نفس حقوق الزوجة
من الإنفاق والملبس والمأكل ، حتى السكن ، فمن حقها عليه أن يأتى لها
بسكن . وجعل من حقهن نيل الحرية بالمكاتبة ، كما كانت تحرر من ولدت
لسيدها ولداً (أو بنتاً) ، ويحرر معها وليدها ، وكن يلقين من حسن المعاملة ما
أوصى به الإسلام .

تلك هى قصة الرق فى الإسلام: صفحة مشرفة فى تاريخ البشرية .

وعندما سعت أوروبا فى القرن التاسع عشر إلى إلغاء نظام الرق ، وتحريم تجارته ، لم تكن دوافعها روحية ولا قيمية ولا إنسانية ، وإنما كانت فى الأساس دوافع مادية ، لأن نظامها الرأسمالى قد رأى فى تحرير الرقيق سبيلاً لجعلهم عمالاً أكثر مهارة ، وأكثر قدرة على النهوض باحتياجات العمل الفنى فى الصناعات التى أقامها النظام الرأسمالى . .

فأوروب لم تلغ الرق متطوعة ، ولكنها ألغته حين ضعف إنتاج الرقيق . نسوء أحوالهم المعيشية وفقدان الرغبة أو القدرة على العمل . بحيث أصبحت تكليف العبد من إعاشة وحراسة أكثر من إنتاجه ! فهى إذن حسة إقتصادية لا غير ، يحسب فيها المكسب والخسارة ، ولا ظل فيها لأى معنى من المعانى الإنسانية التى تشعر بكرامة الجنس البشرى ، فتمنح الرقيق حريته من أجلها ! هذا بالإضافة إلى الثورات المتتالية التى قام بها الرقيق فاستحال معها دوام استرقاقه .

ومع ذلك فإن أوروبا حينئذ لم تمنحه الحرية ، ولكنها حولته من رقيق للسيد إلى رقيق للأرض ، يباع معها ويشتري ، ويخدم فيها ، ولا يجوز له أن يغادرها ، وإلا اعتبر أبقاً وأعيد إليه بقوة القانون مكبلاً بالسلاسل ، مكويًا بالنار . وهذا اللون من الرق هو الذى بقى حتى حرمة الثورة الفرنسية فى القرن التاسع عشر ، أى بعد أن قرر الإسلام مبدأ التحرير بما يزيد على ألف ومائة عام .

وكذلك الوضع بالنسبة للمرأة ، فلم تنغ الدول التى يطلق عليها متحضرة استرقاء النساء ودفعهن للبغاء لأن كرامتها أوجعتها ، أو لأن مستواها الخلقى والنفسى والنروحي قد ارتفع عن الحريمة ، كلا ! ولكن لأن الهاويات قد أغنين عن المحترفات ، ولم تعد الدولة فى حاجة إلى التدخل !

وعلى الرغم من أن الثورة الفرنسية ألغت الرق فى أوروبا ، وألغى لنكون الرق فى أمريكا ، ثم اتفق العالم على إبطال الرق ، إلا أن فرنسا استعمرت

الدول الإسلامية في شمال أفريقيا مصر وتونس والجزائر والمغرب ، أليس هذا احتلال واسترقاء لكن بشكل قد يختلف في المظهر ، إلا أن جوهره واحد؟ فماذا تسمى ما تفعله أمريكا في الزوج وفي الأفغان ومع العراقيين؟ وماذا تسمى ما تفعله روسيا الأرثوذكسية مع أهل الشيشان؟ وما اسم ما فعلته أوروبا في مسلمي البوسنة والهرسك؟ وما اسم ما يفعله اليهود بالمسلمين والنصارى في فلسطين بمساندة دول العالم؟

أليس الرق في حقيقته هو تبعية قوم لقوم آخرين ، وحرمان طائفة من البشر من الحقوق المباحة للآخرين؟

ومع أن مقاصد الإسلام في تصفية نهر الرقيق بإغلاق روافده وتجفيف منابعه ، وتوسيع مصباته لم تبلغ كامل آفاقها ، إذ انتكس "الواقع التاريخي" للحضارة الإسلامية ، بعد عصر الفتوحات ، وسيطرة العسكر المماليك على الدولة الإسلامية . . إلا أن حال الأرقاء في الحضارة الإسلامية قد ظلت أخف قيودًا وأكثر عدلاً بما لا يقارن من نظائرها خارج الحضارة الإسلامية ، بما في ذلك الحضارة الغربية ، التي تزعمت في العصر الحديث الدعوة إلى تحرير الأرقاء . .

الفصل الخامس والأربعين بعد المائة

الميراث بين الرجل والمرأة في الإسلام:

من الشائع جدًا عند غير المسلمين ، بل وعند كثير من المسلمين أن الرجل يأخذ ضعف المرأة في الميراث ، وهذا صحيح ، وغير صحيح في نفس الوقت . فلا يجب أن نقول إن الرجل يأخذ بصورة عامة ضعف المرأة على الإصلاق . لكن المتأمل للآيات القرآنية يجد أن الأخ يأخذ ضعف أخته . وهذا من باب إكرام الإسلام للمرأة: فهب أنك تركت بعد وفاتك ٣٠ ٠٠٠ (ثلاثين ألف جنيهًا) والوارثون هم ابنك وابنتك فقط . فعلى حساب الإسلام يأخذ ابنك ٢٠ ٠٠٠

(عشرين ألف) ، وتأخذ ابنتك ١٠ ٠٠٠ (عشرة آلاف) . ولكن لم ينتهى الموضوع إلى هذا التقسيم . فالإبن مُكَلَّفٌ شرعاً وقانوناً بالإنفاق على أخته من أكل وشرب ومسكن ومياه وكهرباء وملابس وتعليم ومواصلات ورعاية صحية ونفسية ويُزَوِّجها أيضاً . أى فأخته تشاركه أيضاً فى النقود التى قسمها الله له (فى الحقيقة لهما) . هذا بالإضافة إلى أنه مُكَلَّفٌ بالإنفاق على نفسه وأسرته من زوجة وأولاد ، وإذا كان فى الأسرة الكبيرة أحد من المعسرین فهو مكلف أيضاً بالإنفاق عليه سواء كانت أم أو عم أو جد أو خال . . (مع تعديل التقسيم فى الحالات المختلفة) .

وبذلك تأخذ الابنة نصيبها (عشرة آلاف جنيهاً) وتشارك أخوها فى ميراثه ، فلو أكلت كما يأكل وأنفقت مثل نفقاته ، تكون بذلك قد اقتسمت معه ميراثه ، أى تكون هى قد أخذت (عشرين ألفاً) ويكون الأخ قد انتفع فقط بعشرة آلاف . فأيهما نال أكثر فى الميراث؟

هذا لو أن أخته غير متزوجة وتعيش معه ، أما إن كانت متزوجة ، فهى تتدخر نقودها أو تتاجر بها ، وينفق زوجها عليها وعلى أولادها ، وأخوها مُكَلَّفٌ بالإنفاق على نفسه وزوجته وأولاده ، فتكون الأخت قد فازت بعشرة آلاف بمفردها ، أما الأخ فيكون مشارك له فى العشرين ألف ثلاثة أو أربعة آخرين (هم زوجته وأولاده) . فيكون نصيبه الفعلى خمسة آلاف . أى أيضاً نصف ما أخذته أخته من الميراث . أرايتم إلى أى مدى يؤمن الإسلام المرأة ويكرمها؟

فهل أرايتم كيف رفع الإسلام المرأة كنتاج على رؤوس الرجال ، بل على رأس المجتمع بأكمله . وهذا لم تأت بها شريعة أخرى فى أى كتاب سماوى أو قانون وضعى . فالأخت التى يُعطونها مثل أخيها فى الميراث فى الغرب ، هى تتكلف بمعيشتها بعيداً عنه ، وهو غير ملزم بها إن افتقرت أو مرضت أو حتى ماتت . فأى إهانة هذه للمرأة؟

يقول أخى الحبيب مروان فى مقاله الجميل الذى اقتبسته بأكمله المرأة تراث نصف الرجل والمنشور بمنتدى برسوم ونقلًا عن الدكتور محمد عمارة فى حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين: وعلى ذلك فإن توريث المرأة على النصف من الرجل ليس موقفًا عامًا ولا قاعدة مطّردة فى توريث الإسلام، فالقرآن الكريم لم يقل: يوصيكم الله للذكر مثل حظ الأنثيين.. إنما قال: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾. أى إن هذا التمييز ليس قاعدة مطّردة فى كل حالات الميراث، وإنما هو فى حالات خاصة، بل ومحدودة من بين حالات الميراث. وبذلك فإن كثيرين من الذين يثيرون الشبهات حول أهلية المرأة فى الإسلام، متخذين من تمايز الأخ عن أخته أو الأب عن زوجته فى الميراث سبيلًا إلى ذلك لا يفقهون قانون التوريث فى الإسلام.

بل إن الفقه الحقيقى لفلسفة الإسلام فى الميراث تكشف عن أن التمايز فى أنصبة الوارثين والوارثات لا يرجع إلى معيار الذكورة والأنوثة.. وإنما ترجع إلى حُكم إلهية ومقاصد ربانية قد خفيت عن الذين جعلوا التفاوت بين الذكور والإناث فى بعض مسائل الميراث وحالاته شبهة تأخذ ضد كمال أهلية المرأة فى الإسلام.

ففى الحقيقة إن التفاوت بين أنصبة الوارثين والوارثات فى فلسفة الميراث الإسلامى تحكمه ثلاثة معايير:

أولها: درجة القرابة بين الوارث ذكرًا كان أو أنثى وبين المُوَرَّث المتوفى فكلما اقتربت الصلة.. زاد النصيب فى الميراث.. وكلما ابتعدت الصلة قل النصيب فى الميراث دونما اعتبار لجنس الوارثين..

فإبنة المتوفى تأخذ مثلًا أكثر من أبى المتوفى أو أمه، فهى تأخذ بمفردها نصف التركة (هذا إذا كان الوارث الابنة والأب والأم فقط) وسأبين الحالات فيما بعد بالتفصيل.

وثانيها : موقع الجيل الوارث من التابع الزمني للأجيال .. فالأجيال التي تستقبل الحياة ، وتستعد لتحمل أعبائها ، عادة يكون نصيبها في الميراث أكبر من نصيب الأجيال التي تستدبر الحياة . وتتخفف من أعبائها ، بل وتصبح أعباؤها - عادة - مفروضة على غيرها ، وذلك بصرف النظر عن الذكورة والأنوثة للوارثين والوارثات ..

* فبنت المتوفى ترث أكثر من أمه . وكلتاها أنثى ..

* وترث البنت أكثر من الأب ! - حتى لو كانت رضيعة لم تدرك شكل أبيها .. وحتى لو كان الأب هو مصدر الثروة التي للابن ، والتي تنفرد البنت بنصفها !

* وكذلك يرث الابن أكثر من الأب . وكلاهما من الذكور .. وفي هذا المعيار من معايير فلسفة الميراث في الإسلام حُكْمُ إلهية بالغة ومقاصد ربانية سامية تخفى على الكثيرين ! وهي معايير لا علاقة لها بالذكورة والأنوثة على الإطلاق ..

وثالثها : العبء المالي الذي يوجب الشرع الإسلامي على الوارث تحمله والقيام به حيال الآخرين .. وهذا هو المعيار الوحيد الذي يثمر تفاوتاً بين الذكر والأنثى .. لكنه تفاوت لا يفضى إلى أى ظلم للأنثى أو انتقاص من إنصافها .. بل ربما كان العكس هو الصحيح !

ففي حالة ما إذا اتفق وتسارَى الوارثون في درجة القرابة .. وانفقوا وتساووا في موقع الجيل الوارث من تابع الأجيال - مثل أولاد المتوفى ، ذكوراً وإناثاً - يكون تفاوت العبء المالي هو السبب في التفاوت في أنصبة الميراث .. ولذلك ، لم يعمم القرآن الكريم هذا التفاوت بين الذكر والأنثى في عموم الوارثين ، وإنما حصره في هذه الحالة بالذات ، فقالت الآية القرآنية : ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ .. ولم تقل : يوصيكم الله في عموم الوارثين .. والحكمة في هذا التفاوت ، في هذه الحالة بالذات ، هي أن

الذكر هنا مكلف بإعالة أنثى . هى زوجه . مع أولادهما . . بينما الأنثى الوارثة أخت الذكر . فإعالتها ، مع أولادها ، فريضة على الذكر المقترن بها . . فهى . مع هذا النقص فى ميراثها بالنسبة لأخيها ، الذى ورث ضعف ميراثها ، أكثر حظاً وامتيازاً منه فى الميراث فميراثها . مع إعفائها من الإنفاق الواجب . هو ذمة مالية خالصة ومدخرة ، لجبر الاستضعاف الأنثوى ، ولتأمين حياتها ضد المخاطر والتقلبات . . وتلك حكمة إلهية قد تخفى على الكثيرين . .

وإذا كانت هذه الفلسفة الإسلامية فى تفاوت أنصبة الوارثين والوارثات وهى التى يغفل عنها طرفا الغلو ، الدينى واللا دينى ، الذين يحسبون هذا التفاوت الجزئى شبهة تلحق بأهلية المرأة فى الإسلام فإن استقراء حالات ومسائل الميراث . كما جاءت فى علم الفرائض (المواريث) . يكشف عن حقيقة قد تذهل الكثيرين عن أفكارهم المسبقة والمغلوطة فى هذا الموضوع . . فهذا الاستقراء لحالات ومسائل الميراث ، يقول لنا :

أ . إن هناك ثلاث حالات فقط ترث فيها المرأة نصف الرجل :

(١) الأخت تأخذ نصف ما يأخذه أخوها :

لقوله تعالى ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ﴾ النساء ١١

(٢) فى حالة التوارث بين الزوجين ، حيث يرث الزوج من زوجته ضعف ما ترثه هى منه . لقوله تعالى : ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوْصِيكُنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٌ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمْنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ نَوْصُونَ نَوْصُونَ أَوْ دَيْنٌ﴾ النساء ١٢

(٣) يأخذ أبو المتوفى ضعف زوجته هو إذا لم يكن لابنهما وارث ، فبأخذ الأب الثلثان وزوجته الثلث .

ب. وهناك حالات أضعاف هذه الحالات الثلاث ترث فيها المرأة مثل الرجل تمامًا:

(١) في حالة وجود أخ وأخت لأم في إرثهما من أخيهما، إذا لم يكن له أصل من الذكور ولا فرع ورث (أي ما لم يحجبهم عن الميراث حاجب). فلكل منهما السدس، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَلَةً أَوْ امْرَأَةً أَوْ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا أَبٌ﴾ قوله: «أَخٌ أَوْ أُخْتُ» أي لأم ﴿فَلِكُلٍّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوَصَّى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّتُهُ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ النساء: ١٢

(٢) إذا توفي الرجل وكان له أكثر من اثنين من الأخوة أو الأخوات يأخذوا الثلث بالتساوي.

(٣) فيما بين الأب والأم في إرثهما من ولدهما إن كان له ولد أو بنتين فصاعدًا: لقوله تعالى: ﴿وَلِلأَبَوَيْهِ وَلِلأَبَوَيْهِ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ النساء: ١١

(٤) إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وأختًا شقيقة: فلكل منهما النصف

(٥) إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وأختًا لأب: فلكل منهما النصف

(٦) إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وأما وأختًا شقيقة: فللزوجة النصف، وللأم النصف، ولا شيء للأخت (عند ابن عباس)

(٧) إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وأختًا شقيقة وأختًا لأب وأختًا لأم: فللزوجة النصف، والأخت الشقيقة لنصف، ولا شيء للأخت لأب وللأخ لأب.

(٨) إذا مات الرجل وترك ابنتين وأبًا وأما: فالأب السدس والأم السدس ولكل ابنة الثلث.

(٩) إذا مات الرجل وترك زوجة وابنتين وأبًا وأما: فللزوجة الثمن وسهمها

٣، والأب الربع وسهمه ٤، والأم الربع وسهمها ٤، ولكل ابنة الثلث وسهم كل منهما ٨ .

(١١) إذا مات الرجل وترك أمًا وأختًا وجدًا: فلكل منهم الثلث . فقد تساوت المرأة مع الرجل .

(١٢) إذا مات الرجل وترك (أربعين ألف جنيهاً) وابناً وابنةً وزوجةً لها مؤخر صداق (ثلاثة عشر ألف جنيهاً) فستجد أن نصيب الأم تساوى مع نصيب الابن . ويكون التقسيم كالتالى :

الزوجة ١٣ ٠٠٠ + ثمن الباقي (ثلاثة آلاف) = ١٦ ٠٠٠ ألف جنيهاً

الابن : ثلثى الباقي ١٦ ٠٠٠ (ستة عشر ألف) جنيهاً

الابنة : الثلث ويكون ٨ ٠٠٠ (ثمانية آلاف) جنيهاً

(١٣) إذا مات الأب وترك ابنةً وأمًا وأبًا وزوجة وترك ٢٥٠٠٠ جنيهاً ، وللزوجة مؤخر صداق ١٠٠٠ جنيهاً

فالابنة تأخذ النصف أى ١٢٠٠٠ جنيهاً

والزوجة تأخذ الثمن ٣٠٠٠ + ١٠٠٠ (مؤخر الصداق) = ٤٠٠٠ جنيهاً

الأم تأخذ السدس ٤٠٠٠ جنيهاً

الأب يأخذ السدس فرضاً ٤٠٠٠

وبذلك تكون الأم والزوجة قد أخذتا مثل نصيب الأب ، وقد تأخذ الزوجة أكثر من الأب ، إذا زاد مؤخر صداقها .

ج . وهناك حالات تزيد عن سبعة عشر حالة ترث فيها المرأة أكثر

من الرجل :

(١) إذا مات الرجل وترك أمًا وابنتين وأخًا ، فلو ترك المتوفى ٢٤٠٠٠ ألف جنيهاً لكانت أنصبتهم كالتالى :

الأم : ٣٠٠٠ جنيهاً (اثنان)
 البنتين : ١٦٠٠٠ جنيهاً لـ وحدة ٨٠٠٠ جنيهاً (الثلاثين)
 الأخ : ٥٠٠٠ جنيهاً (الباقى)

وبذلك تكون الابنة قد أخذت أكثر من ١٥٠٪ لميراث الأخ

(٢) إذا مات الأب وترك ابنةً وأمًا وأبًا وترك ٢٤٠٠٠ جنيهاً
 فالابنة تأخذ النصف أى ١٢٠٠٠ جنيهاً
 الأم تأخذ السدس ٤٠٠٠ جنيهاً
 الأب يأخذ السدس فرغاً والباقي تعصباً أى ٤٠٠٠ + ٤٠٠٠ جنيهاً

وبذلك تكون الابنة قد أخذت ١٥٠٪ لميراث الأب

(٣) إذا مات الرجل وترك ابنتين وأبًا وأمًا : فلكل ابنة الثلث ، والأب السدس والأم السدس . فلو ترك الرجل ٢٤ ٠٠٠ (أربعة وعشرين ألف جنيهاً) لكان نصيب كل من الابنتين ٨ ٠٠٠ (ثمانية آلاف جنيهاً) ويتساوى الأب مع الأم ونصيب كل منهما ٤٠٠٠ (أربعة آلاف) جنيهاً ، وبذلك تكون الابنة قد أخذت ٢٠٠٪ لميراث الأب

(٤) إذا ماتت امرأة وترك زوجًا وأمًا وجدًا وأخوان للأم وأخين لأب : فللزوجة النصف ، وللجد السدس ، وللأم السدس ، ولأخوة الأب السدس ، ولا شيء لأخوة الأم .

فلو ترك المتوفى ٢٤ ٠٠٠ (أربعة وعشرين ألف جنيهاً) لكان نصيب الزوج ١٢ ٠٠٠ (اثني عشر ألف جنيهاً) ويتساوى الجد مع الأم ونصيب كل منهما

٤ ٠٠٠ (أربعة آلاف) جنيهاً ، ويأخذ الأخان لأب كل منهما ٢٠٠٠ (ألفين من الجنيهاً) . وبذلك فقد ورثت الأم هنا ٢٠٠٪ لميراث أخو زوجها .

(٥) إذا ماتت امرأة وترك زوجاً وأمّاً وجدّاً وأخوَّان للأم وأربع أخوة لأب: فللزوجة النصف ، وللجد السدس ، وللأم السدس ، ولأخوة الأب السدس ، ولا شيء لأخوة الأم .

فلو ترك المتوفى ٢٤ ٠٠٠ (أربعة وعشرين ألف جنيهاً) لكان نصيب الزوج ١٢ ٠٠٠ (اثني عشر ألف جنيهاً) ويتساوى الجد مع الأم ونصيب كل منهما ٤ ٠٠٠ (أربعة آلاف) جنيهاً ، ويأخذ كل من الأخوة لأب كل منهم ١٠٠٠ (ألف جنيه) وتكون بذلك الأم قد ورثت أربعة أضعاف الأخ لزوجها أي ٤٠٠٪ .

(٦) إذا ماتت امرأة وترك زوجاً وأمّاً وجدّاً وأخوَّان للأم وثمانية أخوة لأب: فللزوجة النصف ، وللجد السدس ، وللأم السدس ، ولأخوة الأب السدس ، ولا شيء لأخوة الأم .

فلو ترك المتوفى ٢٤ ٠٠٠ (أربعة وعشرين ألف جنيهاً) لكان نصيب الزوج ١٢ ٠٠٠ (اثني عشر ألف جنيهاً) ويتساوى الجد مع الأم ونصيب كل منهما ٤ ٠٠٠ (أربعة آلاف) جنيهاً ، ويأخذ كل من الأخوة لأب كل منهم (٥٠٠ جنيهاً) وتكون بذلك الأم قد ورثت ثمانية أضعاف أخو الزوج أي ٨٠٠٪ .

(٧) إذا مات إنسان وترك بنتين ، وبنت الإبن ، وابن ابن الإبن : فالإبنتين لهما الثلثان وسهم كل منهما ٣ ، وبنت الابن سهم واحد وابن ابن الإبن سهمين .

فلو ترك المتوفى ١٨ ٠٠٠ (ثمانية عشر ألفاً) لكان نصيب كل ابنة (سنة آلاف) ، وكان نصيب بنت الابن (ألفين) وابن ابن الإبن (أربعة آلاف) . وبذلك تكون الابنة قد أخذت ١٥٠٪ لنصيب ابن ابن الإبن .

(٨) إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وأختًا شقيقة وأختًا لأب وأختًا لأم: فللزوجة النصف، والأخت الشقيقة النصف. ولا شيء للأخت لأب وللأخ لأب. وبذلك يكون الزوج والأخت الشقيقة قد أخذوا الميراث ولم يأخذ منه الأخ لأب وأخته.

(٩) إذا مات رجل وترك ابنتين وأختًا لأب وأختًا لأم: فلكل من الشقيقتين الثلث وسهم كل منهما ٣، ولبيتي يأخذ منه الأخ الثلثين وأخته الثلث.

فإذا ترك المتوفى ٩٠ ٠٠٠ (تسعين ألف جنيهًا)، فيكون نصيب كل من الإبتنتين (ثلاثين ألف جنيهًا)، ويكون نصيب الأخ لأب (عشرين ألفًا) ونصيب الأخت لأب (أخته) عشرة آلاف. وبذلك تكون الابنة قد أخذت ١٥٠٪ لنصيب الأخ لأب.

(١٠) إذا مات رجل وترك زوجةً وجدةً وابنتين وأخ وأخت واحدة: فالزوجة الثمن وسهمها ٧٥، والبتتان الثلثين وسهم كل منهما ٢٠٠، والجدة السدس وسهمها ١٠٠، والأخوة ٢٤ سهم لكل منهم ٢ سهم، والأخت سهم واحد.

فلو ترك المتوفى ٣٠٠ ٠٠٠ (ثلاثمائة ألف جنيهًا)، فستأخذ الزوجة ٧٥٠٠٠ (خمسة وسبعين ألف جنيهًا)، وكل بنت من الإبتنتين ١٠٠ ٠٠٠ (مائة ألف) ويأخذ الجد (مائة ألف)، ويأخذ كل أخ (ألفين) وتأخذ الأخت ألفًا واحدًا. وعلى ذلك فالابنة أخذت ٥,٣٧ ضعف الأخ وتساوت مع لجد.

(١١) إذا ماتت وتركت زوجًا، وأبًا، وأما، وابنة، وابنة ابن، وابن الإبن: فللزوجة الربع وسهمه ٣، ولكل من الأب والأم السدس وسهم كل منهما ٢، والابنة النصف وسهمها ٦. ولا شيء لكل من ابنة الابن وابن الابن.

فلو تركت المتوفاة ١٢ ٠٠٠ (اثني عشر ألفًا)، لوجب أن تقسم التركة على ١٣ (ثلاثة عشر) سهمًا، لأخذ الزوج ٥٥٣٨ جنيهًا، ولأخذ كل من الأب والأم

٣٦٩٢ جنيهاً ، ولأخذت الإبنة ١١ ٠٧٦ جنيهاً ، ولا شيء لابنة الابن ولا ابن الابن . وهنا تجد أن الإبنة قد أخذت أكثر من ضعف ما أخذه الزوج وأكثر من ٢٥٠٪ مما أخذه الأب .

(١٢) إذا مات أو ماتت وترك جدًا ، وأمًا وأختًا شقيقة وأختًا لأب وأختًا لأب: فتأخذ الأم السدس وسهمها ٣ ، ويأخذ الجد ثلث الباقي وسهمه ٥ ، والأخت الشقيقة النصف وسهمها ٩ ، ثم يقسم سهم واحد على ثلاثة للأخ والأخت لأب (للمذكر مثل حظ الانثيين) .

فإذا ترك المتوفى ١٨ ٠٠٠ ألف جنيهاً لأخذت الأم (ثلاثة آلاف) جنيهاً ، ولأخذ الجد (خمسة آلاف) ، ولأخذت الأخت الشقيقة (تسعة آلاف) ولأخذ الأخ (٦٦٦) جنيهاً تقريباً ، ولأخذت أخته (٣٣٣) جنيهاً تقريباً . وهنا تجد أن الأخت الشقيقة أخذت أكثر من (١٣) ضعف ما أخذه الأخ لأب .

(١٣) إذا مات الرجل وترك زوجةً وابنتين وأب وأم: فللزوجة الثمن وسهمها ٣ ، والأب السدس وسهمه ٤ ، والأم السدس وسهمها ٤ ، ولكل ابنة الثلث وسهم كل منهما ٨ . فيكون عدد الأسهم ٢٧ ، فلو ترك المتوفى ٢٤ ٠٠٠ (أربع وعشرين ألفاً) لوجب أن تعول إلى ٢٧ سهم بدلاً من ٢٤ ، ويأخذ كل منهم عدد الأسهم التي فرضها الله له . وفي هذه الحالة ستأخذ الزوجة ٢٦٦٦ جنيهاً ، وستأخذ الابنتين ١٥٢٢٢ ألفاً مناصفة فيما بينهما ، أي ٧١١١ لكل منهن ، والأم ٣٥٥٥ والأب ٣٥٥٥ . وهنا تجد أن الإبنة أخذت ما يقرب من ضعف ما أخذه لأب .

(١٤) إذا مات أو ماتت وترك أمًا وجدًا وأختًا: فيأخذ الجد السدس ، وتأخذ الأم ضعفه وهو الثلث ، وتأخذ الأخت النصف .

فلو ترك المتوفى ١٢٠ ٠٠٠ ألف جنيهاً ، لكان نصيب الجد ٢٠ ٠٠٠ ألف ، وكان نصيب الأم ٤٠ ٠٠٠ ألف ، وكان نصيب الأخت ٦٠ ٠٠٠ ألف .

أى أخذت امرأة ضعفه وأخذت الأخرى ثلاثة أضعافه .

(١٥) إذا مات الرجل وترك (ربعين ألف جنيهاً) وابناً وابنةً وزوجةً لها مؤخر صداق (ستة عشر ألف جنيهاً) فيكون التقسيم كالتالى :

الزوجة ١٦٠٠٠ + ثمن الباقي (٣٠٠٠ آلاف) = ١٩٠٠٠ (تسعة عشر ألف) جنيهاً

الابن : الثلثي بعد خصم مؤخر الصداق ١٦٠٠٠ (ستة عشر ألف) جنيهاً
الابنة : الثلث بعد خصم مؤخر الصداق ٨٠٠٠ (ثمانية آلاف) جنيهاً

(١٦) ولو مؤخر صداقها كبير لورثت أكثر من ابنها كثيراً مثال ذلك :

إذا مات الرجل وترك (ستين ألف جنيهاً) وابن وابنة وزوجة لها مؤخر صداق (ستة وثلاثون ألف جنيهاً) فيكون التقسيم كالتالى :

الزوجة ٣٦٠٠٠ + ثمن الباقي (٣٠٠٠ آلاف) = ٣٩٠٠٠ (تسعة وثلاثين ألف) جنيهاً .

الابن : ثلثي التركة بعد خصم مؤخر الصداق ١٦٠٠٠ (ستة عشر ألف) جنيهاً
الابنة : ثلث التركة بعد خصم مؤخر الصداق ٨٠٠٠ (ثمانية آلاف) جنيهاً

(١٧) إذا مات الأب وترك ابنةً وأمًّا وأبًّا وزوجة وترك ٢٥٠٠٠ جنيهاً ، وللزوجة مؤخر صداق ٠٠٠ جنيهاً

فالابنة تأخذ النصف أى ١٢٠٠٠ جنيهاً

والزوجة تأخذ الثمن ٣٠٠٠ + ١٠٠٠ (مؤخر الصداق) = ٤٠٠٠ جنيهاً

الأم تأخذ السدس ٠٠ جنيهاً

الأب يأخذ السدس فرسماً ٤٠٠٠

وبذلك تكون الابنة قد أخذت ٣٠٠٪ لميراث الأب

د . وهناك حالات ترث فيها المرأة ولا يرث نظيرها من الرجال .
(١) إذا مات وترك بنتًا وأختًا وعمًا : فللابنة النصف وللأخت النصف ولا شيء للعم .

(٢) إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وأختًا شقيقة وأختًا لأب وأختًا لأم : فللزوجة النصف ، والأخت الشقيقة النصف ، ولا شيء للأخت لأب وللأخت لأب .

(٣) مات وترك ابنة وزوجة وأبًا وأخ شقيق . فالبنات الصلبية تأخذ النصف ، والزوجة الثمن ، ويأخذ الأب السدس والباقي تعصيًا ، ولا شيء للأخ الشقيق .

(٤) مات وترك زوجة وأمًا وأبًا وإخوة أشقاء . فللزوجة الثمن ، وللأم السدس ، وللأب الباقي تعصيًا ، ولا شيء للأخوة الأشقاء .

(٥) مات وترك زوجة وأم وابن وأخ لأم . فللزوجة الثمن ، وللأم السدس ، ويأخذ الابن الباقي تعصيًا ، ولا شيء للأخ من الأم .

(٦) إذا ماتت وتركت زوجًا ، وأبًا ، وأمًا ، وابنةً ، وابنة ابن ، وابن الابن : فللزوجة الربع وسهمه ٣ ، ولكل من الأب والأم السدس وسهم كل منهما ٢ ، والابنة النصف وسهما ٦ ، ولا شيء لكل من ابنة الابن وابن الابن ، أي الابنة ورثت ستة أضعاف ابن الابن .

(٧) إذا ماتت وتركت زوجًا وأمًا وأخوان لأم وأخ شقيق أو أكثر .

للزوجة النصف وسهمه (٣) وللأم السدس وسهما (١) وللإخوة لأم الثلث وسهم كل واحد منهما (١) وتصح من (٦) ولا يبقى للأشقاء ما يرثونه . (عمر بن الخطاب)

(٨) إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وجدًا وأمًا وأخوة أشقاء وأخوة لأم :

فللزوج النصف، وللجد السدس، وللأم السدس، وللأخوة الأشقاء الباقي، ولا شيء لأخوة الأم.

. وهناك حالات يرث فيها الرجل أكثر من المرأة سواء أقل أو أكثر من الضعف:

(١) فلو مات الابن وترك أبًا وأمًا وأخوة وأخوات، فترث الأم السدس، ويرث الأب خمسة أسداس تعصيًا ويحجب الإخوة. فقد ورث الرجل هنا خمسة أضعاف المرأة.

(٢) إذا مات رجل وترك زوجة وأمًا وأبًا: فللزوجة الربع وسهمها ٣ وللأم الثلث وسهمها ٤ والأب يأخذ الباقي وسهمه ٥. فلم يأخذ ضعف أيًا منهما.

(٣) إذا ماتت امرأة وتركت زوجًا وأمًا وأبًا: فللزوج النصف وسهمه ٣، وللأم ثلث الباقي وسهمها ١ والأب ثلثا الباقي وسهمه ٢. فقد أخذ الزوج ثلاثة أضعاف الأم.

(٤) إذا مات رجل وترك ابنًا وست بنات: فالابن يأخذ الثلث والبنات الثلثين: وفي هذه الحالة سيكون الابن ثلاث أضعاف أي من البنات الستة. فإذا ترك ١٨٠٠٠ ألف جنيهاً، فسيأخذ الابن ٦٠٠٠، وكل بنت تأخذ ٢٠٠٠ جنيهاً. فيكون الأخ أخذ ثلاثة أضعاف أخته.

(٥) ماتت وتركت زوجًا وأمًا وأخوان لأم وأخًا شقيق أو أكثر: فالزوج يأخذ النصف وسهمه ٩، والأم السدس وسهمها ٣، والأخوة الثلاثة الباقية الثلث، وسهم لكل منهم. (على بن أبي طالب وانمذهب المالكي والشافعي أخذوا به) فيكون الزوج أخذ ثلاثة أضعاف الأم

فلو تركت ١٨٠٠٠ (ثمانية عشر ألف) جنيهاً، لكان نصيب الزوج (تسعة آلاف)، ونصيب الأم (ثلاثة آلاف)، وثلث الباقي يقسم على الثلاث أخوة بالتساوي، لكل منهم (ألفين). وهنا تجد أن الزوج أخذ ثلاثة أضعاف الأم.

تلك هي ثمرات استقراء حالات ومسائل الميراث في علم الفرائض (الموارث)، التي حكمتها المعايير الإسلامية التي حددتها فلسفة الإسلام في التوريث .. والتي لم تقف عند معيار الذكورة والأنوثة، كما يحسب الكثيرون من الذين لا يعلمون ! .. وبذلك نرى سقوط هذه الشبهة الواهية المثارة حول أهلية المرأة .

هذا من عدل الرحمن

١- كثير ما نسمع في دول أوربية أنه توفي أحدهم وله من الثروات والمقدرات ما لا حصر لها تركها لقطعة أو لكلب كان يريه صاحب المال، أو تذهب النقود كلها لخدمة أو لجمعية ما سواء، ويحرم كل الأبناء منها . فآين العدالة في توزيع الإرث؟ .. أما في الإسلام فقد أعطى الحرية للتصرف في الإرث فقط في حد الثلث ولا وصية لوارث ولا تجوز الوصية لجهة ممنوعة أو لكلب مثلاً ..

٢- الإرث إجباري في الإسلام بالنسبة إلى الوارث والموروث ولا يملك المورث حق منع أحد ورثته من الإرث، والوارث يملك نصيبه جبراً دون اختيار .

٣- الإسلام جعل الإرث في دائرة الأسرة لا يتعدها فلا بد من نسب صحيح أو زوجة، وتكون على الدرجات في نسبة السهام الأقرب فالأقرب إلى المتوفى .

٤- أنه قدر الوارثين بالفروض السهام المقدرة كالربع والثلث والسدس والنصف ما عدا العصابات ولا مثل لهذا في بقية الشرائع .

٥- جعل للولد الصغير نصيباً من ميراث أبيه يساوي نصيب الكبير وكذلك الحمل في بطن الأم فلا تميز بين البكر وغيرهم من الأبناء .

٦- جعل للمرأة نصيباً من الإرث فالأم والزوجة والبنت وبنت الابن والأخت وأمثالهن يشاركن فيه، وجعل للزوجة الحق في استيفاء المهر والصداق إن لم تكن قد قبضتهم من دون نصيبها في الإرث فهو يعتبر دين ممتاز أى الأولى

فى سداده قبل تقسيم الإرث ولا يعتبر من نصيبها فى الميراث .

أما ما يخرج عن الميراث ، أى ما يعطيه الرجل أو المرأة لأولادهم فى حياتهم ، فلا يسمى ميراث ، بل يسمى عطية ، وقد قال رسولنا الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم : (ساووا بين أولادكم فى العطية ، ولو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء) .

الفصل السادس والأربعين بعد المائة

الميراث بين الرجل والمرأة فى اليهودية والمسيحية :

فالميراث فى الكتاب المقدس للذكور فقط : (١٥) «إِذَا كَانَ لِرَجُلٍ امْرَأَتَانِ إِحْدَاهُمَا مَحْبُوبَةٌ وَالْأُخْرَى مَكْرُوهَةٌ فَوَلَدَتَا لَهُ نَبِيْنِ الْمَحْبُوبَةِ وَالْمَكْرُوهَةِ . فَإِنْ كَانَ الْإِبْنُ الْبَكْرُ لِلْمَكْرُوهَةِ ١٦ فَيَوْمَ يَتَسَمَّى لِبْنِهِ مَا كَانَ لَهُ لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يُقَدَّمَ ابْنُ الْمَحْبُوبَةِ بِكْرًا عَلَى ابْنِ الْمَكْرُوهَةِ الْبَكْرِ ١٧ بَلْ يَعْرِفُ ابْنُ الْمَكْرُوهَةِ بِكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبُ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوْجَدُ عِنْدَهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَوَّلُ قُدْرَتِهِ . لَهُ حَقُّ الْبِكُورِيَّةِ .» تنبيه ٢١ : ١٥-١٧

ولا ترث الإناث إلا عند فقد الذكور : (١) «فَتَقَدَّمَتْ بَنَاتُ صُلْفَحَادَ . . . ٢ وَوَقَفْنَ أَمَامَ مُوسَى . . . قَائِلَاتِ : ٣ «أَبُونَا مَاتَ فِي الْبَرِّيَّةِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ بَنُونَ . ٤ لِمَاذَا يُحْذَفُ اسْمُ أَيْنَا مِنْ بَيْنِ عَشِيرَتِهِ لِأَنَّهُ لَيْسَ لَهُ ابْنٌ؟ أَعْطِنَا مُلْكًا بَيْنَ أَعْمَامِنَا» . ٥ فَتَقَدَّمَ مُوسَى دَعُوهُنَّ أَمَامَ الرَّبِّ . ٦ فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى ٧ «بِحَقِّ تَكَلَّمْتَ بَنَاتُ صُلْفَحَادَ فَتُعْطِيَهُنَّ مُلْكُ نَصِيبٍ بَيْنَ أَعْمَامِهِنَّ وَتَنْقُلُ نَصِيبَ أَبِيهِنَّ إِلَيْهِنَّ . ٨ وَتَقُولُ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ : أَيُّمَا رَجُلٍ مَاتَ وَلَيْسَ لَهُ ابْنٌ تَنْقُلُونَ مُلْكَهُ إِلَى ابْنَتِهِ . ٩ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ ابْنَةٌ تُعْطُوا مُلْكَهُ لِإِخْوَتِهِ . ١٠ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِخْوَةٌ تُعْطُوا مُلْكَهُ لِأَعْمَامِهِ . ١١ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِأَبِيهِ إِخْوَةٌ تُعْطُوا مُلْكَهُ لِنَسَبِهِ الْأَقْرَبِ إِلَيْهِ مِنْ عَشِيرَتِهِ فِيرُثُهُ» . فَصَارَتْ لِبْنِي إِسْرَائِيلَ فَرِيضَةٌ قَضَاءٍ كَمَا أَمَرَ الرَّبُّ مُوسَى .» عدد ٢٧ : ١-١١

ومعنى ذلك أن البنات يحرم من حق الميراث إذا كان للبيت ابن . إلا ما كان يتبرع لها به أبوها فى حياته ، فإن لم يكن له ابن ورثت البنت بشرط ألا تزوج فى غير سبطها ، لئلا يخرج المال عن سبطها ، وحين تُحرَم البنت من الميراث لوجود أخ لها ذكر ، يُثَبَّت لها على أخيها النفقة والمهر عند الزواج ، وإذا كان الأب قد ترك عقاراً فيعطيهما من العقار ، أما إذا ترك مالاً منقولاً فلا شئ لها من النفقة والمهر ، ولو ترك القناطير المقنطرة . وليس للزوجة ميراث من زوجها .

وإذا آل الميراث إلى البنت لعدم وجود أخ لها ، لم يجز لها أن تتزوج من سبط آخر ، ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها . أى تكون راعية له فقط (هذا إن جاز لنا استخدام هذا اللفظ) ، وليست مالكة له .

وليس فى المسيحية نصاً يُخالف ذلك النص ، حيث يرث النصارى فى مصر على الشريعة الإسلامية . لأن كتاب النصارى ليس به تشريع ، فشريعة موسى ملزمة لهم باعتراف عيسى عليه السلام ، والذى قام بولس بالغائها : (١٧) «لَا تَظُنُّوا أَنِّى جِئْتُ لَأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوْ الْأَنْبِيَاءَ . مَا جِئْتُ لَأَنْقُضَ بَلْ لِأَكْمَلَ . ١٨ فَإِنِّى الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ : إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ لَا يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ . ١٩ فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هَذِهِ الْوَصَايَا الصَّغِيرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هَكَذَا يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ . وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ فَهَذَا يُدْعَى عَظِيماً فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ . (متى ٥ : ١٧-١٩)

الفصل السابع والأربعين بعد المائة

الكتاب المقدس والمسيحية وضرب الزوجة وتعذيبها :

يعترض اليهود والنصارى ومن تابعهم من العلمانيين على إباحة الإسلام للرجل أن يضرب زوجته فى تأديب ، ضرباً غير مبرح ، حدده ابن عباس بالسواك أو ماشابهه ، ولا يحل له صفعها على وجهها أو تعذيبها بأى صورة من الصور .

ويكون الضرب مفرقاً على أنحاء مختلفة من الجسم .

هل يُعقل أن يعترض صاحب كتاب كعم فيه الرب امرأة جالسة ، وأسماءها الشر ، وطرح ثقل الرصاص على فمها؟ فترى ماذا سيفعل المؤمن مجاملة لربه إذا أراد أن يؤدبها؟ (وَكَاَنَتْ امْرَأَةً جَالِسَةً فِي وَسْطِ الْإِيْفَةِ . ٨ فَقَالَ : [هَذِهِ هِيَ الشَّرُّ] . فَطَرَحَهَا إِلَى وَسْطِ الْإِيْفَةِ وَطَرَحَ ثِقْلَ الرَّصَاصِ عَلَى فَمِهَا .) زكريا ٨ : ٥

"تشكل مجلس اجتماعى فى بريطانيا فى عام ١٥٠٠ لتعذيب النساء ، وابتدع وسائل جديدة لتعذيبهن ، وقد أحرق الآلاف منهن أحياء ، وكانوا يصبون الزيت المغلى على أجسامهن لمجرد التسلية "

وقال القديس تروتوليان : (إن المرأة مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، ناقضة لنواميس الله ، مشوهة للرجل) .

ويقول توماس الإكويني : المرأة أرذل من العبد بدليل أن عبودية العبد ليست فطرية بينما المرأة مأمرة فطرياً من قبل الأب والابن والزوج

أعلن البابا (اينوسنتيوس الثامن) فى براءة (١٤٨٤) أن الكائن البشرى والمرأة يبدوان نقيضين عنيدين "

وقال الفيلسوف نتشه : (إن المرأة إذا ارتقت أصبحت بقرة . وقلب المرأة عنده مكمّن الشر ، وهى لغز يصعب حله ، ويُصَحُّ الرجل بألا ينسى السوط إذا ذهب إلى النساء) .

لقد كتب أودو الكانى فى القرن اثنى عشر : (إن معانقة امرأة تعنى معانقة كيس من الزبالة) .

ولذلك : (ظلت النساء طقاً للقانون الإنجليزى العام . حتى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً . غير معدودات من "الأشخاص" أو "المواطنين" ، الذين اصطلح القانون على تسميتهم بهذا الاسم ، لذلك لم يكن لهن حقوق

شخصية ، ولا حق فى الأموال التى يكتسبها ، ولا حق فى ملكية شىء حتى الملابس التى كنَّ يلبسها .)

ولذلك : (نص القانون المدنى الفرنسى (بعد الثورة الفرنسية) على أن القاصرين هم الصبى والمجنون والمرأة ، حتى عُدِّلَ عام ١٩٣٨ ، ولا تزال فيه بعض القيود على تصرفات المرأة المتزوجة .) (عودة الحجاب الجزء الثانى ص ٤٦)

ولذلك : كان شائعاً فى بريطانيا حتى نهاية القرن العاشر قانون يعطى الزوج حق بيع زوجته وإعارتها بل وفى قتلها إذا أصيبت بمرض عضال "

ولذلك : (إن القانون الإنجليزى عام ١٨٠١ م وحتى عام ١٨٠٥ حدد ثمن الزوجة بستة بنسات بشرط أن يتم البيع بموافقة الزوجة)

ففى سنة ١٧٩٠ بيعت امرأة فى أسواق انجلترا بشلنين ، لأنها ثقلت بتكاليف معيشتها على الكنيسة التى كانت تؤويها . وبقيت المرأة إلى سنة ١٨٨٢ محرومة من حقها الكامل فى ملك العقار وحرية المقاضاة . (المرأة فى القرآن ، عباس العقاد ص ١١١-١١٢)

وفى القرن الخامس الميلادى اجتمع مجمع باكون وكانوا يتباحثون : (هل المرأة جثمان بحت أم هى جسد ذو روح يُنَاط به الخلاص والهلاك؟) وقرر أن المرأة خالية من الروح الناجية ، التى تنجىها من جهنم ، وليس هناك استثناء بين جميع بنات حواء من هذه الوصمة إلا مريم عليها السلام .

فهل يُعقل أن الذى أمر بكره الأم والابنة والأخت لتكون تلميذاً له قد أكرم المرأة ؟ فماذا كان سيقول الشيطان إذن فى هذا الموقف؟ (٢٥) وَكَانَ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ سَائِرِينَ مَعَهُ فَأَلْتَفَّتْ وَقَالَ لَهُمْ : ٢٦ «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ حَتَّى نَفْسُهُ أَيْضًا فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تَلْمِيزًا .) (لوقا ١٤ : ٢٥-٢٦)

وهل تريد أن تقول أن الذى يأمر بقتل النساء والأطفال الرضع كان رحيماً على المرأة التى كانت السبب الأوحى فيما تسمونه الخطيئة الأزلية؟ (٣) **فَالآنَ أَذْهَبُ وَأَضْرِبُ عَمَالِيقَ وَحَرَّمُوا كُلَّ مَا لَهُ وَلَا تَعْفُ عَنْهُمْ بَلِ اقْتُلْ رَجُلًا وَامْرَأَةً، طِفْلاً وَرَضِيعًا، بَقْرًا وَغَنَمًا، جَمَلًا وَحِمَارًا** (صموئيل الأول ١٥ : ٣)

وهل تعتقد أن الرب الذى أمر بإخراج الشعب من رجال ونساء وأطفال وقتلهم بالمناشير والنوارج الحديد والفؤوس كان رحيماً بهذا العمل على المرأة؟ (٣) **وَأَخْرَجَ الشَّعْبَ الَّذِينَ بِهَا وَنَشَرَهُمْ بِمَنَاشِيرَ وَنَوَاجِحَ حَدِيدٍ وَفُؤُوسٍ . وَهَكَذَا صَنَعَ دَاوُدُ لِكُلِّ مُدْنٍ بَنَى عَمُونَ . ثُمَّ رَجَعَ دَاوُدُ وَكُلُّ الشَّعْبِ إِلَى أُورُشَلِيمَ .** (أخبار الأيام الأول ٢٠ : ٣)

وهل تؤمن أن الرب الذى أمر بالإمساك بالأطفال وضرب الصخر بهم كان أو سيكون رحيماً على المرأة؟ (٨) **يَا بِنْتُ بَابِلَ الْمُخْرَبَةَ طُوبَى لِمَنْ يُجَازِيكَ جَزَاءُكَ الَّذِي جَازَيْتَنَا ! ٩ طُوبَى لِمَنْ يُحْسِكُ أَطْفَالَكَ وَيَضْرِبُ بِهِمُ الصَّخْرَةَ !** (مزامير ١٣٧ : ٨-٩)

وهل يصدق عقل أن الرب الذى أمر بتحطيم الأطفال وشق بطون الحوامل سيكون رحيماً على المرأة؟ (١٦) **تُجَازَى السَّامِرَةُ لِأَنَّهَا قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَى إِلَهِهَا . بِالسَّيْفِ يَسْقُطُونَ . تُحْطَمُ أَطْفَالُهُمْ وَالْحَوَامِلُ تُشَقُّ** (هوشع ١٣ : ١٦)

وهل أمر الرب الصريح بعدم انشفقة والقتل للهلاك والإبادة للشيخ والشباب والأطفال والنساء كافة سيكون رحيماً عليهن؟ ([اغبروا فى المدينة وراءه واضربوا . لا تشفق أعينكم ولا تعفوا . ٦ الشيخ والشباب والعذراء والطفل والنساء . اقتلوا للهلاك]) (حزقيال ٩ : ٥-٦)

الفصل الثامن والأربعين: بعد المائة

الإسلام وإباحة ضرب الرجل لزوجته :

كنا قد تكلمنا عن كيفية معاملة المسيحي أو اليهودى لزوجته ، وقد أوردنا

نصوصًا ، كانوا يعتبرون فيها العبد أفضل من المرأة ، لأنه بكل بساطة رجل . وقد رأينا كيف سماها الرب الشر ، وكيف أمر بتكليم فمها بالرصاص ، وكيف فعل فيها الإنجليز من بيعها ، أو سكب الزيت المغلى عليها للتسلية والتفكه . ولا أعرف ما الذى جعلهم يرتدون عن دينهم ليحترموا المرأة اليوم ويوقرونها؟

فها هم يأخذون على الإسلام سماحه للرجل أن يضرب زوجته الناشز ، التى رفضت الإنصياع له ، ورفضت العظة والتحذير ولم يؤثر فيها الهجر فى الفراش ، فمرحلة نهائية للإصلاح قبل أن تهدم الأسرة ، ويقوم الزوج بتطليقها . وكنا قد حددنا كيفية الضرب ، وقلنا إنه لا يكون أمام الناس ، ولا يحدث علامة أو عاهة فى الجسم ، ولا يكون على الوجه ، ويكون مفرقًا على أنحاء مختلفة من الجسم .

يعتبر الإسلام الأسرة وحدة اجتماعية تحتاج كغيرها من الوحدات إلى نظامها الخاص ، الذى تعول عليه فى جمع شملها ، وإصلاح شأنها ، وحل المشكلات والخلافات التى تتعرض إليها . ولكنها أحوج من سائر الوحدات إلى الدقة والحكمة فى نظامها الخاص بها .

والإسلام منطقى جدًا فى قوانينه ، فهو يقر بأنه ليس كل زوج فى العالم زوج مثالى ، وليست كل زوجة فيه زوجة مثالية . وكان لا بد أن يكون لكل وحدة اجتماعية نظام ، وللنظام رئيس يتولاه . وعلى ذلك فإذا دب الخلاف بين الزوجين فنحن أمام ثلاثة حلول لا رابع لها : إما الطلاق وهدم الأسرة ، أو استدعاء الشرطة ، وقد يجتهد كل من الطرفين فى إثبات الظلم من جانب الآخر ، وهناك أمور لن يستطع أحد من الطرفين ذكرها ، وعلى ذلك فقد اخترع أى منهم مشكلة أخرى ، تسبب تفاقم الموضوع نفسه ، أو إعطاء الرجل رب الأسرة صلاحيات لحل المشكلة قبل أن تتفاقم .

وأسلم الخطط الثلاث وأقربها للعقل والواقع هى خطة القرآن الكريم : فقد أمر الله سبحانه وتعالى الرجل أن يتدرج فى عقاب زوجته الناشز ، العاصية ، بتدرج ، مبتدئًا بالموعظة ، ثم الهجر فى المضجع ، ثم الضرب (غير المبرح) ،

وليس هناك اعتراض من جانب ليهود أو النصارى أو العلمانيين إلا على نقطة الضرب: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَذَلِكُنَّ حَافِظَاتٌ لِّغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۗ وَاللَّيِّئَاتُ تُخَافُونَ أَنْزِلُنَّهُنَّ فِعْظُهُنَّ وَخُفْرُهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٢٣﴾﴾ النساء: ٣٤

فالنصيحة الحسنة هي أول ما يعالج به الرجل خلافه مع زوجته ، فإن لم تنجح فالقطيعة في المنزل دون الإقطاع عنه ، وهذا الهجر هو ضرب من ضروب التأديب لمن تحب زوجها ، ويشن عليها هجر؛ إياها . ويؤكد العلماء على أن هذا الهجر يجب أن يكون داخل غرفة الزوجين وليس خارجها ، لئلا يطلع عليه آخرون ، فيسبب ذلك إذلالاً للزوجة وإهانة لكرامتها . فالمقصود هو علاج النشوز لا إذلال الزوجة أو إفساد مفهوم الزوجين لدى أطفالهما .

فالمراة تعلم أنها ضعيفة إلى جانب الرجل ، ولكنها لا تأس لذلك ما علمت أنها فاتنة له . وغالبة له بفتتها ، وقادرة على تعويض ضعفها ، بما تبعته فيه من شوق إليها ورغبة فيها . فإذا استطاع الرجل أن يقهر دوافعه تجاه هذا الإغراء فقد أسقط من يد المرأة الناشز أمضى أسلحتها التي تعزز بها ، وهي أنوثتها ، وأن ترى الرجل في أقدر حاله جديراً بهيبتها ، وتدعن لإدارته لبيته ، فكانت - في الغالب - أميل إلى الترحع والملاينة ، أمام هذا الصمود من رجلها ، وأمام بروز خاصية قوة الإرادة والشخصية فيه ، في أخرج مواضعها .

لقد كرم الله سبحانه وتعالى ورسوله والمؤمنون المرأة بصورة لم تعهدها البشرية من قبل . وقد تكلمنا عن ذلك باستفاضة ، وأرى أن أعيد نفس النصوص للتذكير .

فقد وردت آيات وأحاديث كثيرة على وجوب إحسان كل من الزوجين لصاحبه منها قوله تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ البقرة ٢٢٨

وقوله: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ النساء ١٩

وقوله: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ البقرة ٢٣٢

وقوله: ﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ﴾ البقرة ٢٣٦

وقوله: ﴿أَنكِحُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجَدِكُمْ﴾ الطلاق ٦

وقوله: ﴿وَلَا تُضَازِرُوهُنَّ لِضَعْفِهِنَّ﴾ الطلاق ٦

وقوله: ﴿فَتَأْتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ النساء ٢٤

وقوله: ﴿وَاللِّسَاءُ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ النساء ٧

وقوله: ﴿وَاللِّسَاءُ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾ النساء ٣٢

وقوله: ﴿وَأَتَوْهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ النور ٣٣

وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ البقرة ١٨٧

وقوله: ﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ﴾ هود ٧٨

وقوله: ﴿فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا﴾ النساء ٣٤

وقوله: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾ النساء ١٩

وقوله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ﴾ النساء ١٩

وقوله: ﴿فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحُ بِإِحْسَنٍ﴾ البقرة ٢٢٩

وجاء الرسول الكريم ليبين لنا مكانة المرأة فسئل ﷺ من أحب الناس إليك؟ قال: "عائشة" .. وكان يؤتى ﷺ بالهدية، فيقول: « اذهبوا بها على فلانة، فإنها كانت صديقة لخديجة » .

وهو القائل : «استوصوا بالنساء خيراً»

وهو القائل : «لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقا رضى منها آخر»

وهو القائل : «إنما النساء شقائق الرجال»

وهو القائل : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي»

وهو القائل : «ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف»

وهو القائل : «أعظمها أجرا الدينار الذي تنفقه على أهلك»

وهو القائل : «من سعادة بن آدم المرأة الصالحة»

وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين يماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم لنسائهم خلقاً»

وقال ﷺ: «خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي ، ما أكرم النساء إلا كريم ، وما أهانهن إلا لئيم»

وقوله : «أما يستحى أحدكم أن يضرب امرأته كما يضرب العبد ، يضربها أول النهار ثم يضاجعها آخره؟»

وقد استمر عليه أفضل الصلوات وأتم التسليم في الوصاية بالنساء خيراً حتى وهو على فراش الموت!!! وم يؤثر عنه ﷺ أن ضرب زوجة له قط .

يقول الدكتور أليكس كارلاين : "ربما كان من النساء من لا تحس قوة الرجل إلا حين يقهرها عضنياً ولكن منهن من لا ينفع معها احترام ولا حتى ضرب ، لذا على الزوج عمل ما يره مناسباً . فإننى لا أعتقد بأن أحداً يستطيع معرفة الرجل أكثر من زوجته ، ونفس الشيء يطبق على المرأة فإن زوجها يعرفها أكثر من الآخرين . " (نقلًا عن الأخت مسلمة aljame3.com)

ولطالما أن هناك امرأة من كل ألف امرأة تصلحها العقوبة البدنية ، فالشريعة التي يفوتها أن تذكر كيف علاجها ، فهي شريعة ناقصة . والشريعة التي يبنى عليها هدم الأسرة دون استنفاد كل محاولات الإصلاح فهي شريعة مقصرة . وما أبيحت هذه العقوبة إلا كمحاولة أخيرة لإنقاذ ما هو أكره منها وهو الطلاق . فأيهما أفضل عند العقلاء : ضرب المرأة العنيدة وعودتها إلى كنف الأسرة وبناء مجتمع صالح ، أم تحطيم الأسرة بالطلاق الذي قد يبنى عليه ضياع أطفالها؟

ولم يترك الإسلام الأمر بضرب المرأة مفتوحاً ، دون أن يحدد كيفية ضربها . فقد أقر العلماء ألا يجوز ضربها على الوجه ، لأنه مجمع المحاسن ، ولا يجوز تشويهها أو كسر عظام لها ، وإن كان ولا بد ضربها ، فتضرب بسواك أو ما شابهه وفي أنحاء متفرقة من الجسم ، لئلا يعظم الأجر .

روى البيهقي من حديث أم كلثوم بنت الصديق رضى الله عنها قالت : (كان الرجال نهوا عن ضرب النساء ، ثم شكوهن لرسول الله ﷺ ، فخلى بينهم وبين ضربهن ، ثم قال : «ولم يضرب خياركم» .

فما أشبه هذه الرخصة بالخطر ، وجملة القول إن الضرب سلاح مر ، قد يستغنى عنه الخير الحر ، ولكنه لا يزول من البيوت أو يعمم فيها بكل حال .

مسك الختام

وبكل هذا جعل الإسلام المرأة المسلمة هي الكلية العامة ، بل الجامعة الإنسانية التي يجب أن يلجأ إليها أي مجتمع إنساني ، ليتعلم كيف رفع للإسلام من قدرها ، وكيف ساوى إنسانيتها بإنسانية الرجل ، وكيف وضعها الإسلام في مرتبة المساواة مع الرجل في تحمل التكليف ، وفي إقامة هذا الدين ، وفي نشره ، وفي الدفاع عنه ، وفي بناء دولته سياسيًا واقتصاديًا وإجتماعيًا وتعليميًا .

لقد جعلها الإسلام المطلع الذي بشرق منه شمس الرحمة الإلهية على هذا الكون ، فأنارت ظلماءه ، وكشفت غمائه ، فقد رفع الإسلام المرأة ليس فقط في مجتمعها المسلم ، وبين رجال لمسلمين ، بل رفعها فوق نساء العالمين ، فقد عدل الإسلام في كل قضاياها الخاصة بالمرأة كرضيعة ، وكطفلة ، وكخطيبة ، وكزوجة ، وكمطلقة ، وكأرملة . بل وإنسانته ، في الوقت الذي كانت ترزف فيه المرأة الغربية من التحقير والعبودية والاستعباد ، والتنكيل ، ما لم تشهد الحيوانات أو الإماء .

وفي الوقت الذي حُرِّم على المرأة قراءة كتابها المقدس ، كانت المرأة المسلمة تمنح الإجازات العلمية للرجال ، ليتسكنوا من تدريس هذا الدين . وفي الوقت الذي كانت المرأة لا يُسمح لها فيه بالكلام داخل الكنيسة ، كانت المسلمة تحتاج خليفة المسلمين ، وتقول له اتق الله ! كيف تُحدث في الدين ما ليس فيه ؟ وفي الوقت الذي كانت لأديان الأخرى تعتبر المرأة حيوانًا نجسًا ، كان الإسلام يعتبرها خليفة الله على الأرض ، معمرة لها ، مقيمة شعائر الله فيها تمامًا مثل الرجل .

وفي الوقت الذي كانت فيه المرأة تُحارب لأنها طالبة علم ، كانت المرأة المسلمة قبله بأكثر من اثني عشر قرنًا تذهب لرسول الله ﷺ وتطالبه بحلقات علم خاصة بها مثل الرجال .

وفي الوقت الذي يعتبر رجال الدين المسيحي واليهودي المرأة مخلوقًا

نجسًا ، وأنها شرًا لا بد منه ، وأنها آحولة الشيطان ، كانت المرأة المسلمة هي فقيهة النساء والرجال ، كانت طبيبة الرجال والنساء ، كانت قاضية في أمور الرجال والنساء الإقتصادية ، كانت مستشارة نبي الإسلام ، والخلفاء الراشدين من بعده .

لقد حنا الإسلام على المرأة ورحمها ، لا رحمة السيد بالعبد ، بل رحمة الصديق بالصديق ، فحافظ على عفتها وطهارتها ، وحرم على الرجل الإتجار بعفتها ، في الوقت الذى حرر العالم الغربى فيه المرأة من الدين والأخلاق والعفة ، ولا تقوم تجارته إلا على إعلاناتها التى تجرد فيها من عفتها وحيائها . كما اهتم بتعليمها وتخريجها باعتبار أنها إنسانة كاملة لها الحق فى الوصول إلى ذروة الإنسان التى تريدها ، والتمتع بجميع صفاتها وخصائصها .

لقد أخرجها الإسلام من كونها فقط مربية أو خادمة وممرضة ، يتخذها الرجل ملهة لنفسه ، ونديمة لسمره ، ومؤنسًا لوحشته ، أى كانت فى نظره حيوانًا من حيوانات المنزل المستأنسة ، لا يسدى إليها من النعم ، ولا يخلع عليها من الحلل ، إلا ما ينعكس منظره على مرآة نفسه ، فيملؤها غبطة وسرورا .

لقد أخرجها الإسلام من كونها سرية للرجل أو حظية له ، ومن كونها أداة لهوه ولعبه ، وجعلها شريكة له فى الحياة ، وفى تعمير الأرض ، وفى مسئوليتها عن الدين والدعوة إليه ، وفى الحفاظ على الدولة وشريعتها ، وفى بناء الرجال وتربيتهم ، أى اعترف بإنسانيتها ، وبإمكانياتها العقلية ، وأوجب على الرجل احترامها لذاتها .

فارفعى رأسك أيتها المسلمة ، وقولى لكل حضارات العالم القديمة والحديثة :

أنا المسلمة ، فمن أنتم؟ دينى الإسلام ، فما دينكم؟ دينى بنى الإنسانية . فماذا فعل دينكم؟ دينى بنى الحضارات التى قام عليها تقدمكم . فماذا قدم

دينكم للبشرية؟ حضارتى هى الشمس التى أنارت لى ولكم ، فماذا قدمت
حضارتكم للإنسانية إلا الخراب والدمار؟

قولوا كما قال الشاعر هاشم الرفاعى :

أنا مسلم أنا مسلم	هذا نشيدى الملهم
من أعماق الأعماق	أبعث لحنه يترنم
روحى ترده وقلبي	والجوارح .. والدم
شوقا وتحناؤنا	لأجساد لنا تتكلم
أنا مسلم أنا مسلم	بالرغم ممن يحقدون
أنا ههنا بشريعتى	فى موكب الحق المبين
أنا لست رجعيًا	ولكن قائد المتقدمين
وزعيم كل حضارة	جاءت على مر السنين
شيدت للمدنية العظمى	قلاعًا .. وحصون
أيام كان الغرب	يخبط فى دياجير القرون
حررته بالفتح من	أيدى الطغاة الظالمين
ورعيته بالعلم حتى	فاق كل العالمين
لكنه لم يرع حق	أبوق شأن الخؤون
ولعل فى الحمراء	والقدس دليل المسلمين

دياجير * ظلمة والجهل

شأن الخؤون * شأن كل خائن

ثبت المراجع

القرآن الكريم

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي

المعجم الموضوعى لآيات القرآن الكريم صبحى عبد الرؤوف عصر

الكتاب المقدس (طبعة الشرق الأوسط لعام ١٩٨٩)

رياض الصالحين للإمام النووى تخريج محمد ناصر الدين الألبانى

عودة الحجاب الجزء الثانى محمد أحمد المقدم

حقوق المرأة بين الإسلام والأديان الأخرى محمود عبد الحميد محمد

قصة الزواج والعزوبة فى العالم الدكتور على عبد الواحد وفى

الفيلسوف المسيحى والمرأة أ . د . إمام عبد الفتاح إمام

الزواج والطلاق فى جميع الأديان فضيلة الشيخ عبد الله المراغى

فى محكمة التاريخ الدكتور عبد الودود شلبى

تعدد نساء الأنبياء ومكانة المرأة بين اليهودية

والمسيحية والإسلام اللواء مهندس أحمد عبد الوهاب

تحرير المرأة فى عصر الرسالة عبد الحليم أبو شقة

المرأة فى ظلال القرآن عكاشة عبد المنان الطيبي

حقائق الإسلام فى مواجهة شبهات المشككين المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

المرأة فى التصور الإسلامى عبد المتعال محمد الجبرى

شبهات حول الإسلام محمد قطب

مائة سؤال عن الإسلام الشيخ محمد الغزالى

المرأة في القرآن عباس محمود العقاد

الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية الدكتور توفيق يوسف الواعي

محمد ﷺ في الترجوم والتلمود و لتوراة هشام محمد طلبة

المرأة المسلمة (مكتبة زهران) للشيخ محمد متولى الشعراوى

الصليب ذو الكنيسة (باللغة الألمانية) كارل هاينتس ديشنر

Karlheins Deschner, Das Kreuz mit der Kirche, 1991

موقف الإسلام والكنيسة من العلم عبد الله المشوخي

النصرانية والإسلام المستشار محمد عزت انطهاوى

الرد الجميل على المشككين في الإسلام من القرآن

والتوراة والإنجيل والعلم عبد المجيد صبح

الأسرة والمجتمع الدكتور على عبد الواحد وافي

الرق في الإسلام محمود عبد الوهاب

الأعمال الكاملة مصطفى لطفى المنفلوطى

منتدى برسوميات على الإنترنت barsoomyat.com

منتدى الجامع aljame3.com

موقع المسيحية في الميزان alhakekah.com

موقع التاريخ altareekh.com

موقع ابن مريم ebnmaryam.com

<http://212.37.222.34/islam/woman.htm>

فهرس الموضوعات

- ٥ الفصل الأول: الحق يحرككم من ربة الشيطان وعبوديته
- ٩ الفصل الثاني: سبب تسمية الكتاب بهذا الاسم
- ١٠ الفصل الثالث: المرأة عند الشعوب البدائية
- ١٠ الفصل الرابع: المرأة عند الهنود القدماء
- ١١ الفصل الخامس: المرأة فى الصين
- ١٢ الفصل السادس: المرأة عند المصريين القدماء وأصحاب الأديان غير الكتابية
- ١٣ الفصل السابع: المرأة الكلدانية
- ١٥ الفصل الثامن: المرأة عند اليونان
- ١٧ الفصل التاسع: المرأة عند البابليين
- ١٨ الفصل العاشر: المرأة عند الفرس
- ١٩ الفصل الحادى عشر: المرأة عند الرومان
- ٢١ الفصل الثانى عشر: المرأة العربية فى الجاهلية قبل الإسلام
- ٢٣ الفصل الثالث عشر: عيسى عليه السلام والناموس (الشريعة)
- ٢٦ الفصل الرابع عشر: المرأة فى اليهودية
- ٣١ الفصل الخامس عشر: المرأة فى عيون عيسى عليه السلام
- ٣٨ الفصل السادس عشر: المرأة فى المسيحية منبوذة وصاحبة الخطيئة الأولى
- ٤٣ الفصل السابع عشر: الرب لا يذل ولا يحزن إلا المرأة
- ٤٦ الفصل الثامن عشر: رأى الإسلام فى الأثنى وولادتها
- ٦٩ الفصل التاسع عشر: تتضاعف نجاسة المرأة عند إنجابها ابنة
- ٧٠ الفصل العشرين: خلقت المرأة من أجل الرجل
- ٧٠ الفصل الواحد والعشرين: المرأة الحائض فى الإسلام
- ٧٢ الفصل الثانى والعشرين: المرأة النفساء فى الكتاب المقدس مخطئة
- ٧٢ الفصل الثالث والعشرين: المرأة الحائض فى الكتاب المقدس مخطئة وكالمصابة بالجذام
- الفصل الرابع والعشرين: الرب يحكم على المرأة المريضة بنزيف دموى بالموت إهمالاً لحالتها
- ٧٤ الفصل الخامس والعشرين: المرأة فى الكتاب المقدس تسبب شلاً للحياة
- ٧٥ الفصل السادس والعشرين: قوامة الرجل على المرأة فى الإسلام

- ٧٨ الفصل السابع والعشرين: حديث سجود المرأة لزوجها
- ٧٩ الفصل الثامن والعشرين: سيادة الرجل على المرأة في الكتاب المقدس
- ٨٢ الفصل التاسع والعشرين: زوجة لعب وأولادها ملك لسيده في المسيحية
- ٨٨ الفصل الثلاثين: العبد وزوجته وأولاده في الإسلام
- ٩٢ الفصل الواحد والثلاثين: زواج المرأة المسيحية من غير المسيحي
- ٩٣ الفصل الثاني والثلاثين: زواج لمسلم من لمسلمة وأهل الكتاب
- ١٠٠ الفصل الثالث والثلاثين: المرأة يست أهلاً لأن تُعلم
- ١١٥ الفصل الرابع والثلاثين: الكتاب يحنع المرأة من التعلم وفهم الدين
- ١١٦ الفصل الخامس والثلاثين: المرأة والعلم في الإسلام
- ١٢٩ الفصل السادس والثلاثين: من المذنب أحرق مكتبة الأسكندرية؟
- ١٤٠ الفصل السابع والثلاثين: الزواج وإنجاب الأولاد عقوبة للمرأة
- ١٤١ الفصل الثامن والثلاثين: الكتاب يمد بشويه المرأة المتبرجة
- الفصل التاسع والثلاثين: الكتاب المقدس يدع المرأة تعيش تتحرق شوقاً لرجل تتزوجه في الحلال!
- ١٤٢ الفصل الأربعين: نسي الرب أن يعطى وأمره عن العذارى فأكملة بولس
- ١٤٣ الفصل الواحد والأربعين: الكتاب يأمر الرجال بإخضاع أنفسهم
- ١٤٤ الفصل الثاني والأربعين: الكتاب المقدس يقضى على إنسانية المطلقة
- ١٤٤ الفصل الثالث والأربعين: حالات حرق السيدات ضعف مثيلتها عند الرجال
- ١٤٤ الفصل الرابع والأربعين: قطع اليد عقوبة خاصة بالسيدات فقط
- ١٤٤ الفصل الخامس والأربعين: الإسلام يحرم قتل النساء في الحروب
- ١٤٦ الفصل السادس والأربعين: دية المرأة التي قتلت خطأ في الإسلام
- ١٤٨ الفصل السابع والأربعين: المرأة ليست محد الله
- الفصل الثامن والأربعين: مراعاة شعور المرأة التي مات عنها زوجها في الإسلام
- ١٤٨ الفصل التاسع والأربعين: الإسلام والعزوبة
- ١٥٠ الفصل الخمسين: العزوبة والتزواج
- ١٥٤ الفصل الواحد والخمسين: مارتن لوتر يقضى على الرهبنة ويبيح تعدد الزوجات
- ١٥٦ الفصل الثاني والخمسين: الإسلام والزنا
- ١٥٩ الفصل الثالث والخمسين: الرب يحرم الزنى وما يؤدي إليه
- ١٥٩ الفصل الرابع والخمسين: الرب أمر نبيه هوشع بالزنى

- ١٦٠ الفصل الخامس والخمسين: الرب يعاقبهم فيوقعهم في الزنى
- ١٦٢ الفصل السادس والخمسين: الرب يأمر نبيه هوشع أن يتزوج بزانية
- ١٦٢ الفصل السابع والخمسين: بموافقة الرب ينام نبيه فى حضن امرأة عذراء
- الفصل الثامن والخمسين: الكتاب المقدس يساعد على نشر الزنا بنصوص
١٧١ مشيرة جنسياً
- ١٧٤ الفصل التاسع والخمسين: للرب أسلوب قصصى فاضح
- ١٧٤ الفصل الستين: الرب نفسه من نسل زناة
- الفصل الواحد والستين: الكتاب المقدس يشجع على الزنى ويُمدد
١٧٦ أولاد السفاح
- الفصل الثانى والستين: الكتاب يأمر الزوجة المَسِيَّة بالبكاء شهراً قبل
١٨١ الدخول بها
- ١٨١ الفصل الثالث والستين: الكتاب المقدس يعطى الأب الحق فى بيع ابنته
- ١٨١ الفصل الرابع والستين: هانت عليهم المرأة فكان مهرها (غلفة ذكر رجل ميت)
- ١٩١ الفصل الخامس والستين: ملاك الرب يسب المرأة ويسمىها (الشر)
- الفصل السادس والستين: الكتاب المقدس يفرض على المرأة أن تتزوج
١٩٢ أخا زوجها إذا مات زوجها
- ١٩٣ الفصل السابع والستين: الزواج نجس والجسد شر
- الفصل الثامن والستين: لا بد أن تتخلص المرأة فى المسيحية من أنوثتها لئتم
١٩٥ خلاصها فى الآخرة
- ١٩٧ الفصل التاسع والستين: نظرة المسيحية للجنس
- ٢٠٠ الفصل السبعين: اغتيال شخصية المرأة
- الفصل الواحد والسبعين: هل المرأة إنسان ولها روح مثل الرجل أم هى
٢٠٢ حيوان نجس؟
- ٢٠٣ الفصل الثانى والسبعين: رائحة مركز البابا تتركم الأنوف
- ٢٠٤ الفصل الثالث والسبعين: لماذا خلق الله المرأة؟
- ٢٠٤ الفصل الرابع والسبعين: المرأة فاقدة الأهلية
- ٢٠٥ الفصل الخامس والسبعين: بيع الزوجة أو إعارتها عملاً مشروعاً
- الفصل السادس والسبعين: صب الزيت المغلى على النساء عملاً
٢٠٥ مشروعاً للتسلية
- ٢٠٦ الفصل السابع والسبعين: يُحرّم على المرأة قراءة الكتاب المقدس
- ٢٠٦ الفصل الثامن والسبعين: ليس للمرأة حق المواطنة

- ٢٠٧ الفصل التاسع والسبعين: ثمن الزوجه نصف شلن
- ٢٠٧ الفصل الثمانين: طائفة من أقوال آباء الكنيسة وأدبائهم
- ٢٠٨ الفصل الواحد والثمانين: رأى الإسكندر فى المرأة
- ٢١١ الفصل الثانى والثمانين: لم يغو الرجل ، ولكن المرأة غوت
- ٢١٣ الفصل الثالث والثمانين: نظرة رحار الدين المسيحى للمرأة
- ٢١٥ الفصل الرابع والثمانين: فساد رجل الدين المسيحى
- ٢١٧ الفصل الخامس والثمانين: فضائح اياواوات
- ٢١٨ الفصل السادس والثمانين: فضيحة تزل الكنيسة الكاثوليكية بالنمسا
- ٢١٩ الفصل السابع والثمانين: قساوسة شراذ يمارسون اللواط
- ٢٢٠ الفصل الثامن والثمانين: قس بروتستانى يواجه (٢٦) تهمة لا أخلاقية
- الفصل التاسع والثمانين: اتهام ٢٠٠ من القساوسة بالاعتداءات الجنسية
- ٢٢٠ على الأحداث
- ٢٢٦ الفصل التسعين: الفاتيكان يعترف باغتصاب راهبات من قبل قساوسة
- ٢٢٧ الفصل الواحد والتسعين: الفاتيكان وتقرير اغتصاب الراهبات
- ٢٢٨ الفصل الثانى والتسعين: اعتداءات جنسية على الراهبات فى ٢٣ دولة
- ٢٢٨ الفصل الثالث والتسعين: اعتراف آباء الكنيسة باغتصاب الراهبات
- الفصل الرابع والتسعين: الكتاب لمقدس يخلد ذكرى العاهرات ويقدمهن
- ٢٣٠ فى ثياب لتديست
- ٢٣٥ الفصل الخامس والتسعين: إنسانية المرأة فى الزواج والطلاق والإنفاق والميراث
- ٢٣٨ الفصل السادس والتسعين: معرض للاحقة الساحرات
- ٢٤١ الفصل السابع والتسعين: اغداق الرحمة عند الاعتراف
- ٢٤٣ الفصل الثامن والتسعين: فساد راعى ورئيس دير أرثوذكسى
- ٢٤٦ الفصل التاسع والتسعين: وما الأتربة إلا مواخير للدعارة
- الفصل المائة: الرحمة والمحبة دفعت الرهبان والراهبات للزنا
- ٢٤٩ وقتل أطلدهم
- ٢٥٠ الفصل الأول بعد المائة: نظرة الإسلام للحياة الزوجية والتبتل
- ٢٥٢ الفصل الثانى بعد المائة: دناسة الحياة الزوجية والدعوة للتبتل
- ٢٥٥ الفصل الثالث بعد المائة: عيسى عليه السلام والعزوبة
- ٢٥٦ الفصل الرابع بعد المائة: لماذا لم تزوج عيسى؟
- ٢٥٧ الفصل الخامس بعد المائة: لماذا لم تتزوج مريم؟

- ٢٥٩ الفصل السادس بعد المائة: تعدد الزوجات والخجل من العزوبة
- ٢٦٨ الفصل السابع بعد المائة: تعدد الزوجات بين التكريم والتجريم
- ٢٧٥ الفصل الثامن بعد المائة: رأى عيسى عليه السلام فى تعدد الزوجات
- ٢٧٧ الفصل التاسع بعد المائة: التسرى فى اليهودية والمسيحية
- ٢٧٧ الفصل العاشر بعد المائة: التسرى فى الإسلام
- ٢٨٣ الفصل الحادى عشر بعد المائة: عمر السيدة عائشة عند زواجها
- ٢٨٨ الفصل الثانى عشر بعد المائة: عُمر السيدة مريم عند حملها بعيسى
- ٢٩٠ الفصل الثالث عشر بعد المائة: سن الزواج فى بعض البلاد الأوروبية والأمريكية
- ٢٩١ الفصل الرابع عشر بعد المائة: سن الزواج
- ٢٩٥ الفصل الخامس عشر بعد المائة: تعدد زوجات خاتم النبیین
- ٢٩٧ الفصل السادس عشر بعد المائة: لماذا لم يسمح الرسول ﷺ بزواج على من امرأة أخرى على ابنته فاطمة
- ٢٩٨ الفصل السابع عشر بعد المائة: إكراه المرأة على التزوج بشخص معين
- ٢٩٩ الفصل الثامن عشر بعد المائة: لا وجود للخطيئة الأزلية من الأساس
- ٣٢٤ الفصل التاسع عشر بعد المائة: بولس مخترع الخطيئة الأزلية
- ٣٣٠ الفصل العشرين بعد المائة: رأى الكتاب المقدس فى بولس
- ٣٤١ الفصل الواحد والعشرين بعد المائة: بولس غير موحى إليه ويُخطئ فى التشريع
- ٣٤٥ الفصل الثانى والعشرين بعد المائة: رأى التلاميذ والمعاصرين لعيسى عليه السلام فى بولس
- ٣٤٨ الفصل الثالث والعشرين بعد المائة: قصة اعتناق بولس دين يسوع
- ٣٥٢ الفصل الرابع والعشرين بعد المائة: المرأة والخطيئة الأزلية فى الإسلام
- ٣٥٥ الفصل الخامس والعشرين بعد المائة: موقف الإسلام من المرأة كأم
- ٣٥٦ الفصل السادس والعشرين بعد المائة: خصوصية التشريع لبعض الأنبياء
- ٣٥٨ الفصل السابع والعشرين بعد المائة: الطلاق عند قدماء المصريين
- ٣٥٨ الفصل الثامن والعشرين بعد المائة: الطلاق فى بابل القديمة
- ٣٥٨ الفصل التاسع والعشرين بعد المائة: الطلاق فى اليونان القديمة
- ٣٥٩ الفصل الثلاثين بعد المائة: الطلاق عند الرومان
- ٣٦٠ الفصل الواحد والثلاثين بعد المائة: الكتاب المقدس يقضى على الأسرة كاملة بمنعه الطلاق
- الفصل الثانى والثلاثين بعد المائة: الطلاق قبل الإسلام عند العرب

- ٣٦٠ صى جاهليتهم
- ٣٦٠ الفصل الثالث والثلاثين بعد المائة: الطلاق فى اليهودية
- ٣٦٢ الفصل الرابع والثلاثين بعد المائة: الطلاق فى المسيحية
- ٣٦٩ الفصل الخامس والثلاثين بعد المائة: الطلاق فى الإسلام
- الفصل السادس والثلاثين بعد المائة: أليس جعل الطلاق فى يد الرجل ما ينقص من شأن المرأة؟
- ٣٧٥ الفصل السابع والثلاثين بعد المائة: معظم أهل النار من النساء
- ٣٧٨ الفصل الثامن والثلاثين بعد المائة: لا مكان لنساء النصارى فى الجنة ، ولا لرجالها
- ٣٨١ الفصل التاسع والثلاثين بعد المائة: المُحَلَّل والمُحَلَّل له
- ٣٨٢ الفصل الأربعين بعد المائة: النساء ناقصت عقل ودين
- ٣٨٤ الفصل الواحد والأربعين بعد المائة: شهادة المرأة نصف شهادة الرجل فى الإسلام
- ٤٠٠ الفصل الثانى والأربعين بعد المائة: ما أفلح قوم وثُوا أمرهم لامرأة
- ٤١١ الفصل الثالث والأربعين بعد المائة: المسيحية والعبيد
- ٤٢٠ الفصل الرابع والأربعين بعد المائة: الإسلام وتحرير العبيد
- ٤٢٤ الفصل الخامس والأربعين بعد المائة: الميراث بين الرجل والمرأة فى الإسلام
- ٤٣٧ الفصل السادس والأربعين بعد المائة: الميراث بين الرجل والمرأة فى اليهودية والمسيحية
- ٤٥٢ الفصل السابع والأربعين بعد المائة: الكتاب المقدس والمسيحية
- ٤٥٣ وضرب الزوجة وتعذيبها
- ٤٥٦ الفصل الثامن والأربعين بعد المائة: الإسلام وإباحة ضرب الرجل لزوجته
- ٤٦٢ مسك الختام:
- ٤٦٥ ثبت المراجع:
- ٤٦٧ فهرس الموضوعات: